تفسير الملا علي القاري

المسمّى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف
نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق
الدكتور ناجي السويد

المجلد الرابع

من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الفتح

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير

الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق

الدكتور ناجي السويد

الجزء الرابع

من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الفتح

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملاّ علي القاري

Title : TAFSĪR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاّ علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes)	2592	عدد الصفحات (٥ مجلدات)
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st (2 Colors)		الطبعة : الأولى (لونان)

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7596-0

ISBN 2-7451-7596-3

سورة الشعراء

[مكيّة]
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز رضي من الزاهد بترك دنياه ومن العابد بمخالفة هواه ومن القاصد بقطع مناه، ولا يرضى من العارف أن يساكن شيئاً غير مولاه.

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة وحمزة بإظهار نونه والجمهور على أن معنى حروفه: الله أعلم بما في مراده.

وقال جنيد: الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة، والميم مقام المحبين في ميدان القربة. وقال بعضهم: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى ﷺ.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى ارتقى بحمد ليلة الإسراء عن شهود شجرة طوبى حتى بلغ سدرة المنتهى فلم يساكن شيئاً من المخلوقات في الدنيا والعقبى. ويقال: الطاء طرب أرباب الوصلة على بساط القرب بوجدان كمال الروح، والسين سرور العارفين بما كوشفوا به من بقاء الأحدية باستقلالهم بوجوده، والميم إني موافقهم لله بترك التخير على الله وحسن الرضا باختيار الحق لهم، وعند قوم إن الطاء إشارة إلى طهارة عزّه وتقدُّس علوّه، والسين دلالة على سناء جبروته، والميم دلالة على مجد جلاله في آزاله. ويقال: الطاء إشارة إلى طيب قلوب الفقراء عند فقد الأسباب لكمال الأنس بمعرفة وجود الرزق بدل طيب قلوب العوام بوجود الإرفاق والأرزاق. ويقال: الطاء

إشارة إلى طيب أسرار أهل التوحيد، والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق، والميم إشارة إلى منة الحق عليهم بذلك.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 2] أي السورة أو آيات القرآن أو هذه الحروف ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 2] الظاهر إعجازه وصحته أو المظهر أحكامه وحجته.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الآية 3] أي قاتلها ومهلك لها، ولعل الإشفاق
316/ أ المخاطب أي اشفق على نفسك أن تقتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] / لأجل أن لا يؤمنوا أو مخافة أن لا يوقنوا.

قال سهل: لعلك تشغل نفسك عنا بالاشتغال بهم حرصاً على إيمانهم بنا فما عليك إلا البلاغ لنا فلا يشغلك ما لنا عنا.

وقال الأستاذ: أي لحرصك على إيمانهم وامتناعهم من إيقانهم فأنت قريب من أن تقتل نفسك من الأسف على تركهم اتباعك فلا عليك إذ ليس الأمر إليك ولا تبديل لحكمنا أصلاً، فمن حكمنا له بالشقاوة لا يؤمن أبداً فليس عليك إلا البلاغ عني والدلالة عليَّ فإن آمنوا وإلا فكلهم إليّ فسيرون يوم القيامة ما يستحقون من العقوبة.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ [الآية 4] دلالة واضحة ملجئة إلى إيمانهم أو بلية قاهرة على إيقانهم ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الآية 4] منقادين خاشعين.

قال الأستاذ: أخبر عن قدرته على تحصيل مراده من عباده فهو قادر على أن يؤمنوا كرهاً لأن البقاء عن تحصيل المراد يوجب النقص في الربانية والقصور عن الإلٰهية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ [الآية 5] طائفة من القرآن أو موعظة للإيمان ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 5] يوجبه من كمال رحمته إلى نبيه الرحيم بأمته ﴿مُحْدَثٍ﴾ [الآية 5] أو مجدِّد إتيانه وتبيانه لتكرير التذكُّر وتنويع التقدير ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 5] إلا حددوا إعراضاً عن ذكرهم وإصراراً على ما كانوا عليه من كفرهم.

قال سهل: ما أحدث لهم علماً بما أنزلناه عليهم إلا أعرضوا عنه وادعوه لأنفسهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ [الآية 6] بالذكر بعد إعراضهم عن الشكر بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به من صريح الكفر ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 6] إذا مسهم عذاب الله في الدنيا أو العقبى ﴿أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 6] من أنه كان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فسيخف قدره.

وقال الأستاذ: أي ما نجدد لهم شرعاً وما نرسل إليهم رسولاً إلا أعرضوا عن تأمل برهانه وقابلوه بالتكذيب بدل إيمانه، ولو أنهم أنعموا النظر في آياتهم لاتضح لهم صدقهم في حالاتهم ولكن المقسوم لهم من الخذلان في سابق الحكم منعهم عن الإيمان، فقد كذبوا وعلى تكذيبهم أكبوا فسيأتيهم عاقبة أعمالهم بالعقوبة الشديدة الجامعة بين الحرقة والفرقة.

316/ ب ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] أو لم ينظروا إلى / عجائبها وما فيها من غرائبها ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 7] صنف محمود كثير المنفعة عديم المضرة.

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا السبب في إظهار الأنبياء والأصفياء.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 8] أي في إتيان كل من أصناف النبات ﴿لَءَايَةً﴾ [الآية 8] لدلالة على أن منبتها تام القدرة كامل الحكمة سابغ النعمة شائع الرحمة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] في علم الله وقضائه ولذا لا ينفعهم تبليغ أنبيائه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] بأوليائه.

وأفاد الأستاذ: أن فنون ما ثبت من الأرض في وقت الربيع لا يأتي عليها الحصر لكثرة أنواع البديع، ثم اختصاص كل شيء منها بلون وطعم ورائحة مخصوصة وكذا لكل شكل وهيبة وورق وزهر ونور مختلفة إلى ما تلطف عنه العبارة وتضعف عنه الإشارة ففي ذلك آيات لمن استبصر ودلالات لمن نظر وتفكُّر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] القاهر الذي لا يقهر القادر الذي لا يقدر ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] المحسن بعباده المريد لسعادة أوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 10] أي اذكر حين نادى ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ [الآية 10] أي إئت أو بأن أئت ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 10] لكفرهم بربهم وتعديهم على غيرهم من استعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾ [الآية 11] بدل أو بيان، والاقتصار على القوم من باب الاكتفاء وللإيماء إلى برهان الأولى فإنه رأس الضلال ومنشأ الإضلال ولأن ظلم غيره راجع إلى حكمه وأمره ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 11] استئناف تعجيباً له من إفراطهم في ظلمهم واجترائهم على فعلهم، والمعنى ألا يخافون عقائدهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي في دعوى الرسالة ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الآية 13] في تلك الحالة ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الآية 13] من الكلالة ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الآية 13] ليدفع عني الملامة وليس ذلك تعلُّلاً منه ولا توقفاً عنه في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيداً للعذر كما أشار إليه بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ [الآية 14] أي تبعة ومطالبة. والمراد قتل القبطي المخالف لمتابعته وإنما سماه ذنباً لأنه لم يكن مأموراً بمقابلته ولهذا عدّ من خطيئته قبل بعثته وظهور توبته ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 14] بمقابلته قبل أداء
الرسالة، وهو استدفاع/ للبلية المتوقعة، كما أن ما قبله استهان في أمر الدعوة. 317/أ

﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا﴾ [الآية 15] أي اذهب أنت وأخوك ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾ [الآية 15] بمعجزاتنا ودلالاتنا على أنكما من أرباب رسالاتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ [الآية 15] يعني موسى وهارون وفرعون ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15] سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه بإلقاء خوفي عليه ورعبي لديه. وقال أبو عبد الله الروذباري: ظاهره سؤال وباطنه نوال سأل الحق تعالى عن علمه بحاله فأجاب بقوله كلا ثم بدأ فقال: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15]، فتقدير سؤاله هل في سبق علمك وواجب حلمك أن يقتلوني. واستدل على ذلك بجواب الحق له كلا، ثم خاطبه هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه ودعائهم إلى ربهم به علم أنه شديد الخصومة قد غرّته نفسه بالحكومة وهو لا يبالي بما يفعل فأخذ يتعلّل لا على وجه الإباء والمخالفة ولكن على وجه الاستغناء والاستقالة إلا أن علم أن الأمر به جزم والحكم به عليه حتم فسأل أن يشرك هارون معه في الرسالة وأخبر أنه قتل منهم نفساً قبل هذه الحالة وأن في حكم فرعون أن دماً عليه لا محالة. فقال: وأخاف أن يقتلون قبل الرسالة، إلى أن قال له الحق كلا وهي كلمة ردع وتنبيه أي كلا لن يكون الأمر كما توهمت هنالك فارتدع عن تجويز ذلك وانتبه بأني معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة والسلطان لكما دون غيركما وأنا أستمع ما يقولون وما يقال لكما.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ [الآية 16] أي كل واحد منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] أو أفرد لاتحادهما في الأخوة أو في أحكام الملة ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] أي خلهم يذهبوا معنا إلى حيث أردنا.

قال الأستاذ: ويقال في القصة إن موسى وهارون عليهما السلام كانا يترددان إلى باب فرعون سنة كاملة لم يجدا طريقاً إليه ثم بعد سنة عرضا الرسالة عليه فكان من القصة ما كان من الغصة لديه.

﴿قَالَ﴾ [الآية 18] فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ [الآية 18] في منازلنا وفي بيتنا ﴿وَلِيدًا﴾ [الآية 18] طفلاً مولوداً سمي به لقربه من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الآية 18] والمعنى كنت في تربيتنا زماناً كثيراً حال كونك صغيراً وكبيراً، قيل: لبث فيهم ثلاثين ثم خرج إلى مدين / عشر سنين ثم دعا إليهم 317/ ب
يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ [الآية 19] وهي قتل القبطي الذي كان في خدمتي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 19] بنعمتي لك في تربيتي.

قال محمد بن علي: ليس من الفتوة تذكار الصنائع بالمنة، ألا ترى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف أتى بذكر صنعه وامتن على موسى بفعله.

وقال ابن عطاء: التربية توجب حقاً في الفتوة من ذلك حق الأبوة والبنوة، ألا ترى كيف ذكر الله تعالى في قصة موسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الآية 18] فإذا أوجب تربية الأعادي حقاً أوجب الدين حفظه وحرمته فتربية الحقيقة الذي هو من الحق إلى عباده أولى لرعاية حقوقه وذمته، وهو معنى قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية 126].

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ﴾ [الآية 20] أي تلك الفعلة ﴿إِذًا﴾ [الآية 20] أي إذ فعلت ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 20] أي في حال كوني من الجاهلين، كما قرىء به. والمعنى من الجاهلين لوقوع الوكزة قتلاً أو المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد به تأديبه.

قال الأستاذ: فلم يكن لموسى جواب إلا الإقرار والاعتراف فقال كل ذلك كان بلا خلاف.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ [الآية 21] فأكرمني الله بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 21] إليكم بالدعوة. قال بعضهم: الفرار عندما لا يطاق من سنن المرسلين. قال الله حكاية: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] كذا في تفسير السلمي، وفيه إن فراره إنما كان قبل النبوة وبعثة الرسالة ولا يجوز بعدها إليهم في هذه النسبة، وأما خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة سنة الهجرة فإنما كان بالإجازة المقرونة بالحكمة. وقيل: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، كذا ذكره السلمي أيضاً، وهو محمول على كمال الخوف من الله وعدم الالتفات إلى خوف ما سواه.

وقال ابن عطاء: أي فررت من مجاورتكم لما خفت من جرأتكم على ربكم لما لم تحفظوا مراتب حقوقه على وجه تحقيقه ولم أر عليكم علامات توفيقه. وقال أبو بكر الوراق: المؤمن من يفر بدينه من موضع إلى موضع إذا خاف على دينه من الهوى والبدع والضلالات.

318/أ وأفاد الأستاذ: أنه لم يجحد حق تربيته / والإحسان إليه في ظاهر حالته ولكنه بيَّن أنه إذا أمر الله بشيء وجب اتباع أمره. وقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] يجوز حمله على ظاهره وأنه خاف منهم على نفسه والفرار عند

عدم الطاقة غير مذموم عند كل أحد. ويقال: فررت منكم لما خفت عليكم أن تنزل بكم عقوبة من الله بشؤم شرككم.

﴿وَتِلْكَ﴾ [الآية 22] التربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الآية 22] أي ظاهراً وهي في الحقيقة راجعة إلي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 22] أي سبب عن تعبيدك بني إسرائيل وقصدك ذبح أبنائهم فإنه سبب وقوعي إليك وحصولي في تربيتي لديك، فلا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم هنالك ولذا قيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها عليَّ وهي أمي عبدت والمعنى ليس ذلك نعمة ولا لك عليَّ فيها منَّة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الآيتان 23،24] عرفه بإظهار خواصه وآثاره من مصنوعاته الدالة على كمال صفاته المسيرة إلى جلال ذاته ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 24] مصدقين الأنبياء أو محققين الأشياء.

قال الأستاذ: نطق اللعين بجهله وسأل عن النحو الذي يليق بفيه فسأل بلفظ ما وما إنما ستخبر عن ذاته ما لا يعقل أي غالباً فقال: وما رب العالمين، وكان الواجب أن يقول: ومن رب العالمين، فأعرض موسى عن لفظه ومقتضاه وأخبر عما صح في وصف الله.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] تعجباً من مقوله في جوابه على وجه عدوله لأنه سأل عن حقيقته وأجاب عنها بذكر فعله وصفته مع أن هذا من كمال حكمته وإظهار رأفته ورحمته على أمته ولذا ورد النهي عن التفكر في ذات الله كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110]، ولا تدركه الأبصار فهو الظاهر بصفاته الباطن بذاته.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] زاد في البيان وأوضح في البرهان إذ لا يتصور أن يكون فرعون اللعين رب الأولين والأولون هم سبب الآخرين فبطل دعواه أنه إلٰه، ولما عجز عن جواب الحجة وأراد فتح باب العداوة على طريقة / الجملة ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 27] أي على زعمه 318/ ب

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 27] لنقصان عقله أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر على وجه تكرر. وقيل: سماه رسولاً على السخرية فتدبر.

وقال عمرو المكي: لما سأل موسى هذا السؤال وأجابه بقوله ربكم ورب أبائكم الأولين علم فرعون أن الحجة قد وجبت لكن خاف الافتضاح عند قومه فأعرض عن مساءلة موسى ورجع إلى قومه بقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون بزعمه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون حماه عن سنين الاستقامة في المخاطبة وأخذ في السفاهة فقال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم يعني بزعمه لمجنون ولم يكن في شيء مما كان يجري من موسى عليه السلام ما يتعلق به فقال إنه من صفة المجانين في الكلام.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] علم أنه لا جواباً لكم غير ذلك ففي الأول لا يفهم لما رأى شدة شكايتهم حاسبهم وعارضهم بمثل مقالتهم.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو آداب الجهلة عند الغلبة أن يظهروا العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هنالك من المعجزة يبين صدق دعاوي بالرسالة المتضمنة للدلالة على وجود الصانع وحكمته في آثار صفاته الجلالة.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الآية 31] في أن لك بينة فإن دعوى النبوة يقتضي حجة ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] ظاهر ثعبانيته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] فيها شعاع كاد يغشي الأبصار ويبيد أفق الفلك الدوار، ولعل إظهار الآيتين لتكمل نصاب الشهادتين وليتأكد الحجة على المعاند بالقضيتين.

وأفاد الأستاذ: أنه أظهر معجزته بإلقاء العصا وقلبه سبحانه ثعباناً في الفضاء وكاد يلتقم دار فرعون بمن فيها ووثب فرعون هارباً من فوق قصره واختفى تحت سريره وانتقض من الخوف ظهره وتلطخ بالوحشة ثوبه وافتضح
319/ أ في دعوى ألوهيته واتضح عجزه في حالته، ثم إنه استقال / موسى واستغاث به واستجاره فأخذ موسى الثعبان فأداره فرده الله عصا كما أراده فلما فارقه موسى عليه السلام تداركته الشقاوة وأدركه شؤم الكفر في ذلك المقام واستولى عليه الحرمان من الإسلام وانقياد الأحكام كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضني عاد إلى نكسه[1]

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الآية 34] مستقرين عنده منقادين له ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية 34] فائق في علم السحر وما هو في طريق الكيد والمكر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الآية 35] ويكون الملك والملك تحت أمره ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية 35] في دفعه وقهره بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم من العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى بإظهار الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه على مملكته.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية 36] أخِّر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الآية 36] جمعاً يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة فإنه أهون في دفع دعوى الفتنة وأسهل في رفع المحنة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ [الآية 37] مبالغ في أمر السحر ﴿عَلِيمٍ﴾ [الآية 37] بأساليب المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] لما وقّت فيه من ساعات يوم معين ونهار مبين، وهو وقت الضحى من يوم الزينة[2].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] أي اجتمعوا في تلك الحال لتشاهدوا ما جرى في آخر المآل ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ [الآية 40] في دينهم الذي

---

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر العقد الفريد (1/ 234) والتمثيل والمحاضرة (1/ 19).

(2) يعتبر من أكبر أيام مصر في قديم الزمان. انظر تاج العروس (1/ 8060).

هم عليه ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الآية 40] على موسى وما لديه ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الآية 41] أي مالاً ومنالاً وجاهاً وقدراً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الآية 41] فيما أظهر أمراً.

في تفسير السلمي دل ذلك أن طالب الأجر على عمله مبطل لسعيه ومضيِّع لأمله ومن عمل لله وأخلص في طلب رضاه كان عمله بعيداً في طلب الأعواض منزهاً عن ملاحظة الأعراض، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الأمر حيث قالوا لأممهم: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفُرقان: الآية 57].

﴿قَالَ﴾ [الآية 42] أي فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية 42] لكم الأجر المبين ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية 42] في أمر الدنيا والدين.

قال ابن عطاء: رب قرب أورث بعداً ورب بعد أورث قرباً، من
319/ب تقرّب/ إليَّ بشيء غير الله أورثه ذلك بعداً عن مولاه. والمتقرِّب على الحقيقة إلى الله من تقرّب إليه به لا بشيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا بخساسة همتهم فضمن لهم عطاء أجرتهم ومن يعمل بأجرة لغيره ليس كمن يكون لله في عمله، ومن لا يكون له ناصراً لا بضمان الجعالة فعن قريب سيخذله لا محالة. ثم من طلب عند مخلوق مقام القربة كان ما يصل إليه من المذلة يزيد على ما أمله من المعزة. قيل: ذلك التقريب هو أن يكونوا هو أول من يدخل عليه يوم اللقاء، فعلى هذا المقربون من الله مَن لهم الوصول إلى مقام رضاه والناس بوصف الغفلة ولهم على الله دخلة والخلق في أسر الحجبة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الآية 43] أي بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، ولم يرد به أمرهم بالسحر بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه من المكر توسلاً به إلى إظهار الحق وإيضاح الأمر ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الآية 44] المزوقة بالزئبق ونحوه من التمويهات الموحية للتخييل بأنها الحيات الساعيات. قيل: كانت سبعين، وقيل سبعين ألفاً.

وأفاد الأستاذ: أنها كانت أوتاراً ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ [الآيتان 44،45] أي بعزّة الإلٰه وأمره ورضاه ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ [الآية 45] أي حية تسعى ﴿تَلْقَفُ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالتخفيف أي تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الآية 45] ما يقلبونه عن وجهه من الجمادية بتمويهاتهم وتزويراتهم الخيالية أنها الحيات الحقيقية.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] فألقاهم الله على وجوههم منقادين للدين عند ظهور حجة اليقين ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الآيتان 47،48] عطف بيان لدفع توهم أنه يراد به فرعون اللعين ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ [الآية 49] أي برب موسى وهارون أو لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 49] أي آمركم بالإيمان به ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 49] أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الآية 49] ولذا غلبكم أو تواطأتم على عملكم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] وبال صنيعكم كما بيّنه بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 49].

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ [الآية 50] لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الآية 50] لراجعون إلى ثواب ما هنالك.

قال / ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل ما يرد 320/ أ
عليه من النقمة والمحنة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 51] من أتباع فرعون اللعين.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 52] أي بعد سنين يدعوهم إلى الدين ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ [الآية 52] بني إسرائيل وغيرهم من المؤمنين ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الآية 52] يتبعكم فرعون وقومه أجمعون ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 53] حين علم بخروجهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الآية 53] جمعاً يجمعون العساكر ليتبعوهم قائلين ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ [الآية 54] طائفة قليلة ﴿قَلِيلُونَ﴾ [الآية 54] أي في غاية القلة، وإنما كانوا قليلين مع كونهم العرفاء من ستمائة وسبعين بالإضافة إلى جنوده المجتمعين، إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته ستمائة ألف.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥﴾ [الآية 55] ما يغيظنا في بابهم فلا بد من لحوقهم وعقابهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾ [الآية 56] وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون أي ومن عاداتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمر للحذر ولذا جمعنا العسكر ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ [الآية 57] أي فخلقنا داعية الخروج في قلوبهم حتى خرجوا كأنهم مضطرون في خروجهم ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ [الآية 57] بساتين مشتملة على أشجار ذات أزهار وأثمار ﴿وَعُيُونٍ﴾ [الآية 57] جارية في أنهار ﴿وَكُنُوزٍ﴾ [الآية 58] ودفائن من درهم ودنانير ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 58] منازل علية ومجالس بهية.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 59] الأمر هنالك ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 59] أي أعطيناهم بعد هلاك أعدائهم جزاء لما صبروا على بلائهم ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ [الآية 60] أي فاتبعوهم بما ترى ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ [الآية 60] داخلين في وقت شروق الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الآية 61] أي كل منهما الآخر بالعيان ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الآية 61] لملحقون ﴿قَالَ كَلَّآ﴾ [الآية 62] لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ [الآية 62] بالمعونة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 62] سيدلني إلى طريق النجاة عنهم.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 63] النيل أو القلزم(1) وهو الذي يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى الحرمين الشريفين ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ [الآية 63] أي فضرب فانفرق فرقاً بينها مسالك اثنى عشر بعدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ [الآية 63] أي كل قطعة عظيمة من الماء الواقف في الهواء ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 63] كالجبل المتين الثابت في مقره من الأرضين فدخلوا في
320/ب شعابها كل/ سبط في شعب منها ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ [الآية 64] قربنا ﴿ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الآية 64] فرعون وقومه من البحر أو من بني إسرائيل حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥﴾ [الآية 65] فحفظ البحر على تلك الهيئة السنية إلى أن عبروا بالكلية ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦﴾ [الآية 66] بإطباق البحر

---

(1) المكان الذي غرق فيه فرعون. انظر لسان العرب (12/ 492) ويطلق عليه البحر الأحمر.

عليهم أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 67] ما ذكر من الإغراق والإنجاء من البلية ﴿لَآيَةً﴾ [الآية 67] أي وأية آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ [الآية 67] أي أكثر قوم فرعون ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 67] كما قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يُونس: الآية 83] على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 68] المنتقم من العاصين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 68] بالمطيعين.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 69] أي على مشركي العرب حيث ادعوا أهم على دين آبائهم وإن إبراهيم من أنبيائهم ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 69] ليعلموا أنه كان رئيس أهل التوحيد والدين القويم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الآية 70] سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الآية 71] أجساداً وأجساماً ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الآية 71] فندوم لأجلها ملازمين واقفين.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ [الآية 72] أي دعاءكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الآية 72] حين تدعونهم فيستجيبون لكم ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ [الآية 73] على عبادتكم لهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الآية 73] مَن أعرض عنهم ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الآية 74] فإنَّا بهم مقتدون اعترافاً بأنهم جاهلون مقلِّدون ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم﴾ [الآية 75] أي انتبهتم فعلمتم ﴿مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 75] أي أي شيء تعبدونه ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الآية 76] مما لا ينفعون ولا يضرون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الآية 77] في أمر الدين ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 77] استثناء منقطع، أي لكن محبة ثابتة في قلوب المؤمنين.

قال الأستاذ: فكأنه ضرب بلطف أضرب عن ذكرهم صفحاً وتوصل إلى ذكر الله نصحاً ثم لما أخذ في شرح وصفه كان لا يسكت فقال: والذي والذي، في تعداد نعته ومن أمارات المحبة كثرة ذكر الحبيب والإعراض عن ذكر الرقيب، فتنزّه المحبوبون بالتقلُّب في رياض ذكر محبوبهم والزهاد يعدون أورادهم وأرباب الحوائج يعدون مآربهم فيطنبون في دعائهم لمطالبهم والمحبون يشهدون في ثناء محبوبهم.

وقال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين

321/أ العداوة حتى يصح / له بذلك محبة الله والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾ [الآية 78] إلى طريق الدين وتحقيق اليقين.

قال الواسطي: لما استغرق إبراهيم في الخلة احتشم من ذكر خليله بالتصريح فرجع إلى الصفات وجعل يقول الذي ولم يصرِّح بل كنى ولما كان في ابتداء مقاماته وأوائل جذباته ولم يستغرق في الخلة وحالاته جعل يصرح ويقول ربي ربي.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان مهتدياً، فالهداية التي ذكرها فيما يستقبله من الأزمنة الآتية أن يهديني إليّ فإني محو في وجوده فليس لي خير عني فبعد أن يكونوا مستغرقين في نفوسهم لا يهتدون من نفوسهم إلى معبودهم فيهديهم عنهم إلى ربهم فيصيرون في نهايتهم مستهلكين في وجوده فانين على أوصافهم ويصير مفارقهم بعدما كانت ضرورة ذاهبة منهم ضعيفة فيهديهم إليهم.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى﴾ [الآية 79] قال النهرجوري: الذي يطعمني حلاوة ذكره ﴿وَيَسۡقِينِ﴾ [الآية 79] كأس محبته، أي لسكري في شكره.

وقال الأستاذ: لم يشر إلى طعام معهود وشراب مألوف ولكن أشار إلى الاستدلال به من حيث أن المعرفة لهم بدل استقلال غيرهم بطعامهم وإلى شراب محبته الذي يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم.

﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠﴾ [الآية 80] وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مراده تعداد نعمة الله عليه والمقام يقتضي التأدُّب لديه، ولأن المرض يتبع الأكل والشرب غالباً وهو أثر فعل العبد كسباً كما قال ابن الرومي:

فـإن الـداء أكـثـر مـا تـراه ... يكون من الطعام أو الشراب[1]

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 278)، وبهجة المجالس وأنس المجالس (1/ 149).

قال ابن عطاء: إذا أمرضني رؤية الأغيار كان شفائي الرجوع إلى مشاهدة الجبار.

وقال الأستاذ: لم يقل أمرضني لأنه حفظ أدب الخطاب. ويقال: لم يكن ذلك مرضاً معلوماً ولكنه أراد تمارضاً موهوماً كما يتمارض العشاق طمعاً في عيادة الأحباب، كما قال قائلهم:

يود بأن يمشي سقيماً لعلها ... إذا سمعت منه بشكوى تراسله[1]

وقال بعضهم:

إن كان يمنعك الوشاة زيارتي/ ... فادخل عليَّ بعلّة العواد[2] 321/ ب

ويقال: ذلك الشفاء الذي أشار إليه الخليل هو أن يبعث الله جبريل ويقول له يقول مولاك: كيف كنت البارحة.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ [الآية 81] في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الآية 81] في العقبى. وأسند الإماتة إليه لأنه لا قدرة لغيره عليه مع أن الموت تحفة المؤمن وهدية الموقن لكونه وصلة إلى نيل الدرجات العلية والمثوبات الجلية التي يستحقر دونها اللذات الدنيوية مع ما فيه من الخلاص من أنواع المحن والبلية. قال بعضهم: يميتني ظاهراً ثم يحييني بالاستتار ويحييني بالتجلي باطناً.

وقال أبو عثمان: يميتني بخوفه ويميتني برجائه. وقال الواسطي: يميتني بالاستتار ويحييني بالتجلي والإظهار. وقال جنيد: يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر والطاعة. وقيل: الذي يميتني بالمحنة ثم يحييني بالنعمة.

وقال محمد بن حامد: يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة.

وقال الأستاذ: يميتني بإعراضه عني وقت تعزُّزه مني ويحييني بإقباله عليَّ حين إفضاله. ويقال: يميتني عني ويحييني به.

---

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/ 108)، ودواوين العرب (2/ 186).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 428).

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الآية 82] لعله أراد بالخطيئة الغفلة والتقصير في الطاعة كما قال بعضهم: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

قال أبو عثمان: أخرج سؤاله على حد الأدب حيث لم يحكم بالمغفرة على الرب ولكنه قال: والذي أطمع أي طمع العبيد في مواليهم وإن لم يكنوا مستحقين شيئاً لهم عليهم.

وأفاد الأستاذ: إن خطيئة الأحباب شهودهم محبتهم ونفسهم عند شدة البلاء عليهم وشكواهم ما يمسهم من برحاء الاشتياق لديهم. وفي معناه أنشدوا:

وإذا محاسني اللائي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر[1]

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ [الآية 83] كمالاً في العلم والعمل والصدق أستعد به خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 83] الكاملين في مقام الصلاح وحالة الفلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده وفق رضاه.

وقال الأستاذ: حكماً على نفسي أولاً فإن مَن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره.

322/ أ ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الآية 84] أي ثناءً حسناً وصيتاً / وجاهاً في الدنيا يبقى أثره إلى العقبى ولذا ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه ومنتسبون إليه.

قال سهل: ارزقني الثناء في جميع أمم الأنبياء.

وقال ابن عطاء: أطلق ألسنة أمة محمد بالثناء عليّ والشهادة لي فإنك جعلتهم شهداء مقبولين في الثناء.

وقال الأستاذ: أي لا أذكرك إلا بك ولا أعرف إلا بك.

﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الآية 85] في الدار المقيم ﴿وَٱغۡفِرۡ

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 430).

لِأَبِيٓ﴾ [الآية 86] بالتوبة عن العصيان والهداية إلى الإيمان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية 86] طريق اليقين ولا يبعد كون هذا الاستغفار قبل علمه عليه السلام أن أباه من الكفار.

وأفاد الأستاذ أنه عليه السلام قاله قبل يأسه من إيمان أبيه وهذا على لسان العادة للعلماء، وأما على بيان الإشارة للعرفاء، فذكره في وقت غلبات البسط ويتجاوز ذلك عنهم هنالك وليست إجابة العبد واجباً عليه سبحانه وأكثر ما فيه أن لا يجيبه، ثم لهم سلوة في ذكر أمثال هذا الخطاب ولا يهتدي كل أحد إلى هذا الباب.

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ [الآية 87] لا تفضحني بمعاتبتي على تفريطي وتقصيري أو بتعذيبي لجوازه عقلاً أو لتعليم الأمة لخفاء العاقبة مع أن الأنبياء معصومون عن سوء الخاتمة. قال بعضهم: خافوا الأنبياء على أنفسهم مع عظم مكانهم وسني مراتبهم فقال الخليل: ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ [الآية 87] فمن أمره على نفسه فما هو إلا لغفلة له أو الاستدراج عليه.

وقال الأستاذ: أي لا تخجلني بتذكيري خلتي فإن شهود ما من العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشد عقوبة ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون لأنهم معلومون.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الآية 88] أي أحداً أبداً ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي مخلصاً موحِّداً سليم القلب عن معصية الرب أو لا ينفعان إلا حال من هذا شأنه وبنوه وأعوانه حيث اتقوا ما له في سبيل البر وأرشد نبيه إلى طرق الخير.

قال ابن عطاء: بقلب سليم أي تسليم من عند رب كريم. وقيل: القلب السليم اللديغ، ولعله إشارة «لدغت حية الهوى كبدي».

وقال الأستاذ: قيل هو الذي سلم من الضلالة ثم من البدعة ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من/ الحجبة ثم من المضاجعة ثم من المساكنة ثم من 322/ ب
الملاحظة هذه كلها آفات والأكابر سلموا منها والأصاغر امتحنوا فيها.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الآية 90] قُربت لهم بحيث يرونها من الموقف فيستبشروا بأنهم محشورون إليها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الآية 91] أُظهرت لهم فيتحسرون علماً بأنهم منجرون إليها، أو المعنى يعرضون على النار ويعرض عنهم منازل الأشرار ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآيتان 92،93] على زعم أنهم شفعاء ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ [الآية 93] بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الآية 93] بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار بجملتهم لقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] أي الآلهة وعبدتهم ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 95] أي شياطينه أو سائر أتباعه ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 95] أي الأولون والآخرون.

﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] جملة معترضة بين القول ومقوله مبينة للقضية ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الآيتان 97،98] أي في استحقاق العبادة أو اشتراك الإرادة.

وقال الأستاذ: لا فضيحة أفظع ولا عيب أشنع مما يعترفون به على أنفسهم بقولهم: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الآية 98] وأقبح أنواع الشرك وأشنع أنواع الكفر والجحود هو التشبيه في صفة المعبود.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الآية 99] أي الشياطين أو الرؤساء الأقدمون ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الآية 100] كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الآية 101] قريب أو منهم إذ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الأصدقاء أو لأن الصديق الواحد يسعى في وقت البلاء أكثر مما يسعى في وقت الشفاء.

قال الأستاذ: في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة يرضي عنه خصومه فيقول الله له: عبدي بقيت لك حسنة واحدة إن كانت أدخلتك الجنة انظر وتطلب من الناس لعل واحداً منهم يهبك حسنة واحدة، فيأتي العبد في الصفين ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فيقول الكل في بابه فلا يجيبه أحد إلى ما به وكل

يقول له: أنا اليوم فقير إلى حسنة واحدة، فيرجع إلى مكانه فيسأله الحق سبحانه/ فيقول: ماذا أجبت به، فيقول: يا رب لم يعطني أحد حسنة من حسناته، 323/ أ
فيقول الله تعالى: عبدي ألم يكن لك صديق فيَّ، فيذكر العبد فيقول فلان كان صديقاً لي، فيدله الحق عليه فيأتيه فيكلِّمه في بابه فيقول: بلى لي عبادات كثيرة قبلها اليوم عني فقد وهبتها منك، فيسير هذا العبد فيجيء إلى موضعه فيخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً وقد عفوت لك وله. وهذا معنى قوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الآيتان 100،101].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الآية 102] أي فليت لنا رجعة في العقبى ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 102] في الدنيا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] فيما ذكرنا من القصة ﴿لَءَايَةً﴾ [الآية 103] لحجة وعظة وعبرة للمستبصرين والمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ [الآية 103] أكثر قومه ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] به أو بربه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 104] الغالب على مراده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 104] بعباده.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 105] أي أمته ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 105] إليهم، وقوم نوح ومن قبله ولأنه تكذيب واحد واحد منهم تكذيب لجميعهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ [الآية 106] لأنه كان منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 106] الله فتتركوا عبادة مَن سواه ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 107] مشهور بالأمانة عندكم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 108] مخالفته أو عقوبته ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 108] فيما آمركم به من التوحيد لله والطاعة لرضاه ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 109] أي على تبليغ الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 109] نوعاً من الأجر ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 109] فأجره أعلى وأغلى في القدر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾ [الآية 110] كرَّره للتأكيد وللإيحاء إلى أن اجتناب السيئات وارتكاب الطاعات هو المطلوب في جميع الحالات يستوي فيه المبتدأ والمنتهى في المقامات.

قال الواسطي: التقوى أوائل المنازل وأواخرها ولا غاية له في المناهل وذلك أنه ليس للمتقي غاية ينتهي إليها ولا نهاية يستغني عنها ثم حقيقة التقوى أن يتقي العبد من تقواه. وقيل التقوى هو التخلي عن كل مذموم في

التحلي بكل محمود.

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ [الآية 111] الأقلون جاهاً ومالاً وهذا من سخافة عقلهم في الأمور الدينية وقصور نظرهم عن الحطام الدنية الدنيوية حتى جعلوا اتِّباع المقلِّين فيها مانعاً عن اتِّباع المكثرين/ بها وجعلوا 323/ب
إيمان الفقراء بما يذعن إليه الأغنياء دليلاً على بطلانه وحجة على ضعف شأنه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباع الضعفاء ليس عن نظر وبصيرة بل إنما هو لتوقع مال ورفعة فلذا قال: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢﴾ [الآية 112] إنهم عملوه خالصاً من رياء وسمعة أو طمعاً في حصول طعمة وأنا ما أحكم إلا بالظواهر والله أعلم بالسرائر.

﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ [الآية 113] ما جزاؤهم من ثوابهم وعقابهم على مقتضى بواطنهم إلا على الله المطلع على أحوالهم ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 113] ذلك لعلمهم ما هنالك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

قال الأستاذ: وكذلك أتباع كل رسول إنما هم الأضعفون لكنهم في حكم الله هم المتقدمون الأكرمون ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾ [الآية 114] أي من الفقراء لتوقع إيمان الكافرين من الأغنياء حيث استكفوا باتباع الضعفاء ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ [الآية 115] ما أنا إلا منذر للمكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلال فكيف لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ [الآية 116] عما تقول من الدين ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الآية 116] من المضروبين بالحجارة أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾ [الآية 117] فيما بلّغتهم من طريق الصدق اليقين ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ [الآية 118] باب الحكم في نصرة الدين ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 118] من قصد فعلهم أو شؤم عملهم.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ [الآية 119] المملوء ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ [الآية 120] بعد إنجائه ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الآية 120] من قومه الكافرين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ [الآية 121] شاعت للحجة وذاعت للعبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

[الآية 121] في علمه القديم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 122] القادر على الاستئصال ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 122] بتأخير العقوبة عنهم اليوم بالإمهال.

وزاد الأستاذ فيما أفاد من أنه لم يقطع الرزق عنهم مع قبح أفعالهم وهو عزيز لا يستنصر بقبيح أعمالهم وما كان لو جمعوا على طاعته ليتجمل بأفعالهم.

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ﴾ [الآية 123] أي قبيلتهم ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية 123] أي جملتهم ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الآية 124] مخالفة الدين ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الآيتان 125،126] في أمر اليقين ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الآية 127] كالطامعين ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 127] في تصدير القصص فهذه الجملة دلالة على أن البعثة مقصورة/ على الدعوة إلى المعرفة 324/ أ
والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعّد عن عقابه، وعلى أن الأنبياء مبرؤون عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية.

قال أبو جعفر: أزيلت الأطماع عن الرسل أجمع لدناءة الطمع.

وأفاد الأستاذ: أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلب الأجر مِن سواه وفيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يتأدبوا بآدابهم فلا يطلبوا من الناس شيئاً في بث علومهم ولا يرتفقون منهم بتعليمهم وتذكيرهم ومن ارتفق من المستمعين في بث ما يذكره من أمر الدين ويعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما منهم يأخذون ويبيعون دينهم الخطير بالعرض اليسير ثم لا بركة لهم فيه يبقون به عن الله ولا ينتفعون وسيقعون على سخط من الله وعذابه.

﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ [الآية 128] مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ [الآية 128] علامة للمارة ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ [الآية 128] ببنائها لاستغنائهم عنها أو قصوراً مفتخرون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الآية 129] مأخذ الماء وقصوراً مشيدة البناء أو حصوناً مرتفعة بالهواء ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ [الآية 129] تسكنون بها وتدومون فيها فتحكمون أساس بنيانها ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم﴾ [الآية 130] بسوط أو سيف أو لطمة ﴿بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ [الآية 130]

متسلطين ظالمين بلا رأفة ورحمة ولا قصد تأديب ونظر في عاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 131] بترك هذه الأفعال الدنية ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 131] فيما أدعوكم إليه من الأعمال الرضية فإنه أنفع لكم في الأحوال الدنيوية والأخروية ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الآية 132] بما تعرفونه منه أنواع النعم الجلية ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الآية 133] كثيرة ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الآية 134] غزيرة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الآية 135] في الدنيا والعقبى فإنه سبحانه كما قدر على الإنعام قادر على الانتقام.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾ [الآية 136] أنصحت لدينا ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الآية 136] فإنا لا نرجع عما نحن عليه من الدين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية 137] ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب المرسلين الأولين. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضمتين أي ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين كانوا يزخرفونه ويزورونه من أمر الدين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الآية 138] لا في الدنيا ولا في العقبى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 139] أي نبيهم هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 139]
أجمعين بسبب/ تكذيبهم للتوحيد والنبوة بريح صرصر عاتية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: الآيتان 139، 140] في نفي الإيمان عن أكثرهم إيماناً بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا في الدنيا بكفرهم وإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه. 324/ب

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الآيات 141-146] إنكاراً لأن يتركوا على حال تنعمهم مقيمين دائمين كما بيّنه بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الآيتان 147، 148] لطيف لين اللطف ثمره الكريم ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الآية 149] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين أي بطرين آثرين مفتخرين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ [الآية 150] فيما تؤمرون ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الآية 151] ولا تنقادوا لأمر المجرمين من الرؤساء

والمنكرين من الأغنياء ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝١٥٢﴾ [الآية 152] ولا يتداركون.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ [الآية 153] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم فصاروا كالمجانين ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [الآية 154] من الآكلين والشاربين ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 154] من أنواع الدلالة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 154] في دعوى الرسالة.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ﴾ [الآية 155] أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لَّهَا شِرۡبٞ﴾ [الآية 155] نصيب من الماء ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الآية 155] فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الآية 156] بضرب وجرح ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الآية 156] عظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب الأليم فهو أبلغ من العذاب العظيم.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الآية 157] أسند الفقر إليهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذا أخذوا جميعهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ [الآية 157] على قصرهم وكفرهم خوفاً من العقوبة لا توبة من المعصية أو عند المعاينة حين لا تنفعهم التوبة.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ [الآية 158] أي العذاب الموعود في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 127]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٥٩ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآيات 158-164] العالِم بأحوال/ العالمين. 325/ أ

﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٥﴾ [الآية 165] أي مما بين من عداكم من العالمين لا يشارككم فيه غيركم حتى البهائم التي ليس لها ملة ودين وعقل ويقين ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ﴾ [الآية 166] لاستمتاعكم ﴿رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ﴾ [الآية 166] بيان لما، وأُريد بهن جنس الإناث ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الآية 166] متجاوزون عن حد الشهوة أو مفرطون في المعصية لارتكاب هذه الجريمة.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ [الآية 167] عن أمرنا ونهينا وتقبيح مرادنا ﴿لَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الآية 167] عن بلادنا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الآية 168] من المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الآية 169] أي من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 170] أي أهل بيته والمتبعين له على ملّته بإخراجهم من بينهم وقت قرب حلول العذاب لهم ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الآية 171] هي امرأة لوط ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 171] الباقين في القرية المتشاركين في العقوبة.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الآية 172] أهلكنا غير المؤمنين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الآية 173] بالإنزال من السماء فوقهم حجراً ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 173] مطر هؤلاء المجرمين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الآيات 174-176] الأيكة المفيضة تنبت ناعم الشجرة، والمراد بماء غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً منهم فكذا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الآية 177] ولم يقل أخوهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 177] وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليلة وهي اسم بلدتهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الآية 178] معروف بالديانة دون الخيانة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 179] في المخالفة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 179] في الموافقة ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 180] بل تبليغي عنهم بلا غرم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 180] فأجره أتم وثوابه أعم.

﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ [الآية 181] أتمُّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [الآية 181] حقوق الناس على وجه التعميم ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الآية 182] بالميزان السوي القويم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الآية 183] لا تنقصوا أشياء من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 183] بنحو القتل والغارة وقطع طريق المارة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 184] الخليقة الذين قبلكم.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآيتان 185، 186]

325/ ب أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين/ للرسالة بخلاف قوم صالح فإنهم تركوا الواو لإرادة التأكيد والاستئناف ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 186] في دعواك بالنبوة وتهديدك لمن خالفك بالعقوبة.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 187] قطعاً منها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 187] بنزول العذاب عنها ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الآية 188] بأعمالكم وأحوالكم فينزل بكم ما أوجبه عليكم في وقته الذي قدره أن يصل إليكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الآية 189] بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلّهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فأُحْرِقوا بها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآيات 189 ـ 191] هذا آخر القصص السبع المذكورة على طريق الاختصار تسلية لسيد الأبرار وتهديد للمكذبين له من الكفار ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 192] أي القرآن أو ما سبق من البيان ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الآيات 192–195] فصيح المبنى واضح المعنى. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الأمين.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله العزيز منزل على قلب رسوله الكريم غير منفصل وبغير الله غير متصل، وهو على الحقيقة لا على المجاز منزل ومعناه: إن جبريل كان في السماء فسمع من الرب فحفظ ونزل وبلّغ إلى الرسول فمرة كان يدخل عليه حال تأخذه عنه عند نزول الوحي عليه فيرد جبريل ذلك على قلبه ومرة كان يتمثل له الملك فيسمعه، وكان الرسول يحفظه ويؤديه والله ضمن له أن سيقربه حتى لا ينساه فكان يجمع الله له الحفظ في قلبه ويسهل القراءة على لفظه، ولما عجز الناس بأجمعهم عن معارضته مع تحديد إياهم للإتيان بمثله علم صدقه أنه من قبل ربه من طريق قلبه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 196] أي ذكر القرآن ومعناه بحسب البيان ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾

[الآية 196] كتب المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ [الآية 197] علامة على صحة القرآن مع قطع النظر من دلالة المعجزة أو على رسالة محمد إلى هذه الأمة ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 197] أي يعرفوه بنعمته المذكورة
326/ أ في كتبهم. وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر/ لهم وأن يعلمه بدل من الآية.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الآية 198] جمع أعجمي على التحقيق ويؤيده أنه قرئ بالتشديد ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ﴾ [الآية 199] أي أكثرهم ﴿بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 199] لتكبُّرهم وكثرة تعلُّلهم ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ [الآية 200] أدخلنا القرآن المبين ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 200] أي منهم ومن غيرهم فعرفوا مبانيه وإعجازه ومعانيه ثم مَن عاندهم لم يؤمنوا بما فيه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الآية 201] الملجىء إلى التوبة حين لا تنفعهم الندامة.

﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [الآية 202] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 202] بإتيان العقوبة لكمالهم في الغفلة واشتغالهم بالنعمة ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الآية 203] تحسُّراً وتأسُّفاً على ما كانوا يفعلون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه لو نزل بغير لسانهم هذا الكتاب لم يهتدوا إلى طريق الصواب وقالوا لو كان بلساننا لعرفناه ولآمنا به واتبعناه، فأزاح عنهم العلة وأكد عليهم الحجة ثم أخبر عن صادق علمه منهم وسابق حكمه فيهم بالشقاوة عليهم وهو إنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم في القيامة حتى لا ينفعهم الإيمان ولا الندامة.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الآية 204] حيث يقولون ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: الآية 48]، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الآيات 205-207] لم يغن عنهم تمتعهم في دفع عذابهم.

وقال الأستاذ: إن أرخينا لهم المدة وأمهلناهم أزمنة كثيرة وهم بوصف الغفلة فما الذي كان ينفعهم إذا أخذهم العذاب بغتة ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا

لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الآية 208] أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ﴿ذِكْرَىٰ﴾ [الآية 209] تذكرة وتبصرة ونصبها على العلة ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 209] ولو أهلكنا العالمين بلا خطيئة.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الآية 210] كزعم الكفرة أنه من قبيل ما يلقي الجن على الكهنة ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ [الآية 211] وما يصح لهم أن يتنزلوا به إليه ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 211] وما يقدرون عليه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ [الآية 212] أي بالمواجهة لكلام الملائكة في السماء من الوحي النازل للأنبياء ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ [الآية 212] لعدم وجود المشاركة في صفاء الذات وضياء الصفات وقبول فيضان الكلمات على الكمالات وانتعاش بالصور الملكوتية لكون نفوس الشياطين في غاية من الخباثة الظلمانية.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ/ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الآية 213] تهييج 326/ ب
لازدياد المخلصين ولطف لسائر المكلفين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الآية 214] الأقرب فالأقرب منهم فإن الاهتمام بشأنهم أهم من غيرهم.

قال الأستاذ: وذلك بتعريفه أنه لا ينفعهم قرابته منهم ولا تقبل شفاعته فيهم على تقصيرهم وعدم إيمانهم فليس هذا الأمر من حيث النسب بل باعتبار التقوى والحسب. هذا نوح لما كفر ابنه لم ينفعه بنوَّته وهذا إبراهيم لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، وهذا محمد ﷺ وكثير من أقاربه كانوا أشد الناس عليه في عداوته فلم ينفعهم نسبه وقرابته.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 215] ألِن جناحك وكن من المتواضعين ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 215].

قال الأستاذ: قاربهم في الصحبة واسحب ذيل المجاوزة على ما ينذر منهم في تقصير الخدمة واحتمل منهم سوء الأعمال وعاشرهم بجميل الأحوال وتحمَّل عنهم وارحم كلهم فإن مرضوا فعِدْهم وإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصروا في حقك فاعف عنهم واشفع لهم واستغفر لهم.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] ولم يتبعوك فيما يؤمرون ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا

تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 216] من أعمالكم إذ ليس لي اطلاع على أحوالكم في مآلكم.

وفي تفسير السلمي قيل: بريء كل نبي عن مَن عصاه من ذرية الأنبياء ﷺ شرف مرتبته وعظم قربته لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ [الآية 216] بارتكاب العصيان بعد تحقق الإيمان ﴿فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ﴾ [الآية 216] من أعمالكم لا بريء منكم في آجالكم فإن لك محل الشفاعة والشفاعة تزيل عنهم ظلمة المعصية.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ [الآية 217] الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وأبو عامر فتوكل بالفاء على البدل من الجزاء.

قال جنيد: التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك في الدارين إليه فلا تعتمد إلا عليه.

وقال الأستاذ: انقطع إلينا واعتصم بنا وتوسل بنا إلينا وكن بنا وإذا قلت فقل بنا وإذا وصلت فصل بنا واشهد تقلُّبك في قبضتنا وتحقق بأنك بتناولنا. ويقال: توكل على العزيز تجد العز بتوكلك عليه وانقيادك إليه
327/أ وتفويض/ بالكلية عما دونه أمرك إليه فإن العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي يقرب من تقرب إليه ويجزل الخير لمن توسل إليه وتوكل عليه.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ [الآية 218] إلى الصلاة وحدك من المتطوعين أو المتهجدين ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الآية 219] وتصرفك في أركان الصلاة فيما بين المصلين. والمعنى يزجيك إذا صليت بوصف الوحدة وإذا صليت في الجماعة يعني توكل على مَن يراك في حال اجتهادك لمرضاة مولاك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 220] لأقوالك وأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 220] لأحوالك وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فأمن علم أنه بمشهد من الحق وأعاد فائق حالاته وحقائق طاعاته ثم هوَّن عليه معاناة مشاق عباداته برؤيته له في تقلباته إذ لا مشقة في حمل البلوى لمن يعلم أنه بمرأى من المولى لأن تحمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شفرة من جفن عينه على مشاهدة ربه. وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الآية 219] فهم

نجوم وأنت بدر، وهم بدور وأنت شمس، وهم شموس وأنت للشموس شمس. ويقال: تقلبك في أصلاب أبائك من المسلمين الذين عرفوا الله فسجدوا له من دون من لا يعرفوه ولم يدخلوا في الدين، إنه هو السميع لأنين المحبين العليم بحنين العارفين. ويقال: السميع لأنين المذنبين العليم بأحوال المطيعين.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الآيتان 222،221] كثير الكذب عظيم الإثم من الكهنة والمنجمين ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الآية 223] أي يسترق المسموع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة من الكذب، ففي الصحيحين الكلمة يختطفها الجني فيقرها في أذن وليه ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة(1) وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقى قبل أن يدركها.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الآية 224] أي الضالون يعني شعراء الكفار يهجون سيد الأبرار والصحابة الكبار ويقولون نحن نقول مثل ما يقول محمد، فبعض الغواة يجتمعون إليهم ويستمعون / منهم ويرون عنهم. 327/ ب

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ [الآية 225] من أودية الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ [الآية 225] يذهبون كالمجنون ويخوضون في كل لغو وهم متحيرون فتارة للباطل يمدحون وتارة للحق يذمون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الآية 226].

وأفاد الأستاذ: أن المراد بهم الشعراء الذين في الباطل يهيمون وفي أعراض الناس يقعون وفي التشبيهات عن حد الاستقامة يخرجون ويعدون في أنفسهم ما لا يفون ويسلكون سبيل الكذب فيما يتفوهون.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 227] في سائر الأوقات والحالات.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7561)، ومسلم في الصحيح (2228/ 122).

قال جنيد: الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرد الغفلة عن القلب عن جميع الأفعال ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ [الآية 227] استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين المكثرين لذكر الله حيث أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ومتابعة رضاه ولو قالوا مهاجاة أو أدلى به الانتصار ممن هاجاهم من الكفار مكافأة. روي أنه لما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الآية 224] جاء حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إليه ﷺ وهم يبكون لديه فقال: قد علم الله حين أنزل هذه الآية من السماء أنَّا شعراء فأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 227] الآية، رواه ابن جرير وغيره[1].

والسورة وإن كانت مكية لكن أربع آيات منها وهي والشعراء إلى آخر السورة مدنية كما صرح به محيي السنَّة وغيره من الأئمة ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] أي مرجع يرجعون بعد الموت أو حين الفوت وقرىء أي منفلت ينفلتون أي أي منصرف ينصرفون، والمعنى إذا عوقبوا على ظلمهم تحققوا آيسوا ما عملوا وندموا على ما أسلفوا وصدقوا ما كذبوا.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا. هذا وسياق الآية وإن كان في الكفار وشعرائهم لكنه عام لكل ظالم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا كتب الصديق الأكبر عند الوصية لعمر رضي الله عنه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر ابن أبي قحافة

328/ أ عند خروجه من/ الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يَجُرْ ويبدل فلا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] نقله ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها[2].

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (5/ 277) رقم (26051)، وانظر تفسير الطبري (19/ 418) وتفسير ابن كثير (6/ 175).
(2) تفسير ابن كثير (6/ 177)، وتفسير ابن أبي حاتم (11/ 54) رقم (16846).

سورة النمل

[مكيّة]

وهي ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز قصده العاصي لطلب تخفيفه فظل وزره مغفوراً، اسم كريم قصده العابد لطلب تشريفه فصار أجره موفوراً، اسم جميل أمه الولي لطلب تشريعه فظل سعيه مشكوراً، اسم عظيم تعرض الفقير لوجوده فمحقته العزّة وطوحته السطوة فصار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، جلّت الأحدية فأنى بالوصول وتقدّست الصمدية فمن الذي له أهل ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدَّثِّر: الآية 55].

وكم باسطين إلىَ وصلنا أكُفهم لم ينالوا نصيبا(1)

﴿طسٓ﴾ [الآية 1] بطهارة قدسي وسناء أنسي لا أخيب أمل مَن أمل لطفي. ويقال: بوجود بري يطيب قلوب أوليائي وبشهود وجهي يغيب أسرار أصفيائي. ويقال: طلب القاصدين مقابل تعطفي وسعي العاملين معامل بلطفي ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] آيات هذه السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 1] لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه الأنام. وفي عطف إحدى الصفتين إيماء إلى أنه مقروء بألسنتنا ومكتوب بأيدينا وجامع لما يحتاج إليه في ديننا وتأخيره عن القرآن هنا باعتبار تعلق علمنا وتقديمه في الحجر باعتبار وجود اللفظ بعد شهود الخط والحظ.

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الآية 2] حالان من الآيات أي هادية ومبشرة للمصدقين ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 3] أي الذين يعملون الصالحات، وخصًّا بالذكر لأن الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم الطاعات المالية، فالمراد بهم الكاملون في الأمور الدينية ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 3] فيتحملون التكاليف الشاقة لخوف لحوق العاقبة ووثوق المحاسبة.

قال بعضهم: التنبيه في إقامة الصلاة أن لا يواصلك بها ولا يفاصلك بتركها لكن اتباع الأوامر تعظيماً لأمرها./ قيل: لا يكن حظك من صلاتك 328/ب
إقامتك بها دون السرور بما أهلت لها من القربة والمناجاة بسببها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآيات وهذا الكتاب الجامع للبينات بيان وشفاء ونور وضياء وذكرى وبشرى لمن خلقنا له، الإيمان على ما أكدنا له الأمان وضمنا له الإحسان الذين يديمون المواصلات ويستقيمون في إدام المباحات ويؤدون عن أموالهم وأحوالهم وسكناتهم وحركاتهم الزكوات بما يقومون في حقوق المسلمين أحسن مقام في كل باب وينوبون عن ضعفائهم أحسن مناب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الآية 4] القبيحة حتى رأوها حسنة بجعلها محبوبة للطبع مكروهة للشرع ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 4] عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع لها.

وقال الأستاذ: أغشيناهم فهم لا يبصرون أعمينا عليهم المسالك فهم عن الطريقة المثلى يعدلون أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 5] في الدنيا وسوء الحساب في العقبى ﴿وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [الآية 5] أخسر الناس في الخسارة وأنجسهم في التجارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة.

قال الواسطي: من أعرض عن الله أو خالف شيئاً من أمر مولاه جعل عقوبته في دنياه بتزيين عمله في قلبه وتحسينه في مهواه حتى لا يرى المخالفة

مخالفة وفضل بالكلية عن طريق رشده وسبيل هداه فيكون إذ ذاك الهلاك والوقوع في الفتنة هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن سوء العذاب هو أن يجد الآلام والأسقام ولا يجد التسلي برؤية المبلى في ذلك المقام ولا يحمل عنه ثقل البلاء والعذاب شهود المبلي في ذلك الباب وذلك للكفار وأهل الحجاب، فأما المؤمنون فيخفف عنهم العقاب في الآخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم إلى الله ثم فضل الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ووقت العناء ثم ما يوقع عليهم من الغشية والإنامة كما في الخبر إلى إخراجهم من النار.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 6] لتؤتاه أحسن الإتيان ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [الآية 6] أي حكيم وأي عليم وجمع بينهما في معرض البيان للإشعار بأن / علوم 329/ أ القرآن منها ما هي حكمة وأحكام كالعقائد والشرائع ومنها علوم مجردة كالقصص والإخبار عن المغيبات والبدائع.

وقال أبو بكر ابن طاهر: إنك لتلقى القرآن من الحق حقيقة وإن كنت تأخذه في الظاهر عن جبريل بالواسطة قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 1،2]. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم.

وقال الأستاذ: أي الذي أكرمك بإنزال القرآن عليك من السماء هو الذي يحفظك عن الأسواء والأعداء وصنوف البلاء.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية 7] أي اذكر أسرار قصته التي هي من آثار علم الله وأنوار حكمته، والمراد بأهله زوجته وأهل بيته ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ [الآية 7] أبصرت ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا﴾ [الآية 7] من أهلها ﴿بِخَبَرٍ﴾ [الآية 7] عن حال الطريق وكان قد فعله لقلة الفريق وظلمة العميق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [الآية 7] بشعلة نار مقبوسة، ونوّنه الكوفيون على أن القبس بدل منه والعدتان على سبيل غلبة الرجاء عند حصول القصص ولذا عبر عنها بصيغة الترجي في طروء القصص والترديد للإيمان إلى أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أخذهما ثقة بعادة ربه أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 7] رجاء أن يستدفئوا بها من البرد

القوي فإنهم كانوا في الليل الشتوي.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ [الآية 8] قارب النار موسى ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ﴾ [الآية 8] أي بورك أو بأن بورك ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 8] في طلبها أو في مكانها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 8] أي ومن هو حولها من الملائكة وهو البقعة المباركة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القَصَص: الآية 30]، وهنا قال: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 8] تنزيلاً له عما لا يليق بذاته ولا ينبغي لصفاته وتصدير الخطاب ببورك إشارة إلى البشارة وهي أنه قد قضي له أمر عظيم يقصر عنه العبارة. وعن ابن عباس وغيره: أي قدس مَن في النار وهو الله سبحانه والنار نور والأنوار عليك ومخاطبة يعني أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

وقال ابن عطاء: أصابتك بركة النار بوارد الأنوار عليك ومخاطبة الحق
329/ب لديك فإنك آنست في الظاهر ناراً وكانت في الحقيقة أنواراً/ فأزال عنك أنسك بها وخصّك الأنس بنورها وكلّمك وأنبأك عند الكلام وخصصت به فيما بين الأنام.

وأفاد الأستاذ: إنه عليه السلام لما سار بأهله من مدين شعيب متوجهاً إلى مصر وطنه ودجا عليه الليل وأخذ امرأته الطلق وشدة الويل وهبت الرياح الباردة وقدح النار فلم يورد الزند بالشرارة الشاردة وضاق على موسى الأمور الواردة حيث تشتت به الهم واستولى على قلبه الشغل الأهم، فرأى ناراً من بُعد فقال لأهله: امكثوا إني أبصرت ناراً. وفي القصة أنه تشتتت أغنامه وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه فشردت فقالت امرأته: كيف تتركنا وتمضي والوادي مسْبع، فقال: امكثوا إني لأجلكم أمضي وأتعرف أمر هذه النار لعلي آتيكم منها إما بقبس وشعلة أو بخبر عن قوم نزول عليها لنا بهم استعانة ومن جمعتهم منفعة. وكان في رأي عينه أن تلك النار التي لاحت له قريبة وكان يمشي موسى والنار تتباعد حتى قرب من النار فرأى شجرة رطبة تشتعل كلها ناراً من أولها إلى آخرها وهي نار مضيئة فجمع خشبات من

حولها وأراد أن يقتبس منها فعند ذلك سمع النداء من الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] فكان موسى عند الشجرة فسمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من أهل البدعة وحصل الإجماع أن موسى تلك الليلة سمع كلام الله سبحانه ولو كان النداء في الشجرة لكان التكلم بذلك الشجرة ولا ينكر في الجواز أن يكون الله أسمع موسى كلامه بإسماع خلقه له وخلق كلاماً في الشجرة أيضاً، فموسى سمع كلامه القديم، وسمع كلاماً مخلوقاً في الشجرة أيضاً وهذا من طريق العقل جائز إلى يا موسى إنه الضمير للشأن أو للمتكلِّم وهو أوفق في البيان لما في طٰه والقصص ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: الآية 30] فأنا خبر والله بيان له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] صفتان ممهدتان لما أراد أن يظهره أي القوي القادر على مراده الفاعل بمقتضى مشيئته وفق حكمته في عباده وبلاده.

وقال الأستاذ: الذي يخاطبك أنا اللهالعزيز في استحقاق جلالي الحكيم في جميع أفعالي.

330/ أ / ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 10] أي ونودي أن ألقِ عصاك قال: فألقاها فإذا هي حية تسعى ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ [الآية 10] تتحرك وتضطرب سريعة ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [الآية 10] حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 10] لم يرجع إلى عقبه من كمال رعبه في قلبه من جهة ربه كما أشار إليه بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [الآية 10] أي من غيري ثقة بي ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 10] أي لا يخافون حين يوحى إليهم من فرط استغراقهم بي ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [الآية 11] منهم أو من غيرهم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [الآية 11] صدر عنهم ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 11] بهم.

قال الواسطي: إلا من ظلم برؤية النفس والالتفات إليها والإقبال عليها. وقيل: إلا من خاف غيرنا أي وغفل عن أن الأمر كله لنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراه في عصاه من البرهان المبين حتى يحصل له كمال اليقين فقلبها الله حية صغيرة ثم حية كبيرة فأوجس في نفسه خيفة وولى مدبراً هارباً من الحية وكان خوفه من الله أن يسلطها عليه لما كان معلوماً لديه بأن لله أن يعذِّب من يشاء بما يشاء كيف شاء، فقال له الحق:

يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون، أي لا يتبقى لهم أن يخافوا إلا من ظلم وهذا يدل على جواز الذنب على الأنبياء فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط عدم الإصرار على الذلة فأما من لم يجوز عليهم الخطيئة فيحمل هذا على ما قبل النبوة. فلما رأى موسى انقلاب العصا علم أن الحق هو الذي يكاشفه بالنداء.

ويقال: كيف علم موسى أن الذي سمعه كلام الله، والجواب: أنه يتعريف منه إياه فيجوز أن يكون ذلك العلم فيه ضرورياً ويجوز أن يكون كسبياً ويكون الدليل له الذي علم به صدقه في قوله إني أنا الله هو ما ظهر على يده في الوقت من المعجزة كقلب العصا وإخراج اليد البيضاء كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 12] لأنه كان عليه مدرعة صوف لا كم له ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 12] آفة كبرص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [الآية 12] في جملتها أو معها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 12] أي مرسلاً إليهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 12] خارجين عن طاعة ربهم.

قال الأستاذ: وفي القصة أن موسى عليه السلام ذكر انشغال قلبه
330/ب بحديث أهله وما أصابه تلك الليلة من الأحوال التي أوجبت انزعاجه /
وقصده إلى طلب النار فقال تعالى: إنَّا كفيناك ذلك الأمر ووكلنا بأماراتك وأسبابك فجمعنا أغنامك وسلمت تلك المرأة.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 13] بأن جائهم موسى بها على طريق خرق العادة ﴿مُبْصِرَةً﴾ [الآية 13] بيِّنة واضحة وظاهرة لائحة أو مبصرة كل مَن نظر إليها وتأمل فيها ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] صريح سحريته.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ [الآية 14] أي أنكروها وكذبوا بها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 14] أي والحال أنها استيقنتها ﴿ظُلْمًا﴾ [الآية 14] لأنفسهم بالعصيان والعدوان ﴿وَعُلُوًّا﴾ [الآية 14] ترفُّعاً عن الإيمان وتجاوزاً عن الكفران، ونصبها على العلة أو الحالية ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 14] وهي الإغراق في الدنيا والأحزان في العقبى.

قال الأستاذ: ولم يظهر الله سبحانه آية على رسول من أنبيائه إلا كانت في الوضوح بحيث لو وضعوا النظر فيها موضعه لوصلوا إلى حصول العلم وثلج الصدر في حقيقة الأمر، ولكنهم قصروا في بعضها بالإعراض عن النظر فيها وفي بعض عرفوها فقابلوها بجحدها وكما يحصل من الكفار الجحد يحصل من العاصين في بعض الإلمام ببعض الأنام حالة يعلم فيها بالقطع إن ما يفعله غير جائز ويتوالى على قلبه الخواطر الزاجرة للداعية له عن فعلها من غير أن يكون متغافلاً عنها أو ناسياً لها، ثم يقدم على ذلك غير محتفل موافقة لشهوته هنالك، وهذا الجنس من المعاصي أكثرها شؤوماً وأكبرها لوماً وأشدها في العقوبة وأبعدها في المغفرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [الآية 15] لدينا وحكماً مبايناً فقاما بشكره وعملا بأمره ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 15] ممن لم يؤت علمهما. وفيه تنبيه على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير من مثله، وإيماء إلى أن العلم في الحال والمآل خير من الملك والمال ولذا لم يدخلاها في غير مقال الحمد للملك المتعال.

قال ابن عطاء: أي علماً بربه وعلماً بنفسه فأثبت لهم علمهم بالله علم أنفسهم وألبسناهم على أنفسهم حقيقة العلم بالله ولذا/ قال علي رضي الله 331/ أ
عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [الآية 16] أي النبوة أو المعرفة الخاصة أو الملك والحكومة بأن قام مقام أبيه دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر.

قال جنيد: أعلمناهما بسم الله الرحمٰن الرحيم فورث سليمان ذلك من أبيه داوود فكتبه وصدر كتبه فلذلك قالت: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 29] إنه افتتح ببسم الله الرحمٰن الرحيم، ولم تر قبله مفتتحاً بهذه الفاتحة أي التي هي

---

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 189) رقم (349)، والمقاصد الحسنة (1/ 657) رقم (1149)، وكشف الخفا (2/ 262) رقم (2532).

كثيرة الفاتحة ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 16] من أنواع البر وأصناف الخير. قاله تحدُّثاً بنعمة الله واشتهاراً لا تكبُّراً وافتخاراً ودعا للناس على وجه الاستئناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه من الخير ومن ذلك ما حكي أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال: يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال: تقول ليت الخلق لم يخلقوا، والصواب أن العلم بمنطق الطير على حقيقة المقال دون ما يفهم من قرينة الحال كما توهم من قال: لعل كان صوت البلبل عن الشبع وفراغ البال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة الحال وتألم القلب والبال، فإنه حينئذ لم يكن خرق عادة بل مجرد فراسة ناشئة عن كياسة مع أن مثل هذه المقالة لم تتصور في قضية النمل والهدهد.

هذا وقد قال أبو عثمان المغربي: مَن صدق مع الله في أحواله فهم عنه كل شيء وفهم عن كل شيء ما صدر من مقاله فيكون له في أصوات الطيور وصرير الأبواب علماً يعلمه ويتنبأ في جميع الفصول والأبواب. ولعل هذا أحد معاني فصل الخطاب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله علمناه منطق الطير دلالة على معجزته فأظهرها لقومه وأمته ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته ومن كان صاحب بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الأشياء كلها بالله ومن الله فيكون مكاشفاً بها من حيث التفهيم لها فكأنه سمع من كل شيء. وتعريفات الحق سبحانه للعبد
كل شيء من كل شيء لا نهاية له وذلك موجود/ فيهم ومحكي عنهم، وكما 331/ب
أن ضرب الطبل مثلاً دليل تعرفون بالمواصفة بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات في اختلافها من الحالات، كما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة[1]

(1) ربما يكون لأبي فراس. انظر المدهش (1/ 231).

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 16] ما ذكر من العلم والمعرفة والنبوة والمعجزة ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 16] الذي لا يخفى على أهل الخبرة أن ليس فوقه منقبة ﴿وَحُشِرَ﴾ [الآية 17] أي جمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ [الآية 17] ولعل ذكر الإنس في الوسط إشعار بأنه من أهل الإنس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 17] يحسبون يكفّ أولهم ليتلاحق آخرهم.

وقال الأستاذ: سخّر الله لسليمان عليه السلام الجن والطير فكان الجن مكلفين والطير له كانت مسخرة لأنه كان عليها شريعة محررة ولذا الحيوانات التي كانت في وقت حتى النمل والهدهد وغيره كان يعرف سليمان خطابهم وكان ينفذ عليهم حكمه في بابهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [الآية 18] أي مروا على واد بالشام كثير النمل وأرادوا أن ينزلوا في ذلك المحل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [الآية 18] نهي لهم عن الحطم بحسب الظاهر، والمراد نهيها عن التوقف في مكانها بحيث يحطمونها كقولهم: لا رأيتك ها هنا، فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له على أن تكون لا نافية فإن النون لا تدخله في السعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 18] إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يعقلوا وكأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء مباشرة وتسبيباً للأشياء.

قال جنيد: قال سليمان لعظيمة النمل: لم قلت ادخلوا مساكنكم أخفت عليهم ظلماً، قالت: لا ولكن خشيت أن يفتتنوا بما يروا من ملكك فيشغلهم عن طاعة ربهم ذلك.

وقال الأستاذ: قيل إن سليمان استحضر أمير النمل الذي قال لقومه ادخلوا مساكنكم فقال له: أما علمت أني معصوم وإني لا أمكِّن عسكري أن يطؤوكم أو يؤذوكم، فكان يجوز له أن يقول لم أعلم ذلك لأنه ليس بواجب أن يكون النمل عالماً بعصمة سليمان، ولو قال قلت: لعلكم أبيح لكم وطؤنا، لكان هذا أيضاً/ جائزاً ها هنا. وقيل: إن ذلك النمل قال لسليمان: إني 332/ أ
أحمل قومي على الزهد في الدنيا فأمرتهم بدخول مساكنهم لئلا يتشوش عليهم

زهدهم في الدنيا ورغبتهم إلى المولى. ولئن صح هذا ففيه دليل على وجوب سياسة الكبار لما هو من رعيتهم من الصغار. وفي الآية دلالة على حسن الاحتراز مما يخشى وقوعه وإن ذلك مما تقتضيه عادة النفس وما فطروا عليه من التمييز. ويقال: إن ذلك النمل قال لسليمان: ما الذي أعطاك الله من الكرامة، فقال: سخّر لي الريح، فقال: أما علمت أنا، الإشارة فيه أنه ليس بيدك مما أعطيت إلا الريح وقد بيّنه الكبير على لسان الصغير.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [الآية 19] تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتداء بها إلى مصالح تدبيرها أو سروراً مما خصه الله من إدراك كلامها وفهم مرامها ولذا سأل توفيق شكره ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ [الآية 19] ألهمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [الآية 19] لدي ﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الآية 19] أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة فإن النعمة عليهما نعمة له كما أن النعمة عليه يرجع نفعها إلى والديه لا سيما النعمة الدينية والمنح الأخروية ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ [الآية 19] استدامة للنعمة واستزادة للرحمة ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 19] في عمارة الجنة.

قال ابن عطاء: حببني إلى عبادك الصالحين أي من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: إنه سؤال لحسن العاقبة لأن الصالح من عباده مَن هو محتوم له بالسعادة ثم التبسم من الملوك ببدر لمراعاتهم حكم السياسة وذلك يدل على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التقسيم، ولقد استحسن سليمان من كبير النمل حسن سياسته لمراعاة رعيته. وفي القصة إنه استعرضه جنده ليراهم كم هم فعرضهم عليه وكانوا يأتون فوجاً فوجاً حتى مضى شهر وسليمان واقف ينظر إليهم معتبراً فلم ينتهوا فمر سليمان عليه السلام. وفي قوله: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ [الآية 19] إلخ دليل على أن نظره إليهم كان نظر اعتبار وأنه رأى تعريف الله إياه ذلك وتنبيهه عليه من جملة نعمه يجب له الشكر عليها. وفي قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الآية 19] دليل على / أن شكر الشاكرين لله لا يختص بما 332/ب

أنعم عليه على الخصوص من نفسه بل يجب على العبد أن يشكر الله على ما خصَّ وعمَّ من نِعمه.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [الآية 20] تمامها فلم يجد الهدهد فيها ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [الآية 20] أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر في مكانه ولا يراه لمانع من ساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط في أمره فلاح له أنه غائب عن نظره فأضرب عن قوله وقال: هو غائب عن محله، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له عن غيره.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 21] كنتف ريشه وإلقائه وإبقائه في الشمس أو جعله مع ضده في قفص الحبس ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [الآية 21] لتعتبر به أبناء الجنس ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير أو ليأتينني ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 21] ببرهان يبين أمره ويظهر عذره.

قال جنيد: لأفرقن بينه وبين إلفه.

وقال أبو علي الروذباري: أضيق الشجون في البلاء معاشرة الأضداد.
وقيل: لأبعدنه عن مجالس الذاكرين من الزهاد والعباد.

وقال الأستاذ: وتفقد الطير أي تطلبه فلما لم يره في مرتبته تعرف ما سبب تأخره وغيبته ودل ذلك على تيقظ سليمان عليه السلام في مملكته وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته حيث لم يخف عليه غيبة طير هو من أصغر الطيور ساعة واحدة من حضرته ثم تهدده إن لم يكن له عذر بعذاب شديد وذلك دليل كمال سياسته ثم خفَّف عنه ذلك إن كان له عذر ودل ذلك على عدله في مملكته وقال قوم: إنما عرف غيبته لأن الهدهد يعرف عمق الماء بإلهام خُصَّ به من ربّ السماء وأن سليمان نزل منزلاً لم يكن ماءً هنالك فطلب الهدهد ليهديهم إلى ذلك ولعله كان مخصوصاً بزيادة المعرفة أو رئيساً لتلك الطائفة المعروفة. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: سئل عن هذا وقيل إن هذا الهدهد يرى لما تحت التراب ويعرف فكيف لا يرى الفخ

مخفياً تحت التراب ولم يجرف[1]، فقال: إذا جاء القضاء ضاق الفضاء وإذا جاء القدر عمي البصر. ويقال: إن الطير كانت تقف فوق رأس سليمان مصطفة وكانت تستر انبساط الشمس وشعاعها بأجنحتها ملتفة فنظر سليمان
333/ أ فرأى موضع الهدهد خالياً منه فعرف بذلك غيبته عنه، وهذا أيضاً/ يدل على كمال تفقده وتمام تيقظه وتعهده. ثم في الآية دلالة على أن العقوبة على قدر الجريمة ولا عبرة بصغر الجثة وكبر الهيبة وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة أهل التكليف وبرهانه ولا يبعد أن يكون عليها شرع وأحكام ولهم من الله إلهام وإعلام. ويقال: من العذاب الشديد إلزامه خدمة أقرانه وهو أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة أو هو أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه فيوكل إلى حوله ونفسه أو يمتحن بالحرص في طلبه ثم يحال بينه وبين مطلوبه من العذاب الشديد الطمع في لئيم القدر ثم لا يرتفع الأمر، ومن ذلك سلب القناعة وفقد حلاوة الطاعة، ومنه عدم الرضا بما يجري من القضاء، ومن ذلك توهم الحدثان وحسبانه من الخلق في ظهور الشأن، ومن ذلك الحاجة إلى الأنسة، ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير في الحال والمآل، ومن ذلك الابتلاء بمباشرة الأضداد في البلاد، ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر في الدين، ومنه حسبان الباطل بصفة الحق والتباس الحق في صورة الباطل، ومنه أن يطالب بما لا يتسع له ذات يده في ذلك المطلب، ومنه الفقر في القربة كذا ذكره الأستاذ خلطاً بين أنواع العذاب الشديد مما لا يتحقق إلا من الله ومما يتصور من بعض العبيد.

﴿فَمَكَثَ﴾ [الآية 22] وقرأ ابن عاصم بفتح الكاف أي فلبث ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 22] أي زماناً غير مديد من وقت التهديد، يريد به سرعة الدلالة على رجوعه خوفاً من حكم سليمان وأمره ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [الآية 22] يعني حال صباه وبنائه كما بيّنه بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [الآية 22] وفي مخاطبته إياه إيماء إلى أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاقر نفسه

(1) تفسير ابن أبي حاتم (11/ 91) رقم (16973)، والدر المنثور (6/ 349).

إليه ويتصاغر علمه لديه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سبأَ غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة. روي أنه عليه السلام لما تمَّ له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى في صفا ظهيرة فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء فيها وكان الهدهد رآه لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده هنالك إذ حلّق حين نزل سليمان عليه السلام فرأى هدهداً واقفاً/ في ذلك المقام فانحط إليه لتمام المرام 333/ ب
فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع وحكى ما حكى. وفي عجائب قدرة الله ومراده وما خصّ به خواص عباده أشياء أعظم مما خص به هذا النبي المكرم يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ﴾ [الآية 23] يعني بلقيس وهي بالكسر ملكة سبأ ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ [الآية 23] أي سبأ إن أريد به القبيلة أو أهلها إن أريد به البلدة ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية 23] تحتاج الملك في الملك القويم ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية 23] أي بالنسبة إلى عروش أمثالها أو بالنسبة إليها لا إلى سليمان لعدم المناسبة بينه وبينها. قيل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة وبالجواهر مكللة.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 24] لأنهم كانوا يعبدونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 24] أي عبادة الشمس وغيرها من قبائح أفعالهم ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 24] سبيل الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 24] إلى طريق الصدق.

﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي﴾ [الآية 25] أي قصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل بعض من أعمالهم. وقيل: لا زائدة والمعنى لا يهتدون إلى أن يسجدوا. وقرأ الكسائي: ألا يا اسجدوا بتخفيف اللام على أن لا للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا، فعلى هذا صح أن يكون استئنافاً من الله والوقف على يهتدون وأن يكون أمراً بالسجود. وعلى قراءة التشديد وما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجدة إما عند قراءتها أو

في الجملة ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 25] أي يظهر ما خفي على غيره من إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات وإيجاد الكائنات من العدم إلى الوجود ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 25] وقرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها، فبين العظيمين بون عظيم.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ [الآية 27] أي سنعرف أو سنبصر ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي أم كذبت، ولعل التغيير في التغيير للمبالغة أو لمحافظة الفاصلة.

قال الأستاذ: وفي ذلك دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم
334/ أ فيجب التوقف فيه على حد/ التجويز. وفيه دلالة على أنه لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أم كذب. ولما عرف سليمان هذا العذر عذر الهدهد فترك ما توعد به من عقوبته فكذا سبيل الوالي يجب أن يمنعه عدله من الحيف على رعيته ويقبل عذر من وجده في صورة المجرمين إذا صدق في معذرته.

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ [الآية 28] تنح ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] إلى مكان قريب منهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] يردون من الجواب بعد قراءة الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة فإنه يجر العناء بذلك إلى نفسه، وقد كان لسليمان كثير من الحشم والخدم فلم يستعمل واحداً في هذا التكليف إلا الهدهد ليخرج من عهدة ما قال. ويقال: لما صدق فيما أخبر وبذل النصح لملكه عوَّض عليه حتى أُهِّل للرسالة والسفارة على ضعف صورته وحقارة هيبته فمضى الهدهد وألقى إليها الكتاب وتنحى إلى جانب ينظر ماذا يُجاب.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الآية 29] لكرم مضمونه وبرهانه أو لشرف مرسله، فإنها كانت عالمة بعظمة سليمان وسلطانه وقد قيل كرَّم

الكتاب عنوانه أو لأنه كان مختوماً وفي الحديث كرم الكتاب ختمه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل لأن الرسول كان طيراً فعلمت أن من يكون الطير مسخرة له عظيم شأنه ويقال لأنه لم يكن في الكتاب ذكر الطمع في الملك وما يتعلق بهواه بل كان الدعاء إلى الله ويقال: أخذ الكتاب بمجامع قلبها وفندها فلم يكن جواب لها غير أن تقول: إني ألقي إليّ كتاب كريم، ولما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها إلى بقاء ملكها ورزقت الإسلام وصحبة سليمان عليه السلام. وقيل: لأنه كتب اسم نفسه أولاً. وقيل: لأنه كان فيه البسملة مسطراً كما يشير إليه قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الآية 30] أي إن الكتاب أو العنوان ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 30] أي المكتوب أو المضمون ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ [الآيتان 30،31] أي لا تتكبروا لدي أو بأن لا تعلوا عليَّ معاندين ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 31] مؤمنين أو منقادين، وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود في بيان الإفادة لاشتماله على/ البسملة 334/ب الدالة على ذات الصانع وصفاته الكاملة الشاملة والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع للفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على الرسالة، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة.

قال ابن طاهر: لما قال الله تعالى للقلم اكتب قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم أي بك ظهرت جميع الأشياء لا بغيرك، فلما رأت بلقيس كتابه مفتتحاً بما افتتح به اللوح المحفوظ قالت: ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [الآية 29].

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ [الآية 32] أجيبوني في الأمر الحادث واذكروا لي ما تستصوبون ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ [الآية 32] تحضرون وتستأمرون، استعطفتهم بهذه الملائمة ليمالئوها إلى الإجابة.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ [الآية 33] عدداً وعدداً إذ روي أن الملأ كانوا ثلاثمائة واثني عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الآية 33] أصحاب شجاعة وخدعة ومكيدة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ [الآية 33] موكول في أمور المملكة

﴿فَٱنظُرِي﴾ [الآية 33] أي تفكري ﴿مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [الآية 33] من المصالحة والمقاتلة نطع أمرك ونتبع رأيك.

قال الأستاذ: أجابوا على شرط الأدب قالوا: ليس منا إلا بذل الوسع وما بنا إلا إظهار النصح ولا علينا إلا متابعة الأمر وتمشية الأمر وإمضاؤه إليك.

﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ [الآية 34] أي قهراً وعنوة ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ [الآية 34] أخرجوها من حيز العمارة ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ [الآية 34] بنهب أموالهم وتخريب ديارهم وتضييع أحوالهم من الإهانة والأسر في أهاليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 34] تأكيد لما وصفت من بيان شأنهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم المستقرة المستمرة في أزمانهم وذلك لأنها كانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت ما هنالك فذكرت لهم عاقبة الحرب ومغبتها فإنها سجال لا تدرى عاقبتها. وأشارت إلى أن الصلح خير إن تيسر في قضيتها كما صرحت بقولها.

﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ [الآية 35] أي رسلاً بها ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ
335/ أ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [الآية 35] فمنتظرة بأي شيء يرجعون من عنده من/ صلح أو غيره حتى أعمل بحسبه. نقل محيي السنَّة عن ابن عباس وغيره إنها قالت: إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه[1].

هذا وقال الأستاذ وفي معنى أفسدوها قيل عطلوها عن أكابرها وأربابها وأزالوا عنها ما تعودوا أصحابها من سيرهم وسنهم فيها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الآية 34] تصديقاً لها، ويقال تغيير الملوك إذا دخلوا قرية عن صفتها معلوم عند أهلها إلا أنه ينظر في داخلها فإن كان عادلاً أزال سنة الجور وأثبت سنَّة العدل وإن كان جائراً أزال الحق وأثبت الباطل فخراب البلاد بسوء

(1) تفسير القرطبي (13/ 202).

الولاة من العباد فتستولي أسافل الناس وأراذلهم على الأعزة وأكابرهم وأعاليهم كما قيل:

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فما أنت إلا على الكرام بلية[1]

بعمارة الدنيا بولاة الرشد والهدي يكسرون رقاب الغاغة والجهلة ويخلصون الكرام من أسرار قلة فيأخذ القوس بأزلها وتطلع شموس العدل من برج شرفها وأعاليها كذلك المعرفة والخصال الحميدة إذا باشرت قلب عبد أخرجت عنه الشهوات والمنى وسفساف الأخلاق الناشئة من الهوى كالحسد والفخر والشح وصغر الهمة وغير ذلك من الأوصاف الذميمة وتثبت بدلها من الأحوال العلية والأوصاف الرضية ما به نظام العبد وتمام سعادته وأبطل منه نضارته فتخرب أوطان الحقائق وتداعت مساكن الأوطان الحميدة للأفول والزوال فعند ذلك تراكمت المحن وعظم الوبال والنكال. وقد جاءت في القصة إنها بعثت إلى سليمان بهدايا وفي جملتها لبنة مصوغة من فضة وأخرى من الذهب وإن الله سبحانه أخبر سليمان بما آتاه وأوحى إليه في معناه وأمر سليمان الشياطين حتى يبنوا إيواناً بساحة منزله ميداناً وفرشوه بهيئة اللبن المصوغ من الذهب والفضة من أوله إلى آخره وأمر بأن توقف عليها الدواب وأن لا ينظف من آثارها من أوراثها وغيرها وكانت اللبنتان معهم ملفوفتين في حرير وأمر حتى ترك موضع لبنتين خالياً من الميدان مما كان على طريقهم فلما وقعت أبصار الرسل على ذلك صغر في عينهم ما كان معهم هنالك
وخجلوا من تقديمها إلى سليمان فوقعوا في الفكرة كيف يتخلصون/ مما 335/ ب
معهم، فلما رأوا موضع اللبنيتن فارغين ظنوا أنهم سرق ذلك من بينهما فقالوا: لو حضرنا هذا نسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع فطرحوهما في الموضع

(1) نسب إلى أبي سهل المعقلي الطوسي. انظر يتيمة الدهر (2/ 99)، وقرى الضيف (4/ 405).

الخالي ودخلوا على سليمان عليه السلام. وروي أنها بعثت منذر ابن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وخفاء فيه درعة وجرعة معوجة الشعب وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه وقدره تقاصرت إليهم نفوسهم وما في أيديهم من تقاييسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل وأعلمه بالحال الذي هم عليه وأخبر بما يظهرون إليه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجذعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدهد إليهم كما أخبر بقوله:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية 36] أي وصله من أُرسِل إليه أو ما أهديت لديه ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [الآية 36] والخطاب للرسول والمرسل تغليباً. وقرأ حمزة بالإدغام ونافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير وحمزة بإثباتها مطلقاً ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] من النبوة والملك والمال الذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [الآية 36] فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي في تعلية مرتبتكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ [الآية 36] بما يهدى إليكم ﴿تَفْرَحُونَ﴾ [الآية 36] حباً لزيادة أموالكم أو بما تعدونه افتخاراً على أمثالكم لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وتغفلون عن أمور العقبى.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بها ويحزنوا عليها.

﴿ٱرْجِعْ﴾ [الآية 37] أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [الآية 37] لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ [الآية 37] من سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ [الآية 37] بذهاب ما كانوا فيه من المعزة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [الآية 37] أسرى مهانون.

قال الأستاذ: فلما رجعوا إلى بلقيس وأخبروها بما شاهدوا وسمعوا من

الإعلام/ والأعلام علمت أنه لا وجه لها سوى الاستسلام أو الإسلام [1]، 336/أ
فعزمت إلى المسير إلى خدمته عليه السلام. فلما أوحى الله إلى سليمان بأنها عزمت مستسلمة أو خرجت مسلمة ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 38] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصَّه الله به من المعجزة الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ [الآية 38] خبيث مارد من الجن ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [الآية 39] أي مجلسك للحكومة وكان مجلسه إلى الظهيرة ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ [الآية 39] على حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [الآية 39] على تقطيع شيء منه وتبديله.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 40] آصف بن برخيا وزيره أو الخضر نصيره وجبريل أو قيل ملك أيده الله به. والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح أو الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [الآية 40] أي نظرك ومنه قول القائل:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ... ولا عن بعضه أنت صابر [2]

والمعنى إنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده إليك أحضر عرشها بين يديك، وهذا غاية السرعة العرفية وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والمقصود إظهار الكرامة بخرق العادة الدالة على صدق النبوة ودعوى الرسالة حيث كان مسيره شهرين تلك المسافة ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ [الآية 40] أي العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [الآية 40] ثابتاً لديه حاضراً بين يديه ﴿قَالَ﴾ [الآية 40] تلقياً للأنعام بالشكر عليه ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [الآية 40] تفضلاً عليّ من غير استحقاق بي ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾ [الآية 40] بأن أراه فضلاً منه بلا حول وقوة مني وأقوم بحق نعمته ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ [الآية 40] بأن أجد في البين نفسي وأقصر في أداء

---

(1) في المخطوطة: الإسلام.
(2) نسب إلى جارية. انظر بهجة المجالس (1/ 177)، ومحاضرات الأدباء (1/ 373).

طاعته ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 40] لأنه به مستجلب لها دوام النعمة وتمامها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ [الآية 40] عن شكره وشكر غيره ﴿كَرِيمٞ﴾ [الآية 40] لا يمنع إنعامه عنه بكفره.

وأفاد الأستاذ: إنه لم يرغب سليمان عليه السلام في قول العفريت لأنه بنى القول فيه على دعوى الحول والقوة وكان آصف صاحب كرامات
336/ب وكرامات الأولياء ملتحقة بمعجزات الأنبياء إذ/ لو لم يكن النبي صادقاً في دعوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ومن المعلوم إنه ليس في وسع البشر من القدرة والقوة قطع المسافة البعيدة في لحظة ولا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين: إما بأن يعدم الله المسافة بين عرشها وبين منزل سليمان وإما بأن يعدم الله ذلك العرش ثم يعيده بحضرة سليمان في ذلك الزمان. ثم حقيقة الشكر على لسان العلماء هو الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع الدائم والأحسن أن يقال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فيدخل في هذا شكر الله من العبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان العبد وشكر العبد من الله لأنه ثناء على الله بذكر إحسانه، إلا أن إحسان الحق هو إنعامه وأثر رحمته وإحسان العبد قيامه بطاعة الله وخدمته وما هو الحميد من صفته. فأما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة فالتفكر صرف النعمة على وجه الخدمة. ويقال: الشكر أن لا يستعين بنعمته على معصيته. ويقال: الشكر شهود المنعم من غير المساكنة إلى النعمة. ويقال: الشكر على قسمين شكر العوام على شهود المزيد قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: الآية 7] وشكر الخواص ما يكون مجرداً عن العرض وطلب العوض. ويقال: حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها لأن بالشكر بقاؤها ودوامها.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ [الآية 41] بتغيير بعض هيئته عن حالته ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ [الآية 41] إلى معرفته ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 41] إلى حقيقته أو إلى جواب مسألته.

وأفاد الأستاذ: أنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه لأنه أراد أن

يمتحنها ويختبر عقلها.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ [الآية 42] تشبيهاً عليها زيادة في امتحان ما لديها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ [الآية 42] لم تقل لا ولا بلى ولا هو هو لاحتمال أن يكون مثله إذ قد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجَّاب، وهذا من كمال فهمها في العبارة والإشارة في فصل الخطاب. ولما تبيَّن لها أنه هو وأنه أظهره سليمان معجزة له وغيره لاختبار عقلها قالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 42] بكمال قدرة الله وصحة نبوَّتك/ ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ [الآية 42] قبل هذه الحالة وهذه 337/ أ
الكرامة بما سبق من ظهور المعجزة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 42] منقادين لله بالوحدة ولسليمان بالنبوة.

ثم أخبر الله سبحانه عن حالها المتقدمة بقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 43] أي ومنعها عبادتها الشمس عن طاعة مولاها، أو صدها الله عن عبادتها بتوفيق الإيمان لها ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية 43] استئناف فيه معنى التعليل ولذا قوي بالفتح. والمعنى إن سبب صدها عن عبادة ربها تشوهاً بين كفر بخالقها وإلا فمقتضى عقلها وفطرتها أن لا تعرض عن طاعة مولاها.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ﴾ [الآية 44] أي القصر وكان بنى صحنه من زجاج أبيض في غاية من الصفاء وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في الصدر فجلس عليه العظيم القدر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [الآية 44] أي فلما أبصرته ظنته ماء راكداً إليها فشمرت ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾ [الآية 44] فرأى سليمان حسن رجليها وكان وصف لسليمان إنها جنية الأنساب ورجلاها كحافر الدواب ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 44] أي ما تظنينه ماء ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [الآية 44] مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ [الآية 44] من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 44] بعبادتي الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 44] فيما أمر به عباده المسلمين، والمشهور إنه تزوجها سليمان، وقيل زوجها من ذي تبع ملك همدان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 45] بأن اعبدوه

ووحدوه وأطيعوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 45] أي ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين واختصاصهم قد سبق في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية 75] الآية.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 46] بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا على ما مر في الأعراف ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الآية 46] قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقوبة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 46] قبل حلولها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 46] بقبولها.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ [الآية 47] أصله تطيرنا أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [الآية 47] ممن آمن بك وتبعك لأن من ابتداء إنشاء هذا الإنباء تتابعت علينا شدائد البلاء ووقع/ بيننا افتراق الأبناء والآباء ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ﴾ [الآية 47] سببكم الذي جاء منه 337/ب
شركم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 47] وهو ما قدره من القضاء أو عملكم المكتوب عنده في اللوح المحفوظ في السماء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [الآية 47] تمتحنون بتعاقب السراء والضراء.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [الآية 48] تسعة رجال وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفرين من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة، والغاية فيها غير خارجة ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الآية 48] لا يتداركون بإصلاح البلاد بعد الإفساد.

﴿قَالُوا۟﴾ [الآية 49] أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 49] مقول أو خبر وقع بدل أو حالاً ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [الآية 49] لنباغتن صالحاً وأهل بيته ليلاً في إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ [الآية 49] لولي دمه. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء الفوقية المضمومة بعد اللام فيهما وبضم الحرف الرابع منهما على خطاب بعضهم لبعض ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ [الآية 49] فضلاً أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل التعدي والزمان والمكان وكذا ﴿مَهْلِكَ﴾ [الآية 49] في قراءة حفص كمرجع. وقال أبو بكر بالفتح فيكون فصلاً ﴿وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الآية 49] أي نحلف إنَّا

لصادقون وهم كاذبون، أو واو الحال إنَّا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأن ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ [الآية 50] بهذه المواضعة في خطابهم ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [الآية 50] بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم وعقابهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 50] بسوء ما بهم. روي أنه كان صالح عليه السلام في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصخرة الواقعة على جميعهم[1] كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] وقرأ الكوفيون بفتح أنا على أنه خبر محذوف تقديره هو أو بدل من اسم كان.

قال الصادق: مكر الله أخفى من دبيب النملة العرجاء على صخرة سوداء في الليلة الظلماء.

وقال الشبلي: اخترنا طريق التصرف سلامة من مكر الله فإذا كأنه مكر 338/ أ
أي/ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح وعقرهم الناقة خفية ومكر الله فيهم جزاؤهم على مكرهم بأخذ ما أراد بهم من العقوبة عنهم ثم إحلالها بهم بغتة، والمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم ويزين ذلك في أعينهم ويحبب ذلك إلى قلوبهم ولو شاء لعصمهم ومن عظيم مكره انتشار الصيت بالصلاح والعمل في السر بخلاف ما يتوهم بهم من نوع الفلاح وفي الآخرة وسوقها لا يجوز مثل هذه الأعمال وسوقها.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [الآية 52] خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِمَا

---

(1) تفسير ابن كثير (6/ 200)، وتفسير الطبري (19/ 479) والكشاف (5/ 89).

ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [الآية 52] بسبب ظلمهم على أنفسهم من الكفر والمعصية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 52] فيتعظون بالموعظة.

قال سهل: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر والطاعة ومنها خراب بالكفر.

وقال أبو حفص: خراب القلب من قلة الحزن إذ الحزن للرب عمارة القلب ألا ترى إلى قول النبي الأمين: «إن الله يحب كل قلب حزين»(1).

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلّط الله عليه الخراب»(2)، فالنفوس إذا أظلمت بزلاتها خربت بلحوق شؤم الذلة حتى تعوّد صاحبها الكسل واستوطن مركب الفشل وحرم التوفيق وتوالى على صاحبها الخذلان وقسوة القلب وخمود العين وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب وأصحاب القلوب إذا ظلموا بالغفلة ولا يطردونها عن قلوبهم خربت قلوبهم حتى قست بعد الرقة وجفت بعد الصفوة، فخراب النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة وخراب القلوب باستيلاء الفتنة والوحشة.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 53] أي صالحاً ومن آمن معه من الأمة ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 53] الكفر والمعصية فلذا خصوا بالنجاة من العقوبة.

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية 54] أي واذكر لوطاً ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ [الآية 54] أتفعلونها ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية 54] تعلمون قبحها أو ترون فعلها.

﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ﴾ [الآية 55] بيان لإتيان الفاحشة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ [الآية 55] التي خلقن للشهوة ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الآية 55] العاقبة فلا تخافون العقوبة.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 351) رقم (7884)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 515).

(2) سبق تخريجه.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 56] بعد سماع قوله ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الآية 56] أي بعضهم لبعض من سفهائهم ﴿أَخْرِجُوٓاْ/ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية 56] يتنزهون عن فعلتكم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [الآية 57] أي من آمن به من قومه وبناته ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 57] قدّرنا كونها من الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الآية 58] كان حجراً ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 58] المخوفين أن لا يفعلوا قدراً. 338/ ب

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 59] ما قدر وقضى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية 59] والخطاب للوط وللمصطفي لأن يحمد شكراً على ما أنعم عليه من إخوانهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في أمر دينهم.

قال سهل: خلق الله تعالى السر وجعل حياته في ذكره وخلق الظاهر وجعل حياته في حمده وشكره وجعل عليهما الحقوق من الطاعات وفق أمره.

وقال ابن عطاء: من سلّم الله عليه في أزله سلم من المكاره في أبده. وقرىء هذه الآية بين يدي جعفر بن محمد فبكى ثم قال: سبحان من اصطفاهم لمعرفته وسلم عليهم قبل المعرفة بنعته. وقيل: الذين اصطفى هم أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [الآية 59] والسلام في الآجل بقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: الآية 58]. قلت: ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: الآية 32].

وأفاد الأستاذ: أنهم هم الذين سلم الحق عليهم في آزاله وهم في كتم العدم متناول علمه ومتعلق قدرته لم يكونوا أعياناً في العدم ولا آثاراً في القدم فلما أظهرهم في الوجود سلم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام، والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشرك والشبهة، ثم من فنون البدعة ثم من وجود الألم والسقم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجبة وما ينافي دوام القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلَّم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام

والذي سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشك والشبهة، ثم من فنون البدعة، ثم من وجود الألم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجبة وما ينافي القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلَّم
339/ أ عليهم قبل أن خلقهم وأبدأهم وبعد/ أن سلم عليهم بوده لقاءهم.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 59] إلزام لهم بإرجاء العنان في ميدان البيان وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيمن هو مبدأ كل خير بل مصدر كل شيء من نفع وضر. وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة، والمعنى أم الذين بشركه تلك الأمم المهلكة ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 60] التي هي أصول الكائنات ومبادىء المنافع للمخلوقات ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [الآية 60] لأجلكم نفعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 60] في محلكم ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [الآية 60] نزهة من أشجار وأثمار وأزهار ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [الآية 60] فضلاً عن أن تنبتوا ثمرها ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] أيقرُّون بسواه ويجعل غيره شريكاً للحق وهو المتقوي بالخلق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية 60] عن التوحيد التي هي طريق أهل التفريد وأرباب التمجيد وأصحاب التحميد.

وأفاد الأستاذ: إن ثمرات الظواهر غذاء النفوس وثمرات البواطن ضياء القلوب فلا يبقى في وقت الربيع من وحشة الشتاء بقية ولا يبقى في قلوبهم وأوقاتهم من الغيبة والحجبة والنفرة والنهمة شظية.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [الآية 61] ولأهلها استقراراً ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ [الآية 61] وسطها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 61] جبالاً ثوابت يتكون فيها معادن المنافع وينبع من حضيضها المنابع ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 61] العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ [الآية 61] برزخاً ظاهراً في نظر المصالح ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 61] أي لا إله سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 61] طريق هداه وتحقيق رضاه.

قال جعفر: من جعل قلوب أوليائه مستقراً للمعرفة وجعل فيها أنهار الزوائد من بره في كل نفس ولمحة وأثبتها بجبال التوكل وزيّنها بأنوار

الإخلاص واليقين والمحبة وجعل بين القلب والنفس حاجزاً من القدرة لئلا يغلب عليه النفس بالظلمة وجعل الحاجز بينهما بالتوفيق والمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القربة بها يسكن اشتياقهم وهيجان قلقهم
واحتراقهم، جعل لها رواسي من الرغبة والرهبة. ويقال: الرواسي/ في 339/ ب
الأرض الأبدال والأوتاد والأولياء بهم يديم إمساك الأرض والسماء، ببركاتهم يدفع عن أهلها البلاء. ويقال: الرواسي هم أئمة الدين الذين يهدون المسترشدين إلى طريق اليقين. ويقال: جعل بين العبودية وأحكامها والحقيقة وأعلامها حاجزاً بالقدرة العلية فلو غلبت العبودية كان جحداً للحقيقة ولو غلبت الحقيقة كان طيّاً للشريعة. ويقال: ألسنة المريدين مقر ذكره وأسماعهم محل الإدراك الموصل إلى الفهم من مرة العيون مقر الاعتبار من صنعه.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الآية 62] المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجوء إلى الله والرجاء من بابه.

وقال سهل: المضطر المتبري من الحول والقوة والأسباب المذمومة.

وقال ابن عطاء: حال المضطر أن يكون كالغريق أو كالمتعطل في مفازة قد أشرف على الهلاك ولم يعرف الطريق.

وقال سهل: دعوة صنفين من الناس مستجابة لا محالة مؤمناً أو كافراً، دعاء المضطر ودعاء المظلوم، تُرفع فوق الحجاب يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[1] ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 62] ويرفع عن الإنسان ما شاء ويزيله متى ما شاء.

وفي تفسير السلمي: إن من يقدر على كشف المحن عن قلوب عباده إلا

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 84) رقم (3718)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 409) رقم (7101).

مَن أبلاهم بها ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 62] بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم بها ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 62] الذي حفكم بهذه النعمة العامة وخصكم بهذه المنحة الخاصة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 62] أي تذكرون آلاءه ونعماءه، أي تذكراً قليلاً، وما زائدة، والمراد بالعلة القدم أو الحقارة المربحة للفائدة إذ فائدة التذكر هي توحيد الله سبحانه بالعبادة ولا يترتب على تذكرهم تلك العائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه فصل بين الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، ودعاء المضطر ليس له حجاب ودعاء المظلوم مستجاب لكن لكل أجل كتاب. ويقال: للجناية سراية فمن كان في الجناية على نعت المختار فليس يسلم له دعوى الاضطرار عند سراية جرمه الذي سلف منه وهو مختار فيه فأكثر الناس يتوهمون أنهم مضطرون وذلك الاضطرار/ سراية ما بدر منهم في حال اختيارهم، 340/ أ
وما دام العبد يتوهم من نفسه شيئاً من الحول والحيلة ويرى شيئاً من الأسباب يعتمد عليه ويستند إليه فليس بمضطر إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر أو كالضال في متاهة البر، بل المضطر يرى عنانه بيد سيده وزمامه في قبضته كالميت في يد غاسله ولا يرى لنفسه استحقاقاً لأن يُجاب لاعتقاده في نفسه أنه من أهل السخط والعذاب. وينبغي للمضطر أن لا يستعين بأحد في أن يدعو له لأن الله وعد الإجابة له لمن يدعو له ثم كان وعد للمضطر الإجابة وكشف السوء، وعده أن يجعله من خلفاء الأرض ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾ [الشّرح: الآية 5] ولم يقل العسر آزاله ولكنه قال ﴿مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٥﴾ [الشّرح: الآية 5] كذلك قال: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 62] فنهار اليسر حاصل بعد ظلام العسر. ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 62] لأن العبد إذا زال عنه عسره وكشف عنه ضرّه نسي أمره مما كان فيه قبله كما قال القائل:

كأن الفتى لم يَعْرَ يوماً إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلا(1)

(1) نسب إلى جابر بن الثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48)، والتذكرة السعدية (1/ 28).

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 63] بالنجوم السماوية والعلامات الأرضية والظلمات ظلمات الليالي والإضافة لأدنى الملابسة أو مشتبهات الطرق الملتمسة ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الآية 63] من المطر الذي سبب نعمته ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] ويقدر على ذلك سواه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 63] تعالى القادر والخالق عن مشاركة العاجز المخلوق. قال بعضهم: أي من يدلكم على عيب نفوسكم وفساد طاعتكم ويزيل عنكم وساوس قلوبكم ويعينكم على استقامة طريقكم إلا الله، ومَن يرسل رياح فضله بين يدي معرفته سواه.

وقال الأستاذ: إذا أظلم عليه الوقت في معارض الخواطر عند استيهام وجه صواب ما في الضمائر وضاق الوقت على صاحبه بوحشة التدبير وظلمات أحوال التجويز والتحيُّر عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض بشواهد العقل والبصائر فمن الذي يرشدكم لوجه الصواب بترك التدبير والاستسلام لحكم القدير/ والخروج عن مجوزات العقول إلى قضاء شهود 340/ب
التقدير وتفويض الأمر إلى اختيار الحق في الأحكام والاستسلام لما سبق بها الأقدار وجرى بها الأقسام وجفّ عنها الأقلام، ومن الذي يرسل رياح فضله بين يدي اختيار أنوار اختياره بمحو آثار واختبار نفسه واعتباره وتعجيل حسن الكفاية بمقداره، تعالى الله عما يشركون من إحالة المقادير على الأسباب والتدابير.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 64] بأسباب سماوية وأرضية كما يريده ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 64] يرزق عبيده ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الآية 64] على أنَّ غيره يقدر على شيء يُظهر شأنكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 64] في إشراككم في العبودية فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية. قال ابن عطاء: صححوا برهانكم لتعلموا أن لا برهان لكم.

وقال الأستاذ: أي يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمته والتخصص بما تعلق به محض مشيئته وحقق فيه قوله وحكمه وسبق به قضاؤه

وقدره فإذا زال وكفى وانتفى وعدم بعض ما يظهره ويخلقه فمن الذي يعيده مثل ما بدأه ومن الذي يضيق الرزق ويوسعه ويقبض في بعض الأوقات وعلى بعض الأشخاص وفي وقت آخر وعلى قوم آخرين يبسط، هل في قدرة أحد غير الله ذلك أن لا توهمهم شيئاً هنالك فأوضحوا بذلك حجتكم وإن قد عجزتم فهلا صدقتم وبالتوحيد أقررتم.

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 65] أي من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما الغيب أي شيئاً من ﴿ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 65] علَّام الغيوب المطلع على عيوب القلوب ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 65] أي الخلق أجمعون ﴿أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الآية 65] متى يحشرون وأي متى ينشرون لعدم علمهم بالساعة.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [الآية 66] أي انتهى وتكامل فيها أسباب علمهم من الآيات الدالة عليها بأن القيامة كائنة لا محالة لكن كما ينبغي لا يعلمونها ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [الآية 66] متحيرون فيها لا
341/ أ يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم بها وقصور نظرهم/ وتفكُّرهم عنها. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: بل أدرك، بمعنى تتابع حتى استحكم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما لا يعلم بالاضطرار وليس للخلق عليه دليل في الاستبصار، فهذا الذي يستأثر بعلمه الحق ويتقاصر عنه علوم الخلق، ثم ما يريد الله أن يخص قوماً بعلمه أفردهم به ثم قال: بل أدرك علمهم في الآخرة، ففي الجملة يشكون ولا يبتغون ولا بالقطع يجحدون وهكذا حكم مريض القلب لا حياة له في الحقيقة ولا راحة اليائس من الطريقة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧﴾ [الآية 67] وفي قراءة الشامي والكسائي إننا لمخرجون من القبور إلى البعث والنشور ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 68] قبل وعد محمد عليه السلام، وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر ها هنا هو البعث وتأخيره فيما تقدم لأن المقصود به المبعوث ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الآية 68] أسمار المتقدمين.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية 69] تهديد لهم على تكذيب صدر عنهم وتخويف أن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين عنهم، والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون رفعاً للمؤمنين في ترك الجرائم التي هي صفة المكذبين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 70] على تكذيبهم وإعراضهم بمقتضى فساد أغراضهم ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ [الآية 70] حرج صدر ونكد أمر ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [الآية 70] من كيد ومكر فإن من حفر بئر لأخيه وقع فيه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 71] العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 71] في إيعادكم الموعود ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [الآية 72] تبعكم ولحقكم أو دنا منكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 72] في حلوله وهو عذاب يوم بدر بعد نزوله وعسى ونحوها في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها إظهاراً لوقارهم في مقام اعتبارهم وإشعاراً بأن التلويح منهم كالتصريح من غيرهم على طبقه ووفقه جرى كلامه سبحانه في وعده ووعيده مع زيادة الإيماء إلى أنه لا يجب عليه شيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 73] جميعهم بتأخير عقوبتهم على معصيتهم وتقصيرهم في طاعتهم ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] حق النعمة/ بل يستعجلون بحملهم وقوع العقوبة. 341/ ب

قال سهل: منعه فضل وعطاؤه فضل ولكن لا يعرف مواضع فضله في المنع إلا الفضلاء من خواص الأولياء، وما أحسن قول ابن عطاء:

ربما منعك فأعطاك   وربما أعطاك فمنعك[1]

وقال الأستاذ: لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق بين ما هو نعمة من الله له أو محنة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه وعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه، وعسى أن يكون شيئاً

(1) شرح الحِكَم العطائية (1/ 77). .

آخر بضده ورب شيء يظنه نعمة يشكره عليها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله على صرفها عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو به.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 74] ما تخفيه وتستره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 74] من عداوتك ومحبتك فيجازيهم بحسب ما قاموا في حضرتك وغيبتك.

وقال الأستاذ: لا تلتبس على الله أحوالهم باستواء ظاهره وباطنه فموافق يعلمه ومنافق يخالف باطنه ظاهره يلتبس على الله حاله وهو سبحانه يعلمه وكافر يستوي في الجحد سره وجهره يعلمه وهو يجازي كلاً على ما عمله، كيف لا وهو قدره وعلى ما عليه قضاه له وقسمه.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ [الآية 75] خافية، والتاء للمبالغة ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 75] أي كائنة في الجهات العلوية والسفلية ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 75] من اللوح القلمي أو العلم الأزلي.

وقال الأستاذ: مثبت في اللوح المحفوظ حكمه، ماضٍ فيه مشيئته، متعلق به علمه، حق فيه قوله.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ﴾ [الآية 76] يصرّح وينص ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 76] كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وسائر الأسرار.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 77] أي القرآن ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 77] وخصُّوا لكونهم المنتفعين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ [الآية 78] بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ [الآية 78] الحق المقترن بالحكم المحقق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 78] الغالب في مراده ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 78] بأحوال عباده.

وأفاد الأستاذ: أن بني إسرائيل يخفون بعضاً من الكتاب وبعضاً منه
يظهرون ومع ما يهوون يدورون. وخصّ هذه الآية بحفظ الله له/ عن التغيير 342/ أ

والتبديل فيما يدينون وهذه نعمة عظيمة قليل منهم الذين يشكرون وكتابهم الذي هو القرآن هدى ورحمة للمؤمنين لا كتابهم الذي أخبر الصادق أنهم له محرِّفون مبدِّلون وهو العزيز المعز للإسلام وأهله الكريم العليم فيما يستحقه كل أحد من الثواب العظيم والعذاب الأليم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 79] ولا تبال بعداوة من سواه ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 79] وفي طريق اليقين. قال بعضهم: التوكل على ربك أن لا تعصيه من رزقك.

وقال الأستاذ: اجتهد في أداء فرضه وثق بالله لصدق وعده في نصره ورفده وكفايته وعونه لعبده ولا يهولنك ما يجري على ظواهرهم من أذى يتصل بك منهم فإنما ذلك كله بتسليطنا إن كان محذوراً وبتسهيلنا إن كان ميسوراً وإنك لعلى حق وضياء وصدق وهم على شك وفي ظلمة شرك.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 80] فاقطع طمعك عن مشايعتهم ومعاضدتهم ولا تبال بمخالفتهم في متابعتهم لأنهم كالموتى في عدم انتفاعهم باستماع ما يتلى من كلام المولى ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [الآية 80] ولو أعلنت النداء ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 80] أي لا سيما في حال إدبارهم فإنهم حينئذ لا يدركون شيئاً بالإشارة والإيماء. وقرأ ابن كثير: ولا يسمع الصم الدعاء.

قال يحيى بن معاذ: العارفون لله أحياء وما سواهم موتى. وقال أيضاً: الميت من تكون حياته بحركته والحي من تكون حياته بربه.

وأفاد الأستاذ: إن الذين أمات الله قلوبهم بالشرك وأصمهم عن سماع الحق وليس في قدرتك أن تهديهم للرشد وتنقذهم عن أسر الشرك.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾ [الآية 81] وقرأ حمزة تهدي العمي ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ [الآية 81] ما يجدي إسماعك ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 81] إلا من هو في علم الله إنهم مؤمنون ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] منقادون مخلصون.

وقال الأستاذ: أي تهديهم من حيث الدعاء والدلالة ولكن لا تهدي

أحداً من حيث إزالة القلب من الباطل والإمالة إلى العرفان إذ ليس بقدرتك
342/ب الإزالة والإمالة ما تسمع/ إلا مَن أسمعناهم حيث التوفيق والإرشاد إلى سواء الطريق.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 82] أي دنا ووقع معناه إليهم وما هو وعد وأمن البعث والحساب لديهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 82] وهي الحساسة. روي أن طولها ستون ولها قوائم وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب. وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله»[1] يعني المسجد الحرام ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [الآية 82] من الكلام، وقيل من الكلم إذ قرىء بالتخفيف. وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكث بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه[2]، وفي الأولتين للدلالتين إشارة خفيفة إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 82] وقرأ الكوفيون بالفتح ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 82] أي المتلوّة أو من القرآن أو المنصوبة من البرهان. وقيل: من خروجها وسائر أحوالها فإنها من آياته سبحانه ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 82] بل يشكُّون والجملة حكاية لقوله سبحانه عند ذلك أو علة لخروجها هنالك.

وأفاد الأستاذ: إنه إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا اشتراطها من كلام الدابة وغير ذلك من العلامات الدالة وعند ذلك لا ينفع الإيمان ولا يقبل العذر عن العصيان.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [الآية 83] جماعة وهو يوم القيامة ووقت الندامة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 83] من الثانية بيانية للجماعة المحشورة والأولى تبعيضية لأن أمة كل نبي سائلة لجماعة من المصدقة والمكذبة ﴿فَهُمْ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 176) رقم (1635)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (3/ 9) رقم (929).
(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 340) رقم (3187)، وانظر تخريج الأحاديث والآثار (3/ 19) رقم (928).

﴿يُوزَعُونَ﴾ [الآية 83] يساقون ويحبس أولهم ليتلاحق آخرهم وهو عبارة عن كثرتهم وتباعد جهتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ [الآية 84] إلى مكان الحساب وموقف العذاب ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ [الآية 84] أي أجمعتم من التكذيب بها وعدم العلم بتحقيقها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] أم أي شيء كنتم تعملونه غير ذلك، والاستفهام للتبكيت والتوبيخ هنالك.

343/ أ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ [الآية 85] حلّ العذاب الموعود/ بهم من دخولهم في النار ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 85] بسبب ظلمهم في كسبهم وهو تكذيبهم بآيات ربهم ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [الآية 85] باعتداد لهم لشغلهم بعناء عذابهم وبلاء حجابهم أو بأعذار تنفعهم أو تدفع عنهم ما نزل بهم أو لا ينطقون مطلقاً لشدة أحوالهم وفظاعة أهوالهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 86] بالنوم والقرار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [الآية 86] أي ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم في هذه الدار ويأخذوا فيها زادهم لمعادهم من دار القرار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 86] أي لا لغيرهم حيث لا ينتفعون.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 87] أي القرن أو في الصور بفتح الواو كما قرىء به وهو جمع صورة والنفخة هي الثانية ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 87] من هول القيامة أو من هيبة النفخة، وعبر بالماضي لتحقق الواقعة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 87] أي لا يفزع به لتثبيت قلبه من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والشهداء الصالحين ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ [الآية 87] حاضروا موقفه أو راجعوا أمره. وقرأ حفص وحمزة: أتوه بصيغة الماضي ﴿دَٰخِرِينَ﴾ [الآية 87] صاغرين خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك اليوم يوم إزهاق الأرواح وإخراجها عن الأجساد والأشباح فمن روح ترقى إلى عليين ومن روح تنزل إلى سجين، هؤلاء في حواصل طير تسرح في الجنة وتأوي بالليل إلى تحت العرش في

قناديل معلقة صفتها التسبيح والروح والراحة، ولبعضها الشهود والرؤية ثم هم على مقادير استحقاقهم في عقابهم على ما كانوا عليه في دنياهم، وأرواح الكفار في النار يعذبون على مقادير الأوزار.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ [الآية 88] أي تبصرها ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [الآية 88] ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [الآية 88] في سرعة سيرانها، وذلك لأن أجرام الكفار في هيبتها إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتعين حركتها ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 88] أي تشاهد صنعه بعين بصرك وبصيرتك ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 88] أحكم خلقه وسوَّاه على ما ينبغي فعله ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتثنية أي عالم بظواهر الأعمال وبواطن الأحوال.

343/ب قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد / كالجبل أنواره تخرق الحجب.

وقال الصادق: نور قلب المؤمنين الموحدين وانزعاج أنيس المشتاقين تمر مر السحاب لا يلتفت إلى شيء غير الله ولا له قرار مع سواه. كذا في تفسير السلمي. وقيل للجنيد في أواخر الحال: ما لك عند السماع أن لا تتغير بكلام القوال، فقرأ للجواب: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [الآية 88].

وقال الأستاذ: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين السالكين بنفوسهم السابحون في الملوك بأسرارهم. قالوا: إن الإشارة اليوم إليهم كما قالوا: العارف كائن بائن أو كائن معهم بظواهره وبائن عنهم بسرائره.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [الآية 89] إذ ثبت له النفيس بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية بواحدة ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 89] أي من خوف عقوبة يوم القيامة. وقرأ الكوفيون بالتنوين ونافع معهم بفتح الميم.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 90] بالشرك والمعصية ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 90] فكبوا فيها على وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 90] ما تجزون إلا جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [الآية 91] من التعرُّض لها ولأهلها أو جعلها محترمة لصادرها وأوردها، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها فلا يمانعه قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ﴾ [الآية 91] خلقاً وملكاً ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 91] المنقادين المخلصين الثابتين في الأزمان.

﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ [الآية 92] وأن أواظب على تلاوته أو متابعته ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [الآية 92] باتباعه ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 92] فإن منافعه عائدة إليه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ [الآية 92] بمخالفته ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [الآية 92] فلا عليَّ من وبال ضلاله شيء لأن مضاره واقعة عليه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النُّور: الآية 54] وقد بلّغت كما هو ظاهر لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أخبر أنه أمر بالدين الحنيفي والتبري من الشرك الجلي منه والخفي وأخبر أن من اتبعه وصدّقه أوجب الحق زمامه وحقه.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 93] على نعمة النبوة وسائر أصناف المنحة ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 93] القاهرة في الدنيا والآخرة / ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ [الآية 93] لكن حين لا 344/ أ
تنفعكم المعرفة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 93] وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب، والمعنى لا تحسبوا أن تأخير عذاب الأعمال للغفلة عن الأحوال بل للإمهال لا للأعمال، أو المعنى لا تظنوا أنه غافل عن أعمالكم فأحسنوا جميع أحوالكم.

وقال الأستاذ: سيريكم عن قريب آياته فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على مَن رجع بعد ذهاب الوقت وفواته.

سورة القصص

[مكيّة]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمه يسعد الصباح والرواح، وباسمه يرجى الفلاح والنجاح، وباسمه نعمة الدنيا ومنحة الأخرى، فللّه الآخرة والأولى، فطوبى لمن داوم على ذكره وواظب على شكره واشتغل به في صحوه وسكره.

وأفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز من تعرّض لحوله أيسر في دنياه وعقباه ومن اشتاق إلى لقياه استعذب منه ما يلقاه من بلواه، فإن طلب مؤنساً مما سواه في عقباه أو دنياه ضلّ من يدعو إلا إياه.

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] الطاء تشير إلى طهارة نفوس العابدين عن عبادة غير الله وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله، وطهارة أرواح الواجدين عن محبة غير الله، وطهارة أسرار الموحدين عن شهود غير الله. والشين تشير إلى سر الله مع العاصين بالنجاة ومع المطيعين بالدرجات ومع المحبين بدوام النجاة. والميم تشير إلى منّة على كافة المؤمنين.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الآية 2] الظاهر في معجزاته والمظهر لحكوماته ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 3] نقرأ بإلقاء جبريل إليك ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ [الآية 3] بعض أنبائنا إليهم من أنبائهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 3] الثابت عن وصف الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 3] لأنهم به المنتفعون.

وأفاد الأستاذ: إن سماع قصة الحبيب من الرب توجب سلوة القلب

وذهاب الكرب وبهجة السرور وزبدة المراد وثلج الفؤاد. وكرَّر الحق ذكر قصة موسى تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدر برهانه ثم زيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في كل موضع كرَّره.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] استكبر في أرض مصر وتجبَّر على أهلها.

قال جنيد: ادعى ما ليس له.

344/ ب وقال ابن عطاء: / استكبر وافتخر بنفسه ونسي عبودية ربه. وقيل: أظهر ظلمه في أهل ملكه.

وقال الأستاذ: تكبَّر بغير حق فأقمأه بحق وتجبّر بغير استحقاق فأذله الله باستحقاق ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [الآية 4] فرقاً مختلفة يشيعونه فيما يريد من أحكام مؤتلفة، فصنفاً في حرمة وصنفاً في حفرة وصنفاً في خرقة وغير ذلك من صنعه ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [الآية 4] وهم بنو إسرائيل من ذرية الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وهذا من أكبر ظلمه ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الآية 4] أي صبيانهم ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [الآية 4] يستبقي بناتهم حتى يصرن نسائهم وذلك لأنه كان كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجد الفشل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 4] في العمل ولذا اجترأ على قتل كثير من ذرية أرباب النبوة لتخيُّل فاسد ظهر من أصحاب الكهانة.

وقال الأستاذ: إنه سبحانه حكم بالفساد فيهم والله لم يرض بترك تلافيهم.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 5] أي نتفضّل عليهم بإنقاذهم من يده ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الآية 5] مقدمين في أمر الدين وما يتعلق به ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 5] لما كان في مملكة فرعون وقومه.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 6] نسلِّطهم على أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ

﴿فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم﴾ [الآية 6] من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [الآية 6] من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره ابن عباس. وقرأ حمزة والكسائي وقرىء بصيغة الغائب ورفع ما بعده.

وقال الأستاذ: أي نريد أن نمنّ عليهم بالتخليص من أيديهم بأن نجعلهم أئمة بهم يهتدي الخلق ومنهم يتعلم سلوك طريق الصدق ونبارك في أعمارهم فيصيرون وارثين لأعمار من يناوئهم ويصير إليهم مساكنهم ومنازلهم، فهم هداة وأعلام وسادة وقادة بهم يقتدى وبنورهم يهتدى، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 6]، نزيل عنهم الخوف من/ الأغيار ونرزقهم البسطة 345/ أ
والأقدار، ونمد لهم في الأجل باعتبار الأقدار، ونري فرعون وهامان وجنودهما وقومهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على أيديهم، وإن الحق سبحانه سيعطي وإن كان عند الخلق أنه يبطىء.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 7] بإلهام أو رؤيا منام أو على لسان نبي أو ملك وصفي ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾ [الآية 7] ما أمكنك أن تخفيه ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 7] بما ينافيه ﴿فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الآية 7] نهر النيل الذي شبه البحر ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ [الآية 7] عليه الضيعة ولا الشدة ﴿وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾ [الآية 7] لفراقه في الهجرة ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [الآية 7] بالقربة ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية 7] إلى الأمة.

قال جنيد: إذا خفت حفظه بواسطة عدوه فسلميه إلينا واقطعي عنه شفقتك وتدبيرك لدينا ليكون مفوضاً إلى تدبيرنا فإن حفظه علينا.

وقال ابن عطاء: ما دمت تحفظ نفسك بتدبيرك فهي على شرف الهلاك فإذا أزلت عنها تدبيرك وسلمتها إلى مدبرك يرجى لها الخلاص.

وقال الواسطي: الذي حفظه في اليم قادر أن يصرف عنه الهم من فرعون وما قصده من الألم، كذا في تفسير السلمي. وروي أنه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث

منعها من السعاية، فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ثم أتى فرعون في طلب المواليد واجتهدت العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً وجعلته فيه فقذفته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجري منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره.

وقال الأستاذ: أي ألقينا في قلبها وألهمنا إليها فانجذب في ذلك خاطرها وجرى ذلك منها وهي مختارة بإخبار أدخل عليها. ويقال: قتل فرعون ذلك اليوم كثيراً من الولدان المولودة لبني إسرائيل رجاء أن يقتل مَن رأى في النوم ما عبر له أن ذهاب ملكه على يد إسرائيل يوجد ويولد. ثم إنه ربّاه في حجره ذلك اليوم ليعلم أن الأقدار لا تُغَالَب، فجعلته في تابوت وقير رأسه وألقته/ في نيل مصر فجاء الماء به إلى بركة كان فرعون جالساً على 345/ ب
حافته، فأخذوه وحملوه إليه وفتحوا رأس التابوت لديه، وكان كما قاله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية 39]، قيل: كان الله قد خلق ملاحة في عيني موسى مَن وقع عليه بصره لم يتمالك من حبه فلما رآه فرعون أخذت رؤيته بِمجامع قلبه وكذلك تمكَّن حبه من قلب امرأته، ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [الآية 8]، تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي حزناً بضم فسكون.

قال السلمي: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ [الآية 8] فرحاً وسروراً ولم يعلموا أن ما أضمر القدرة فيه من تصيّره لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [الآية 8] في فكرهم فأخطؤوا في تربية عدوهم بعد أن قتلوا ألوفاً لأجله بيدهم أو كانوا مذنبين في أمرهم فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم في حجرهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 9] حين رأته ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ﴾ [الآية 9] هو قرة عين لنا، لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه. وروى النسائي عن ابن عباس أنه أجابها بقوله: أما لكم فنعم وأما لي فلا[1]. فكان كذلك. وفي رواية

(1) تفسير الطبري (19/ 524) وتفسير ابن كثير (6/ 222) وتفسير القرطبي (11/ 196).

قال: لك لا لي[1]. ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [الآية 9] خطاب بلفظ الجمع للتعظيم، وخاطبت الجند كما قصد الشفاعة للكليم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [الآية 9] فإن فيه مخايل اليمن والبركة ودلائل الفهم والمنفعة ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [الآية 9] أي نتبناه فإنه أهل له ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 9] إلى ماذا يؤول أمره أو إنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه أو التبني له وذلك لأنهم ظنوا أنه جاء من أرض أخرى لأنه أكبر من ابن سنة وفرعون لا يخاف إلا من أولاد تلك السنة.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [الآية 10] خالياً من كل شيء كالمجنونة في غم ولدها لما وهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله أو لسماعها إن فرعون عطف عليه وتبناه ﴿إِن
346/ أ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ [الآية 10] إنها قاربت لتظهر/ مصرحة بموسى وأمره من فرط الضجر لما وقع فيه أو من كثرة الفرح لسماع تبنيه ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [الآية 10] بالصبر والثبات فيه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 10] من المصدقين بوعد الله في رده وحفظه لا بتبني فرعون وعطفه.

وفي تفسير السلمي: أي لتظهر أنها في السر من حفظ موسى ورده إليها ومنع أيدي الظلمة عنه.

وقال ابن عطاء: لولا أنا أمرناها بالكتمان لحالها لأظهرت في موسى ما ضمن الله لها.

وقال الصادق: الصدر معدن التسليم والقلب معدن اليقين والفؤاد معدن النظر والفكر والضمير معدن السر والنفس مأوى كل حسنة وسيئة.

وقال الأستاذ: ولما ألقته أمه في الماء سكّن الله قلبها وربطه عليها وألهمها الصبر لديه إن كادت لتبدي به من ضعف البشرية ولكن ربط قلبها بالتأييدات الإلٰهية.

---

(1) تفسير الطبري (19/ 525)، والكشاف (5/ 123).

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ [الآية 11] لأخت موسى وهي مريم أو أم كلثوم ﴿قُصِّيهِ﴾ [الآية 11] تتبعي أثره وتفحصي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [الآية 11] أي فقصت فأبصرته عن بُعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 11] إنها تقصه أو إنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [الآية 12] تحريماً قدرياً، ومعناه منعناه أن يرتضع من المرضعات ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 12] قبل تتبعها أمره ﴿فَقَالَتْ﴾ [الآية 12] أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ [الآية 12] يضمنونه ويرضعونه لأجلكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [الآية 12] لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. روي أنه قيل لها: إنك لتعرفيه فأخبرينا بحاله، فقالت: إنما أردت أنهم للملك ناصحون فأمروها أن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها فلما وجد ريحها استأنس بها والتقم ثديها فقيل لها: من أنت منه حتى أبى كل ثدي إلا ثديك، فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن ما أوتي بصبي إلا قبلني، فدفعوه إليها وأُجري الأجر والعطاء عليها فذهبت به إلى بيتها من يومها شاكرة لحالها ومنالها وراجية لحسن مآلها.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 13] برؤية ولدها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ [الآية 13] بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ [الآية 13] علم مشاهدة وصدق ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 13] إن وعده حق وقوله صدق.

وقال الأستاذ: فمن بالغدوة كانوا في اهتمام قتله كيف يقتلونه أمسوا وهم في جهد/ كيف يغذونه ويربونه، ثم كانوا يدعون أمه حاضنة ومرضعة له 346/ ب
ولم يضرها ذلك، وكانوا يقولون لفرعون إنه أبوه ولم ينفعه هنالك. ولما أخذته أمه علمت بتصديق الله ظنها وسكن عن الانزعاج قلبها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 14] مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك سن الوقوف لمثله وهو من ثلاثين إلى أربعين فإن العقل يكمل حينئذ باليقين. وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [الآية 14] اعتدل قدّه أو تكمّل عقله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] حكمة وفهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 14] بالدين ومعرفة. وقيل: المراد بهما النبوة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 14] ومثل ما فعلنا بموسى وأمه ﴿نَجْزِى

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 14] على إحسانهم في طاعة الله وأمره.

قال جنيد: لما تكامل عقله وصحت بصيرته آتيناه حكماً في نفسه بما يتجدد عنده من موارد زوائد الموائد عليه من ربه.

وقال الأستاذ: لما كمل سنه وتمَّ عقله واستوى خصال كماله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] وأتممنا له التحصيل ووفرنا له علمه بحاله وبذلك جرت سنَّتنا مع الأنبياء والأصفياء من قبله.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ [الآية 15] أي مصر أو غيرها أتينا من قصر فرعون ونحوها ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 15] في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع حصولها وهو وقت القيلولة كما صرح به ابن عباس وقتادة وجماعة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [الآية 15] يقصد كل قتل الآخر منهما ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [الآية 15] أحدهما ممن شايعه على دينه وهو السبطي والآخر من مخالفيه وهو القبطي، والإشارة على الحكاية ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الآية 15] فسأله أن يغيثه بالإعانة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ [الآية 15] فضرب القبطي بجمع كفه أو دفعه بطرف أصبعه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] فقتله، وأصله أنهى إليه العمر من قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: الآية 66]، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية 15] لأنه لم يؤمر بقتل الكفار في ذلك الزمان ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأً من جهته وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات صدرت عنهم ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر العداوة والإضلال
347/ أ أو مظهر طريق الضلال وما يترتب عليه/ الوبال.

وقال الأستاذ: وكزه موسى ليدفعه عن الإسرائيلي ولم يرد قتله، فمعنى أنه لو دفعه بأيسر مما دفعه ولم ينسب القتل إلى الشيطان ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبة إليه بأن حمله على تلك الحدة لديه، وإذا أراد الله أمراً أجرى أسباباً يحصل بها مراده ولولا أنه أراد فتنة موسى ووقفه بدفعه لما قبض روحه بوكزه وقد يُضرب الرجل الكبير من الضرب بالسياط الكثيرة ثم لا يموت، فموت القبطي إجراء لما أراده من قضائه وقدره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 16] بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [الآية 16] ما جرى من وكزه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 16] لذنوب عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 16] بهم على وفق مراده.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الآية 17] أي أقسم بإنعامك عليَّ وإحسانك إليَّ بإعطاء القوة وسائر النعمة لأوتينّ من مثل هذه الوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 17] فلن أستعمل قوتي في مظاهر أعدائك بل أصرفها في مناصرة أوليائك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستثن فابتلى به مرة أخرى[1] أي لم يقل فلن أكون إن شاء الله أولاً فابتلي بالعون للمجرمين ثانياً، وفيه إشكال ولم يبتلى بالعون للمجرمين بل على المجرمين لأجل المجرمين المحترمين.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 18] ينتظر سوءاً من فرعون لما له من شدة الغضب.

قال ابن عطاء: خائفاً من قومه يترقب مناجاة ربه. وقيل: خائفاً من نفسه يترقب نصرة ربه. وقيل: مستوحشاً من ضده منتظراً المؤنس يأنس به. وقيل: خائفاً من زلة الجناية منتظراً للكفاية رجعاً للعصمة والحمالة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [الآية 18] يستغيث للإنس ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 18] بيِّن الغواية حيث تسببت لقتل رجل ثم تدعوني إلى آخر في هذا اليوم.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [الآية 19] أي بالقبطي لأنه لم يكن على دينهما ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية 19] قاله القبطي، وقيل السبطي، ولا يلائمه قوله ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 19] متطاولاً على/ أهلها غير ناظر إلى العواقب ومآلها ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ 347/ ب ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية 19] بين الناس على وجه الاستئناس.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ [الآية 20] قيل هو مؤمن آل فرعون وابن عمه ﴿مِّنْ أَقْصَا

---

(1) تفسير القرطبي (13/ 263)، والكشاف (5/ 127).

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ [الآية 20] يُسرع في سيره إلى أدناها ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ [الآية 20] أشراف الجند ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [الآية 20] يتشاورون بسببك ويريدون أن يعلموا فرعون بصنعك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ [الآية 20] ظناً منهم أنك قتلت القبطي بقصدك ﴿فَٱخْرُجْ﴾ [الآية 20] من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الآية 20] في أمرك.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 21] أن يدركه الطلب، وقيل يترقب الكفاية والحماية من الرب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 21] خلصني من شرهم واحفظني من مكرهم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 22] تجاهها وقبالتها وهي قرية شعيب عليه السلام ولم تكن في سلطة فرعون مع أن بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 22] أي الطريق المستوي، قاله توكلاً على ربه وحسن ظن به وكان لا يعرف طريق مقصده فعنّ له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين منها ظناً إنه لا يسير على الجادة فيها.

قال جعفر: توجه إلى ناحية مدين ببدنه وتوجه بقلبه إلى ربه طالباً منه سبيل الهداية فأكرمه بالكلام والرسالة فكل مَن أقبل على الله بالكلية فإن الله يبلغه مأموله البتة.

وقال الأستاذ: توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيرها بل خرج على الفتوح وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه إلى النحو الذي هو خير له فقال: عسى ربي أن يهديني لأرشد سبيل لي.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 23] وصل إليه وهو ما كانوا يستسقون لديه ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] فوق شفيره ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 23] جماعة كثيرة مختلفين ذهاباً وإياباً للمناوبة على ما هو المعتاد في السقاية ﴿يَسْقُونَ﴾ [الآية 23] الماشية ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ [الآية 23] في موضع أسفل من مكانهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [الآية 23] تمنعان أغنامهما انتظاراً لخلو الماء لهما ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[الآية 23] ما شأنكما لا تسقيان غنمكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [الآية 23] بصرف مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال/ بالنساء. وقرأ أبو 348/ أ عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال أي حتى ينصرف الرعاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 23] في السن لا يستطيع أن يخرج لسقي الماء فيرسلنا اضطراراً مع الرعاء.

قال ابن طاهر: ورد في الظاهر ماء مدين وورد في الحقيقة على مالك مياه الأنس والمحبة وبساتين المعرفة ووجد عليه أمة أي خواص جماعة من العباد الصفوة يرتقون في تلك البساتين من الروضة فأشربهم وشرب معهم من تلك المياه شربة أورثه ورود ذلك الموارد والمورود على مخاطبة الحق وأورثه شرب ذلك الماء الثبات في حال المخاطبة.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [الآية 24] مواشيهما رحمة عليهما مع ما كان به من النصب والجوع ووصب جراحة القدم وغيرهما، وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه لما فرغ الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً ودعا بالبركة وأروي عنهما. وقيل: كانت ببئر أخرى صخرة كبيرة عليها فرفعها واستقى منها، وهذا هو الأظهر فتدبر ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [الآية 24] ظل شجرة أو جدار خربة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ [الآية 24] لأي شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 24] من طعام يسير أو كثير ﴿فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] محتاج وسائل من غير وسائل. وقيل: معناه إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين والغرض من هذا الكلام في خطابه إظهار الفرح به والشكر على ما به في بابه.

قال أبو بكر ابن طاهر: لما طال عليه البلوى أنس بالشكوى فقال: إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير، يناجيه بلسان الافتقار وليس في الشكوى إلى المحبوب نقص في الاختيار.

وقال الحسين: إني لما خصصتني به من علم اليقين فقير إلى أن تردني إلى عين اليقين ثم حق اليقين.

وقال جعفر: فقير طالب لديك زيادة الفقر إليك إني لا أستغني عنك بشيء سواك.

وقال الأستاذ: لما وافى موسى مدين شعيب كان وقت الهاجرة وكان لهم بئر يستقون منها فيصبون الماء في الحياض ويسقون عنهم مواشيهم، وكان شعيب كف عنه بصره لكثرة بكائه، ففي القصة أنه بكى حتى ذهب بصره فرد
348/ب الله/ عليه بصره، ثم بكى حتى رد الله عليه بصره، ثم بكى ثالثاً فأوحى الله إليه إن كان بكاؤك لخوف النار فقد أمّنتك منها وإن كان لأجل الجنة فقد أبحتها لك، فقال: لا يا رب ولكن شوقاً إليك، فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر حجج. وكان لشعيب أغنام ولم يكن له أجير وكانت ابنتاه تسوقان الغنم مكان الرعاة ولم يكن لهم قوة استقاء الماء من البئر وكان الرعاة يستقون الماء من البئر ويسقون مواشيهم فإذا انفضوا فإن بقي في الحوض بقية من الماء فبنات شعيب كانتا تسقيان غنمهما، فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك الحال من القوم رقّ قلبه لهما، فلما انصرف الرعاة سقى عنهما ثم تولى إلى ظل جدار بعدهما وكان جائعاً مسافراً لم يتعود قط العربة والرحلة ولم يكن معه مال في تلك الحالة فطلب قوتاً يزيل جوعه ويسد رمقه، وقيل: سأل حال يستقل بها ولا يضطرب معها، وكان شعيب يخرج إلى ظاهر الصحراء في طريق الماشية فمسها بيده فوجد أكثر الزيادة في تلك الكرة فسألهما فذكرتا له القصة، فقال شعيب: إنه جائع البتة. فبعث إحداهما لتدعوه إلى الضيافة.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [الآية 25] مستحيية مستترة بكم ذراعها. قيل: كانت الصغرى وقيل الكبرى، وهي التي تزوجها موسى.

قال ابن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء فقد ورد: «الحياء من الإيمان»(1).

وأفاد الأستاذ: أنها إنما استحييت لأنها كانت تخاطب من لم يكن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (24)، ومسلم في الصحيح (36/ 59).

محرماً لها. وقيل: لما دعته للضيافة كانت مستحية والكريم يستحي من الضيافة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [الآية 25] جزاء سقيك لغنمنا. ولعل موسى إنما جاء ليتبرك برؤيته ويتطهر بمعرفته لا طمعاً في أجرته، بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إنَّا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا، فقال شعيب: هذا من دأبنا مع كل من ينزل بنا على أن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه.

وقال الأستاذ: لم تطب نفس شعيب لما أحسن موسى إليه أن لا يكافئه بما قدر عليه وإن كان موسى لم يرد المكافأة لديه. ويقال: ورد بظاهره ماء / مدين وورد بقلبه موارد الأنس والروح. والموارد مختلفة فمورد القلوب رياض 349/ أ
البسط بكشوفات المحاضرة فيطربون بأنواع الملاطفة، ومورد الأرواح مشاهد الأرواح فيكاشفون بأنوار المشاهدة فيتغيبون عن الإحساس بالنفس وما لها من المجاهدة، وموارد الأسرار ساحات التوحيد فعند ذلك الولاية لله لا نفس ولا حس ولا قلب ولا أنس استهلاك في الصمدية وفناء بالكلية. ويقال: الأجنبية والبعد من المحرمية توجب إمساكه عن مخاطبتهما والإعراض والسكوت عن سؤالهما ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقة بالسر لهما استنطقه حتى سألهما عن قصتهما، كما قيل:

أجارتنا إنَّا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب[1]

ويقال: لما سألهما وأخبر عن حالهما لزمه القيام بأمرهما ليعلم أن من تفقد أمر الضعفاء وحالهم ووقف على موضع فاقتهم لزمه إزالة شكايتهم. ويقال: من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ومقتضى الرفق أن يطعموه، فقبض القلوب عنه واستوجابه واستقباله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً لأن الصخرة التي نحَّاها عن رأس البئر وحده كان يقتلعها أربعون رجلاً. تولى إلى الظل، وقال: أرأيت إن يطعمني بعد مقاساة اللتيا واللتي فذلك فضلك، قاله بلسان الانبساط ولا لسان أحلى

(1) نسب إلى امرئ القيس. انظر العقد الفريد (1/ 196)، وخزانة الأدب (3/ 271).

من ذلك وهي شبه الشكوى ولكن إليه لا منه بل منه إليه. ويقال: تولى إلى الظل وروح البسط واستقلال السر بحقيقة الجود. ويقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] فزدني فقراً فإن فقري إليك يوجب استغنائي بك.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾ [الآية 25] موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الآية 25] وحكى لشعيب صورة ما جرى ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ﴾ [الآية 25] في هذا المكان المكين ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 25] فرعون وقومه أجمعين.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [الآية 26] وهي التي استدعته ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [الآية 26] لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [الآية 26] فيه إيماء إلى أنه عليه السلام ما كان يلقى أخيراً جائعاً بين القوة في الخدمة والأمانة في الديانة.
349/ ب وروي أن شعيباً قال لها:/ وما أعلمك بقوته وأمانته، فذكرت إقلاله الحجر ورفعه وأنه صوب رأسه حين يلقنه أمره، وأَمَرَها بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ [الآية 27] أي تأجر نفسك مني ﴿ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾ [الآية 27] ظرف للإجارة ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ [الآية 27] عمل عشر حجج ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ [الآية 27] فإنما مد من عندك تفضُّلاً وتبرُّعاً من عندي عليك إلزاماً شرعاً، وهذا استدعاء للفقه لا نفسه حيث.

قال أريد ولم يقل أنكحتك مع ما في كلامه من إبهام المنكوحة ويمكن في ذلك اختلاف الشريعة ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 27] إلزام إتمام العشر الموجب للصعوبة لديك أو المنافسة في مراعاة الأحوال واستيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية 27] في الوفاء بالمواعدة وحسن المعاملة، ولكن الصحبة والعشرة أو المجاملة.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] الذي عاهدتني فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الآية 28] قائم بيننا لا يخرج عما شرطنا ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ [الآية 28] أطولهما أو أقصرهما ﴿قَضَيْتُ﴾ [الآية 28] وفّيت ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [الآية 28] لا نعتدي على طلب الزيادة فلي الخيار مطلقاً في الإرادة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾

[الآية 28] من المشارطة ﴿وَكِيلٌ﴾ [الآية 28] شاهد حفيظ على ما وقع من عقد الإجارة.

وقال الأستاذ: في القصة أن شعيباً قال لموسى: أدخل هذا البيت وأخرج بما فيه من العصيّ عصا، وكان بيتاً مظلماً، فدخل وأخرج العصا التي كانت لموسى وأظهر أدبه فيها معجزة وجاء في القصة: إنها كانت لآدم عليه السلام وقعت إلى شعيب من نبي إلى نبي وذلك إنه لما أهبط آدم إلى الأرض صال عليه ما على وجه الأرض من السباع فأنزل عليه عصا من الجنة وأمره جبريل أن يرد السباع عن نفسه بتلك العصا فلما أخرج موسى تلك العصا. قال شعيب: رده إلى البيت وأخرج عصا أخرى، ففعل غير مرة ولم يحصل كل مرة في يده إلا تلك العصا، فلما تكرر الأمر هنالك علم شعيب أن له شأناً فأعطاه ذلك. ثم القصة أن اليوم الأول الذي ساق غنمه قال له شعيب: إن طريقك تتشعب شعبين على أحدهما كلأ كثير فلا تسلكه في الرعي فإن فيه ثعباناً واسلك الشعب./ فلما بلغ موسى مفرق الطريقين تفرّقت الغنم ولم 350/ أ
تطاوعه وسامت في الشعب الذي فيه الكلأ، وأن موسى تبع الأغنام ووقع عليه المنام فلما انتبه رأى الثعبان مقتولاً وعصاه كانت قد قتلت الثعبان، فلما انصرف أخبر شعيباً بذلك فسر به هنالك. وكان موسى يرى في العصا آيات كثيرة ولذا قال: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: الآية 18].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [الآية 29] أي الأطول على ما صح في البخاري عن ابن عباس وروي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشراً أخر ثم عزم على الرجوع إلى محله ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [الآية 29] وكان في ليلة مظلمة شديدة البرودة والطرق مختلفة ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [الآية 29] أبصر من الجهة التي تلي الطور ﴿نَارًا﴾ [الآية 29] عظيمة وعن النظر بعيدة.

قال أبو علي الروذباري: الجبل الذي كلّم الله عليه موسى كان من العقيب ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [الآية 29] من الطريق ممن يوجد عندها من الفريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [الآية 29] وقرأ عاصم بالفتح

وحمزة بالضم شعلة مقتبسة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 29] أو قطعة منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 29] تستدفئون بها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [الآية 30] جاءها ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] أتاه النداء من الجانب الأيمن لموسى أو من الوادي الأبرك ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [الآية 30] بجميع أطرافها وجملة أكنافها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 30] بدل من شاطىء، بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة في تلك المحال ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 30] أي يا موسى ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 30] أي الذي يكلّمك ربّ العالمين، وهذا أوان خالف ما في طٰه والنمل في بعض المعاني، فهو طبقه ووفقه في المقصود من المعاني.

قال ابن عطاء: فلما تمَّ له أجل المحنة ودنا أيام القربة والرأفة والمنحة وإظهار أنوار النبوة وأسرار الجنة وسار بأهله ليشتركوا معه في لطائف الصنعة.

قال جعفر: أبصر ناراً دلّه على الأنوار ولا تدري أي النور على هيئة النار، فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطته جلابيب الأنس فخوطب بألطف خطاب واستدعى منه أحسن / جواب فصار بذلك مكلّماً شريفاً مقرَّباً مكمَّلاً لطيفاً أعطي ما سأل وأمن مما خاف. 350/ب

وأفاد الأستاذ: إنه تعالى أخفى تعيُّن موضع قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال في الكتاب: ﴿مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] ثم قال: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ [الآية 30] وعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة، وأعز الأماكن عند أولي الألباب مشهد الأحباب كما قيل في هذا الباب:

وإني لأهوى الدار ما تستقرني لها الوذ إلا أنها من دياركا(1)

ويقال: كم قدم وطئت تلك البقعة ولكن لم يسمع صاحبها بها سينه وكم ليلة أجنّت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة. ويقال: شتان

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133).

بين شجرة وشجرة، شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته وشجرة موسى فتح نبوَّته وبدئ رسالته. أقول: ويمكن أن يقال هذه الشجرة من ثمرة تلك الشجرة لأن المحنة توجب المنحة والبلاء يورث الولاء ويكون وجه تسمية شجرة آدم بشجرة العلم والله أعلم. ويقال بتفضيل نوع تلك الشجرة وما يدري ما الذي كان لتلك الشجرة من الثمرة بل هي شجرة الوصلة ثمرها القربة أصلها ثابت في أرض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة، أوراقها الزلفة وأزهارها وأنوارها تتفتق عن نسيم الروح والبهجة. فلما سمع الكلام موسى عليه السلام تغير عليه الحال في ذلك المقام، وفي القصة أنه غشي عليه وأرسل الله الملائكة إليه حتى روحوا بمراوح الأنس لديه وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدىء مرفوق به، وفي المرة الأخرى خرّ موسى صعقاً وكان يفيق والملائكة تقول له: يا ابن الحيض مثلك من يسأل الرؤية[1]، كذا في الحديث. والقصة في البداية لطف وفي النهاية عنف. ويقال: في الأولى ختل وفي الأخرى قتل.

فلما دارت الصهباء دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع النبيين في الصيف

ونظيره ما وقع لآدم عليه السلام من تشريفه أولاً وتعنيفه آخراً بناء على أن الولاء يعقبه البلاء.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 31] عطف على أن يا موسى داخل تحت ما نادى سبحانه/ وتعالى. 351/ أ

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يا موسى اخلع نعليك وأقم عندنا هذه الليلة فقد تعبت في الطريق لديك إن لم يكن هذا في النقل والآثار فهو ما يليق بتلك الحال عند الاعتبار، يا موسى كيف صعدت وكيف صوبت وكيف شرقت وكيف غرّبت ما كنت في الطريق وحدك، يا موسى أحصينا خطاك

(1) تفسير الخازن (3/ 90)، وتفسير البغوي (3/ 278).

إحصاء كل شيء عدداً، يا موسى تعبت فاسترح، يا موسى بعدما جئت فلا تبرح كذا العبد غداً إذا قطع المسافة في القيامة وتبوأ من منزله في الجنة وآخرون يمضون من الطريق إلى بساط الزلفة كذا العبد والخادم إذا دخل بلد سلطانه يبتدىء أولاً بخدمة السدّة العالية ثم بعده ينصرف إلى منزله بالعافية وكذا اليوم أمرنا إذا أصبحنا كل يوم أن لا نشتغل بشيء من أمور الخلق حتى نفتتح النهار بالخطاب مع الحق ونحضر بساط الخدمة وهو الصلاة من العبادة بل نحضر بساط الدنو والقربة لقوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلق: الآية 19]، المصلي مناجي ربه لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت أي لم يخرج عن صلاته فيلتفت يميناً وشمالاً في التسليم الذي هو التحليل من عبادته.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾ [الآية 31] أي لما ألقاها فصارت حية كبيرة ﴿تَهْتَزُّ﴾ [الآية 31] تتحرك بسرعة كبيرة ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [الآية 31] حية صغيرة في جثتها وهيئتها أو في سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [الآية 31] منهزماً من خوف ما رأى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 31] لم يرجع إلى الوراء ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 31] أي نودي بهذا النداء ﴿أَقْبِلْ﴾ [الآية 31] إلينا واعتمد علينا ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 31] من غيرنا ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ [الآية 31] لدينا فإنه لا يخاف لدي المرسلون، فرجع إلى مكانه الأول ووقف في مقامه الأكمل.

قال سري السقطي: الخوف على ثلاثة أوجه: خوف في الدين وهو خوف العامة، وخوف العارض عند تلاوة القرآن وهو خوف الخاصة، وخوف مزعج يجفل القلب ويهتز البدن ويذهب بالنوم ويورث الحزن وهو خوف أهل الحقيقة.

وقال الأستاذ: انقلب العصا حية فولى موسى مدبراً خيفة ولم يقف لمحة وكان موضع أن يقول حديث أوله تسليط الثعبان من ذا يطيق هذا الشأن، فقيل: لا تخف يا موسى إن الذي يقدر أن يقلب العصا حية يقدر أن يخلق لك منها سلامة إنك من الآمنين،/ ليس المقصود من هذا خوف بدنك 351/ب
إنما أثبت هذا إلا سلطةُ على عدوك وهذا معجزتك على قومك.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [الآية 32] أدخلها في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [الآية 32] كأنه قطعة قمر نور ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [الآية 32] عيب كبرص وداءٍ ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 32] المراد بأحد الجناحين اليد اليمنى وبالآخر اليد اليسرى وكل منها مضموم ومضموم إليه بإدخال كل منهما تحت عضد الأخرى ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [الآية 32] من أجل الرهب إذا غلبك الرعب. عن ابن عباس وغيره: إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يخف خوفه ويزول رعبه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص بفتح فسكون ﴿فَذَٰنِكَ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير بتشديد النون والإشارة إلى العصا واليد وتذكيرهما باعتبار الخبر وهو قوله: ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ [الآية 32] أي حجتان ومعجزتان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 32] مرسلهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 32] خارجين عن حدهم وأمر ربهم.

وقال الأستاذ: قيل إنما قيل له اسلك يدك في جيبك لأن الدرعة التي كانت عليه لم يكن لها كم، وفي هذا إشارة لأن عند كل أحد أنه يصل إلى مقصوده ومراده بتشمُّره وحده واجتهاده وإخراج يده من كمه، والله قال لموسى: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء وألق عصاك نجعلها ثعباناً بلا ضرٍّ بك ولا استعمالك لها، يا موسى الأمر بنا لا بك، وأنا لا أنت في فعلتك، فذانك برهانان من ربك يا موسى في وصف خضوعك تجدني وبتبرئك من حولك وقوتك تصل إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية 33] فأعني وادفعهم عني لأقوم بتبليغهم عني ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [الآية 34] وأوضح مني بياناً ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ [الآية 34] وقرأ نافع بالنقل أي معيناً ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [الآية 34] بإتمام الحجة ورفع الشبهة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 34] ولساني لا يطاوعني عند الحاجة. وقرأ عاصم وحمزة: يصدقني بالرفع على أنه صفة.

قال أبو بكر ابن طاهر: هو أفصح مني لساناً مع الخلق وكيف أكون

352/ أ فصيحاً معهم وقد سمعت لذيذ كلامك، وكيف أخاطبهم أو كيف/ أجعل لهم، وزناً مع ما آتيتني وخصصتني به شأناً ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [الآية 35] سنقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [الآية 35] غلبة وشأناً أو حجة وبرهاناً. قيل: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء وسلطاناً على أنفسكما فلا يقدر الشيطان أن يغلبكما أو أصابه في أحكام الحدود على اتباعكما ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [الآية 35] باستيلاء أو حجاج وإيذاء ﴿بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 35] بسبب إظهار معجزاتنا ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [الآية 35] بإرادتنا وقدرتنا.

وقال الأستاذ: تعلل موسى عليه السلام بكل وجه رجاء أن يعافى من مشقة التبليغ ومقاساة البلاء لا علم أن النبوة فيها مشقة فلم يجد الرخصة والإعفاء عما كلف من تحمُّل أعباء النبوة، وأجاب سؤله في أخيه وضمن لهما النصرة ثم إنهما لما أتيا فرعون قابلهما بالتكذيب في الرسالة ورماهما بالسحر والمكيدة وجاوباه بالحجة ودعواه إلى سواء المحجة فأبى إلا الجحد إلى اللحد وهذا معنى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 36] من المعجزات ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 36] ظاهرات الدلالات ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [الآية 36] تخييل لا حقيقة له في الكائنات ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ [الآية 36] ادعاء النبوة ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 36] الأمم المتقدمة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ﴾ [الآية 37] ومن يتبع الهدى في دينه. وقرأ ابن كثير قال بغير واو وعلى أنه استئناف وقع جواباً لمن سأل عن جوابه ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الآية 37] العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الحميدة هي الجنة. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 37] لا يفوزون بالهدى في الدنيا وبحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [الآية 38] أطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [الآية 38] قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 38] في أن لكم إله غيري وإنه رسوله في الدين.

وأفاد الأستاذ: إنه ادعى الانفراد بالإلٰهية فزاد على عبدة الأصنام الذين جعلوا أصنامهم شركاء بل وسائل وشفعاء ومن زيادة ضلاله توهمه أن المعبود في جهة العلو وأنه يمكن الوصول إليه، ولعمري لو كان جهة لا يكون / تقدير 352/ ب
الحصول لديه.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 39] بغير استحقاق من جانب الحق ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 39] اعتقدوا أنه لا قيامة لدينا ولا معاد إلينا. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الآية 40] فطرحناهم فيه ككف رماد في ساحة الهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 40] ما حال المجرمين.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الآية 41] قدوة للضلال بالحمل على الإضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 41] إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وما يتبعها من الأنكال والأغلال ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الآية 41] بدفع العذاب عنهم في جميع الأحوال.

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [الآية 42] طرد عن الرحمة أو لعن اللاعنين من الملائكة والمؤمنين ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [الآية 42] سود الوجوه زرق العيون بين المخلوقين.

قال ابن عطاء: نزع عنهم أنوار التوفيق وأسرار التحقيق في ظلمات نفوسهم كالغريق لا يدلون غيرهم على سبيل الرشد والتوفيق ولا يسلكون بأنفسهم سوء الطريق فسماهم الله أئمة يدعون إلى الحريق.

وقال الأستاذ: واستكبر هو وجنوده وأبى إلا أن يدوم جحوده وعنوده فغرقه الله في البحر كما غرق قلبه في بحر الكفر وجعلهم أئمة لا بشرفهم لكن بسبب تلقيهم قدمهم في الخزي والمهانة على كل أمة فهم أئمة لكن لم يرشدوا إلا إلى الضلال ولم يدلوا الخلق إلا على المحال وما حصلوا إلا على سوء الحال وما ذاقوا إلا خزي الوبال، أفاضوا على متبعيهم من ظلمات

قلوبهم وافتضحوا في خسة مطلوبهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، كانوا في الدنيا مبعدين عن معرفته وفي الآخرة مبعدون عن مغفرته فانقلبوا من طرد إلى طرد ومن هجر إلى بُعد ومن افتراق إلى احتراق.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 43] التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 43] أقوام نوح وهود وصالح ولوط وقوم فرعون بعدهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] حال كون الكتاب أنواراً لقلوبهم يتبصر به الحقائق ويتميز بها بين الحق والباطل من أحوال الخلائق ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 43] وسبب
353/ أ هداية دلالة إلى معرفة الشريعة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 43] / وموجب رحمة ونعمة في الدنيا والآخرة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 43] ليكونوا على حال يرجى منهم التذكرة.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يطلب المنازل إذا خلا من الأجانب ورؤيتهم وأطيب المساكن ما كان رؤيتها يفقد الرقباء وغيبتهم فلما أهلك الله فرعون وقومه وأورث بني إسرائيل أموالهم وديارهم ومحى عن جميعها آثارهم طاب عليهم العيش في العبادة وطلعت عليهم شموس السعادة..

﴿وَمَا كُنتَ﴾ [الآية 44] يا محمد حاضراً ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [الآية 44] من الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عند ظهور النور ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 44] أوحينا إليه أمر الرسالة ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الآية 44] لذلك حتى تعرف القصة وترى الحالة فما هو إلا من إعلام الله بالأمور الغيبية كالمعجزة الدالة على صحة النبوة. وقيل: أراد بالشاهدين السبعين المختارين.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ [الآية 45] خلقنا بعد موسى ﴿قُرُونًا﴾ [الآية 45] أمماً مختلفة ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الآية 45] أي الأزمنة فحرّفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم والآثار وانطمست الأسرار وانطفأت الأنوار إلى أن ظهر سيد الأبرار وسند الأحرار ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 45] من شعيب

والمؤمنين به ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 45] نقرأ عليهم تعلماً منهم ﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ [الآية 45] التي فيها قصتهم فيحكي ما رأيت فيهم ونقلت منهم ﴿وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 45] إياك ومخبرين بما أتاك.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [الآية 46] موسى وقلنا له: ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريَم: الآية 12] فالأول عبارة عن النبوة والآخر إشارة إلى الرسالة. وعن بعض السلف معناه: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ورؤيا أمتك وقلت له: إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعت صوته[1]. رواه النسائي عن أبي هريرة وكذا نقل عن ابن عباس وغيره.

قال ابن عطاء: أحببنا سؤال من دعا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظيم محلك. وحكى ابن أبي يزيد أنه قرأ هذه الآية بين يديه فقال: الحمد لله الذي لم أكن ثمة، كذا في تفسير السلمي، ولعله ذكره على وجه الغيرة.

وقال الأستاذ: وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وكلمناه ولكن خاطبناه / في بابك وفي باب أمتك فلم تقدح غيبتكم في الحال وكوني لكم 353/ ب
خير من كونكم لكم، أي في حسن المآل، وزين المنال وفراغ البال. ويقال: لما خاطب موسى وكلمه وسأل موسى أني أرى في التوراة أمة صفتهم كذا وكذا من هم، فسأل عن أوصاف وعن الجميع كان الله يجيب إنهم أمة أحمد، فاشتاق موسى إلى لقائه فقال تعالى إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعت كلامهم، فأراد أن يسمع كلامنا فنادى سبحانه وقال: يا أمة أحمد، فأجاب الكل من أصلاب آبائهم فسمع موسى عليه السلام كلامهم بعد ندائهم، ثم لم يتركهم الله بذلك من غير نفع هنالك فالغني إذا سأل فقيراً فأجابه لا يرضى بأن يرده من غير إحسان إليه فقال سبحانه: أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ثم فما كان موسى عليه السلام يتلو

(1) تفسير ابن كثير (6/ 240)، وتفسير الرازي (12/ 90).

عليهم من آياته ذكر نبينا ﷺ بالجميل وكراماته بحسن الثناء عليهم فنحن في الوجود محدث مخلوق وفي ذكره قديم متعلق لا باستفتاح زمان لم يكن في العدم ولا أشياء ولكن كنا بتعلق القدرة متناول العلم والمشيئة مذكوراً للخطاب الأزلي والكلام الصمدي والقول الأبدي، فمن طلب موسى عليه السلام لأمته جعلناه لأمتك وكما نادينا موسى وهو في الوجود والظهور ناديناكم وأنتم في كتم العدم وأنشدوا:

كن لي كما كنت لي ... في حال لم أكن

﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةً﴾ [الآية 46] أوجبت إليك نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [الآية 46] لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. هذا وقيل بين عيسى ورسولنا عليهما السلام أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد ابن سنان العبسي ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 46] لكي يتفكروا ويتدبروا فيتعظوا ويعتبروا.

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ [الآية 47] عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية 47] من الكفر والمعصية ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ [الآية 47] هلا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا
354/ أ رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [الآية 47] في ما أمرتنا/ ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 47] المصدقين فيما أخبرتنا لما أرسلناك، والمعنى إن أرسلناك إليهم قطعاً للمعذرة لديهم وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 48] أي الرسول المصدق بنوع من المعجزات الدالة على صدق نبوته أو الكتاب المحقق ﴿مِنۡ عِندِنَا﴾ [الآية 48] من لدنا ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 48] عناداً وتعنتاً واقتراحاً ﴿لَوۡلَآ﴾ [الآية 48] هلا ﴿أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 48] من الكتاب جملة واليد والعصا معجزة ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ [الآية 48] يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمن موسى ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 48] قبل زمان محمد عليه السلام. والمعنى إذا كفر أولئك مع رؤية تلك الآيات لكفر هؤلاء المقترحون أيضاً لاتحادهم في سوء الحالات ﴿قَالُواْ

﴿سِحۡرَانِ﴾ [الآية 48] يعنون موسى وهارون، وقيل موسى ومحمد فيتعين أن يكون فاعل يكفروا ضمير قريش فإنهم كفروا بنبوة موسى أيضاً حين جاءهم الرهط الذين أرسلوهم إلى يهود المدينة يسألنهم عن محمد عليه السلام بخبرهم ﴿تَظَٰهَرَا﴾ [الآية 48] تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين من التوراة والفرقان وقرأ الكوفيون ساحران بتقدير مضاف أو إرادة مبالغة أو المراد بهما التوراة والقرآن ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 48] بكل منهما أو بكل الأنبياء معهما.

قال الأستاذ: تمنوا في زمان الفترة أن يبعث الله إليهم رسولاً ليهتدوا به في الديانة ووعدوا من أنفسهم الإيمان والإجابة، فلما أتاهم الرسول كذبوه وقالوا: هلا خص بمثله بمعجزات موسى من العصا واليد البيضاء وكان ذلك منهم خطأ واقتراحاً في غير موضع الحاجة وتحكماً بعد إزاحة العلة.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾ [الآية 49] مما نزل على موسى وعلى من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 49] إنا ساحران أو هما ساحران مختلفان وفيه تنبيه على أن الكتابين كليهما معجزتان.

﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾ [الآية 50] دعاك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى واختاروا طريق الأردى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ [الآية 50] لأنهم من عنادهم بعدما لزمتهم الحجة ما تركوا آراءهم/ ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى 354/ ب
مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 50] لا أضل ممن تبع هواه وترك هداه وقد ورد: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به من هداه»[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 50] الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة الهدى وموافقة الهوى.

﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [الآية 51] أنزلنا عليهم القرآن نزولاً متصلاً بعضه ببعض في الأزمان ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 51] لكي يتعظون فيؤمنوا ويطيعوا.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 54).
(2) جامع الأحاديث (16/ 492) رقم (17365).

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إما تبعنا الموعظة والرسول الرسول والدليل الدليل لعلهم يتذكرون وينتبهون من رقدة الغفلة.

زاد الأستاذ فيما أفاد: فما ازدادوا إلا كفراً ونبواً وجحداً وعتواً فلا إلى الحق رجعوا ولا إلى الاستقامة جنحوا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 52] يعني اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 52] قبل نزول القول المراد به القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] أي هم الذين يؤمنون بالقرآن ويصلون إلى مقام العرفان ولا يبعد أن يكون المراد من آتيناه الكتاب سابقاً أسمعناه الخطاب لاحقاً.

وقال الأستاذ: أي من كحلنا بصيرته بنور الهداية صدقوا بمقتضى مساعدة العناية ومن أعميناه عن شهود التحقيق ولا يساعده ساعد وجود التوفيق انعكس في غوايته وانهمك في ضلالته.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 53] القول الحق النازل من عندنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 53] منقادين ومصدقين لما رأى وذكره في الكتب المتقدمة قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم وتبين صحته لديهم في الجملة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [الآية 54] مرة على إيمانهم بكتابهم والعمل بخطابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن واتباعه على وجه الإحسان ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الآية 54] بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده من الزمان ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الآية 54] ويدفعون بالطاعة المتجددة المعصية المتقدمة كقوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»[(1)]، رواه الترمذي وحسنه، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون عن فاعله أو يجازون الإحسان في مقابله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 54] في سبيل الخير/ ووجوبه. 355/ أ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 121) رقم (178)، والطبراني في المعجم الكبير (20/ 145) رقم (297)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 244) رقم (8023).

وقال الأستاذ: بما صبروا على ارتكاب الأوامر واجتناب الزواجر يؤتون أجرهم مرتين مرة في عاجلهم ومرة في آجلهم مرة في الآخرة وهي المثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ [الآية 55] القبيح من القول كشتمهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [الآية 55]تكرُّماً بهم ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 55] جواباً لقومهم ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الآية 55] كما يجازى بعمله منا ومنكم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 55] متاركة لهم وتوديعاً منهم ودعاء لهم بالسلامة عنهم ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية 55] لا نطلب صحبتهم ولا نريد طريقتهم.

قال أبو عثمان: كل شيء سوى القرآن وذكر الله فهو لغو.

وأفاد الأستاذ: أن اللغو ما يلهي عن الله. وقيل: اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله. ويقال: اللغو ما لا يكون بالحق للحق. ويقال: هو ما صدر عن قلب غافل. ويقال: اللغو ما يوجب سماعه اللهو.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الآية 56] أي نفسه أو هدايته والمعنى لا تقدر أن تدخله في الإسلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 56] بأن يخلق في قلبه الاهتداء على ما حققه أكابر العلماء والحاصل أي نفسه أو هدايته والمعنى لا يقدر أن يدخله في الإسلام إن الهداية تستعمل في خلق الاهتداء وبيان طريق الهدى في الابتداء وكلا المعنيين مستقيم في حقه سبحانه، وأما الرسول فليس له إلا المعنى الثاني وبيانه فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فُصّلت: الآية 17] ولا قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: الآية 117] المستعدين لقبول الدين. والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إلٰه إلا الله كلمة أحاجّ بها لك عند الله، قال: يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت»[1] رواه الشيخان.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1360) رقم (1294)، ومسلم في الصحيح (24/ 39).

وأفاد الأستاذ: إن الهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق وذلك من خصائص قدرة الحق. وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق توسعاً
355/ب وذلك جائز بل واجب في صفته عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ/ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: الآية 52]، ويقال لك: شرف النبوة ومنزلة الرسالة وجمال السفارة والمقام المحمود والحوض المورود وأنت سيد ولد آدم وتحية أهل العالم ولكنك لا تهدي من أحببت لأن خصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية ونعته العبودية.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ [الآية 57] بعض قريش ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [الآية 57] نؤمن بك ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [الآية 57] نخرج من بلادنا لإجماع أهل مكة على خلاف مرادنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ [الآية 57] ألم نحسن إليهم ولم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [الآية 57] ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتفاخر العرب حوله وهم آمنون به ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 57] وقرأ نافع بالتأنيث أي يحمل إلى الحرم وتجمع فيه ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٖ رِّزْقًا﴾ [الآية 57] أي ثمرات كثيرة من كل ناحية ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ [الآية 57] أي رزقاً لدينا من فضلنا وجودنا لتمام شهودنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 57] جهلة لا يتفطنون ولا يتأملون، والمعنى هذا مع كفرهم في الدين فكيف نفرضهم التخوف والتخطف إذا كانوا موجودين فصاروا في عذرهم كاذبين معاندين.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله سبحانه سخر له الكون بجملته ومن اشتغل برعاية سره لله وقام بحق الله واستفرغ أوقاته في عبادة الله سكن من التصرف بهمته في مملكة الله، فالخلق له مسخر والوقت طلوع أمر والحق سبحانه متوالي أعماله وآماله يحقق ظنه ولا يضيع حقه ومن ضيعه يهلك في أودية ضلاله ويتيه في متاهة حزنه ويبور بوزر هوانه.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الآية 58] أي جماعة كثيرة من أهلها ﴿بَطِرَتْ﴾ [الآية 58] أشرت وطغت وبغت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ [الآية 58] في معيشتها أو كفرت نعمتها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الآية 58] خاوية وخالية ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الآية 58] من السكنى أو لا يسكنها إلا المارة يوماً ما ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الآية 58] منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر آثارهم.

وقال الأستاذ: لم يعرفوا قدر نعمتهم ولم يشكروا سلامة حالتهم وانتظام أمور معيشتهم فهاموا في أودية الكفران على وجوههم وخرّوا في وهدة الصغر على أذقانهم فأذاقهم كاسات الهوان لما كسر خمار بطرهم فمساكنهم عنهم خالية/ وسقوفهم عليهم خاوية وغراب التدبير فيهم ناعية. 356/ أ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ [الآية 59] عادته ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ [الآية 59] أصلها التي هي سوادها وأعمالها لأن أهلها أكثر فطانة وأعظم نباهة مع أنها مرجع غيرها ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 59] لإلزام الحجة وقطع المعذرة واستحقاق العقوبة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [الآية 59] بالكفر والمعصية أو بتعدي بعضهم على بعض في المظلمة. وعن بعض المفسرين معناه: ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الديار حتى نبعث في أم القرى مكة رسولاً يعرض عليهم القرى ثم نهلك من أعرض عن آياتنا وقبول ضيافاتنا.

وقال الأستاذ: رسولاً يأمن التكليف بأمرهم وبأمر التكوين على ما يريد نعتهم فيبعث الرسول إنذاراً ويعمي عليهم السبل اقتداراً يوضح الحجة بحيث لا شبهة في المحجة ولكنه لا يهدي إلا من سبق له السعادة بحكم القسمة.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 60] من أسباب الدنيا وبهجتها ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ [الآية 60] ما هو إلا تمتُّع وزينة أياماً قليلة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] وهو ثوابه من الجنة ونعيمها خير في نفسه من الدنيا وما فيها لأنه نعمة خالصة ولذة شاملة وبهجة كاملة وأبقى لوجوده أبداً أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو عمرو بالغيبة وهو أبلغ في الموعظة.

قال النصرآبادي: الخلق كلهم عبدة النعم والقريب والعزيز فيهم من يعبد المنعم من قطع عن الله بأي شيء فهو مغبون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم

﴿مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ﴾ [الآية 60] خاطب به العوام وقال للخواص: و﴿ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الآية 60].

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حلوة خضرة لكنها في التحقيق مرّة نفرة قشرها يوم أنها صفو ولكن من وراء صفوها حشواً.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [الآية 61] وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ [الآية 61] مدركه لا محالة في العقبى لامتناع الخلق في وعده بالمثوبة أو العقوبة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 61] الذي هو شرب بالآلام والأسقام ممد بالمتاعب في الليالي والأيام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الآية 61] / للحساب أو العذاب. قيل: نزلت الآية في النبي ﷺ 356/ب
وأبي جهل لكن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

قال أبو عثمان: من فرح بالدنيا فرح بغير مفروح به لأن أولها بلاء وأوسطها عناء وآخرها فناء، ومن عمل للآخرة وركن إليها وسعى سعيها آتاه الله خير الدارين لا محالة وأتته الدنيا وهي راغمة.

وأفاد الأستاذ: إن الدنيا سموم حنظلها هموم عسلها وتلف ما يحصل من شربها يغلب لطف ما يظهر من إربها وليس من أكرم بوجدان نعيم عقباه كمن فني بالوقوع في جحيم دنياه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [الآية 62] أي المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 62] إنهم شركائي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 63] وجب عليهم العذاب بثبوت مقتضاه وحصول مراده وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: الآية 119] وغيره من آيات الوعيد والمراد منهم شياطينهم وسادتهم في الضلال خوفاً من أن يقول السفلة: لا ذنب لنا إنما الذنب لأصحاب الإضلال ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ [الآية 63] أي هؤلاء هم الذين ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 63] ﴿كَمَا غَوَيْنَا ۖ﴾ [الآية 63] أي فغووا غياء مثل ما غوينا وتسويلاً إليهم، أو المعنى اخترنا لهم إلا ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لهم علينا ولا مزية لهم لدينا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ﴾ [الآية 63] منهم وتبعدنا لأجلك عنهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾

[الآية 63] وإنما كانوا يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية واستحقاق العقوبة. اعترفوا بذنبهم وبما استحقوا من كسبهم وندموا حيث لا منفعة لندمهم.

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ [الآية 64] ليخلصكم من بلائكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ [الآية 64] من فرط الحيرة ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ [الآية 64] لعجزهم عن الإجابة والنصرة ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [الآية 64] لازماً بهم البتة ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 64] من الصواب لما رأوا العذاب.

وقال الأستاذ: وإنما يكون ذلك من جهة التهويل وإبطال كيد أهل التضليل وإلا فمن أين لهم الجواب فضلاً عن الصواب والذي سألهم هو الذي على ما شاء حصلهم، فما ورد فعله إلا على فعله وما ظهر ما ظهر إلا من أصله فإذا تبرأ بعضهم من بعض تبين أنه لم يكن للأصنام استحقاق العبودية ولا لأحد من النفي والإثبات بالإيجاد والإحداث ذرية أو به/ شظية 357/ أ
كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦٥ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ [الآيتان 65،66] فخفيت عليهم أنباء الأنبياء ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 66] أي وقت ذلك النداء ﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 66] لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط الدهشة والعناء.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سألهم سؤال هيبة فلا يبقى لهم تمييز ولا قوة عقل ولا مكنة جواب تستولي عليهم الحيرة ويستمكن منهم الدهشة.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ [الآية 67] من الكفر والكفران ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 67] وجمع بين الإيمان والإحسان ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ [الآية 67] في أمر الدنيا والدين وعسى تحقيق من الله على عادة الملوك الكرام وترجٍّ من التائب عن الآثام بمعنى فليتوقع أن يفلح بين الأنام وليكن بين الخوف والرجاء في ذلك المقام وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب لفعله ولا منازع لحكمه ولا مانع له من صنعه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [الآية 68] ليس لهم الاختيار في أمورهم كما أنه ليس لهم الاعتبار في ظهورهم وظاهره نفي الاختيار عنهم من أصله فإنهم

عاجزون تحت قدره فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله أولاً ومنوط ثانياً بدواع الاختيار لهم فيها أصلاً.

وفي تفسير السلمي: كيف يكون للعبد اختيار والله له المختار، ثم إذا نظروا إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم منها لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضا بها والسكون معها.

قال السيد الولي أبو الحسن الشاذلي: لا تختر وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 68] وقال الأستاذ: يخلق ما يشاء ﴿وَيَخْتَارُ﴾ [الآية 68] ما يشاء ومن يشاء من جملة ما يخلق ومن ليس إليه شيء من الخلق فما له وللاختيار والاختيار للحق استحقاق عزة يوجب أن يكون ذلك لأنه لو لم ينفذ مشيئته واختياره لم يكن بوصف العز لأن من بقي عن مراده لا يكون إلا ذليلاً فالاختيار للحق نعت عزّ وللخلق صفة نقص ونعت بلاء وقصور، فاختيار العبد عليه غير مبارك له لأن صفته هو غير مستحق لها ومن اتصف بما لا يليق به / افتضح بنفسه كما قال قائلهم: 357/ب

ومَعالٍ إذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق[1]

والطينة إذا ادعت ما هو صفة الحق أظهرت رعونتها فما للمختار والاختيار وما للمملوك والملك وما للعبد والتصدر في نعت الملوك وما للتراب ورب الأرباب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 68] تنزهاً له أن ينازعه أحد في الأقدار ويزاحم اختياره الاختيار ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 68] عن إشراكهم به ما ليس له مقدار في الاعتبار.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 69] من أحوالهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 69] من أعمالهم يستوي في علمه الإسرار والإظهار.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 70] المستحق للعبادة ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ [الآية 70] لا أحد

(1) نسب للمتنبي. انظر معجز أحمد (1/ 199)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 178).

يستحقها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 70] وحده لا شريك له ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 70] أي الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 70] أي العقبى لأن المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الأخرى كما حمدوه في الأولى لقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية 34]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية 74]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية 43] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية 70] القضاء النافذ في الأمور ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 70] بالحشر والنشور.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [الآية 71] دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 71] لا نهار فيه أبداً ﴿مَنْ إِلَٰهٌ﴾ [الآية 71] هل أحد ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] سماع نذير واستبصار في القضاء.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 72] لا ليل فيه مطلقاً ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 72] يأتيكم ﴿[يَأْتِيكُم] بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ [الآية 72] استراحة عن متاعب الانشغال مما ينافيه ﴿فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] قدرة الله وآثار مبانيه وختم الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] والثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار.

وقال الأستاذ: فمن إلٰه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إلى الله وتستريحون من أشغالكم بالخلوة مع الله إلا الله.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 73] في ليله بأصناف سكونه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 73] في نهاره بأنواع كسبه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] بعض نعمه في اختلاف خلقه.

358/أ وأفاد الأستاذ: / أن الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال والأحوال والظروف من الزمان متجانسة في الإدبار والإقبال وإنما اختلاف راجع إلى اعتبار ما يحصل فيها من الأعمال فليالي أهل الوصال سادات الليالي وليالي أهل الفراق أسوأ الليالي ثم ما أصحاب القرب لياليهم قصار وكذلك

أيامهم وأرباب الفراق لياليهم طوال وكذلك جميع أوقاتهم من ليلهم ونهارهم كما يقول القائل:

والليالي إذا نأيت طوال   وأراها إذا دنوت قصار(1)

وقال الآخر:

والليل أطول وقت حين أفقدها   والليل أقصر وقت حين ألقاها(2)

وقال الآخر:

يطول الليل لا ألقاك فيه   وحول نلتقي فيه قصير(3)

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 74] تقريع بعد تقريع لفعلهم للإشعار بأن الإشراك به أشنع عملهم، أو الأول لتقدير فساد رأيهم في مبانيهم والثاني لتحرير ضياع أمرهم بانفرادهم.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 75] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من أعمالهم وأحوالهم ﴿فَقُلْنَا﴾ [الآية 75] للأمم ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [الآية 75] حجتكم على صحة ما كنتم تدعونه من طريقتكم ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ [الآية 75] حينئذ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] في الإلهية لا يشاركه فيها سواه ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية 75] وغاب عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 75] من دينهم وصحة يقينهم.

قال بعضهم: أخرجنا من كل قوم ولياً فأطلعناه على أسرار قربنا ثم أذنا له فأظهر البرهان بناء لآية فعلم الخلق أن لا قيام لأحد بنفسه دون الحق وأمره.

وقال الأستاذ: كلا لا حجة لهم ولا جواب يفيدهم ولا شفيع يرحمهم

(1) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر مختصر تاريخ دمشق (6/ 70)، وذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).
(3) نسب إلى جميل بثينة. انظر الزهرة (1/ 22)، وزهر الأكم (1/ 216)، وأيضاً نسب إلى سليمان بن أبي دباكل. انظر سمط اللآلي (1/ 88)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 144).

ولا ناصر يعينهم اشتهرت ضلالتهم واتضح للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد وحاق بهم حجاب السرمد.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [الآية 76] كان ابن عمه وكان ممن آمن به ثم نافق في دينه ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 76] تكبّر وتجبّر وظلمهم حيث جعله فرعون رئيسهم ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ [الآية 76] من الأموال المدفونة أو المدخرة ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ [الآية 76] مفاتيح صناديقه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [الآية 76] لتنتقل بالجماعة الكثيرة ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [الآية 76] أصحاب الطاقة في تحمُّل المشقة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ [الآية 76] بالدنيا وزخرفها فإن نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها والعاقل لا يلقي باله بمالها وجمالها ولا يلتفت إلى إقبالها وانتقالها بل ينظر في عاقبة أمرها ومآلها/ فإنها كما قال: من اطلع على حالها أشد 358/ ب
الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقالاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23] من أمور دنياكم إلا ما يعينكم على زاد عقباكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [الآية 76] بزينة الدنيا وبهجتها فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يوجب حسرة كبيرة وعقوبة كثيرة.

قال سهل: من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له.

وأفاد الأستاذ: إنه جاء في القصص أن قارون كان من أعبد بني إسرائيل وكان قد اعتزل الناس وانفرد في صومعته يتعبد بالاستئناس فتصور له إبليس في صورة بشر وهيئته وأخذ في الظاهر يتعبد معه في صومعته حتى يعجب قارون من كثرة عبادته، فقال له يوماً: لسنا في شيء مستحسن لطريقتنا حيث عيوننا على أيدي الناس حتى يدفعوا إلينا شيئاً من ضرورتنا ولا بد لنا من أخذه في حاجتنا، فقال له قارون: كيف تحب أن تفعله، فقال: أن ندخل السوق يوماً في الأسبوع ونكتسب وننفق تلك القدر في جميع الأسبوع، فأجابه إليه ووافقه عليه مدة من الأيام ثم قال له: لست أنا وأنت في شيء من النظام، فقال: ما الذي تحب أن نعمل من الأحكام، فقال: نكتسب في الأسبوع يوماً للنفقة ويوماً آخر للصدقة، فأجابه إليه وتبعه فيما حكم عليه ثم

قال له: لسنا في شيء من هناك، فقال: وما ذاك، قال: إن مرضنا أو وقع شقاء لنا لا نملك قوت يوم عندنا، فقال: وما نفعل، فقال: نكتسب يوماً للنفقة ويوماً للصدقة ويوماً للذخيرة، فأجابه إليه واستمر عليه فلما علم عدوه أن حب الدنيا دخل قلبه ودّعه وقال: أنا مفارقك فدم على ما أنت عليه، فصار من أمره ومآله ما صار سبباً لقبح حاله حيث حمله حب الدنيا على جمعها وجمعها على حبها وحبها على البغي على أهلها وصار كثرة ماله شدة وباله وكم وعظ بترك الفرح بوجود الدنيا وترك المرح بالاستمتاع بها وكان عليه ألا يتعلق بما فيها، انتهى.

وقد قال بعض العارفين: من ترك حب الدنيا لا يقدر على ضلالته
359/أ جميع الشياطين ومن أحبها لا يقدر على هدايته جميع المرسلين/ ولذا قيل: حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا أساس كل عبادة ثم الدنيا والآخرة ضرتان لا تجتمعان، فقد قال ﷺ: «من أحب دنياه أضرّ بآخرته ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه»(1) فآثروا ما يبقى على ما يفنى.

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 77] أطلب لسبب ما أعطاك الله من الغنى في الدنيا ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ [الآية 77] بصرفه فيما يوجب حسن العقبى بأن تنفق في مرضاة المولى فإن المقصود من الدنيا أن تكون وصلة إلى الأخرى ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الآية 77] أي ما ينفعك في العقبى أو تأخذ منها ما يكفيك فيها أو الكفن الذي حظك منها حال انتقالك عنها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها وإنما نصيبه فيها أن يكون له فائدة منها وذلك ما لا يعقب ندامة ولا يوجب في الآخرة سلامة. ويقال: النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنفس وعلى معرفته بالقلب وعلى ذكره باللسان وعلى مشاهدته بالسر ﴿وَأَحۡسِن﴾ [الآية 77] إلى الفقراء لديك ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [الآية 77] فيما أنعم عليك. وقيل:

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 343)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك باليسر في النعمة ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 77] بارتكاب الظلم واكتساب المعصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 77] لأمور فيها صلاح الدين.

قال القاسم قوله تعالى: أحسن، أي أعرض وجهك عن الكل بالإقبال عليه كما أحسن الله إليك حيث جعلك من أهل معرفته وأحسن مجاورة معرفته بطاعته فإنه أحسن إليك حيث أنعم عليك بالإيمان وهو من أعظم نعمته وأحسن إليك أن وفقك للخدمة فأحسن القيام بواجب العبودية وإخلاص النية.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أن لله على الكافر نعم دنيوية والإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجه الطاعة والخدمة حتى يتم له المعرفة. وقيل: يقابله بالشكران دون الكفران. ويقال: الإحسان رؤية الفضل والمنة دون توهم الاستحقاق للنعمة.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [الآية 78] أي فضلت الناس بذلك العلم والحال واستوجب لأجله التفوق عليهم بالجاه والمال، وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها. وقيل: علم الكيمياء، ورده بعض العلماء بأن قال: الأعيان/ لا يقدر 359/ ب
أحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى. وقيل: علم التجارة والدهقنة[1] والعمارة.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح في مقام أنسه ولا أعيى له حالاً فتم له مالاً والسعيد من الخلق من أعمى بصره من أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل ورؤية منة الله تعالى عليه في جميع أحواله.

وأفاد الأستاذ: ما لاحظ أحد نفسه في بابه إلا هلك بإعجابه. ويقال: السم القاتل والذي يطفىء السراج المنير هو النظر إلى النفس وما لها من التدبير.

﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ﴾ [الآية 78] في العلم والحال ﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ [الآية 78] لأصناف المال فلا يدل

(1) التجارة وهي معربة. انظر لسان العرب (13/ 163).

زيادة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضا المولى ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 78] سؤال استعلام فإن الله تعالى مطلع عليها بك يُسألون سؤال توبيخ وتقريع فيما ركنوا إليها.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [الآية 79] من مراكب وملابس وخدم وحشم في خدمته. قيل: خرج على بغلته سرجها من ذهب أصفر أشهباً وعليه حلة حمراء ومعه أربعة آلاف مشارك له في السماء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 79] أي الراغبون فيها والمائلون إليها ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [الآية 79] من الجاه والمال ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 79] في المنال.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فأزين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته.

وسئل أبو عثمان: أي الزينة أجمل، قال: الأخلاق الجميلة ولو كان فوقه شيء لزين به حبيبه ﷺ ولقد قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: الآية 4].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 80] بأحوال العقبى للمتمنّين من أحوال الدنيا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ [الآية 80] زجر عما لا يرتضي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 80] أجره في الدنيا والعقبى ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 80] مما أوتي قارون بل من جميع ما في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [الآية 80] أي الكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى الحسنى المثوبة أو الجنة العليا فعلى هذا من تتمة النصيحة للسفهاء ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [الآية 80] الثابتون على الطاعة والكافرون عن المعصية والقانعون بالقسمة والمحنة. قال بعضهم: العالم بربه من يرى دوام نعماه عليه
360/ أ وتتابع/ الآية لديه وقصود شكره عن وصول أنعمه سبحانه إليه.

وقال الأستاذ: تمنى من رآه ممن كان في حب الدنيا ساواه أن يعطيه الله مثل ما كان أعطاه ومن كان صاحياً عن خمار غفلته متيقظاً بنور بصيرته قالوا: لولا أن منَّ الله علينا بأن لم ننجرّ في حبله ولم ننخرط في سلكه لوقع الهلاك بنا فالمتمنون مكانه ندموا والراضون بقسمته سبحانه سلموا، وهذا في العاجل إلى أن تظهر سعادتهم في الآجل.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 81] روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام في كل وقته وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة على أن يعطي واحداً من كل ألف فحسبه فاستكثره فقصد أن يفضح موسى بين بني إسرائيل فيرفضوه وينقادوا لقارون ويطيعوه، فبرطل بغيّة لترمي موسى بنفسها فلما كان يوم عيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى بمحصن رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت، فقال: ولو كنت أنا، قال: إن بني إسرائيل مزعمون أنك فجرت بفلانة، فأحضرت فناشدها موسى بالله لأن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فخرّ موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى ركبتيه ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع لديه في هذه الأحوال ولم يرحم موسى عليه فأوحى الله إليه: ما أَفَظَّك استرحمك مراراً فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته. ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه من ماله، فدعى الله حتى خسف بداره وأمواله. هذا وفي الحديث إنه ليتجلجل إلى يوم القيامة[1].

قال الأستاذ: وفي القصة أنه كان يخسف به كل يوم زيادة معلومة فلما حبس يونس في بطن الحوت أمر الحوت أن يطوف في البحر لئلا يضيق قلب يونس فانتهى إلى قارون فسأله قارون عن موسى وكيف حاله فأوحى الله إلى الملك أن لا يزد في خسفه لحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ [الآية 81] جماعة أعوان يميلون ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ﴾ [الآية 81]/ يدفعون عذابه لديه ﴿ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 81] 360/ ب
المتمنعين من عذابه أو المنتصرين بنفسه. والمعنى لا أحد يمنعه من عذاب ربه ولا هو يمنعه عن نفسه.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ﴾ [الآية 82] منزلته ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية 82] منذ

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 497) رقم (10459).

زمان قريب من قضيته وهو يتناول معنى الأمس مجازة وحقيقة ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية 82] وي كلمة تندُّم وتعجُّب والكاف للتعليل والمعنى تندّمنا على ما قلنا وتعجَّبنا مما غفلنا لأن الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 82] يوسع ويضيق بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لمهانة يوجب القبض ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 82] فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ [الآية 82] لأننا وددنا أن نكون مثله في الدنيا. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين أي لخسف بنا الأرض ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 82] لنعمه أو المكذبون برسله.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [الآية 83] أي نصيبها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 83] تكبُّراً على الخلق واستكباراً عن الحق ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] ظلماً يشوشون عباداً كما أراده فرعون حيث علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً وقارون فإنه بغى عليهم ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ [الآية 83] المحمودة عند الله ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 83] مآلاً يرضاه.

قال ابن عطاء: العلو النظر إلى النفس والهوى والفساد النظر إلى الدنيا.

قال حمدون: لا أحد أدون ممن تزين بدار فانية ويحمد إلى مَن لا يملك ضره ونفعه.

وأفاد الأستاذ: إن الزهَّاد لا يريدون في الأرض علواً والعارفون لا يريدون في الآخرة الجنة. ويقال: تلك الدار الآخرة للعباد والزهاد وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الافتقار والانكسار. وقيل: العلو في الدنيا أن يتوهم أن على البسيطة أحد هو شر منه والفساد أن يتحرك لحظ نفسه ونصيبه ولو بنفس وخطوة ولحظة وهذا للأكابر، وأما العوام والأصاغر فـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ [الآية 83] كعلو فرعون ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] كفساد قارون.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [الآية 84] ذاتاً وقدراً ونفعاً أو فله خير من

جهتها وبسببها/ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 84] 361/ أ
بالإصرار عليها ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] مثل أعمالهم كمية وكيفية لا زيادة عليها ولا نقصان عنها. والمثلي وأقيم مقامه الفعل مبالغة في المماثلة.

قال ابن عطاء: لا ثواب خير من الطاعة إلا الرؤية والرؤية فضل لا مثوبة فإنه يقول من أحسن آداب الخدمة في جميع الأفعال وأظهر سنن العبودية في كل الأحوال فله خير منها وهو الفضل وهو الرؤية. وقال أيضاً: معرفة الله بالوحدانية أفضل حسنة إذ لحسنته بها يكون حسنة.

وأفاد الأستاذ: أن ثواب الحسنة في التضعيف وأمر السيئة بناؤه على التخفيف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 85] أوجب عليك تلاوته وتبليغه ومتابعته ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية 85] أي مقام محمود وعدك أن يبعثك فيه في المعاد أو إلى مكة بفتحها وما يتبعها من البلاد ودخول الناس في دين الله أفواجاً من العباد ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 85] وما يستحقه من الثواب في المعاد والنصر والظفر على البلاد ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 85] عن تهيئة الزاد.

وأفاد الأستاذ: أن المعاد في الظاهر مكة وكان يقول كثيراً: الوطن فحقق الله سؤله بالإجابة وأما في السر والإشارة الذي فرض عليك قراءة القرآن والذي يسألك قراءة القرآن والذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد الوصف الذي كان عليه روحك قبل حلول سجلك من ملاذعات القرب ومطالعات الحق. وقيل: الذي نصبك بأنصاب التفرقة بالتبليغ وأنصاب الشريعة لرادك على عين الجمع بالحق بالفناء عن الخلق. ويقال: إن الذي أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك به لرادك إلى الفناء عنك بمحقك في وجود الحقيقة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 86] لكن ألقاه إليك رحمة من رب الأرباب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 86]

بمداراتهم والتحمُّل عنهم والإجابة إلى طلبتهم في سد هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما كنت تؤمل محل النبوة ومقام الرسالة وشرف
361/ب المخاطبة/ وما أظهرنا عليك من أحوال الوجد وحقائق التوحيد ودقائق
المعرفة.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 87] عن تلاوتها ومتابعتها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ [الآية 87] قراءتها ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 87] إلى معرفته وطاعته على وفق آياته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 87] حقيقة الخطاب لأهل دينه وملته.

وقال الأستاذ: ما وجدته لحكم الذوق والشهود والإدراك والوجود لا يتداخلك تهمة التجويز وسؤالات العلماء بما يدعون من أحكام العقول إذ ما يدرك في شعاع الشمس لا يحكم ببطلانه وخفائه في نور السراج.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 88] فضلاً عن أن تترك الله وتعبد ما سواه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 88] يستحق أن يُطلب رضاه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [الآية 88] إلا ذاته المقدّس عن الفناء، فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم في نعته يساعده حديث: «أشعر كلمة قالها قوم لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»(1)، ويؤيده قول بعض أرباب الشهود: سوى الله والله ما في الوجود.

وكان أبا يزيد هذا المعنى مريد بقوله: ليس في جنبي سوى الله. وكما أشار إليه بعض أصحاب الأسرار: ليس في الدار غير ديار.

والحاصل أنه ليس في نظر أرباب الشهود في جميع مراتب الوجود غير الله وصفاته ومصنوعاته، وهذا معنى قول بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو بعده باختلاف مقاماته وحالاته أو إلّا ما أريد به وجهه فإن كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل في حقه فإن في نفعه قاله مجاهد والثوري وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية 88] القضاء

---

(1) سبق تخريجه.

النافذ في الخلق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 88] للجزاء بالحق.

وأفاد الأستاذ: إن وجهه صفة من صفاته لا يستقل إلا به ففي بقاء وجهه بقاء ذاته لأن الصفة لا تقوم إلا بموجود ولا يكن هو باقياً إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له، ففي بقاء الوجه بقاء الحق بصفاته تمّ.

وقد ختم هذا الجزء الثاني الذي من تفسير القرآن/ بحمد الله وعونه 362/ أ
وحسن توفيقه والله المستعان وإليه المرجع والمآب.

وكان الفراغ من كتابته يوم الإثنين المبارك ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من شهور سنة ألفاً ومائة وتسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وحسبنا الله ونعم الوكيل

/ سورة العنكبوت 2/أ

[مكيّة]

وهي تسع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم ذكره يوجب خطوة العابدين وعداً وسماعه يوجب سلوة الواجدين نقداً اسم من ذكرهُ وصل إلى مثوبته في آجله ومن سمعه حظي بتقريبه في عاجله.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] أي أن الله أعلم بمن يستحق العلم وإلا لم مما جرى به القلم.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 2] أظنوا ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [الآية 2] على عافية بلا محنة ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] أي بقولهم آمنا ولقولهم أطعنا ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [الآية 2] لا يمتحنون بالتكاليف الشاقة كالمحاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصيبات ليتميز المخلص من المنافق والمخالف في الدين من الموافق والكاذب في الدعوى من الصادق وروي أنها موهمة في ناس من المسلمين جزعوا من أذى المشركين.

فالآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية 142] وهذا معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 3] أي ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وفيه نوع تسلية لمن ابتلي ببلية فإن البلية إذا عمت طابت ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الآية 3] أي فليتعلق علمه بسبب الامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا في دعوى العرفان

وينوط به ثواب الأولين في الجنان وعقاب الآخرين في النيران.

قال ابن عطاء: ظن أنهم يتركون مع دعاوى المحبة فلا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هو ضرب البلوى على المحب وتلذذه بالبلاء، فبلاء يلحق جسده، وبلاء يلحق قلبه، وبلاء يلحق سره، وبلاء يلحق روحه، فبلاء في الظاهر وهو الأمراض والأسقام وفي الحقيقة ضعفها عن القيام بخدمة القوي بعد مخاطبته إياه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية 56] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أحواله مع الحرمة والهيبة، وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى / من لا وصول للخلق إلا إليه، وبلاء الروح 2/ب
حصول الروح في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا مما لا طاقة لأحد فيه.

وقال عبدالعزيز المكي: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بالدعاوي وهم لا يجربون أي بالأوامر والنواهي والنعم ما قيل فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وقال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال الواسطي: هب إنك تنجو من النفس والهوى كيف تنجو من الحكم والقضاء؟

وقال الأستاذ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بمجرد الدعوى في إيمان دون المطالبة عليها بإخراجها عن أوطان الكسل وتصرفها في حسن العمل وعلى القلوب بلاء وهو مطالبتها بالطلب الواثق والفكر الصادق بتطلع البرهان على التوحيد والتحقق له بالعلم وعلى الأرواح بلاء وهو التجرد عن صحبة كل أحد وعن كل سبب والتباعد عن المساكنة بشيء من المخلوقات وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصيره مستهلكاً فيه ويقال فتنة العوام في أيام النظر والاستدلال وفتنة الخواص

في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات وأشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلّا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق فلا يدري أنه من الحق ولا يقال أنه من الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك ثم لم يخلهم من البلاء والمحن ليظهر صبرهم في البلاء أو ضده من الضجر وشكرهم في الرخاء أو ضده من الكفران والبطر وأنهم في البلاء على ضروب فمنهم من يصبر في حال البلاء ولا يشكر في حال البلاء، ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من يضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجلهم في مقام اليقين.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 4] من الأعمال الظواهر والأحوال
3/ أ السرائر ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [الآية 4] / أن يفوقونا ويعجزونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساوئهم ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 4] وبئس ما يعملون.

قال القاسم: أن يسبقونا ما كتبنا عليهم من محتوم القضاء وما قدرنا عليهم من ماضي الحكم فيهم.

وقال الأستاذ: أي يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لأنفسهم بالنجاة ساء حكمهم متى ينجو من العذاب من ألقى جلباب التقى ويقال توهموا أنه لا نشر ولا حشر ولا محاسبة ولا مطالبة ويقال اغتروا بإمهالنا اليوم إياهم وتوهموا أنهم منا انفلتوا وظنوا أنهم قد آمنوا ويقال ظنوا أنهم باجتراحهم السيئات جرى التقدير لهم بالسعادة أن يؤخروا حكمنا، كلا لا يشقى من جرت قسمتنا له بالسعادة وهيهات أن ينجو من سبق الحكم بالشقاوة.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] في دار البقاء أو الوصول إلى الجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي الوقت المضروب للقاء ﴿لَأٓتٍۚ﴾ [الآية 5] لجاء على وفق الرجاء فليبادر ما يحقق الأمل ويصدق الرجاء أو ما يستوجب القربة والرضا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 5] لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 5] بأحوال البلاد.

وفي «**تفسير السلمي**» قيل: من يرجو لقاء الله فليسأل ربّه السؤال الملح

المحتاج وليطلب منه طلب الراغب المشتاق.

وأفاد الأستاذ: أن المعني من خاف العذاب يوم الحساب فيحشر ويلقى المحشر ويجد الأمان الموعود منا لأهل الخوف اليوم ومن أمل الثواب يوم البعث فسوف أن يرى ثواب ما أسلفه من العمل ومن زجّ عمره في رجاء لقائنا فسوف يباح له النظر إلينا وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة لدينا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بحنين المحبين الوالهين.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ [الآية 6] نفسه بالصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [الآية 6] لأن منفعته لها لا يتعداها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 6] فلا حاجة به إلى طاعتهم وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لمنفعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصلها ومن أساء فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة حدّه اكتسبها ويقال ثواب المطيعين إليهم مصروف وعذاب العاصين عليهم موقوف/ والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق 3/ ب
زين ولا يمسه من الشقاق شين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 7] بالمغيبات ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 7] بارتكاب المأمورات واجتناب المنهيات ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الآية 7] السابقة بالطاعات اللاحقة فالكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من العبادات ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 7] أحسن جزاء أعمالهم على وفق ما جرى في أحوالهم.

وقال الأستاذ: إن من رفع إلينا خطوة نال منّا كلّ خطوة ومن ترك فينا شهوة وجد منا ألف صفوة فنصيبهم من الخيرات موفور وما يصيبهم من الزلات مغفور بذلك أجرينا سنتنا وهو متناول حكمنا وقضيتنا.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ [الآية 8] أمرناه بإتيانه إليهما فعلا ذا حسن وقرئ حسناً وإحساناً ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ [الآية 8] دليل ميدان البرهان أيها الإنسان ﴿لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ [الآية 8] وعبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه

وانتفى برهانه ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [الآية 8] في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 8] مرجع من آمن ومن أشرك ومن برّ بوالديه ومن عق منكم ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] بالجزاء عليه من الثواب أو العقاب والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الشمس ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتدّ ولبثت ثلاثة أيام كذلك فلم يطعها سعد بل قال: والله لو كان مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم نفساً.

وأفاد الأستاذ: إن الله تعالى أمر العباد برعاية حق الوالدين تنبيهاً على عظم حق التربية وإن كان تربية المخلوق وهي وإن خسّت فإلى حدّ توجب رعايتها بحكم الكريم فما الظن برعاية حق الله تعالى من الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد ثم قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ﴾ [الآية 8] بالله فإياك أن تطعهما ولكن رد بلطف وخلاف برفق، ويقال: من
4/ أ لم يصلح لحفظ حق من هو من جنسه أنّى يصلح / لبساط صحبة سيده.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾ [الآية 9] في جملة الأنبياء والأصفياء فالكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين حيث دعوا بقولهم الحقنا بالصالحين.

وقال الأستاذ: أي لنلحقنهم الذين أصلحوا من قبلهم فإن المعهود من سنتنا إلحاق الشكل بشكله وإخراجكم المثل على مثله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [الآية 10] وتركنا ما سواه ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] بأن عذبه الكفرة لأجل الإيمان بالله ومتابعة رضاه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 10] ما يصيبه من أذيتهم بسبب صرفه عن الإيمان إلى طريقتهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] أي في الصرف عن الكفر وموافقة هواه ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 10] فتح وغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 10] في الدين فأشركونا فيه فإنا من المؤمنين المجاهدين كما هو دأب المنافقين ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 10] من الإخلاص في الإيمان والنفاق في الدين.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 11] بقلوبهم مخلصين ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 11] فيجازي الفريقين بأعمالهم على حسب أحوالهم والعبرة بسرائرهم لا بظواهرهم قال بعض العارفين ليس الإيمان ما يتزين به العبد من الأقوال والأفعال ولكن الإيمان ما جرى به السعادة في سوابق الأزل وإنما ظهورها على الهياكل ربما يكون عواري وربما يكون حقائق.

وأفاد الأستاذ: أن المحن تظهر جواهر الرجال وهي تدل على قيمهم وأقدارهم في الأحوال فقدره وقيمته يظهر في محنته فمن كانت محنته من فوات الدنيا ونقصان نصيبه منها أو كانت محنته بموت قريب من الناس أو بفوت حبيب من الخلق فحقير قدره وكثير في الناس مثله ومن كانت محنته في الله ولله فعزيز قدره وقليل من كان مثله فهم في العدد قليل ولكن في القدر والخطر جليل وبقدر الوقوف في البلاء يظهر جواهر الرجال وفطرتهم ويصفوا عن الحنث نقرتهم والمؤمن من يكن الأذى / والولي من يتحمل عن الخلق 4/ ب
الأذى ويتشرب ولا يترشح بشكوى ولا إظهار دعوى كالأرض يلقي عليها كل خبث وقذره فتنبت كل نزهة وكل خضرة قال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الآية 11].

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ [الآية 12] الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [الآية 12] إن كان ذاك خطبه أو إن كان بعث ومؤاخذة ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم﴾ [الآية 12] أي خطايا غيرهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 12] أي شيء بناءً على زعمهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 12] في دعواهم.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ [الآية 13] أوزار ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [الآية 13] وأوزار أخر مع أوزارهم لما تسببوا إليها بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شيء من الوبال ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 13] سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 13] من الأباطيل التي أضلوا بها أتباعهم فيها.

قال أبو عثمان: ما أرى هذه الآية إلا في المدعين من غير حقيقة في حالهم يحملون أثقالهم وأثقال من يقتدي بهم في دعاويهم.

وقال أبو بكر الوراق: هم أعوان الظلمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ضمنوا بما لم يفوا وأخلفوا فيما وعدوا فما حملوا عنهم من خطاياهم شيئاً كما زعموا بل زاد وابل على نفوسهم احتقبوا وزرَ ما عملوا وطولبوا بوزر ما أمروا فيضاعف عليهم العقوبة ولم يصل من جهتهم إلى أخذ شيء من الراحة وما مواعيدهم إلا مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[1] وسيلحق بهؤلاء وأصحاب الدعاوى والمتشبهين بأصحاب الحقائق وأرباب الدقائق:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: الآية 64] هيهات هيهات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 14] يدعوهم إلى توحيد ربه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [الآية 14] بعد مبعثه إذ روي أنه بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطرفان ستين وفي القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيه على ما يكابد من الكفرة والمشركين ﴿فَأَخَذَهُمُ
5/ أ ٱلطُّوفَانُ/ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [الآية 14] أنفسهم بمخالفة الدين.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾ [الآية 15] أي نوحاً ﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [الآية 15] من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا﴾ [الآية 15] أي السفينة أو القضية ﴿ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية 15] يتعظون بها ويستدلون بها.

(1) عرقوب: هو رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال: إذا طلع النخل فلك طلعها. فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير زهراً ثم رطباً ثم تمراً. فلما أثمرت عمد إليها في الليل ولم يعط أخاه شيئاً منها فصار مثلاً في الخلق، وفيه يقول الأشجعي الشاعر:

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١/ ١٨٦) رقم (٨٥٩).

وقال الأستاذ: ما زادهم طول مقامه إلا شكاً في أمره وجهلاً بقدره ومرية في صدقه وريبة في حكمه ولم يزدد نوح عليه السلام لهم إلا نصحاً وذكراً ولا في الله إلا صبراً وشكراً ولقد عرفه الله إنه لن تؤمن منهم إلا الشرذمة(1) اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا وأمره باتخاذ السفينة وغرق الكفار وما غادر منهم أحد وصدق وعده ونصر عبده ولا يبدل بنصرة دينه قط ستة أي ولو بعد ألف سنة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 16] أي أرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية 16] أي مخالفته أو عقوبته ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 16] مما أنتم عليه من أمركم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 16] خيركم من شركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر ذكر إبراهيم عليه السلام في هذه القصة وكيف أقام على قومه الحجة وأرشدهم إلى سواء الحجة ولكنهم أصروا على ما جحدوا وتعصبوا لما من الأصنام عبدوا وكادوا لإبراهيم كيداً ولكن انقلب ذلك عليهم من الله مكراً بهم واستدراجاً لهم ولم ينجع فيهم نصحه ولا وجد منهم مساغاً وعظة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [الآية 17] أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [الآية 17] تكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاءً أن لها عند الله شفاعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] زوراً وإفكاً ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية 17] كله فإنه المالك له ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] بالإيمان ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [الآية 17] بالإحسان ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 17] ومنه ترجون.

قال سهل: اطلبوا الرزق بالتوكل على الرب قال سبيل العوام طلب من الكسب.

وقال الأستاذ: لا يدري أعمالكم في عبادتكم إياها أقبح أوسخ أم أقوالكم فيما تزعمون من الكذب أوبخ إنما تعبدون من هذه الجمادات لا نفع تملك ولا ضر

(1) الشرذمة: القليل من الناس. انظر لسان العرب (12/ 322) مادة شرذم.

ولا خير تقدر عليه ولا شر ولا تملك أن ترزقكم فإنه فعل من يخلقكم وفيه تنبيه على
5/ ب أنهم لم يكونوا خالين عن ملاحظ الحظوظ / وطلب الرزق فقال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية 17] ثم قال: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] لأن ابتغاء الرزق من الله بأدائه الصلاة في رضاه فإن الصلاة، استفتاح باب الرزق لأصناف الخلق قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طٰه: الآية 132] لكل إنسان رزقه نحن نرزقك ويقال: ابتغاء الرزق بشهود موضع الفاقة فعند ذلك يتوجه بالرغبة إلى الله تعالى في استجلاب النفقة وقدم ابتغاء الرزق على العبادة لأنه لا يمكن القيام بالعبادة إلا بعد الكفاية فبالقوة يمكنه أداء العبادة وبالرزق يجد القوة ولقد قالوا:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه فمكروه ما يلقى يكون جزاؤه

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ حيث كفاكم أمر الرزق حتى تفرغتم إلى عبادة الحق.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ [الآية 18] أي وأن تكذبوني فيما أقول لكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 18] من قبلي من الرسل إليهم فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث سبب لنزول العذاب بهم فكذا لا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 18] الذي زال معه الشك في الدين وما عليه أن يصدق ولا يكذب بعد وضوح طريق اليقين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالخطاب أي أو لم ينظروا أوَلَم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية 19] ينشئهم من مادة وغيرها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [الآية 19] أي يعيد الخلق إلى مبدئه من الفناء بموته وقيل إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يُبدئ فإن الرؤية عن واقعة عليه ولو علميه ولا يبعد أن يكون رؤية الإبداء حقيقة بصرية ورؤية الإعادة حكمية نظرية فإن من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الأخرى وجوز أن يكون الإعادة والإنشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة عن الأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] ما ذكر من أمر الإنشاء والإعادة ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 19] لأنه على كل شيء قدير.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي سفراً آفاقياً أو سيراً نفسياً ﴿فَٱنظُرُواْ

﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية 20] على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألوانهم وأحوالهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ/ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الآية 20] بعد النشأة الأولى التي هي 6/ أ الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلًّا اختراع وابتداع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 20] فمن عرف بالقدرة على الإبداء يحكم له بالقدرة على إعادة الإنشاء والإيجاد بعد الإفناء لأنه قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على السواء.

وأفاد الأستاذ: أن الذي داخلهم فيه الشك كان بعث الخلق في القيامة فاحتج عليهم بما أراهم من إعادة فصول السنة فكما أن ذلك شائع في عادته سائغ في قدرته عن مستنكر في مشيئته فكذلك بعث الخلق وإعادته فكما تكرر فصول السنة تكرر أحوال العامة المشتركة بين الكافة والخاصة من استيلاء شهوات النفوس واللهوات ثم زوالها إلى موالاة الطاعات ثم حصول الفترة والعود إلى مثل تلك الحالة ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة ثم كذلك يكرر عليهم الأحوال باختلاف الأعمال وكذلك أرباب القلوب بتعاقب أحوالهم في الفيض والبسط ثم في الهيئة والأنس ثم في التجلي والسر ثم في البقاء والفناء وكذلك في المحو والصحو ونحوهما وفي معنى تكرير الأحوال أنشدوا هذا المثال:

كل نهر فيه ماءٌ قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود(1)

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] عقوبته ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 21] رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [الآية 21] وإلى حكمه وفق مشيئته ترجعون قيل يعذب من يشاء بالمعصية ويرحم من يشاء بالطاعة وقيل يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من يشاء بالقناعة وقيل يعذب من يشاء بسوء الخلق ويرحم من يشاء بحسن الخلق وقيل يعذب من يشاء بالإعراض عنه ويرحم من يشاء بالإقبال عليه وقيل يعذب من يشاء بأن يبغضه إلى الخلق ويرحم من يشاء بأن يحببه إلى الخلق وقيل يعذب من يشاء باختلاط الخلق ويرحم من يشاء بالإنس بالحق.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98).

6/ب وأفاد الأستاذ: أن أجناس ما يعذِّب به عباده/ وأنواع ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر بها فمن ذلك أنه يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بتوفيق الإحسان ويعذب من يشاء بالكفران ويرحم من يشاء بالإيمان ويعذب من يشاء بالجحود والعنود ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود ويعذب من بتفرقة الهم ويرحم من يشاء بجمعية الحلم ويعذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التقدير ويعذب من يشاء بالاختيار من نفسه ويرحم من يشاء برضاء بحكم ربه ويعذب من يشاء بحب الدنيا ويمنعها عنه ويرحم من يشاء بزهده فيها وبسطها عليه ويعذب من يشاء بأن يثبته في أوطان العادة ويرحم من يشاء بأن يقيمه لأداء العبادة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الآية 22] بفائتين لربكم عن إدراككم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22]إن فررتم من قضائه بالتواري فيها أو الهبوط في مهاويها ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 22] أي التحصن بها أو القلاع الذاهبة إليها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [الآية 22] يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض فيرفعه منكم أو ينزل من السماء فيدفعه عنكم.

وقال الأستاذ: بل يقلب الجملة في القبضة ويجري عليهم أحكام التقدير وفق القسمة وطبق المشيئة جحدوا أم وحدوا أقبلوا أم أعرضوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] بكتبه أو دلائل وحدانيته ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ [الآية 23] بالبعث وإعادته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ [الآية 23] في الدنيا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 23] في العقبى وفي الحقيقة وقعوا في عقوبته حيث أيسوا من رحمته.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [الآية 24] أي بعضهم لبعض في أمر إبراهيم وحكمه ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ [الآية 24] كان كل منهما قول بعضهم إلا أنه لما قيل بينهم ورضي به الباقون منهم أسند كل إلى كلهم ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 24] فاتفق رأيهم على إلقائه فيها فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً عنها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 24] في إنجائه ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ [الآية 24] دلالات

هي حفظه من أذاها وإخمادها مع عظمها في يسير من زمانها وإنشاء روض في مكانها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 24] لأنهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها والاتعاظ بها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية 25] لتتوادوا / 7/أ
فيما بينكم في طاعتها وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم وابن كثير وأبو عمرو والكسائي مرفوعة مضافة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة والجملة صفة أوثاناً وما كافة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 25] يقوم التناكر والتلاعن بينكم ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ [الآية 25] مقيمين ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الآية 25] يخلصونكم منها ولا يخففونها.

قال الأستاذ: لما عجزوا عن جوابه بالحجة ولم يساعدهم التوفيق بالإجابة أخذوا في معارضته بالتهديد والوعيد والسفاهة والله تعالى صرف عنه مكرهم وكفاه شرهم وأظهر للكافة عجزهم وأخبر عما يلحقهم في ما لهم من استحقاق اللعن والطرد وفنون الهوان والخزي في أحوالهم.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [الآية 26] وهو ابن أخيه هارون أول من آمن به ﴿وَقَالَ﴾ [الآية 26] إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ [الآية 26] من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 26] إلى حيث أمرني ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 26] الذي يمنعني من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 26] الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاح شأني روي أنه هاجر مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه من كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

قال ابن عطاء: أي راجع من جميع مالي فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه الإقبال عليه.

وأفاد الأستاذ: أن الهجرة إلى الله لا تصح إلا بالتبري بالكمال بالقلب عن غير الله والهجرة بالنفس يسير بالإضافة إلى الهجرة بالقلب وهي هجرة الخواص وهو الخروج عن أوطان التفرقة إلى ساحات الجمعية والجمع بين

التفرع في أوطان التفرقة والكون في مشاهد الجمع متناف في طريقة الحقيقة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 27] ولداً أو نافلة حين أيس من الولادة ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 27] فكثر فهم الأنبياء ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 27] يريد به الجنس لتناول الكتب الأربعة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ [الآية 27] على هجرته إلينا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 27] بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية الطيبة
7/ب واستمرار النبوة وأهل الملك إليه وجزيل الثناء إلي آخر الدهر عليه/ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 27] لفي عداد الكاملين في صلاح الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام لما لم يجب قومه وبذل لهم النصح ولم يدخر عنهم شيئاً من الشفقة حقق الله مراده في نسله ووهب له أولاده وبارك فيهم واستصلحهم للخيرات والمبرات حتى صلحت أعمالهم للقبول وأحوالهم للإقبال ونفوسهم للقيام بعبادته وأسرارهم لمشاهدته وقلوبهم لمعرفته وإنه في الآخرة لمن الصالحين للدنو والزلفة والتخصيص بالقربة.

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية 28] وأرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 28] وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص أإنكم ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الآية 28] لِلغفلة البالغة في القيامة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 80] على هذه الوقاحة.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ [الآية 29] اتفق فيها على الاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [الآية 29] في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 29] بأخذ أموال المارة في أسفارهم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ [الآية 29] أي مجالسكم المملوءة من أجناسكم المنكر أي أصناف ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ [الآية 29] شرعاً وطبعاً كالجماع والضراط وحل الإزار أو رمي الحصا بالأصابع وخذف البنادق وتطريف الأصابع بالحناء واللعب بالحمام والسواك في المجالس وغيرها من القبائح مع عدم مبالاة بها.

قال القاسم: المنكر فترك حرمة الأكابر وسئل جنيد عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع عليه الناس إلا الذكر فإنه منكر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لامهم على خصلتهم الشنعاء وما كانوا

يتعاطونه على الله من الاجتراء وما يضيعونه من المعروف ويأتونه من المنكر الذي من جملته تخلية الفساق مع فسقهم وترك القبض على أيديهم وقلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبائح أعمالهم من ذلك ترك احترام الشيوخ والأكابر ومنها التسويف في التوبة ومنها التفاخر بالزلة ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 29] في دعوى النبوة وفي استقباح هذه الغفلة.

قال الأستاذ: فما كان من جوابهم إلا استعجال العقوبة فحل بهم من ذلك ما أهلكهم وأهلك من شاركهم في القضية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ [الآية 30] بإنزال العقوبة ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ/ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 30] 8/ أ
بابتداع الفاحشة.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الآية 31] بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية 31] أي سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] بإصرارهم وتماديهم في إنكارهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [الآية 32] وهو ممن لم يظلم فيها ﴿قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [الآية 32] ممن ظالمها وسالمها ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ [الآية 32] وقرأ حمزة والكسائي بتخفيفه ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [الآية 32] بإخراجهم عنها ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية 32] الباقين في العقوبة أو القرية.

وقال الأستاذ: التبس على إبراهيم عليه السلام أمرهم فظنهم أضياف فتكلف لهم تقديم العجل الحنيذ عندهم جرياً على سنته في إكرام الضيف فلما أخبروه مقصودهم من إهلاك قوم لوط تكلم في باب لوط إلا أن قالوا إنا منجوه وكان ذلك دليلاً على أن الله تعالى لو أراد إهلاك لوط وإن كان بريئاً لم يكن ظلماً أو لو كان ذلك قبيحاً لما كان إبراهيم عليه السلام مع وفارة علمه يشكل عليه حتى كان يجادل عنه بل لله أن يعذِّب مَن يعذب ويعافي مَن يعافي.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [الآية 33] جاءته المساءة بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء فيهم وأن صلة على عادة العرب في كلامهم

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 33] ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته ﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية 33] عطف على مقدر أي فقالوا إنا رسل ربك وقالوا ﴿لَا تَخَفْ﴾ [الآية 33] علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [الآية 33] على تمكينهم منا ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الآية 33] أي الباقين عن خدمتك الغائبين عن حضرتك.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ [الآية 34] وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية 34] بسبب فسقهم من الكفر والمعصية وخروجهم عن الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه لما رآهم لوط ضاق بهم قلبه لأنه لم يعلم أن ملائكة فخاف عليهم من فساد قومه فكان ضيق قلبه لأجل ربه فأخبروه بأنهم ملائكة وأنهم لا يصلون إليهم فعند ذلك سكن قلبه واتسع صدره ويقال أقرب ما
8/ب يكون العبد في البلاء من الفرج إذا اشتد عليه البلاء فعند/ ذلك يكون وقت زوال البلاء لأنه يصير مضطراً والله وعد المضطرين [وشيك][1] الإجابة كذلك لوط في هذه الليلة لما سيء بهم لم يلبث أن وجد الخلاص منهم.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ [الآية 35] أي حكايتها الشائعة أي آثار الديار الخربة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 35] يستعملون عقولهم في الموعظة والعبرة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 36] وأرسلنا إليهم ﴿فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الآية 36] أي توقعوا لقاءه أو خافوا عقابه ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 36] لا تفسدوا فيها على قصد فسادها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الآية 37] الزلة الشديدة أو الصيحة القوية لأن القلوب ترجف لهولها وتضطرب لأجلها ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾ [الآية 37] في بلدهم ﴿جَـٰثِمِينَ﴾ [الآية 37] باركين على ركبهم ميتين جامدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ [الآية 38] اذكرهما وقرأ حمزة وحفص وثمود غير

(1) كلمة غير واضحة وربما ملغاة.

منصرف على تأويل القبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ﴾ [الآية 38] وقد ظهر لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم عليها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 38] وسول آمالهم وحسن أحوالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 38] فمنعهم عن السبيل الذي بينه الرسل لهم ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [الآية 38] متمكنين من النظر والاستبصار في أمرهم ولكنهم لم يفعلوا حيث لم يوفقوا لكونهم متعجبين برأيهم.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ [الآية 39] أي أذكرهم وقدم قارون بشرف نسبه أو لقبح كسبه ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 39] بالمعجزات الواضحات ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 39] فتكبروا وتجبروا على أهلها ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ [الآية 39] فائتين أمرنا بل أدركهم هلاكنا وقهرنا.

﴿فَكُلًّا﴾ [الآية 40] من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ [الآية 40] عاقبناه بكسبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [الآية 40] ريحاً صرصراً تحمل الحصبا فتلقيها عليهم وتقلعهم من محلهم وتنكسهم على رؤوسهم فتشرحهم كأنهم إعجاز نخل خاوية وهم قوم عاد وقيل ريحاً عاصفاً فيها حصباً تنزل كالمطر عليهم وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الآية 40] كمدين وثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 40] كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ﴾ [الآية 40] / كقوم نوح 9/ أ
وفرعون وقوم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت:الآية 40] فيما فعله بهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 40] فاستحقوا عقاب ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة أهل مدين وعاد وثمود وفرعون وكلهم نسج بعضهم على منوال بعضهم وسلك مسلكهم ولم يقبلوا النصح ولم يبالوا بمخالفة رسلهم، فأهلكهم الله بأجمعهم لسنته في نصرة الضعفاء وقهر الظالمين عليهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 41] يتكلمون إليهم ويعتمدون عليهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾ [الآية 41] لديه يستند إليه بل ذاك أضعف فإن لهذا هيئة حقيقة وانتفاعاً صورة ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ

﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [الآية 41] لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذه الهوام لا يدفع حراً ولا برداً ولا يحجب عن أعين الأنام ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] لعلموا أن هذا مثلهم.

وفي «**تفسير السلمي**» من اعتمد على شيء سوى الله فهو هباءً لا حاصل له في دنياه ولا في عقباه.

وأفاد الأستاذ: أن العنكبوت تتخذ بيتاً لنفسه ولكن كلما زاد على نسجه ازداد بعداً من الخروج من بيته فهو يبني ولكن على نفسه يبني كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية 42] وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة أي يعلم أي شيء تعبدونه وفي الالتجاء تعتمدونه فيجازيكم به ويعاقبكم بسببه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 42] القادر القاهر ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 42] البالغ في العلم الغاية وإتقان الفعل النهاية.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] نبينها لما بعد من أفهامهم من الأحوال ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ [الآية 43] ولا يفهمها ولا يدرك حسنها ونفعها ﴿إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [الآية 43] وقد روي محيي السنة إنه عليه السلام تلا هذه الآية فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وأفاد الأستاذ: أن الكل يشتركون في سماع الأمثال ولكن لا يصغي إليها نفور القلب من المعاني لا كنود الحال مقعود الكسل معرج في أوطان الفشل.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 44] محقاً غير قاصد به باطل فإن
9/ب المقصود بالذات من خلقهما هو الدلالة/ على ذاته وصفاته لأهلها كما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [الآية 44] أي الخلق بالحق ﴿لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 44] أي المنتفعين.

وقال الأستاذ: خلق الله السموات والأرض بالحق أي بالقول الحق والحكم الحق والأمر الحق.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الآية 45] اقرأه واتبعه تقرباً إلى الله فيه وتحفظاً لمبانيه واستكشافاً لمعانيه واستمر على ذلك ليظهر لك ظهره وبطنه هنالك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 45] في الأوقات مع مراعاة سائر الحالات ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 45] الكاملة أو المقبولة ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 45] بأن يكون مسبباً للانتهاء عن المعاصي كبيرها وصغيرها حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه لصاحبها أو المعني أن مواظبتها تحمل على الانتهاء عن حظ النفس ومتابعتها وفي الحديث: «مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً»[1] رواه الإمام أحمد أو مراعاتها تجر إلى الانتهاء في غاياتها ففي الحديث قيل له عليه السلام إن فلاناً يصلي بالليل فإذا صح سرق قال: سينهاه ما يقول رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن جرير[2]. وروي أن فتى من الأنصار وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: أن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلح حاله فقال صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم»[3].

وهذا قول أكثر السلف فينبغي أن يكون عليه الخلف.

وفي «**تفسير السلمي**» أي تمام الصلاة ترك الفحشاء والمنكر.

وقال ابن عطاء: بركات الصلاة تذهب بعقاب الفحشاء.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن الفحشاء فإن كانت وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها والفحشاء الدنيا والمنكر النفس ويقال الفحشاء المعاصي والمنكر الحظوظ ويقال: الفحشاء رؤية الأعمال والمنكر

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 54) رقم (11025)، والقضاعي في مسند الشهاب (1/ 305) رقم (345)، والسيوطي في جامع الأحاديث (21/ 398) رقم (23826).

(2) أخرجه أحمد في المسند (2/ 447) رقم (9777).

(3) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 45، 46) رقم (954).

حسبان النجاة بها وقيل: ملاحظة الأعراض عليها والسرور والفرح بمدح
10/أ الناس بها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 45] أي أعظم وأفضل من كل شيء / فالصلاة لما كانت مشتملة على أنواع من الأذكار يكون أكبر من غيرها من الطاعات ولهذا تسمي أم العبادات وأساس الخيرات وناهية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وهذا منقول عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن عطاء: ذِكْرُ الله لكم أكبر من ذِكْركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل من الأغراض والأعراض وقال أيضاً: ذكر الله أكبر من أن يبقي على ذاكره شيء سوى مذكوره.

وأفاد الأستاذ: إن ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين لأن ذكر الله قديم وذكر الخلق حادث ويقال: ذكر العبد أكبر من ذكره الأشياء آخر لأن ذكره طاعة وذكر غيره ليس بطاعة ويقال: لذكر الله أكبر إذا تجرد عن عوض من ذكر لعوض من خوف عقوبة أو نيل مثوبة ويقال: لذكر الله لك أكبر من ذكرك لك ويقال: ذكره لك بالعادة أكبر من ذكرك له بالسعادة ويقال: ولذكر الله أكبر من أن يعرف قدره أو أكبر من أن يعرضه غيره ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقي للذاكر معه أن يذكر غيره أو يبقي للعبد معلوماً أو مرسوماً له ويقال: لذكر الله أكبر من أن يبقي معه الفحشاء والمنكر سلطان وشركه بل لحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة وعيوبه مستورة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [الآية 45] منه ومن الصلاة وسائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ويعفو عن السيئات.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ [الآية 46] بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 46] كمعارضة الخشونة بالملاينة والغضب بالكظم والملائمة والمشاغبة بالنصيحة وهو لا ينافي المقاتلة فإنها آخر الدواء في معاملة المقابلة كما يشير إليه قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 46] بالإفراط في اعتدائهم وعنادهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 46] وعنه صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله

فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم/ أو لا تصدقوهم ولا 10/ب
تكذبوهم فيما لم تعرفوا صدقهم وكذبهم لاحتمال كونهم صادقين أو كاذبين ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 46] خاصة له مطيعون بخلافكم وحيث ما تؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن مجادلتهم بالتي هي أحسن أن يكون منك للخصم تمكين وفي خطابك تبيين وفي قبول الحق إنصاف وتحسين واعتقاد النصرة لمن رآه صحيحاً بالحجة وترك الميل إلى شيء بالنسق والهوادة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 47] أي القرآن وحياً مصدقاً لسائر ما أنزل من هذا الباب ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية 47] أي التوراة والإنجيل ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 47] كعبدالله بن سلام وأضرابه ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية 47] من العرب وأهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [الآية 47].

قال الأستاذ: يعني أنهم على أنواع في القسمة فمرحوم نظرنا إليه بالعناية كما سبقت له السعادة ومحروم وسمناه بكي الشقاوة ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 47] مع ظهورها ونظام نورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 47] المتوغلون في الكفر والمشغولون عن التأمل والفكر كما يشير إليه قوله:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [الآية 48] في باب فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع المعرفة على أمي لم يعرف بالقراءة والكتابة خارق للعادة ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 48] أي لو كنت ممن تقرأ أو تكتب فقالوا تعلمه أو التقطه مما كتبه الأقدمون وسماهم مبطلين لظهوره بطلانهم حينئذ أيضاً فإن جميع الكتبة والقراء الخطباء والشعراء والفصحاء والبلغاء عن عجزوا عن المعارضة بأقصر سورة من سور القرآن المبين.

وقال الأستاذ: تجرد قلبك عن المعلومات وتقدس سرك عن المرسومات فصادفك من الآيات من غير ممازجة طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية فلما خلا سرك وقلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا وتفهيمنا غير مقرون به ما ليس منا.

﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآيـة 49] أي الـقـرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [الآيـة 49] واضـحـة الـدلالات لـكـونـهـا مـن الـمـعـجـزات ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآيـة 49]
11/أ بحفظه/ لمبانيه ومعانيه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه بما ينافيه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 49] المعاندون حين لم يعتدوا بها بعد وضوح دلائل إعجازها.

وأفاد الأستاذ: أن قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها أودع براهين حقه وبينات سره ودلائل وحدانيته وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وخزائن الأسرار صدرهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحله فالدر يطلب من الصدق لأن ذلك مسكنه والشمس تطلب من البروج لأنها مطلعه والشهد من النحل لأنه عشه كذلك المعرفة وصف الحق تطلب من قلوب خاصته لأنها قانون معرفته .

ومنها ترفع توحيده وفردانيته وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 50] كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 50] ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه منها ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 50] لوجه الإنذار بالعقوبة للكفار والفجار.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [الآية 51] آية مغنية عن آياتهم المقترحة ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 51] تدوم تلاوته وتستمر معجزته فلا يزال معهم آية ثابتة وحجة ثابتة بخلاف سائر الآيات وبقية المعجزات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 51] الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبنية ﴿لَرَحْمَةً﴾ [الآية 51] لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 51] وموعظة جسيمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 51] لها وينتفعون بما فيها.

وروي أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض من التوراة فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيّهم إلى ما جاء به غير نبيّهم

فنزلت[1]. وفي رواية قال: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[2].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية 52] بصدقي بالمعجزات أو تبليغي بالرسالة ومقابلتكم إياي بالتكذيب والمعاندات ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 52] في العلويات والسفليات فلا يخفى عليه ما جرى بيننا من الحالات/ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 52] وهو ما بعيد من دون الله وما 11/ب
يدعى مما سواه مما ليس تحته الطائل ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 52] بذاته وصفته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية 52] فمن خسر في صفقته حيث اختار طريق ضلالته.

وقال الأستاذ: خفي عليهم علو حاجتك فطالبوك بإقامة الشواهد على رسالتك أو لم يكفهم ما أوضحنا عليك من السبيل وألحق لك من الدليل يتلى عليهم ذلك ولم يمكنهم معارضته هنالك هذا هو غاية الجحود ونهاية الكنود.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 53] قبل يوم الحساب ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 53] لكل عذاب في كل باب ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 53] عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ [الآية 53] آجلاً ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 53] فجأة في الدنيا كوقعة بدر ونحوها أو في الأخرى عند سكرات الموت وأحوالها أو في مواقف القيامة وأهوالها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 53] بإتيانها في أي مجالها.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية 54] أي كالمحيطة بهم الآن لإحاطة الكفر والعصيان التي توجب لهم النيران.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [الآية 55] أي من قرنهم إلى قدمهم والمواد من جميع جوانبهم ﴿وَيَقُولُ﴾ [الآية 55] أي الله أو ملائكته وقرأ

(1) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (5/ 234)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (7/ 44)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 320).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 199) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/ 102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (3/ 338) رقم (14672)، وأبو شيبة في المصنف (5/ 312) رقم (26421).

ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 55] أي جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أحاط بهم سرادقات[1] العذاب في جهنم فلا صريخ لهم كذلك اليوم من أحاط به العذاب من فوقه اللعن ومن تحته الخسف ومن جهاله الخزي ويلبس لباس الخذلان ويوسم بكي الحرمان ويسقى شراب القنوط ومتوج بتاج الخيبة ويقيد بقيد السخط ويغل بغل العداوة وهم يسحبون في جهنم الغراق حكماً إلى أن يلقوا في جهنم الاحتراق عيناً.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] أي إن لم يخلصوا العبادة لي في مكان منها فأخلصوها في غيره.

قال سهل: إذا عمل المعاصي والبدع في أرض فأخرجوا منها إلى أرض المطيعين بها وسئل ابن مالك عن العبودية/ فقال: إذا صحت العبودية لله 12/ أ
صحت الحرية عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا أوسع في الشأن من أن يضيق لمريد مع مزيد المكان فإذا نبا به منزل لوجه من الوجوه الصادّ له عن سبيله إما لمعلوم حصل أو القبول بين الناس وجاه أو العلاقة أو قريب أو لبلاء ضد فطريقه أن يرحل عن موضعه وينتقل إلى غيره كما قالوا:

وإذا ما جفيت كنت حريّاً أن أُرى غيرَ مُصبحٍ حيث أُمسي

وكذلك العارف إذا لم يوافق وقته مكاناً انتقل إلى غيره من الأماكن لإصلاح ما به من الشأن.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية 57] تناله لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 57] للخبر بالمثوبة أو العقوبة ومن كان هذا عاقبته فينبغي أن يجتهد في استحسان حالته وقرأ أبو بكر بالغيبة.

---

(1) كل ما أحاط بشيء، وهو صفة النار. انظر لسان العرب (10/ 157).

وقال الأستاذ: إذا كان الأمر كذلك فالراحة معطوفة على تهوين الأمور هنالك فسبيل المؤمن أن يوطن نفسه على مفارقة روحه مستعداً له في كل نفسه إبقاء لروحه ثم إذا لم يحضر الأجل فلا يستعجل وإذا حضر فلا يستثقل وليكن بحكم الوقت كما قالوا:

ولو قال لي: مت مت طوعاً وحسبة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

قلت: وفي الحديث: لا يتمنين أحدكم الموت فإن كان لا بدّ فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر[1].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ [الآية 58] لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي لنبوئنهم أي لنقيمنهم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [الآية 58] علا لي في القدر والمقدار ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أن اليوم في غرف معارفهم على أسرة وصلهم متوجين بتيجان سيادتهم يسقون كاسات الوجد ويلقون في جنات القرب وعداً كما قال الرب.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [الآية 59] على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من محن المهاجرين والمجتهدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 59] وإلى مرضاته يتوسلون قبل الصبر المقام مع البلاء والمحنة كالمقام مع الرخاء والعافية وسئل
12/ ب الخراز عن / التوكل فقال: هو اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس على فطامها، الصبر تجرع كاسات التقدير من غير نقتبس الضمير وأول الصبر تصبّر بتكلف المشقة ثم صبر بسهولة ثم اصطبار وهو ممزوج بالراحة ثم تحقق بوصف الرضا بالقضاء فيصير العبد فيه محمولاً بعد أن كان متحملاً والتوكل انتظار مع استبشار التوكل أن تبرم في

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (6/ 262) رقم (10901)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 87) رقم (8019)، وفي المعجم الصغير (1/ 138) رقم (208)، وابن ماجه في السنن (2/ 1425) رقم (4265)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 301) رقم (970).

الخلوة بانقطاع الأغيار عنك التوكل أعراض القلب عن غير الرب.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لغدها وإنما تصبح ولا معيشة عندها ففي الحديث لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[1] وتروح بطاناً[2] ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ [الآية 60] مع ضعفها وتوكلها ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الآية 60] مع قوتكم واجتهادكم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 60] لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 60] بأعمالكم وأحوالكم.

قال ابن عطاء الله: يرزقها بحسن اليقين ويرزقكم مع قلة اليقين.

وقال النهرجوري: أرزاق المتوكلين على الله يجري بعلم الله لهم بلا شغل وتعب منهم وغيرهم فيه مشغول ومتعوب به.

وأفاد الأستاذ: أن معنى ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لا في ملكه ولا في كسبه ولا في خزانة ملكه ولا بيد مملوكه ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ [الآية 60] من غير مقاساة تعب منه ويقال: إرادة الله في أن يستبقيك ولا يقبض روحك أقوى وأتم من تمنيك لبقائك فلا ينبغي أن يكون اهتمامك بسبب غيبتك وفنائك أتم وأكثر من تدبير نفسك لبقائك.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الآية 61] أي أهل مكة وغيرهم ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 61] إذ لا جواب سواه ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 61] يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بتفريده.

قال الأستاذ: إذا سألوا عن الخالق أقروا بالله وإذا سئل عن الرازق لم يستقروا مع الله هذه مناقضة ظاهرة يعني مع أنه سبحانه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 40].

---

(1) جياع. انظر لسان العرب (7/ 29).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1394) رقم (4164)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 573) رقم (2344).

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ [الآية 62] أي لمن يشاء من عباده على أن البسط لبعضهم/ والقبض لآخرين أو على أن التوسعة له تارة 13/ أ
والتضييق أخرى، بعده أو قبله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية 62] يعلم مصالح العباد ومفاسدهم في المراد فهو في التغيير بحسب التقدير حكيم.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق على أقسام رزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ورزق السرائر ومنه الاستقلال بالمعاني في فهم الكتاب والناس فيها مرزوق مرفّه إليه ومرزوق مضيق عليه.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ [الآية 63] بيبسها وفوت ما فيها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 61] معترفين بأن الموجد للمكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم ليتبركون به بعض خلقه الذي لا يقدر على شيء من جميعها ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 63] على ما أعطاك من نعمة النبوة والرسالة وحفظك من أمثال هذه الضلالة والجهالة ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الآية 63] هذه المقالة ولا يتأملون هذه الحالة.

قال الأستاذ: وكما علموا أن حياة الأرض بعد موتها بالمطر من قبل الله فليعلمن أن حياة النفوس بعد موتها عند الحشر والنشر بقدرة الله وكما علموا ذلك فليعلموا أن حياة الأوقات بعد فترتها أي بماء الرحمة من عند الله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [الآية 64] إشارة تحقير ومهانة وكيف لا وقد ورد أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ﴿إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [الآية 64] ما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون إليه ويميلون إليه يتعبون لديه ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [الآية 64] لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع ضربات الموت عليها أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة في الميل إليها.

وفي الحديث: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1] ﴿لَوۡ كَانُواْ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (1804/ 126).

﴿يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 64] أنها خير وأبقى لما آثروا عليها الدنيا التي مبناها على العناء والشقاء وسرعة الفناء وخسة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا كالاحتلام وعند الخروج منها انتباه من المنام والآخرة هنالك العيش بنظامه والتخلص من الوحشة بتمامه.

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 65] كائنين في
صورة من أخلص/ دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه 13/ب
بل يدعون ما عداه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 65] وفي معصيتهم وغفلتهم يعودون وشركهم لا يتركون.

قال جنيد: والإخلاص إلحاد القلب عن الكل وخلو السرّ عن الجميع والعلم بأن الحق هو الذي يقبلك بجميع عيوبك وينجيك من جميع قومك فهو دليل مقام الإخلاص وعلامة حالة الاختصاص.

وأفاد الأستاذ: إن الإخلاص تفريغ القلب عن الكل والثقة بأن لا خلاص إلا به والتحقق بأنه لا يستكثر حالاً في المحمودات ولا في المذمومات فالعامة إذا توالت عليهم الضرورات يدعونه مخلصين له الدين وإذا انقطع عنهم الرجاء أذعنوا لله متفرغين فإذا كشف الضر عنهم عادوا إلى الغفلة ونسوا ما كانوا فيه من الشدة كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضنا عاد إلى نكسه

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 66] اللام يحتمل أن تكون لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة من المهالك العظام ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ [الآية 66] باجتماعهم على عبادة الأصنام أو ليأكلوا كما تأكل الأنعام ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 66] عاقبة هذه الآثام حين يعاقبون بأنواع الآلام وأن يكون الأمر للتهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون فليتمتعوا بالسكون ويساعده فسوف يعلمون.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ [الآية 67] أي أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [الآية 67] أي

جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدّي آمناً أهله عن القتل والسبي بالأيدي ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ [الآية 67] يختلسون قتلاً وسبياً بحسب اختلاف حولهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ [الآية 67] كالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 67].

وقال الأستاذ: من عليهم بدفع المحن عنهم وكون الحرم أمثالهم وذكرهم عظيم الإحسان إليهم ثم بين أعراضهم عن شكر ذلك لديهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 68] بأن زعم أن له شريكاً أو غيره ربا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ﴾ [الآية 68] رسولاً أو كتاباً ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 68] / تقدير لسوء النواء للأعداء كقوله: 14/أ

(ألستم خير من ركب المطايا)(1) ....

أو للاجتراء المترتب عليه هذا الجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ [الآية 69] في حقنا بالجهاد الأصغر أو الأكبر في طريق صدقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [الآية 69] سبل السير إلى بابنا وطرق الوصول إلى جنابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبل العبادة وتوفيقاً لسلوك سير أهل الإرادة كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: الآية 17].

وفي الحديث: «مَن عمل بما عَلِم ورّثه الله عِلْم ما لم يَعْلم»(2)، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 69] بالنصرة والإعانة في طريق اليقين.

قال عبدالعزيز المكي: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهداهم إلى سبيل الباطن وأنا أتعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه.

وقال أبو سعيد القرشي: خرجت هداية المراد من المشيئة قال عزوجل: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 69].

وقال الأستاذ: أي الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حبسنا سرائرهم

(1) هذا بيت شعر لجرير وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح». انظر الأغاني (8/ 316).
(2) أورده السيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المنتشرة (1/ 20)، وانظر تذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 168) رقم (168).

بالمشاهدات. ويقال الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا سرائرهم إلى اللطائف ويقال الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث الموصلات ويقال: الجهاد فيه أولاً يترك المحرمات ثم يترك الشبهات ثم يترك الفضلات ثم يقطع العلاقات والتنقي عن الشواغل على جميع الأوقات ويقال: يعدّ الأنفاس مع الله ويحفظ الحواس عما سواه.

سورة الروم

[مكيّة]
وهي ستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم عزيز شفاء المذنبين جوده، بلاء المهيمين مقصوده، ضياء الموحدين عهوده، وسلوة المحزونين ذكره، حرفة المسبحين الواجدين شكره، والعابدون حبهم عطاؤه والواجدون حبهم بقاؤه.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف صحبتنا من عرف عظمتنا وألف بلاءنا من عرف كبريائنا والإشارة في اللام أي لزم من ببابنا من ذاق محابنا ولزم بساطنا من شهد انبساطنا والإشارة في الميم أي مكن من قربتنا من أقام على خدمتنا ومات على وفائنا من تحقق بولاءنا.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآيتان 2،3] أي أرض العرب لأنها الأرض 14/ ب
المعهودة عندهم/ أو في أدنى أرضهم من العرب أو مقامهم فاللام بدل من الإضافة على مذهب أهل الكوفة والمراد أن أهل الفرس وهم المشركون غلبوا أهل الروم وهم أهل الكتاب والموحدون ففرح المشركون من أهل مكة وقالوا للمسلمين: أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهر عليكم في شأنكم فنزلت ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ [الآية 3] من إضافة المصدر إلى المفعول أي بعد مغلوبيتهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الآية 3] على عدوهم.

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الآية 4] وهو ما بين ثلاث إلى تسع سنين فظهرت الروم

على فارس يوم الحديبية والآية من دلائل النبوة لأنها أخبار عن غيب الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن المسلمين سرّوا بظفر الروم على العجم وإن كان الكفر بجمعهم لاختصاص الروم بالإيمان ببعض الأنبياء فشكر الله ذلك لهم وأنزل هذه الآية فيهم بمن يكون سروره لدين الله وحزنه واهتمامه لأمر مولاه ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الآية 4] من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى له الأمر حين غلبوا وكذا إذا غلبوا ليس شيء منها إلا بقضائه وقدره فيما فعلوا.

قال سهل: من قبل كلّ شيء ومن بعد كل شيء لأنه المبدىء المعيد وقال: سبق تدبير الحق في الخلق لأنه يهم لم يزل عالماً في الأصل وفي الفرع.

وأفاد الأستاذ: أن قبل إذا أطلق انتظم الأزل وبعد إذا اطلق دل على الأبد فالمعنى أمر الأزلي لله والأمر الأبدي لله لأن الرب الأزلي والسيد الأبدي هو الله ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يوم العرفان و﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يوم الغفران ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ حين القسمة ولا حين و﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ عند النعمة وليس معين. وقيل ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 4] بتحقيق ودّكم ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الآية 4] ﴿وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الآية 4] بحفظ عهدكم:

إني على جفواتها بَرٌّ بِها وبكلّ متصلٍ بها متوسِّل

﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ [الآية 4] يوم يغلب الروم ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 4].

﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 5] من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من ازدياد يقينهم وثباتهم في أمر دينهم ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الآية 5] فينصر هؤلاء تارة وأخرى هؤلاء ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] ينتقم من عباده بالنصر عليهم مرة

15/أ ويتفضل عليهم / بنصرهم كرة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم ترح وغداً فرح اليوم عبره وغداً صبره اليوم أسف وغداً لطف اليوم بكاء وغداً لقاء.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 6] مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى وعده ﴿لَا

يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 6] لامتناع الخلف في خبره ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 6] صحة وعده بجهلهم به وعدم تفكرهم في وصفه.

وأفاد الأستاذ: أن الكريم لا يخلف وعده لا سيما والصدق لغته ويقال: منا يوم الميثاق وعد بالطاعة ومنه ذلك اليوم وعد بالجنة فإن وقع في وعدنا تقصير فلا نفع في وعده قصور وتغيير.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 7] ما يشاهدونه بها والتمتع بزخارفها ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 7] التي هي غايتها والمقصودة منها ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 7] لا تخطر ببالهم وتكريرهم للمبالغة في غرورهم قال القاسم: من كان غافلاً عن الآخرة كان عن الله أغفل ومن كان غافلاً عن الله سقط عن درجة المتعبدين.

وأفاد الأستاذ: أن استغراقهم في الاشتغال في الدنيا وإنهاكهم في تعلق الطلب منعهم عن العلم بالأخرى وقيمة كل امرئٍ علمه كما الأثر فيه عن علي رضي الله عنه فأهل الدنيا على غفلة عن العقبى والمشتغلون بعلم الآخرة كذلك بوجودها في غفلة عن المولى.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الآية 8] أي في أمرها فإنها أقرب إليهم من غيرها ومرآة يجتلي للمتبصر بها ما يجتلي له في الممكنات بأسرها فإنها العالم الأكبر في مظاهرها وأسرارها فيتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على ابدائها ليعلموا أو يقولوا ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 8] بالأمر الثابت في الصدق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 8] ينتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 8] بملاقاة جزائه عند فراغ الأجل وانقضاءه ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 8] جاحدون وحاسبون أن الدنيا أبدية وإن الآخرة عدمية سرمدية.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 9] بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ [الآية 9] فيبصروا أو فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 9] بنظرهم إلى ديارهم وآثار مسارهم ﴿كَانُوٓا۟﴾ [الآية 9] أي من قبلهم ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 9] من / الموجودين بعدهم ﴿قُوَّةً﴾ [الآية 9] كعاد وثمود ونحوهم ﴿وَأَثَارُوا۟ 15/ ب

﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 9] قلبوا أديم وجهها لاستنباط مياهها واستخراج معادنها وزرع البذور وغيرها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ [الآية 9] أي أرضهم ﴿أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الآية 9] من عمارة أهل مكة إياها فكان لهم التبسط في البلاد والتسلط على العباد أعظم من أهلها ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 9] بالمعجزات الواضحات فكذبوا فعذِّبوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ [الآية 9] فيدمرهم فمن جرم منهم ولا تذكير لهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية 9] حيث عملوا في أعمارهم ما أدى إلى دمارهم وهلاك آثارهم قال بعضهم: السير في الأرض مندوب إليه لمن يستدل بالآثار على المؤثر فأما من تحقق في عين المعرفة فهو سائر بروحه في الملكوت.

وأفاد الأستاذ: أن سير النفوس في أقطار الأرض ومناكبها لأداء العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات وغايته الظفر بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدر ثم تلك العلوم على الدرجات وسير الأرواح في ميادين الغيب بنعت خرق سرادقات الملكوت وقصاراهُ الوصول إلى مجال الشهود واستيلاء سلطان الحقيقة وسر الأسرار بالترقي عن الحدثان بأسره والتحقق أولاً بالصفات ثم بالخمود بالكلية عما سوى الحق.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الآية 10] أي العقوبة أو الخصلة السواء أي تأنيث أسوأ كالحسنى أو مصدر نعت بها كالبشرى ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 10] عطف بيان للسوأى وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وفي الآية أشاروا إلى أن الدنيا مزرعة الآخرة.

قال الأستاذ: من زرع الشوك لم يحصد الورد ومن استنبت الحشيش لم يقطف البهار ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد.

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ [الآية 11] ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 11] يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 11] فيجزيهم وقرأ غير أبو عمرو وأبو بكر بالخطاب وفي كل تغليب أي يردون إلى حكمه في جزاء أعمالهم على حسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: الله يبدىء الخلق على ما يشاء ثم يعيده إذا ما يشاء على

ما يشاء ثم إليه ترجعون / للجزاء. 16/ أ

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝١٢﴾ [الآية 12] يسكتون أو ييأسون أو يتحيرون.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟﴾ [الآية 13] أي في أصنافهم يجيرونهم من عذابهم ومجيئه بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 13] حين يئسوا منهم أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

وأفاد الأستاذ: أن شهودهم ما جحدوه في الدنيا عياناً ثم ما ينضاف إلى ذلك من اليأس الذي يعرفون قطعاً هو الذي يفتت كبدهم وبه تتم محنتهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾ [الآية 14] أي المؤمنون والكافرون كما فصله بقوله.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ [الآية 15] أرض ذات أزهار وأنهار وأنوار ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الآية 15] يسرون مجاهد يكرمون قتادة ينعمون ابن كيسان يحلّون ابن عباس يتوّجون وكيع يستمعون وعن أبي الدرداء أن غناءهم تسبيحهم وثناءهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 16] يدخلون وعنه لا يغيبون فالأمر بهم لا ينفعه التدبير فإنه على وفق التقدير من غير التغيير فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال أبو بكر بن طاهر: يتفرقون إلى ما قدر لكل من محل السعادة ومنزل الشقاوة.

وقال الأستاذ: فريق هم أصل الوصلة وفريق هم أهل الفرقة وفريق الجنة والمنة وفريق للعقوبة والمحنة وفريق في السعير وفريق في السرور وفريق في الثواب وفريق في العقاب وفريق وفريق للتلاق وفريق في البوار والخسار وفريق في الرياض والأنهار.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الآيتان 17، 18] خبر في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر حيث يتبدل أحد الضدين بالآخر فقد ورد في الخبر: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة لأن تجدد النعم فيهما أكثر وجوز أن يكون
16/ب عشياً معطوفاً على حين تمسون، / وجملة ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: الآية 18] اعتراضاً ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية جامعة الصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر.

ولذا زعم الحسن البصري رحمه الله أن الآية مدنية لأنه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت وإنما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر أن الخمس فرضت بمكة كما يدل عليه حديث الإسراء.

قال جعفر الصادق: بالله فابدأ في صباحك وبه فاختم في مساءك فمن كان به ابتداؤه وإليه انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صباحه بالله بورك له في يومه ومن كان مساؤه بالله بورك له في ليله:

وإن صباحاً نلتقي في مسائه صباحٌ على قلب القريب حبيبُ

فشتان بين عبد صباحه مفتتح بعبادته ومساؤه مختتم بطاعته وبين عبد صباحه مفتتح بشهادته ورواحه مفتتح بعزيز قربته. ويقال: أراد الحق من أوليائه أن يجددوا العهد به في اليوم والليلة خمس مرات فتقف على بساط المناجاة ويستدرك فيما بين الصلاتين من طوارق الغفلات ولواحق الزلات.

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الآية 19] كالإنبات من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [الآية 19] أي النطفة والبيضة ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 19] ينبتها ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [الآية 19] يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الآية 19] من قبوركم فيها

وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء قال بعضهم: يخرج أولياءه من بين أعدائه ويخرج أعداءه من بين أولياءه لئلا يعتمد ولي على ولايته ولا يقنط عدو في عداوته.

وقال الأستاذ: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويظهر أوقات البسط من أوقات القبض وأوقات القبض من بين أوقات البسط ويحيي الأرض بالمطر بعد موتها وقت الربيع وحشة الشتاء كذلك النشور والإحياء بعد الموت والفناء.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 20] أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه في الابتداء ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الآية 20] في الانتهاء وفيه أي إلى/ ما قاله أولي الألباب ما للتراب ورب الأرباب. 17/أ

قال القاسم: بين أنه متولي خلقه وإن خلقه إياهم من جماد لا حركة له وإنما حركة خالقه لأنه ليس من طبعه أن ينشر بنفسه ذكر ذلك لئلا يعتمد العبد بشيء من أعماله ولا ينظر إلى شيء سوى ربه وأفعاله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لئلا يعجبوا بحالتهم ويقال: الأصل التربة ولكن العبرة بالتربية القيمة لما منه اصطفى الأعيان المخلوقة واختار الكعبة فهي أفضل من الجنة والجنة ياقوت وجوهر والبيت حجر والبيت مختاره والمؤمن مختارة وهذا المختار حجر وهذا المختار مدر وهو الغني لذاته منزه عن كل غير وغير ورسم وأثر.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 21] من جنسكم نساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ﴾ [الآية 21] لتميلوا ﴿إِلَيْهَا﴾ [الآية 21] وتآلفوا بها فإن الجنسية علته الضم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ [الآية 21] أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس من الجن والإنس ﴿مَّوَدَّةً﴾ [الآية 21] محبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 21] بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعيشة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فيعلمون ما في ذلك من أنواع الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل إلى المثل وربط الشكل بالشكل وجعل سكون البعض إلى الآخر ولكن ذلك للأشباح والصور وأما الأرواح

فصحبتها للأشباح كره لا طوع وأما الأسرار فمعتقة لا تساكن الأطلال ولا تقديس بالإعلال.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الآية 22] لغاتكم بأن علم كل طائفة لغتها وأمالهم إليها أو ألهمهم وضعها وأقدرهم عليها أو أجناس أصواتكم بتفاوت نعماتكم ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الآية 22] من بياض الجلود وسوادها أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها وأشكالها حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك لا محالة في بابهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الآية 22] وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن السمٰوات في علوها والأرض في دنوها هذه بنجومها وكواكبها وهذه بأطوارها ومناكبها وهذه بشمسها وقمرها وهذه بمائها ومدرها
17/ب واختلاف / لغات أهلها في الأرض واختلاف تسبيحات الملائكة الذين هم سكان السماء فاختصاص كل شيء من هذه ببعض جائزات حكمها شاهد عدل ودليل صدق ينادي أفكار المستنطقين وينادي على أنفسها إنها بأجمعها من تقدير العزيز الحكيم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 23] منامكم في الزمانين لاستراحة القوى الظاهرة النفسية وقوة القوى الباطنة الطبيعية وطلب معاشكم فيها من الأمور الضرورية أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار على جري العادة الغالبية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 23] سماع تفهم وتفكر وتأمل وتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن غلبة القوم بغير اختيار صاحبه ثم انتباهه من غير اكتسابه له في وسعه يدل على موته ثم بعثه بعد ذلك وقت نشوره ثم في حال منامه يرى ما يسره ويضره وعلى أوصاف كثيرة أمره كذلك الميت في قبره الله أعلم كيف حاله في أمره مما يلقاه من خيره وشره ونفعه وضره.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الآية 24] أراكم البرق ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 24]

للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 24] للمجاور ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 24] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 24] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الآية 24] يبسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 24] يتدبرون في استنباط، أسبابها وكيفية تكونها في أبوابها ليظهر لهم جمال قدرته وكمال حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يلقي في القلوب من الرجاء والتوقع في الأحوال ثم يختلف بهم الحال في المآل فمن عبد يحصل مقصوده ومن آخر لا يتفق مراده والأحوال الشريفة كالبروق اللطيفة وقالوا: إنها أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم شوارق ثم متوع النهار فاللوائح في أوائل العلوم واللوامع من حيث العهود والطوالع من حيث المعارف والشوارق من حيث التوحيد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 25] أي قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيّزها والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الإله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً/ مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الآية 25] أي ثم خروجكم 18/ أ
من قبوركم إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا إلى معرض المولى.

وقال الأستاذ: يغير هذه الأدوار ويغير هذه الأطوار يبدل هذه الأحوال إماتة ثم إحياء وإعادة وقبلها ابداءً وقبر ثم نشر معاتبة في القبر ثم محاسبة بعد النشر.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] منقادون لديه لا يمتنعون عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون طاعة الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة[1].

وقال الأستاذ: له ذلك ملكاً ومن تلك الأشياء بدأوا به إيجاداً وإليه رجوعاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية 27] في إنشائهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 27] بعد إفنائهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 27] أي والإعادة أسهل على الله من الأصل

(1) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي (6/ 304).

بزعمكم وظنكم وتقديركم بالإضافة إلى قدركم وإلا فهما عليه سواء وكذلك قيل: والهاء من عليه عائد للخلق والمعنى أن العود وهو الخلق الآتي سهل من الخلق التدريجي وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لأهون ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ﴾ [الآية 27] الوصف العجيب الشأن الغريب البرهان كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 27] أي الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه تعالى ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 27] في عالم العلويات والسفليات من الممكنات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 27] القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

وقال الأستاذ: له الصفة العليا في الوجود بحق العدم وفي الجود بنعت الكرم وفي القدرة بوصف الشمول وفي النصرة بوصف الكمال وفي العلم بعموم التعلق وفي الحكم بوجوب التحقق وفي المشيئة بوصف البلوغ وفي القضية بحكم النفوذ وفي الجبروت بنعت العز والجلال وفي الملكوت بوصف المجد والجمال.

﴿ضَرَبَ لَكُم﴾ [الآية 28] بين لكم ربكم ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 28] مأخوذاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [الآية 28] مع أنهم بشر مثلكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الآية 28] من المال والمنال ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الآية 28] في الأحوال ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الآية 28] من تصرفهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 28] / أي من شركائكم ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ 18/ب
[الآية 28] نبينها فإن التمثيل يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 28] يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال المضروبة لهم.

وقال الأستاذ: أي إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم وأنتم بكل وجه مشابهون لهم إلا أنكم بحكم الشرع مالكيهم فما تقولون في الذي لم يزل ولا يزال كما لم يزل هل يجوز أن يقدر في وصفه أن يساويه عبيده أو يكون شريكاً له مملوكه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [الآية 29] أنفسهم بإشراكهم ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الآية 29] من دليل عقل وبرهان ونقل ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 29] فمن يقدر على هدايته سواه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 29] يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن الجهالة.

قال ابن عطاء: الظالم من اتبع نفسه هواها ومن فعل ذلك أعرض عن الحق ومن أعرض عن الحق حرم عليه الرجوع إلى الحق فإن الحق عزيز والطريق إليه عزيز.

وأفاد الأستاذ: أن أشد الظلم متابعة الهوى لأنه قريب من شرك المولى قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: الآية 23] فمن اتبع هواه خالف رضا مولاه فهو بوضعه الشيء غير موضعه صار ظالماً لنفسه كما أن العاصي ظالم بوضعه المعصية موضع الطاعة كذا هو بمتابعة هواه بدلاً عن موافقته لرضا مولاه حصل في الظلم متمادياً في دنياه وعقباه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الآية 30] أقبل بكليّتك إليه واستقامتك عليه حنيفاً مائلاً عن سائر الأديان معتكفاً لديه.

وفي «تفسير السلمي» مقبلاً على الله معرضاً عما سواه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أعني خلقه الله أو الزموا فطرة الله ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 30] وهي ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي لا تبدلوا خلقته، ولا تغيروا فطرته ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الآية 30] المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 30] ما يوافقه وما لا ينافيه.

وقال الأستاذ في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [الآية 30] أخلِص قصدك إلى الله واحفظ عهدك مع الله وافرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك لله حنيفاً مستقيماً في دينه/ مائلاً إليه ومعرضاً عن غيره فالزم فطرة أثبتهم قبل أن 19/ أ
يوجد منهم فعل ولا كسب ولا شرك ولا كفر كما ليس منهم إيمان ولا إحسان ولا كفران ولا عصيان فاعرف هذه الجملة من حاله ثم أفعل ما أمر به واحذر ما نهى عنه تجردهم عن أفعالهم ثم أنصفهم بما يكتسبون من أحوالهم وإن كان ذلك

أيضاً بتقدير الله لهم ويقال إنه فطر كل أحد على ما علم أنه يكون عليه من السعادة والشقاوة لديه لا تبديل لحكمة ولا تحويل لما فطرهم عليه فمن علم أنه يكون سعيداً أراد سعادته وأخبر عن سعادته وخلقه في حكمه سعيداً ومن علم شقاوته أراد أن يكون شقياً وأخبر عن شقاوته وخلقه في حكمه شقياً ولا تبديل لحكمه ولا تحويل لأمره وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 31] حال كونكم راجعين إلى أمره منقطعين إلى ذكره مشتغلين بشكره ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية 31] أي عقابه وخافوا حسابه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 31] التي على أم العباد أن وناهية للسيئات ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 31] في الطاعات.

وقال الأستاذ: راجعين إلى الله بالكلية من غير أن يبقى البقية متصفين بصفاته منحرفين بكل وجه عن خلافه وشقاقه متقين صغير الإثم وكبيره قليله وكثيره مقيمين للصلاة بأركانها وسننها وآدابها جهراً متحققين بمراعاة فضائلها سراً.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الآية 32] بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه من شركائهم على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا أن يبنوا عليه يقينهم ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الآية 32] فرقاً شائع كل فرقة إمامها الذي أصل دينها وتقدم أمامها ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الآية 32] كل فرقة بما عندهم من العلم مسرورون ظناً منهم بأنهم على الحق فيما بينهم وفرح المؤمنون بربهم ودينهم الذي ارتضى لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقاموا في دنياهم في خمار الغفلة وعناد الجهل الفترة فركنوا إلى ظنونهم وأفهامهم واستوطنوا مراكب أوهامهم وعلوا من لبس
19/ب غيرهم وظنوا أنهم / على شيء في أمرهم فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحاب جحدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في الضلالة ولم يعرجوا إلا في أوطان الجهالة.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الآية 33] شدة ومحنة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[الآية 33] مقبلين عليه وراجعين من دعاء غيرهم إليه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ [الآية 33] كشف شدة وضعف نعمة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 33] شركاء جلياً أو خفياً بحسب مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أظلتهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية رجعوا إلى الله بالكلية من فضله مستغيثين بلطفه مستجيرين عن محنتهم مستكشفين فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم بلطف ما أصابهم إذا فريق منهم لا كلهم بربهم يشركون يعودون إلى عادتهم المذمومة في الكفران وقابلوا إحسانه بالنسيان فهؤلاء ليس لهم عهد ولا وفاء ولا لِمودتهم صفاء.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ [الآية 34] اللام فيه للعاقبة أو للتهديد بالمعاقبة ويؤيده قوله ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ [الآية 34] على أنه التعنت فيه للمبالغة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 34] عاقبة تمنعكم ووخامة توسعكم.

وقال الأستاذ: أي عن قريب سيحدث بهم مثل ما أصابهم ثم أنهم يعودون إلى رأس التضرع ويأخذون فيما كانوا عليه بدءاً من التخشع فإذا شفاهم وعافاهم رجعوا إلى رأس خطاياهم.

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الآية 35] حجة وبرهاناً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الآية 35] تكلم دلالة من غير آلة ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 35] بإشراكهم وصحته.

وقال الأستاذ: تبين أنهم بنوا على غير أصل طرقهم واتبعوا فيما ابتدعوا أهواءهم وعلى غير شرع وبيان وحجة وبرهان أسسوا مذاهبهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 36] صحة وسعة ونعمة ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ [الآية 36] بطروا بسببها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ [الآية 36] شدة ومشقة ومحنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 36] بشؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الآية 36] فأجاز القنوط من رحمته واليأس من نعمته.

وقال الأستاذ: تستميلهم طوارق حالاتهم إلى طرق زلاتهم إن كان نعمة فإلى فرح وإن كان شدة فإلى قنوط وترح وليس وصف الأكابر كذلك قال

20/ أ تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ/ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 37] فما لهم لم يشكروا في السراء ولم يصبروا في الضراء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] ما ذكر من الضيق والسعة ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 37] فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة قال الشاعر:

نكد الأريب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك إلى الحكيم الكامل(1)

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أن لا يعلق العبد قلبه إلا بالله لأن ما يسوؤهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس كماله إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوؤهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم عقوبة بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الآية 38] كصلة الرحم ونفقة المحارم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 38] بالإحسان إليهما والشفقة عليهما والخطاب للنبي عليه السلام أو لمن يبسط له في الإنعام ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] ذاته أو جهته أو رضاه أي يقصدون بمعرفتهم إياه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 38] حيث حصلوا بما بسط لهم في الدنيا وتوسلوا إلى النعيم المقيم في العقبى واختاروا الباقية وبذّلوا الفانية.

وأفاد الأستاذ: أن القرابة على قسمين قرابة النسب والطين وقرابة الحسب والدين وقرابة الدين أمس وبالمؤاساة أخف وأحسن فإذا كان الرجل مشتغلاً بالعبادة غير متفرغ لطلب المعيشة فالذي له إيقان بحاله وإسراف على وقته وكماله يجب عليه أن يقوم بشأنه بقدر إمكانه مما يكون له عون على طاعته وفراغ قلب عن حديث عيلته فإن كان اشتغال الرجل بشيء من مراعاة القلب فحقه أكد وتصرفه أوجب ثم المريد هو الذي يؤثر حق الله على حظ نفسه فهمته بالإحسان إلى ذوي القربى والمساكين يتقدم على نظره لنفسه

(1) انظر روح المعاني (21/ 43).

وعيلته وما يهمه من خصوصيته.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الآية 39] أعطيتم من زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة في المقابلة بالمجاملة وقرأ ابن كثير بالقصر أي ما فعلتم به من إعطاء/ ربا ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 39] ليزيد ويزكوا وقرأ نافع 20/ ب
بضم التاء والياء أي لتزيدوا في أموالهم وتكثروا في آمالهم ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] فلا يزكوا عنده ولا يبارك له إما لحرمته وإما لخلوه عن مثوبته ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ [الآية 39] صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] تقصدون رضاه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الآية 39] الذين ضعّفوا ببركة الصدقة ثواب أعمالهم وزيادة أموالهم.

وأفاد الأستاذ: أن مريد وجه الله ورضاه لا يستخدم الفقير لما يبره به من رفعه وعطاه بل أفضل الصدقة هو الصدقة على ذي رحم كاشح حتى يكون بإعطائه مجرداً عن كل نصيب له فيه فهولاء الذين هم يتضاعف أجرهم فقهرهم لنفسهم وفوزهم بالعوض من فضل ربهم ثم الزكاة هي تطهر في اللغة لمال معلوم ببيان الشريعة كيفيته وكميته بإخراج الزكاة في أصناف المال وأوصاف الحال وزكاة البدن وزكاة القلب وزكاة السر كل ذلك يجب القيام به لأرباب الكمال.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] فيه إيماءٌ إلى أن العباد يفتقرون إلى الله سبحانه بالإيجاد والإمداد في المعاش والمعاد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية 40] أي من الخلق والرزق ابتداء ومن الأمانة والإعادة انتهاءً ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 40] أي عما يعدونه شركاء.

قال الحسين: خلقكم بقدرته ورزقكم معرفته وأماتكم عن الأسباب وأحياكم به.

وقال سهل: أفضل رزق العبد سكونه إلى رازقه أي واعتماده على خالقه.

وأفاد الأستاذ: إن حرف ﴿ثُمَّ﴾ [الآية 40] يقتضي التراخي فيه إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك إذ أضعف أحوالك ابتداءً من خلقك فأثبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق فإلى أن خرجت من بطن أمك إما أن كان يغنيك عن الرزق وأنت جنين في بطن الأم ولم يكن لك لا أكل ولا شرب وإما أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق إن حق ما قالوا من أنه يغذي الجنين
21/ أ بدم الطمث وإذا أخرجك من بطن أمك ورزقك على الوجه المعهود / في المعلوم للأنام ميسراً لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم ثم فنون الطعام ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 40] بسقوط شهواتكم ويميتكم عن مشاهداتكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] بحياة قلوبكم ثم بأن يحييكم بربكم ويقال: من الأرزاق ما هو وجود الإرفاق ومنها ما هو شهود الرزاق ويقال: لأمكنه لك في تبديل خلقك فكذا لا قدرة لك على تغيير رزقك فالموسع عليه رزقه بفضله لا لمناقب نفسه والمقتّر عليه رزقه بحكمه لا لمعايب نفسه ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ [الآية 40] الذي اتبعتموه إما من الأصنام أو مما توهمتم من جملة الأنام من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تنزيهاً له وتقديساً عما يشركون.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 41] كالغلاء والربا وكثر الحرق والغرق ومحق البركات وظهور الظلمات من الظلم والضلالات ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 41] بشؤم معاصيهم الناشئة عن الغفلات ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ [الآية 41] بعض جزاء السيئات فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو العاقبة وقد قرأ قنبل لنذيقنهم بالنون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 41] عن الغفلة إلى التوبة قيل: المواد بالبر والبحر الظاهر والباطن ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من البر إلى النفس ومن البحر إلى القلب وفساد البر بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وفساد البحر من الغفلة والأوصاف الذميمة مثل سوء العزم والحسد والحقد وإرادة السرقة وسائر المعصية والخواطر الردية وعقد الإصرار على المخالفات من أعظم الفسادات كما أن العزم على الخيرات قبل فعلها من أعظم الخيرات ومن جملة الفساد التأويلات بغير حق والانحطاط إلى

الرخص وغير قيام بجد وجهه والإغراق في الدعاوى من غير استحياء من الله المتعالي. وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الآية 41] من سقوط تعظيم الشرع من القلب والتأسف على ما فاته من الحق للرب.

﴿قُلْ سِيرُوا۟/ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 42] بقوالبكم أو بقلوبكم ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 42] لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدق ما هنالك ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الآية 42]. 21/ ب

قال الأستاذ: سيروا بالاعتبار واطلبوا الحق بنعت الافتكار وانظروا كيف كان حال من تقدمكم من الأشكال والأمثال وقيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال كانوا أكثرهم عدداً وأقلهم وزناً وقدراً.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الآية 43] البليغ الاستقامة ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ [الآية 43] هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] لا يقدر أن يردهُ أحد سواه فالجار متعلق بيأتي وجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر يعمل عمل فعله والمعنى لا يرده الله لتعلّق إرادته القديمة بمجيئه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الآية 43] أصله يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة والنعمة وفريق في السعير والنقمة كما أشار إليه بقوله.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الآية 44] أي وباله من النار الموقدة المؤبدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الآية 44] يسوون منازل عليه في الجنة الميسرة.

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 45] أي أثر محبته ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية 45] فيعاملهم بعدله الذين حكم عليهم بعقوبته.

قال سهل: قوام الدين بشيء واحد هو إتباع الأوامر ولزوم السنة وافتقار الأكابر.

وقال الفضيل بن عياض: قوام الدين بشيئين الاتباع وترك الابتداع.

وقال الأستاذ: إخلاص قصدك وصدق عزمك للدين القيم بالموافقة والاتباع دون الاستبداع بالأمر على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بمن هو إمام وقته ولم يتلقف الأذكار ممن هو لسان وقته كان خسرانه أتم من ربحه

ونقصانه أعم من نفعه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ [الآية 46] الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبر فريح العقوبة ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[1] رواه الشافعي والطبراني وغيرهما ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الآية 46] بالمطر
22/ أ لرزقكم/ من نعمته ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 46] من المنافع المتتابعة ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 46] يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 46] نعمة البحر والبر قيل رياح القدس تبشر بمنازل الإنس.

وقال الأستاذ: يرسل الرياح رياح الرجاء على قلوب العباد فتسكن قلوبهم عن عناء الجبن وغثاء اليأس ثم يرسل عليهما أمطار التوفيق فيحملهم إلى بساط الجهد ويلزمهم بقوى النشاط ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيظهرها من وحشة القبض وينشر فيها لذاذات الوصال ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار الأصفياء وتطهّرها عن آثار الأغيار وتنشرها بدوام الإقبال فذلك ارتياح به ولكن بعد احتياج عنك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 47] فآمن به بعضهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ [الآية 47] كفروا منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [الآية 47] بمقتضى الوعد لدينا ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] المخلصين إلينا في الدنيا والآخرة والجملة اعتراضية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له في مقام الوصول الأكرم ووعداً بالنصر له واتباعه ووعيد لأهل الكفر وأشياعه.

وقال الأستاذ: أي أرسلنا رسلاً إلى عبادنا فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالجحود أذقناهم عذاب الخلود فانتقمنا من الذين أجرموا أخذناهم من حيث لم يحتسبوا وشوشنا عليهم ما أملوا

---

(1) أخرجه البيهقي في معرفة السنن (6/ 19) رقم (2096)، والطحاوي في مشكل الآثار (2/ 410) رقم (771)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 213) رقم (11533)، وأبو يعلى في المسند (4/ 341) رقم (2456)، والشافعي في المسند (1/ 81) رقم (361).

ونغّصنا عليهم ما استطابوا وتنعموا وأخذنا بخناقهم فحاق بهم ما مكروا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] وطؤهم أعداءهم بأعقابهم فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى ورقيناهم فوق رقابهم خربنا أوطانهم وهمدنا شأنهم وأخمدنا نيرانهم وعطلنا عليهم ديارهم ومحونا بقهر التدمير آثارهم فظلت شموسهم كاسفة ومكيدة قهرنا لهم بأجمعهم خاسفة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على/ إرادة الجنس ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ [الآية 48] أي متصلاً تارة ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 48] في سمتها وجهتها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الآية 48] سائراً أو موافقاً مطبقاً أو غير مطبق في أفق دون أفق ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ [الآية 48] قطعاً تارة أخرى كيف يشاء ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ [الآية 48] المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ [الآية 48] إذا شاء ومتى شاء ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [الآية 48] يعني أراضي بلاده ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 48] يفرحون منبسطين. 22/ ب

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ [الآية 49] الودق من أقطاره ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 49] أي قبل استبشارهم بأمطاره ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ [الآية 49] متحيرين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى يرسل رياح عطفه وجوده مبشرات بوصوله ووجوده ثم يمطر جود غيثه على أسرارهم بلطفه ويطوي بساط الحشمة عن ساحات قربه ويضرب قباب الهيبة بمشاهد كشفه وينشر عليهم أزهار أنسه ثم يتجلى لهم بحقائق قدسه ويسقهم بيده شراب حبه وبعد ما محاهم عن أوصافهم أصحاهم لا بهم ولكن بنفسه فالعبارات عن ذلك خرس والإشارات فيها طمس.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 50] أثر الغيب من النبات والأشجار وأنواع الأزهار والأثمار وكذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الآية 50] بإنباتها بعد جفاف نباتها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 50] الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها بالإفناء ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [الآية 50] لقادر على إحيائهم كما قدر على أبدانهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] من

أمور الابتداء والانتهاء.

وفي «**تفسير السلمي**» أن ذلك لمحيي الأنفس الميتة بالشهوات والقلوب المبينة بالغفلات بأنوار معرفته وآثار هدايته.

وقال الأستاذ: فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بأزهارها وأنوارها عند مجيء أطوارها ليخرج زرعها وأثمارها ويحيي النفوس بعد نفرتها فيوفقها للخيرات بعد فترتها فيعمر أوطان الوفاق بصادق إقدامهم وتندفع البلايا عن الأنام ببركات ألوانهم ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات فتعود إلى استدامة الذكر بحسن المراعاة ويهتدي بأنوار أهلها أهل العصر من أصحاب الإرادات ويحيي الأرواح بعد حجتها بأنوار
23/ أ المشاهدات فتطلع شموسها/ عن بروج السعادات ويتصل شمام أسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من الزيادات فلا يبقى صاحب نفس إلا حظي منه بنصيب من الواردات ويحيي الأسرار وما كان لها إلا وفقد في بعض الحالات فتنتفي بالكلية آثار الغيرية ولا يبقي في الدار ديار ولا من سكانها آثار وسطوات الحقائق لا تثبت لها ذرة من صفات الخلائق ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الكهف: الآية 44] سقط الماء والقطرة وطاح الرسوم والجملة.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 51] الضمير للزرع والأثر لما دل عليه ما سبق من الخير أو للسحاب فإنه إذا اصفر دل على عدم المطر ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 51] بخالق القوى والقدر والآية ناعية على الكفار بقلة تفكرهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم وسوء تقلقلهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على ربهم ويلتجئوا إليه بالاستغفار والاعتذار إذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا إلى شكره والاستدامة بطاعته إذا أصابهم بنعمته وأن يصبروا على بلائه وإصابة محنته وشدته.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 52] فمنهم مثلهم لما سدّ عن الحق مشاعرهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 52] برفع الصوت في النداء أو بالإشارة والإيماء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الآية 53] الناشئة عن جهالتهم وسماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم من الإبصار فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور التي هي منابع الأسرار ومعادن الأنوار ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 53] فإن إيمانهم بها يدعوهم إلى تلقي المبنى تدبّر المعنى ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 53] مستسلمون بكل ما حوى.

قال ابن عطاء: لن يسمع دعاءك إلا من أسمعناه في الأزل خطابنا ووفقناه بجواب الخطاب على وجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن من فقد الحياة الأصلية لم يعش بالرقية والتميمة وإذا كان في السريرة طرش عن سماع الحقيقة فسمع الظاهر / لا يفيد إلا تأكيد الحجة 23/ب
وكما لم يسمع الصم الدعاء فلم يمكنه أن يهدي العمي عن ضلالتهم بالنداء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الآية 54] أي ابتدأكم ضعفاء في أصل خلقكم وجعل الضعف أساس أمركم أو خلقكم من مادة ضعيفة هي النطفة اللطيفة على خلاف إنها النجسة أو النظيفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الآية 54] ذلك إذا بلغتم الحلم وقت قوة الأشباح أو حين تعلق بأبدانكم الأرواح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الآية 54] ليس بعدها قوة وفتح عاصم بخلاف عنه من رواية حفص وحمزة الضاد في جميعها ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 54] من ضعف وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الآية 54] كامل العلم تام القدرة.

قال الواسطي: خلق خلقه بحيث لا يمكن أن يجرّ نفعاً أو يدفع ضرّاً فهو أسير جوعه وصريح شبعه ورهين شهوته لا ينفك منها إلا المعصومين بفضل الله ورحمته.

أفاد الأستاذ: إنه سبحانه أظهر الإنسان على وصف ضعف الصغر ثم بعده قوة الشباب والكبر ثم ضعف الشيب والعبر ثم:

آخر الأمر ما ترى   من القبر واللحد والثرى

كذلك في ابتداء أمرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية في نعت التردد والتحير في طلب الهداية ثم بعدهُ قوة الوصل والعناية ثم ضعف التوحيد في النهاية ويقال: خلقكم من ضعف أي على حال ضعف من حيث الحاجة ثم بعده قوة الوجود وقدرة المكنة ثم بعد ضعف المسكنة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 55] القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وهي في يوم الجمعة أو لأنها تقع بغتة في مبدأ العاقبة وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 55] يحلفون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ [الآية 55] في الدنيا أو في البرزخ ما بين الأولى والأخرى ﴿غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الآية 55] استقلوا مدة لبثهم في الدنيا إضافة إلى مدة عذابهم المتوقع ومكثهم في العقبى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 55] مثل هذا الصرف عن التحقيق ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 55] يصرفون عن طريق التوفيق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الآية 56] من الإنس والجان وملائكة الرحمٰن ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] أي معلومه ومقضيه فيكم أو ما كتبه
24/أ وأوجبه/ لكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ [الآية 56] ردوا بذلك سبق مقالهم وظنهم بحالهم ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الآية 56] الذي أنتم به منكرون ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] حيث كنتم به تكفرون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 57] لو يعتذرون وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 57] لا ليدعون إلى طلبهم إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه قبل قيام الساعة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ [الآية 58] يحصل لديه الاستئناس والمعنى بيّنا لهم من كل مثل نبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسل فيما آتاهم ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 58] من آيات القرآن ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية 58] من فرط عنادهم وقساوة فؤادهم وفساد اعتقادهم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ [المَائدة: الآية 106] أيها الرسول والمؤمنون ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الآية 58] مترددون.

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] الحق ولا يتبعون الصدق.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 60] على جهلهم وعماهم وسوء عملهم وتحمل آذاهم ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] بنصرتك وإظهار دعوتك وغلبة ملتك ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 60] وإنجازه صدق ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ [الآية 60] لا يحملنك على القلق والخفة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 60] بيوم القيامة وقت الندامة وحالة الملامة.

وأفاد الأستاذ: أن قولهم ما لبثوا غير ساعة إنما يكون ذلك لأحد أمرين إما لأنهم كانوا أمواتاً والميت لا إحساس له بما يدرك أوقاتاً أو وعدوا ما لقوا من عذاب القبر ولو كان كثيراً بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً وإن أهل التحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت أرضهم وإن ذلك الذي يقولون من جملة ما كانوا يظهرون من جحدهم على موجب جهلهم ثم لا يسمع عذرهم ولا يرفع ضرهم وأخبر بعد هذا في آخر السورة عن إصرارهم وانهماكهم في غيهم وإن ذلك نصيبهم من القسمة إلى آخر أعمارهم ثم ختم السورة بأمره ﷺ من اصطباره على معاناة مسارهم ومضارهم.

سورة لقمان

[مكية]
وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

24/ب قال الأستاذ: بسم الله كلمة من سمعها أقر أنه لم يسمع / مثلها ومن عرفها أنف أن يسمع أو يعرف غيرها كلمة من سمعها طابت قصته وزالت بكل وجه غصته وتمت في الدنيا والعقبى حصته زهد في دنياه من غير رغبة في عقباه إلا بها وإن جلت عن مولاه، كلمة من سمعها لم يرغب في عمارة بنائه ولم يحتشم من سرعة قضائه وفنائه.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [الآية 1] الألف، تشير إلى الآية واللام تشير إلى لطفه وعطائه والميم أمارة إلى مجده وسنائه فبالآية رفع الحجب عن قلوب أوليائه وبلطف عطائه أثبت الحب في أسرار أصفيائه وبمجده وسنائه مستغنٍ عن جميع خلقه بوصف كبريائه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] الجامع للأحكام والحكم والحاكم على سائر الكتب المنزلة المحكمة في بيان الوقائع المفصلة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] حالان عن الآيات ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر للمبتدأ المقدر وأراد بالمحسنين المؤمنين المنتفعين علماً وعملاً وقالاً أو حالاً.

وأفاد الأستاذ: هو هدي وبيان ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله والمقيمين لعبادة الله كأنهم ينظرون إلى الله يعني كما ورد الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه قال: وشرط المحسن أن تكون محسناً إلى عباد الله دانيهم وقاصيهم ومطيعهم وعاصيهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 4] في أوقات الصلاة ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم﴾ [الآية 4] في سبيل الخيرات وطلب المرضاة ﴿بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] يستيقنون بما فيها من المجازاة على الطاعات والسيئات بالمثوبات والعقوبات.

وقال الأستاذ: يأتون بشرائطها في الظاهر من ستر العورة وتقديم الطهارة واستقبال القبلة والعلم بدخول الوقت والوقوف في مكان طاهر وفي الباطن يأتون بشرائطها من طهارة السرّ عن العلائق وستر عورة الباطن بتنقيته عن العيوب لأن ما كان فالله يراه، فإذا أردت أن لا يرى الله عيوبك فاحذرها حتى لا تكون، والوقوف على مكان طاهر وهو وقوف القلب على حد الذي أذن في الوقوف فيه مما لا يكون دعوى بلا تحقيق بل رحم الله من وقف عند حده والمعرفة / بالوقت 25/ أ
فيعلم وقت التذلل والاستكانة ويتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ويستقبل القبلة بنفسه ويعلق قلبه بالله من غير تخصيصه بقطر أو مكان دون غيره.

﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 5] باهتداء قلبهم ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 5] بإصلاح قوالبهم.

وقال الأستاذ: الذين يقومون بشرائط صلواتهم وحق آداب عباداتهم ثم الذين اهتدوا في الدنيا وسلموا أو نجوا في العقبى.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ [الآية 6] يختار ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية 6] ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار بها عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 6] عباد الله ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] متابعة دينه وقرأه وقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليثبت على ضلاله ويزيد في وباله فاللام للعاقبة في مآله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 6] بحاله لا في ماضيه ولا في استقباله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 6] ويتخذ السبيل سخرية عطف على يشتري ونصبه حمزة والكسائي وحفص عطفاً على يضل ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُّهِينٌ﴾ [الآية 6] لإهانتهم طريق الحق اليقين بإتيان الباطل عليه في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن لهو الحديث ما يشغل عن الله ذكره وتحجب عن الله سماعه وفكره.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [الآية 7] ويبين له مصنوعاتنا ﴿وَلَّىٰ﴾ [الآية 7] أدبر معرضاً عنها ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 7] متكبراً لا يعبأ بها ولا يلتفت إليها ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [الآية 7] ثقلاً يمنعه عن سماعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 7] أخبره بعذاب مؤلم وأعلمه بحجاب محكم.

وأفاد الأستاذ: أن المعترف بتهمته والمتشبث بعلته لا يزيد بعلته لا يزيده كثرة الوعظ إلا نفوراً عن ربه وتباعداً عن قربه فسماعه كلا سماع ووعظه هباء وضياع.

إذا أنا عاتبت الملول فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفا

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [الآية 8] في دار المقيم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ﴾ [الآية 9] وإخباره صدقاً ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] فيما أراد بعباده.

25/ ب وقال الأستاذ: آمنوا صدقوا / وعملوا الصالحات حققوا فاتصاف تحقيقهم إلى تصديقهم فنجوا وسلموا فهم في راحاتهم مقيمون دائمون لا يبرحون.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ [الآية 10] سبق في الرعد بيانها ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 10] جبالاً ثوابت لكم ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية 10] كراهة أن تميدكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 10] مطر الرحمة ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 10] من كل صنف كثير المنفعة وفيه دلالة كمال القدرة وتمام الحكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمسكها بقدرته من غير عماد وحفظها لا إلى إسناد ولا مستند إلى أوتاد بل بحكم الله وتقديره ومشيته وتدبيره والرواسي في

الظاهر الجبال وفي الحقيقة الأبدال الذين هم الأوتاد من الرجال بهم يرزقهم ويسقيهم ويصرف البلاء عن دانيهم وقاصيهم وأنزل من السماء الظاهر في رياض الخضرة ومن سماء الباطن في رياض أهل الدنو والحضرة.

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ العزيز في كبريائه ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 11] أي مما تعبدونه من غيره ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 11] المشركون في الدين ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 11].

وقال الأستاذ: هذا خلق الله العزيز في كبريائه فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ [الآية 12] أي ابن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داوود عليه السلام في زمن نبوته وأخذ منه العلم في شريعته وكان يفتي قيل بعثته فلما بعث ترك الفتوى فقيل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت هنالك والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية على قدر طاقة البشرية ومجمل القضية أن الحكمة هي اتقان العلوم والأعمال الشرعية ومن حكمته أنه صحب داوود شهوراً وكان يسمر الدرع فلم يسأل عنها فلما أتمها لبسها قال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال الصامت: حكم الله، أي حكمه، وقيل: فاعله أي مستعمله ومنها أن داوود قال له: يوماً كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يد غيري فتفكر داوود عليه السلام / فصعق صعقة 26/ أ
ومنها أنه أمر بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتي باللسان والقلب ثم أمر بأن يأتي بأخبث مضغتين فأتى بهما أيضاً فسئل عن ذلك فقال: هي أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 12] لأن نفعه عائد إليها من استحقاق مزيد النعمة واستدامتها عليها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [الآية 12] عن شكر، غير مبالٍ بكفره ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 12] محمود نطق بحمده جميع خلقه إما ببيان القال أو بلسان الحال.

قال أبو عثمان: لا يكون الحكيم حتى يكون حكيماً في قوله حكيماً في فعله حكيماً في معاشرته بأهله.

وقال السري: الشكر أن لا يعصى في نعمه وقال جنيد: الشكر أن لا يرى معه شريكاً في نعمه.

وقال الحريري: الشكر أن لا تحرس لسانك عن النطق بالشكر علماً بأن أخرسه العجز.

وقال الأستاذ: أن الحكمة هي الإصابة في العقل والفعل والنطق ويقال ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] أن لا يكون تحت سلطان الهوى والشهوة ويقال ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: الكون يكون لِمن له الحكم ويقال: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ معرفة قدر نفسك حتى لا تمتد رجلك خارجاً عن كسائك ويقال: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ أن لا تستعصي على من تعلم إنك لا تقاومه ثم حقيقة الشكر انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الرب فإنه في اللغة مقلوب قولهم كشرت عن أسنان الدابة ويقال: الشكر تحققك بعجزك عن شكره ويقال: الشكر حال يحصل به كمال استلذاذ النعمة ويقال: الشكرِ لِفضله يظهر على اللسان من ابتلاء القلب من السرور فينطلق بمدح المشكور.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [الآية 13] اختلف في اسمه ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [الآية 13] لا تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 13] ما عداه ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 13] فيمن عصاهُ لأنه تسوية بين من لا نعمة منه وبين من لا يتصور أن يصدر نعمة عنه.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي عبادة الأصنام والخفي حسبان شيء من الحدثان في الأنام ويقال: الشرك ظلم على القلب والمعاصي ظلم على النفس فظلم النفوس بعرض الغفران وظلم القلوب لا سبيل إليه للغفران.

26/ب ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ [الآية 14] / أي ذات وهن ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [الآية 14] يعني بضعف ضعفها فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [الآية 14] وفطامه من انقضاء عامين وكانت مرضعة في تلك المدة ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [الآية 14] نعمة التربية عليك تفسير لوصيتنا

والجملة المعترضة مؤكدة للتوصية في حقها ولذا ورد «بر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»، ولعل وجه زيادة الكلام بالمرات لاختصاصها بمشقة الحمل والوضع والرضاع ولا يبعد أن عدم ذكر الوضع من باب الطهور والاكتفاء ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 14] فأحاسبك على شكرك وكفرك على اليسير والكثير.

وعن ابن عيينة من صلى صلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه[1].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] أي باستحقاقه والمراد بنفي العلم به نَفْيُ وجوده ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [الآية 15] في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 15] وصحاباً يرتضيه حكم الشرع ويقتضيه كرم الطبع ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ [الآية 15] في أمر الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [الآية 15] في باب اليقين من التوحيد والإخلاص المبين ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 15] مرجعك ومرجعهما مع سائر الخلق أجمعين ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 15] فأجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم وفي الآية أي إلى منع تجويز اقتداء الأبناء بالآباء في غير طريق الأنبياء.

قال عبدالله بن المبارك: لا تقطع أيديهما عن مالك ولا تدع لنفسك معهما ملكا كذلك. وقال بعضهم: اجعل لهما ظاهرك من الشفقة والخدمة واجعل باطنك له سبحانه في الطاعة والحرمة.

وقال الأستاذ: أوجب الله شكر نفسه وشكر الوالدين على عبده ولما حصل الإجمال على أن شكر الوالدين بدوام طاعتهما أو لا يكفي فيه مجرد القول ما لم يكن فيه موافقة الفعل وذلك بالتزام الطاعة واستعمال وجه الطاعة دون صرفها في الزلة فشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [الآية 15] أي بالله وتسعى بما هو زلة في أمر الله فلا تطعهما ولكن عاشرهما بالجميل تحسين في تلوين فاجعل

(1) انظر تفسير حقي (10/ 411).

27/أ لهما ظاهرك فيما ليس فيه حرج وانفرد / بسرّك الله حتى يأتيك فرج.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ [الآية 16] أي الخصلة من الإحسان أو الإساءة ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 16] أي كحبة الخردل مثلاً في صغر الحبة وقرأ نافع برفع مثقال على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وثانيها لإضافة المثقال إلى الحبة أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [الآية 16] مجوفة ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 16] العلوية ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 16] السفلية ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 16] يصل علمه إلى كل ما خفي عن غيره خبير عالم بكنهه.

وقال الأستاذ: عالم بدقائق الأمور وخفياتها من ذوات الصدور.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 17] تكميلاً لنفسك ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية 17] تكميلاً لغيرك ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] من المهالك لا سيما في ذلك، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 17] أي الصبر أو جميع ما سبق من الأمر ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الآية 17] مما عزمه وأوجبه الله من الأمور التي قدرها وقضاها.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالمعروف يكون بالقول وأبلغه أن يكون بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره والمعروف الذي يكون به الأمر ما يوصل العبد إلى الله والمنكر الذي يجب النهي عنه ما يشغل العبد عن مولاه وفي قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] تنبيه نبيه على أن من قام لله بحق امتحن في الله فسبيله أن يصير الله فإن من صبر لله لم يخسر على الله.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 18] لا تمل صفحة وجهك عنهم كما يفعله المتكبرون بينهم وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية 18] أي فَرحاً أو فَرِحاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [الآية 18] ماش بالخيلاء ﴿فَخُورٍ﴾ [الآية 18] مفتخر بماله وجاهر على الضعفاء.

وقال الأستاذ: يعني لا تتكبر على الناس وطالعهم من حيث النسبة هناك وتحقق بأنك بمشهد مولاك ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا

يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [الآية 19] توسط فيه فإن الاقتصاد في جميع المواد هو المراد ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [الآية 19] واخفض منه وانقص عنه ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ [الآية 19] أوحشها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [الآية 19] / من بين الحيوانات فإن 27/ ب
يبالغ في رفعه صوته في جميع الحالات.

قال سفيان الثوري: صوت كل شيء تسبيح الرحمٰن إلا صوت الحمير فإنها تصيح برؤية الشيطان ولذا يكون منكراً بل أنكر.

وقال الأستاذ: كن فانياً عن شواهدك مصطلماً عن صولتك مأخوذاً من حولك وقوتك متنشقاً بها استولى عليك من كشوفات سرك وانظر من الذي يسمع صوتك حين تستفيق من خمار غفلتك وفي قوله: أن أنكر الأصوات من الإشارة أنه الذي يتكلم في لسان المعرفة قبل أوانه من غير إذن من الحق في شأنه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] بأن جعلهما أسباباً محصلة لمعاشكم وفق مرادكم وميسرة لأخذِ زادكم إلى معادكم.

وقال الأستاذ: إذا أثبت في كل شيء منها نفعاً لكم في السماء لتكون لكم سقفاً والأرض لتكون لكم فراشاً والشمس لتكون لكم سراجاً والقمر لتعلموا بها عدد السنين والحساب والنجوم لتهتدوا بها يعني وأمثالها مما لا يمكن إحصاؤها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [الآية 20] محسوسة ومعقولة معروفة ومجهولة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة قيل النعم الظاهرة العافية والأمان والنعم الباطنة الرضوان والغفران.

وقال ابن عطاء: النعم الظاهرة الإسلام والنعم الباطنة الإيمان.

وقال أبو بكر الوراق: النعم الظاهرة استواء الخلق والنعم الباطنة اعتدال الخلق وقال: النعم الظاهرة صحبة أولياء الله والنعم الباطنة هي الرجوع إلى الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه

إلى الزيادة وتكلموا في النعم وأكثروا فالظاهر وجود النعمة والباطنة شهود المنعم الظاهرة الدنيوية والباطنة الدينية الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق الظاهرة نفس بلا زلة والباطنة قلب بلا غفلة الظاهرة العطاء والباطنة الرضا الظاهرة في الأموال ونمائها والباطنة في الأحوال وصفائها ويقال الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق الظاهرة الزهد في الدنيا الباطنة
28/ أ الاكتفاء / بالمولى من الدنيا والعقبى الظاهرة الزهد والباطنة الوجد والظاهرة توفيق المجاهدة الباطنة تحقيق المشاهدة الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق الباطنة اشتغالك عن نفسك بالحق الظاهرة طلبه الباطنة وجوده الظاهرة أن تصل إليه الباطنة أن تبقى معه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] في توحيد ذاته أو تحقيق صفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] مستفاد من دليل معقول ﴿وَلَا هُدًى﴾ [الآية 20] مستدل منقول راجع إلى رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الآية 20] أنزل الحق إلى الخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] وتبين فيه هداه ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [الآية 21] أي سلفنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ [الآية 21] الضمير لهم أو لآبائهم ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 21] إلى ما يؤول إليه من تقليد الإباء وترك متابعة الأنبياء وما أنزل الله من السماء.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] بأن فوض أمره إلى الله وأقبل بكليته عليه فالإسلام بمعنى التسليم ويؤيد قراءة الأعمش بتشديد اللام ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية 22] في علمه وعمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [الآية 22] تعلق بأوثق ما يتعلق ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الآية 22] إذا لكل صائر إليه وحاضر لديه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ [الآية 23] فإنه لا يضرك بل ضرره على نفسه ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 23] في دنياهم وأخراهم ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ [الآية 23] فنخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بحسب أحوالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 23] فضلاً عن ظواهر الأمور.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية 24] تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزال بالنسبة إلى ما

يدوم قليل ولو قدر كثير وطويل.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 25] إذ لا جواب لهم سواه ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 25] على إلزامهم إلى الاعتراف بمناقض كلامهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 25] إن ذلك خلاف مرامهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] لا يستحق العبادة فيهما سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [الآية 26] عن عباده العالمين ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 26] المحمود على لسان الخلق أجمعين.

وقال الأستاذ: لم ينحظر أمنهم ولا مَن أمثالهم ولم يهتدوا إلى محول أحوالهم فأما من أسلم نفسه وأخلص في الله قصده فقد استمسك بالعروة الوثقى وسلك الحجة المثلى ومن كفر فلا يحزنك / كفره إلينا إيابهم ومنا 28/ ب
عذابهم وعلينا حسابهم ولئن سألتهم عن خالقهم لأقروا ولكن إذا عادوا إلى غيهم نقضوا وأصروا ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] ملكاً ويجري فيهم حكمه حقاً وإليه مرجعهم حكماً حتماً.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [الآية 27] ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [الآية 27] والبحر المحيط لسبعة مداد وممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام والمداد أبد الآباد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 27] أي أحكامه وقضاياه لتنامي مخلوقاته وعدم تناهي معلوماته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 27] لا يعجزه شيء في قدرته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 27] لا يخرج أمر عن علمه وحكمته وقرأ أبو عمرو والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وغيره بالرفع للعطف على محل أن ومعمولها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال.

وقال الأستاذ: ما نفدت معاني كلمات الله لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تتناهى لأنها قديمة أي أبدية وأزلية هذا بيان العلم من حيث تحقيق العبارة وأما الإشارة فيه ما نفدت معاني ما لنا معك من الكلام والذي نسمعك فيما نخاطبك به من المرام لأنك معنا أبد الأبد

بوصف الدوام ونعت المدام.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية 28] إلا كخلقها وبعثها من غير تفرقة ولا احتياج إلى معالجة على كل حدة إذ لا يشغله شأن عن شأن فيستوي عنده الكثرة والوحدة حيث يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما أشار إلى هذا المعنى المكنون لقوله: أي أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ [الآية 28] يسمع كل مسموع في آن ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 28] يبصر كل مبصر في كل زمان ومكان لا يشغله شأن عن شأن.

وأفاد الأستاذ: أن إيجاد القليل والكثير عنده سيان لا من الكثير مشقة وعسر ولا من الصغير راحة ويسر إنما قوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية 82] يقول بكلمته ولكنه يكونه بقدرته لا بمزاولة جهد ولا باستفراغ وسع ولا بدعاء خاطر ولا بطريان غرض.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 29] سبق
29/أ معناه ومر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ / [الآية 29] من النيرين ﴿يَجْرِىٓ﴾ [الآية 29] في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 29] إلى منتهى معلوم لسيره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 29] عالم بكنه أعمالكم من كبير وصغير من نقير وقطمير.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنعة وغرائب الحكم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 30] الكائن الموجود المحقق ومحقق وجود الخلق المطلق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية 30] المعدوم في حد ذاته والمضمحل في آثار صفاته وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير أبي بكر بالغيبة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ شأنه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 30] سلطانه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أي أثر رحمته ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 31] الدالة على جمال قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته.

قال الأستاذ: في الظاهر سلامتهم في السفينة وفي الباطل سلامتهم في حدثان الكون ونجاتهم في سفائن العصمة في بحار القدرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

﴿لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ [الآية 31] في المحن ﴿شَكُورٍ﴾ [الآية 31] على المنن كما هو نعت المؤمن فقد ورد أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

قال الأستاذ: صبار وقوف لا ينهزم من البلايا شكور على ما يصيبه من تصاريف القضايا من جنس البلايا والعطايا.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ [الآية 32] غطاهم وعلاهم ﴿مَّوْجٌ﴾ [الآية 32] أي بعد موج ﴿كَالظُّلَلِ﴾ [الآية 32] كما يظل من السحاب أو الجبل ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 32] لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما أصابهم من الخوف الشديد ﴿فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [الآية 32] مقيم على طريق القصد الذي هو التوحيد والوجد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الزجر ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [الآية 32] غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو للوعد البحري ﴿كَفُورٍ﴾ [الآية 32] صاحب الكفر والكفران فهو في مقابلة شكور كما أن ختار في مقابلة صبار لأن القدر لا يكون إلا من عدم الصبر.

وقال الأستاذ: إذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير وإظهار القدرة تمنوا أن تلفظهم تلك البحار إلى سواحل السلامة فإذا جاء الحق يتحقق منا هم عادوا إلى رؤوس خطاياهم.

29/ ب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 33] أي مخالفته والزموا طاعته / ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾ [الآية 33] لا يقضي فيه ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [الآية 33] والمعنى لا يقدر على جلب نفعه ولا سلب ضره ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ [الآية 3] عطف على والد أو مبتدأ خبره ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الآية 33] من نفع الغنى أو دفع العناء ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] بالثواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 33] ثابت يوم الحساب ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 33] عن القيام باهتمام أمر العقبى فإن بهجة الدنيا مخيّلة لأهلها مع سرعة زوالها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الآية 33] أي الشيطان يؤملكم المغفرة ويسوفكم التوبة فيجزيكم على المعصية.

قال السلمي في تفسيره: قيل من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا دوام له في الحضور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخوفهم مرة بأفعاله فيقول اتقوا يوماً ومرة بصفاته يقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: الآية 14] ومرة بذاته بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: الآية 28] إن وعد الله بالحشر والنشر حق وصدق فلا يغرنكم سلامتكم في الحال فعن قريب ستندمون في المآل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 34] عند وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [الآية 34] في وقته المقدر لنزوله والمحل المعين له في علمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الآية 34] من ذكر أو أنثى أو تام أو ناقص أو خنثى.

قال قاسم: من مؤمن وكافر ومطيع وفاجر ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [الآية 34] من خير وشر وربما تعزم على شيء أن تفعله وتفعل خلافه والغد عند أرباب التحقيق وأصحاب التوفيق عبارة عن النفس الثانية الآتية فليحذر النفس العاصية الآبية ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [الآية 34] كما لا تدري في أي وقت تفوت وقيل: بأي أرض بأي قدم أو مقام في يقظة أو منام وقيل: بأي محل تُدفن وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف الله بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [الآية 34] يعلم سرائرها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب الخمس لا يعلمهن إلا الله وتلا هذه الآية: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية 59].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بعلم القيمة وتفصيل ما فيها ويعلم ما
30/ أ في الأرحام ذكورها وإناثها وشقيها وسعيدها وحسنها وقبيحها / متى ينزل الغيث وكم قطرة ينزلها وبأي بقعة يمطرها وما تدري نفس ماذا تكسب غداً من وفاق وشقاق وما تدري نفس بأي أرض تموت ولا أن يدرك مراده أو يفوت.

سورة السجدة

[مكيّة]
وهي ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها ربيع الجميع، من العاصي والمطيع والشريف والوضيع، من أصغى إليه بسمع الخضوع ترك أطيب الهجوع ومن أصغى إليه بسمع المحاب ترك لذيذ الطعام والشراب.

﴿الٓمٓ ①﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف المحبّين تقريبي فلا يصبرون عني وألف العارفين تمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام أي لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على ولائي أم قصروا في وفائي والإشارة في الميم أي ترك أوليائي مرادهم لمرادي فكذلك آثرتهم على جميع عبادي.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 2] مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 2] لأن نافي الريب معه وهو كون معجزاً بمبانيه ومعانيه ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 2] أي هو من عنده لتربيتهم وإصلاح طويتهم.

وأفاد الأستاذ: إذا اعتز لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب فالمعنى أنزلت على أحبابي كتابي وحِلْتُ إليهم بالرسالة خطابي ولا عليهم إن قَرَعَ أسماعهم عتابي فإنهم في أمان من عذابي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 3] أتقولون اختلقه واخترعه من هواه ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 3] الثابت النازل من عند ربك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [الآية 3] أي عقاباً ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 3] من جهته نذير كائن ﴿مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

﴿يَهۡتَدُونَ﴾ [الآية 3] بإنذارك فما موصولة على ما اختاره صاحب البحر ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: الآية 24] والجمهور على أن ما نافية فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم وإن كانوا ملزمين بشرائع الرسل قبلهم وكانوا مقصرين في البحث عنها لا سيما دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقال الأستاذ: بل هو الحق من ربك الذي لكم من حقيقته الأنبياء وإن التبس على الأعداء فليس يضركم ولا عليكم فإن صحبة الحبيب مع الحبيب ألذ ما يكون مقروناً بفقد الرقيب.

30/ب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ/ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الآية 4] مرّ بيانه وسبق برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الأيام خلقها من خلق سائر الأنام وليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته أن يخلقه في وقت إذ الوقت مخلوق في غير الوقت ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الآية 4] ولكن القديم ليس له حد ولا يجوز عليه قرب بالذات ولا بُعد استوى على العرش لكنه صمد بلا ند وأحد بلا حد ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 4] من عند غيره أو ﴿مِّن﴾ [الآية 4] دون أمره ﴿وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [الآية 4] يتولى نصركم ويدفع ضركم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 4] بمواعظ الله فتعتبرون.

وقال الأستاذ: وإذا لم يرد بكم خيراً فلا سماء عنه تظلكم ولا أرض بغير رضاه تقلكم ولا بالجواهر أحد يتاجركم وإذا لم يعين بشأنكم في الدنيا والآخرة أحد ينظر إليكم.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 5] يدبر أمر الدنيا إلى يوم القيامة منزلاً من السماء إلى الأرض فإن السماء محل حكمه والأرض منزل أمره ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [الآية 5] يصعد الأمر إليه ويثبت ما وقع لديه ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 5] وهو من يوم القيامة الذي كله خمسون ألف سنة يوم يعرض فيه الأعمال وهو يوم يطول على بعض ويقصر على بعض

بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الأهوال فقوله في يوم ظرف ليعرج لا ليدبر أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بني آدم لما قطعه إلا في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالنزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد قاله مجاهد والضحاك وقتادة: وعلى هذا يوم ظرف ليدبر وضمير إليه للسماء فتدبروا.

وأفاد الأستاذ: أن الحق خاطب الخلق على مقدار أفهامهم وتجوز لهم عن الحقائق التي اعتادوا في تخاطبهم لمرامهم.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 6] السر والعلانية ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] الغالب على أمره وفق تقديره ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] على عباده بحسب تدبيره.

قال سهل: طوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله وأسقط عنه سوء تدبيره وتعلقه بمن عداه.

وقال الأستاذ: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] مع المطيعين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] مع العاصين ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ للمطيعين ليكسر صولتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ للعاصين ليجبر زلتهم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [الآية 7] / بدل من كل بدل الاشتمال أي 31/أ
اتقن خلق كل شيء ذا حكمة على وفق ما يستعده وبحسب ما يليق به بمقتضى الحكم والمصلحة في وجوده وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام وعلى أنه جملة فعلية صفة لكل أو شيء ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [الآية 7].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ [الآية 8] وذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [الآية 8] خلاصة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [الآية 8] ممتهن حقير.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ [الآية 9] وقومه بتصوير أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [الآية 9] إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإنما إلى اصطفائه وإشعاراً بأن له في الخلقة البشرية مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجل ذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الآية 9] خصوصاً من بين الخليقة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتشكروا ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ [الآية 9] ما زائدة أي شكراً

﴿تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 9] ولذا لا تؤمنون ولا تعتبرون وفي الكلام الثقات من مفرد مغايب إلى جمع مخاطب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحسن صورة كل شيء فالعرش ياقوتة حمراء والملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وجبريل طاووس الملائكة والحور العين كما في الخبر من جمالها وشكلها والختان كما في الأخبار ونص القرآن فإذا انتهى إلى الإنسان قال: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [الإنسان: الآيتان 7، 8] كل هذا ولكن قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري

خلق الإنسان من طين ولكن يحبهم ويحبونه و﴿خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [الآية 7] ولكن رضي الله عنهم ورضوا عنه وخلق الإنسان من طين ولكن قال لهم: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: الآية 152].

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ [الآية 10] أي كفار مكة ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 10] صرنا تراباً مخلوطاً بترابها أو غبنا فيها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ [الآية 10] أي أنبعث أو يجدد خلقنا منها بل هم بلقاء ربهم بالبعث وما بعده كافرون جاحدون.

وقال الأستاذ: لو كان لهم ذرة من العرفان وشمة من الاشتياق إلى الرحمٰن لما تعصوا في إنكار جواز الرجوع إلى ربهم ولكن كما قال ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 10].

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [الآية 11] يستوفي نفوسكم ويقبض روحكم لا يترك منها
31/ب شيئاً أو يبقي منكم أحداً ﴿مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [الآية 11] بقبض / أرواحكم وإحصاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 11] لجزاء أعمالكم وحساب أحوالكم وفي حديث رواه ابن حاتم وغيره إن ملك الموت قال: «يا محمد ما في الأرض من بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم»(1).

---

(1) واللفظ: «قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال =

وعن بعض المحققين إن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [الآية 11] مجاز والله يتوفى الأنفس حقيقة.

وأفاد الأستاذ: إنه لولا غفلة قلوبهم لما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت أن ملك الموت لا أثر منه في أحد ولا تصرف له في نفسه فما يحصل في المتوفى من الخلق فمن خصائص قدرة الحق ولكن غفلوا عن شهود حقائق ربهم فخاطبهم على مقدار فهمهم وعلق بالاعتبار قلوبهم فكل يخاطب بما احتمل على قدر قوته وضعفه في مقامه وحاله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 12] مطأطئوها ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 12] من حياتهم وندمهم قائلين ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ [الآية 12] ما وعدتنا وكذبناه ﴿وَسَمِعْنَا﴾ [الآية 12] منك تصديق ما أخبر رسلك عنك ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ [الآية 12] فردنا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 12] ينفع في العقبى ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [الآية 12] وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً وشاهدت حالاً شنيعاً ولو رُدّ كلامهما للماضي فإن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع في منتهاه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [الآية 13] أي هدايته الموصلة إلينا بتوفيق الإيمان بنا وتحقيق الإحسان لدينا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [الآية 13] ثبت قضائي وسبق وعيدي على جمع بالبعد يعني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 13] أي الذين هم أشقياء في الكتاب المبين.

﴿فَذُوقُواْ﴾ [الآية 14] أي فيقال لهم على سبيل التقريع فذوقوا ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ [الآية 14] بما تركتم اعتقاده وأهملتم زاده ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [الآية 14] تركناكم من الرحمة أو العقوبة ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 14] الذي كنتم تنكرون ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من الكفر والمعصية والآية جواب من قولهم ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 12] يعني لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما

= له النبي ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقرّ عيناً فإني بكل مؤمن رفيق واعلم أن ما من أهل بيت...» انظر تفسير القرطبي (14/ 93) والفتاوى الحديثية لابن حجر (1/ 60) وتذكرة الموتى (1/ 83).

32/ أ أردنا فذوقوا العذاب المقدر في العقبى/ بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] قبل لو شئنا لهديناهم أجمعين إلى طريق الجنة ولم ينقص ذلك من ملكنا ولكن عذبنا ليظهر العدل كما أنعمنا ليظهر الفضل.

وقال الأستاذ: يعني لو شئنا لسهلنا لكل أحد سبيل التحقيق وأدمنا طريق التوفيق ولكن تعلقت المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بأدنى فريق وأردنا أن يكون للنار فكان كما أردنا أن يكون للجنة سكان ويقال: من لم يتسلط عليه من يحبه لم يُجر في ملكه ما يكرهه ويقال: يا مسكن أفنيت عمرك في الكد والعناء وأمضيت أيامك في الجهد والرجى غيرت صنعتك وأكثرت مجاهدتك فما تفعل في قضائي كيف تبدل له وما تصنع في مشيئتي بأي وسع تردها وفي معناه أنشدوا:

شكا إليك ما وجد ... من خافه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ... ظمآن لو شئت ورد

فتقاسِ من الهوى ما استوجبته بعصيانك واخلد في دار الخزي بما استلفته من كفرانك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 15] أي بموجب علاماتنا ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ [الآية 15] وعظوا بما فيها ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ [الآية 15] سقطوا على وجوههم ساجدين تواضعاً لله وانقياداً لما قضاه أو خوفاً من نزول عذابه أو حلول حجابه ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 15] نزهوه حامدين له على ما من عليهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 15] عن الإيمان به وعن القيام بطاعته وعن متابعة كتابه ورسله وعن السجود في أوقاته.

وأفاد الأستاذ: اعلم أنهم خرُّوا بظواهرهم في محراب السجود والركوع وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمول ويقال: كيف يستكبر من لا يجد كمال راحته لا حقيقة أنسه ولذّته إلا في تذلله بين يدي معبوده في طاعته لا يؤثر عاقل جحيمه على نعيمه ولا شقاه على تقاته.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ [الآية 16] تتباعد وتنتحي ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [الآية 16] مواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 16] داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 16] من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في ثوابه / ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] في وجوه مرضاته. 32/ ب

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قيام العبد في الليل والمراد به التهجد لما في الأحاديث المعتمدة عن الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم[1]. وقيل: هم الذين يصلُّون صلاة العشاء لا ينامون عنها فقد رواه ابن جرير بإسناد جيد[2] عن أنس هو انتظار صلاة العتمة، وعن بعض هو صلاة العشاء والصبح بجماعة، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشاءين، وهذا قول أنس أيضاً وعكرمة وقتادة ومحمد بن المنكدر وابن حازم.

قال ابن عطاء: شيء يخافت أن تسكن على بساط الغفلة وطلب بساط المناجاة القربة قيل خوفاً من القطيعة وطمعاً في الوصلة.

وقال جعفر: خوفاً منه وطمعاً فيه.

وقال الأستاذ: تتجافى جنوبهم في الظاهر عن الفراش قياماً نحو العبادة والجهد والتهجد وفي الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعة الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام في الأعمال أن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة والكمال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مالهم ويهجرون في الله معارفهم والليل زمان الأحباب قال تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [يونس: الآية 67] يعني عن كل شغل سوى حديث محبوبهم والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى: و﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: الآية 11] أولئك قال لهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية 10] إذا ناجيتمونا

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 346) رقم (3196)، وأحمد في المسند (5/ 232) رقم (22075).
(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 109) رقم (4527).

بركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم في الجملة وأما الأحباب فالليل لهم إما في طرب التلاق أو في جوب الفراق فإن كانوا في أنس قربه فليلهم أقصر من لحظة وإن كان الوقت وقت مقاساة فرقةٍ وانفراد فليلهم طويل وويلهم جزيل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [الآية 16] من الفراق ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في التلاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] يأتون بالشواهد التي خصصناهم بها في المقامات أظهرنا أحوالهم عن الذين حضروا بأحوال مقدسة
33/ أ وإن دنسنا أوقاتهم بالآفات / شهدوا بحالات مدنسة فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعه سيده يفديك بالروح حسب لو يكون له أعز من روحه شيء فداك به.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 17] لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 17] ما تقربه أعينهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1].

وقرأ حمزة أخفي بسكون الياء على صيغة المتكلم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 17] أي جزوا جزي وفاقاً حيث أخفوا أعمالهم فأخفى الله أحوالهم.

وقال الأستاذ: إنما تقر عينك برؤية من تحبه طاب قلبك وراع حالك ثم يحصل اليوم سرورك كذلك يكون غداً حضورك وعلى ذلك تحشر كما في الخبر من كان بحالة لقي الله بها.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 18] بالله وملائكته وبكتبه ورسله ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ﴾ [الآية 18] خارجاً عن طاعة ربه وسبله في المنزلة والمرتبة ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [الآية 18] تأكيد وتصريح للمبنى والجمع للحمل على المعنى قيل نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه أسلم في آخر عمره وكان بينهما تنازع فقال لعلي: إنك صبي وأنا والله أبسط لساناً وأحد سناناً وأشجع منك جناناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق كذا قاله عطاء بن سيار والسدي وغيرهما.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

قال الأستاذ: أفمن كان في حلة الوصال يجر أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلقة كمن هو في هوى العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن هو في روح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه أفمن بقي معنا كمن بقي عنا أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 19] على وفق رضى المولى ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [الآية 19] فإنها المأوى/ الحقيقي لا الدنيا فإنها منزل مرتحلٍ عنها 33/ ب
إلى الأخرى ﴿نُزُلًۢا﴾ [الآية 19] لا يبتغون عنه حولاً ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسبب أعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ [الآية 20] أي الكفار ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 20] في دار البوار من غير القرار والفرار ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ﴾ [الآية 20] وصعدوا إلى بابها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الآية 20] ردوا إلى أسفل دركاتها وهو عبارة عن خلودهم بها وعدم تحولهم عنها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 20] إهانة لهم وزيادة في همهم.

وقال الأستاذ: الذين آمنوا صدقوا وعملوا الصالحات بما حققوا فلهم حسن الحال وحميد المآل وأما الذين جحدوا وكندوا في معاملاتهم أساؤوا وأفسدوا فقصاراهم الخزي والهوان وفنون من المحن وألوان كلما راموا من محنتهم خلاصاً ازدادوا فيها انتكاساً وكلما أملوا نجاة جرعوا قنوطاً وزيدوا إياساً.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الآية 21] عذاب الدنيا وهو مصائبها ومحنها من القحط والقتل والأسرار فيها ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [الآية 21] أي قبل العذاب الأعظم في البرزخ أو العقبى ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 21] لعل من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 21] يتوبون عن كفرهم قال أبو سليمان الداراني العذاب الأدنى

الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران.

وقال الأستاذ: قوم عذابهم الأدنى محن الدنيا والعذاب الأكبر لهم عقوبة العقبى وقوم عذابهم الأدنى لهم فترة تتداخلهم في عبادتهم والعذاب الأكبر قسوة في قلوبهم تصيبهم في حالتهم وقوم عذابهم الأدنى لهم وفقه في سلوكهم تمسهم والعذاب الأكبر حجبة عن شاهدهم تنالهم ويقال العذاب الأدنى الخذلان في الزلة والأكبر الهجران في الوصلة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 22] مدة يمر عليها ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها ولم يؤمن بها ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 22] أي المشركين الكاملين في الإجرام ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية 22] غاية الانتقام.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 23] كما آتيناك الكتاب فصل الخطاب ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ [الآية 23] نوع من الارتياب ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [الآية 23] من لقائك
34/ أ الكتاب فإذا لقيناك/ في هذا الباب أو من لقاء موسى الكتاب من وراء الحجاب أو من لقائك موسى ليلة المعراج كما روي عن قتادة وغيره أو من لقاء موسى ربه أي بعد موته فاطمع أنت في صمته هكذا فسّره النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبراني[1] ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ [الآية 23] أي موسى أو الكتاب المنزل عليه ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 23].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ [الآية 24] الأمة إلى ما فيه من الحكم والحكمة ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 24] إياهم به أو بتوفيقنا له ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [الآية 24] حين حبسوا أنفسهم على أوامر الله وصبروا على مصائبه التي قدرها عليهم وقضاؤهُ وقرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتحقيق الميم أي لصبرهم على طاعة المولى أو على محنة الدنيا ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 24] ففي الآية تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم في حالته وإرشاد لأصحابه وأمته.

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 448) رقم (1399)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 140) رقم (314).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الآية 25] يقضي بين المحق والمبطل ويميز الحق من الباطل ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 25] من أمر دينهم.

قال الأستاذ: يحكم بينهم وعند ذلك يتبين المردود من المقبول والمهجور من الموصول والرضي من الغوي والعدو من الولي فكم من بهجة دامت هنالك ولكم من مهجة ذابت هنالك.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الآية 26] أي ألم ينبههم ولم يبين لهم كثرة إهلاك من أهلكناهم ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [الآية 26] الماضية فيهم ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ [الآية 26] يمرون في أسفارهم على ديارهم ويشاهدون آثار دمارهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ [الآية 26] لمن نظر واعتبر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 26] الخبر إن لم يبصروا الأثر.

وقال الأستاذ: أو لم يعتبروا بمنازل أقوام كانوا في خبره فصاروا عبرة كانوا في سرور فآلوا: إلى ثبور فجميع ديارهم ومزارهم صارت لأغيارهم وصنوف أموالهم عادت إلى أشكالهم سكنوا في ظلالهم ولم يعتبروا بمن مضى من أمثالهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [الآية 27] الذي جرز نباتها أي قطع وأزيل نبتها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ [الآية 27] بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ [الآية 27] من الزرع ﴿أَنْعَـٰمُهُمْ﴾ [الآية 27] كالتبن والورق ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 27] كالحب والثمر/ ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 27] فيستدلون به على كمال قدرته وجمال فضله ومتنه. 34/ ب

وأفاد الأستاذ: الإشارة منه تسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من عهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله خالياً بحاله حال حصوله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ [الآية 28] النصرة أو الفصل بالحكومة ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية 28] في الوعدية وقرب إتيانه.

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [الآية 29] لحلول بأسهم وحصول يأسهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [الآية 29] لا يمهلون للإيمان ولا للإحسان لفوات الأوان وذهاب الأمان.

وأفاد الأستاذ: إنهم استبعدوا يوم التلاقي وحجدوا فأخبرهم أنه ليس لهم إلا الحسرة والمحنة إذا شهدوا.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 30] ولا تبال بما ظهر منهم ﴿وَٱنتَظِرۡ﴾ [الآية 30] النصرة عليهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [الآية 30] ما حل بهم.

وقال الأستاذ: فاعرض عنهم باشتغالك بنا وإقبالك علينا وانقطاعك إلينا وانتظر زوائد وصلنا وعوائد لطفنا أنهم منتظرون هواجم مقتنا وخفايا مكرنا وعن قريب يجد كل منتظره محتضره.

سورة الأحزاب

[مدنيّة]
وهي ثلاث وستون آية[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلفاً في تلف ووجودهُ يوجب لك شرفاً على شرف، ففي تلفك يكون عنك الخلف وفي شرفك تصل إلى كل لطف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 1] دم على تقوى وطاعة المولى ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 1] فيما يعود برهن في الدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 1] بالمصلحة والمفسدة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 1] لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة.

قال ابن عطاء: يأتيها المخبر عن خبير صدق وقول حق: اتق الله في أن يكون لك التفات إلى شيء سواه.

وقال أبو عبدالله الروذباري: التقوى مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

وقال الواسطي: التقوى على الحقيقة هو تقوى القلب لربه لقوله عليه السلام: «ألا إن التقوى ها هنا»[2] وأشار إلى قلبه.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف حالاً بنا المفخم قدراتنا المعلي رتبة من قبلنا يا أيها المرقّى إلى أعلى الرتب الملقى بأسنى القرب يا أيها المخبر عنا المأمون / على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبابنا اتق الله أن لا تلاحظ غيرنا 35/أ

(1) كذا في الأصل المخطوط.
(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2564/ 32)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 92) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (5/ 301) رقم (2923).

معنا أو تساكن شيئاً من دوننا أو تثبت أحداً سوانا أو تتوهم شظية من الحدثان عما عدانا ولا تطع الكافرين إشفاقاً منك عليهم وطمعاً في إيمانهم والتقوى رقيب على قلوب أوليائه يمتعهم في أنفاسهم وسكناتهم وحركاتهم أن ينظروا إلى ما عداه أو يثبتوا معه سواه إلا مصوناً لقدرته متصرفاً بمشيئته نافذاً فيه حكم قضيته.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ [الآية 2] كالنهي عن طاعتهم وعدم المبالاة بمخالفتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 2] من ملاءمتهم ومنافرتهم، وقرأ أبو عمر بالغيبة.

قال الأستاذ: اتبع ولا تبتدع واقتد بما نأمرك ولا تبتدع باختيارك غير ما نختاره لأجلك وكن لنا لا لك وقصر بنا لا بك.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 3] ولا تلتفت إلى ما سواه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 3] موكولاً إليه أمور من عداه.

وقال ذا النون: التوكل ترك تدبير النفس وقيل: التوكل قطع القلب عن كل علاقة سوى الرب.

وقال الأستاذ: أي انسلخ عن إهابك لنا واصدق في إيابك إلينا وتشاغل عن حسابك معنا واحذر ذهابك عنا ولا تقصر في خطابك منا ويقال: التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقدة وتخلق بإقامة الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية. ويقال: التوكل استواء القلب في العدم والوجود مع الرب.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ [الآية 4] أي لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته لأن القلب سلطان والأعضاء كالرعايا ولا يليق بملك سلطانين في القضايا.

وأفاد الأستاذ: أن القلب إذا اشتغل بشيء اشتغل عما سواه فالمشتغل بها من العدم منفصل عمن له القدم والمتصل بقلبه عن نعته القدم مشتغل عما

من العدم والليل والنهار لا يجتمعان والنصب والجرّلا يلتقيان ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 4] بأن قال أحد: مثلاً لزوجته أنت علي كظهر أمي ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [الآية 4] / لاختلاف الحقيقة الظاهرة فيما بينهن ﴿وَمَا جَعَلَ 35/ ب
أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية 4] فإن البنوة أمر ذاتي والتبني حكم عارض فلا يكون الشيء الحقيقي عين المجازي ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الآية 4] حيث كانت العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان للمودة والكراهة والزوجة المظاهر عنها كالأم في الحرمة المؤبدة ودعي الرجل ابنه بنحو التوارث في القرابة وحاصله أنه تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته فيفعل بأحدهما غير ما يفعل بالآخر من الصنعة فيؤدي اتصاف شخص واحد بالعلم والظن والمحبة والكراهة وغيرهما في حالة واحدة ولم ير أيضاً أن يكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وأن يكون رجلاً دعياً غير أصيل وابناً أصلياً لتناقض القضية ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية 4] المطابق للصدق ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الآية 4] طريق الحق المطلق.

وقال الأستاذ: أي الذي تظاهرتم منهن لَسْنَ أمهاتكم والذين تبنيتم ليسوا بأبناءكم إن الذي صرتم إليه من اجترائكم ونسبتم إلينا من آراءكم ذلك مردود عليكم غير مقبول منكم إن أمسكتم عنها بعد البيان نجوتم وإن تماديتم عليها بعد ما أعلمتم أظللتم المحنة عليكم.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي انسبوهم إليهم لا إلى غيرهم وهو إفراد للمقصود من قوله: الحق وحكم الصدق ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية 5] فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الآية 5] أي أولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل لأنه أهدى السبيل ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية 5] إثم ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 5] قبل النهي والبيان أو بعده على وجه النسيان أو سبق اللسان ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية 5] فيه والجناح والعصيان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمخطئين ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 5] للمحسنين وفي الحديث أي في القرآن المنسوخ ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا

عن آباءكم وقد ورد: من دعي[1] إلى غير أبيه وهو يعلمه فقد كفر[2].

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الآية 6] أي في أمور الدين وما يتعلق بها أو في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاحهم في العقبى بخلاف النفس فإنها أمارة بالسوء مع أن لها حقاً أيضاً فيجب
36/ أ أن يكون أحب إليهم من أنفسهم في أحوالها وأمره / أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية بحسن الريبة في آداب العبودية ولذا صار المؤمنون أخوة ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الآية 6] منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [الآية 6] أي ذو القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الآية 6] في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمناصرة في الملة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] في حكمه كما قضاه ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية 6] بيان لأولي أواصله الأولى وهو الأولى ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ [الآية 6] أي لكن فعلكم إلى أحبابكم معروفاً جائز في الشريعة والمعنى ذهب الميراث بالهجرة وبقي البر والإحسان والوصية ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] الحكم ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الآية 6] ثابتاً في اللوح على وجه الكمال أو في علم الله على هذا المنوال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا تقديم سنته على هواك والوقوف عند إشارته دون ما يتعلق به مناك وإيثار من يتوسل به سبباً ونسباً على أعزتك ومن والاك، ليكن الأجانب منك على جانب، وليكن وصلتك للأقارب وصلة الرحم ليس بمقاربة الديار وملاصقة المزار ولكن بموافقة القلوب في حالتي المكروه والمحبوب.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الآية 7] عهودهم بتبليغ الرسالة وإقامة

(1) أخرجه أحمد في المسند (1/ 47) رقم (331)، وعبد الرزاق في المصنف (5/ 439) رقم (9758).
(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 403) رقم (15112)، وقد ورد بعدة صيغ.

الدين على طريق الاستقامة ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ [الآية 7] خَصّ أولي العزم الخمسة من بينهم لكمال شرفهم وقدم نبينا تعظيماً لرفعة شأنه وتكريماً لمقدمة بيانه وإشعاراً بسبق وجود نوره وإن تأخر شهود ظهوره ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: الآية 154] عظيماً في النبيين أو مؤكداً باليمين على الوفاء بها حملوا والصفاء بما عملوا وهو ميثاق للخاصة بعد ميثاق العامة في ذلك اليوم أو بعد بعثتهم إلى القوم.

﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ [الآية 8] أي أخذ الله ميثاقهم أولا ليسأل الله آخر الأنبياء الذين صدقوا في الإنباء عهدهم عن كلام صدقهم لقومهم أو تصديق أمتهم إياهم تبكيتاً لمن كذبهم وتفريحاً لمن صدقهم ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] عطف على ما دل عليه لِيسأل كافة قال: فأثاب/ المؤمنين نعيماً 36/ ب
مقيماً ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] قيلْ لا يشم رائحة الصدق من يداهن نفسه أو يداهن غيره.

وقال الأستاذ: أراد سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ [الآية 9] يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا قدر اثني عشر ألفاً فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لإشارة سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة شهراً وخرج إليهم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في ثلاثة آلاف ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا﴾ [الآية 9] شديداً وهو الصبا في ليلة باردة مظلمة في فصل الشتاء ﴿وَجُنُودًا﴾ [الآية 9] من الملائكة ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الآية 9] نزلوا من السماء فالريح سفّت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت خيولهم وقذف الله الرعب في قلوبهم وكبّرت الملائكة في جوانب جنودهم فانهزموا خائفين خائبين إلى أعقابهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 9] من حفر الخندق وغيره وقرأ أبو عمرو بالغيبة أي بما يعمل المشركون من التخريب والمحاربة ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 9].

وأفاد الأستاذ: أن ذكر نعمته مقابلها بالشكر ويذكر ما سلف من الذي دفع عنك يهون عليك مقاساة البلاء في الحال وبذكرك لما أولاك في الماضي بقرب من قلبك الثقة بإيصال ما قوله في الاستقبال فمن جملة ما ذكرهم قوله إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكم بلاء صرفه عن العبد وهم لم يشعروكم شغل كان بصدده قصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يصح وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يتهتمه ويضيق به صدره.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية 10] من أعلى الوادي من قبل الشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الآية 10] من أسفل الوادي من قبل الغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الآية 10] مالت أبصار المؤمنين من مستوى نظرها، قال الفراء: أزاغت عن كل شيء فلم يلتفت إلا إلى عدوها ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ
37/ أ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الآية 10] رعباً والمعنى اضطربت/ وإلا فلا انتقال للقلوب عن مقرها ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الآية 10] الأنواع من الظن باختلاف مراتب الظانين من المؤمنين الكاملين الناقصين والمنافقين حتى قال بعض أهل النفاق: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز قيصر وكسرى والآن لا نقدر أن نذهب للغائط إلى الصحراء.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] امتحنوا فظهر المخلص من المنافق وتميز المخالف من الموافق ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الآية 11] أزعجوا من شدة الفزع وحركوا من شدة الجزع ثم أزال عنهم جملتها وهون عليهم شدتها وانجاب عنهم سحابها وتفرقت عن قلوبهم همومها وحجابها.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 12] ضعف اعتقاد وعدم توكُّل واعتماد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [الآية 12] من الظفر في الدين وإعلائه ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: الآية 64] وعداً باطلاً لا وفاء به.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 13] من المنافقين وأتباعهم من ضعفاء اليقين ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [الآية 13] وهو كان اسماً للمدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الآية 13] لا موضع قيام لكم ها هنا ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الآية 13] إلى منازلكم على طريق الهناء. وقرأ

حفص بضم الميم على أنه مكان أو مصدر من الإقامة ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [الآية 13] للرجال إلى المدينة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الآية 13] غير حصينة نخاف عليها من السرقة ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الآية 13] بل حصينة مستورة ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الآية 13] من قتال لو وقع هنالك.

وقال الضحاك: رجع ثمانون رجلاً من غير إذن النبي صلى الله عليه وسلم لضعف دينهم وقلة يقينهم.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ [الآية 14] أي المدينة أو بيوتهم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الآية 14] من جوانبها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [الآية 14] الردة ومقاتلة الطائفة المسلمة ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ [الآية 14] لأعطوها وقرأ الحجازيان: فإن بالقصر لجاؤوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ [الآية 14] بالفتنة أي بإعطائها أو بإتيانها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الآية 14] تلبثاً يسيراً أو زمناً قليلاً وهو كناية عن سرعة الإجابة.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل تلك المحاربة ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الآية 15] لا يفرُّون من المقاتلة ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الآية 15] عن الوفاء به والجزاء على وفقه.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية 16] فإنه لا بدّ لكل / شخص من موت حتف أنفه أو قتل في وقت معين سبق بالقضاء وجرى 37/ ب عليه القلم بأمر الله وإنه لا يتصور تغييرهُ ولا تقديمه ولا تأخيره ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 16] وإن نفعكم الفرار على الفرض والتقدير فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً إذ لا يشك عاقل أن آخر أمر كل مخلوق هو الموت وإن كان عظيماً وجليلاً.

وقال الأستاذ: لأن الآجال لا تأخير لها ولا تقديم عليها وكما قالوا إن الهارب مما هو كائن في كف الطالب ينقلب وإذا لا تمتعون إلا قليلاً فإن ما يدخره العبد عن الله من مال أو جاه أو نفس أو قريب فلا يبارك له فيه ولا يجد به متعة ولا يرزق منه غبطة.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] من يمنعكم من حكمه وقضائه

وقدرة ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ [الآية 17] مساءة ومضرّة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الآية 17] نعمة ومسرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية 17] ينفعهم بزيادة النعمة لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدفع المحنة عنهم.

وقال الأستاذ: من ذي الذي تحقق لكم من دونه مرجواً ومن ذا الذي يصرف عنكم من دونه عدواً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الآية 18] المانعين من نصرة رسول الله والمؤمنين وهم جماعة من المنافقين ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الآية 18] من سكان المدينة وهم جماعة الأنصار من أصحاب السكينة ﴿هَلُمَّ﴾ [الآية 18] إلينا قربوا أنفسكم ﴿إِلَيْنَا﴾ [الآية 18] أقبلوا بكليتكم علينا فنحن في ظلال وأثمار وراحة وأنهار ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ [الآية 18] لا يحضرون الحرب مع المؤمنين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 18] إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويثبطون ويرجعون فيمتنعون من نصرته بأنفسهم ويمنعون أيضاً معاونة غيرهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 19] حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو المنفعة أو الظفر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 19] خوفاً ولواذاً بك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 19] في أحداقهم ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ﴾ [الآية 19] نظر المغشي ﴿عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية 19] من معالجة سكراته ومزاولة منكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وجمعت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ [الآية 19] ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الآية 19] لأجل الغنيمة وغيرها ﴿أَشِحَّةً عَلَى
38/ أ ٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 19] على تحصيل المال وتحسين/ الحال وتزيين الكمال والحاصل أنهم جمعوا بين الجبن والبخل والطمع والفشل وقلة الحياء عدم الوفاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾ [الآية 19] إخلاصاً ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 19] فأظهر بطلان أعمالهم وضياع أحوالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 19] الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 19] هيناً لتعلق الإرادة به وعدم مانع من نفاده وهذا كما ورد من تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله في أي واد أهلكه.

وقال الأستاذ: إذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم وطاحت

بصائرهم وتعطلت عن النصرة جميع أعضائهم وإذا ذهب الخوف زينوا كلامهم وقدموا أخداعهم واحتالوا في إخفاء خستهم أولئك الذين هذه صفتهم لم يباشر الإيمان قلوبهم ولا صدقوا فيما أظهروا من إذعانهم وإسلاحهم.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ [الآية 20] أي هؤلاء المنافقين لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة واهتموا ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [الآية 20] كرة ثانية إلى ديارهم مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم ﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ [الآية 20] تمنوا أنهم خارجون إلى البادية ﴿فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 20] جاهلون فيما بينهم كالتراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 273] كل قادم من جانبكم ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الآية 20] عما جرى عليكم من أعدائكم ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾ [الآية 20] هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ومحاربة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 20] رياءً وسمعة وخوفاً عن ميسرة.

قال الأستاذ: يخافون من عدوهم وعودهم ويفزعون من ظل أنفسهم إذا وقع على أثرهم ولو اتفق هجوم الأعداء ما كانوا إلا جوز سيوفهم وذرية رماحهم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 21] وقرأ عاصم بضم الهمزة أي في متابعته خصلة مستحسنة وقدوة مرنة حسنة كثبات القلب في باب الحرب ومقاساة المتاعب ومعاناة المصائب ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ ثوابه أو لقاءه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾ [الآية 21] نعيمه وجزاءه أو يخاف عذابهما في دنياه وعقباه ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 21] فإن كثرة الذكر توديه إلى ملازمة الطاعة في الدنيا وتقتضي له حساباً يسيراً في العقبى.

قال أبو عثمان: من أمّر السنّة على نفسه نطق بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه نطق / بالبدعة. 38/ ب

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا﴾ [الآية 22] أي ما رأينا أو البلاء ﴿مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 22] بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: الآية 214] ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية 22] بقوله عليه

السلام: «إنّ الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً أي في آخر تسع ليال أو عشر»[1]، وقوله: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [الآية 22] صدقا في النصرة والمثوبة كما صدقا في البلية والمحنة ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ [الآية 22] أي ما زادوا من البلاء وضيق أمره ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾ [الآية 22] بالله ومواعيده ﴿وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الآية 22] انقياداً لأحكامه وتقاديره.

وقال الأستاذ: كما أن المنافقين اضطربت عقائدهم عند رؤية الأعداء ومشاهدة البلاء فالمؤمنون وأهل اليقين ازدادوا ثقة وعلى أعداء الدين جرأة ولحكم الله استسلاماً ومن الله قوة.

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الآية 23] أي فيما وعدوا ونذروا من الثبات مع الرسول في ميدان اليقين والقتال مع أعداء الدين ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ [الآية 23] نذره بأن قاتل أحد حتى استشهد كحمزة ومعصب بن عمير وأنس بن النضر فاتهم نذروا أنهم إذا لقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ [الآية 23] الشهادة كعثمان وطلحة أو معناه ومنهم من ينتظر يوماً يقضي فيه نذره فإن أنس ابن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال: لئن أراني الله مشهداً فيما بعد لأري الله ما أصنع فقاتل يوم أحد حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم كما رواه البخاري والترمذي والنسائي[2].

﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ [الآية 23] العهد ما غيروه ﴿تَبۡدِيلٗا﴾ [الآية 23] شيئاً من التبديل والتغيير وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وعدم الوفاق.

وفي «تفسير السلمي»: الرجال الصادقون مع الله عز وجل بوفاء العهد

---

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3/ 100) رقم (1009)، وانظر الكشاف (5/ 319).

(2) أخرجه البخاري (4048) والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 348) رقم (3200)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 79) رقم (8291)، وأحمد في المسند (3/ 194) رقم (13038).

فمنهم من بذل وسعه وجهده في الطاعة ومنهم من ينتظر التوفيق من ربه وما غيروا عن محبته تغييراً.

39/ أ وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شكر صنيعهم في المراس / ومدح يقينهم عند شهود البأس وسمّاهم رجالاً إثباتاً لهم بالخصوصية في الرتبة وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحالة والمنزلة فمنهم من خرج من دنياه على صدقه ومنهم من ينتظر في الحياة والممات حكم الله وأمره ولم يزيفوا عن عهدهم ولم يروغوا في مراعاة حدهم وحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد. ويقال: الصدق استواء الجهر والسر، ويقال: هو الثبات عند عزم الأمر.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الآية 24] في الدنيا بالتمكين والنصرة وإعلاء الراية وفي الآخرة بجزيل الثواب وجميل المآب والخلود في النعيم المقيم والتقدير على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية 24] يردهم عن أمرهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق به الحكم ﴿إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية 24] إن شاء بأن يميتهم على كونهم أو يتوب عليهم بستر الحوبة وقبول التوبة.

وقال الأستاذ: إذا لم يجزم بعقوبة المنافق وعلق القول فيه على الرجاء فبالحري أن لا يخيب المؤمن في رحابه بالتسليم تحت القضاء والقدر.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 25] يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ [الآية 25] مصحوبين في هذا الباب ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ [الآية 25] لم يصيبوا ظفراً ونصراً ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ [الآية 25] أغناهم عن المحاربة بسبب إرسال الريح وإنزال الملائكة أو كفى الله مداومة القتال فلم يغزُ قريش المسلمين بعد هذا الحال كما ورد الآن نغزوهم ولا يغزونا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الآية 25] غالباً على مراده فيما يجري على عباده.

وقال الأستاذ: لم يشمت بالمسلمين عدواً ولم يوصل إليهم من كيدهم سوءاً ووضع كيدهم في نحرهم وأجتثهم من أصلهم وبين ذلك جواهر صدقهم وشكر من استوجب شكره من جملتهم وفضح من استحق الذم من المدلسين فيهم.

﴿وَأَنزَلَ﴾ [الآية 26] أي الله ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [الآية 26] عاونوا الأحزاب ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 26] يعني بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم مع أن آباهم نزلوا المدينة قديماً طمعاً في اتباع النبي الأمي المكتوب في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فكفرهم عناد وعهدهم فساد
39/ ب ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الآية 26] من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية 26] / الخوف والرهب ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الآية 26] أي رجالهم ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الآية 26] أي نساءهم وذراريهم روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع إلى المدينة وكان على ثناياه بقع الغبار فقال جبريل: أتنزع لأمتك - أي درعك - والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فأذّن في الناس أن لا يصلُّوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرون أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم: تنزلوا على حكمي فأبوا فقال: على حكم سعد بن معاذ، فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وهم بين ثمانمائة إلى التسعمائة وسبي ذراريهم ونسائهم وبقسم أموالهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: حكمت بحكم الله فوق سبعة أرفعة أو سموات فقتل منهم ستماية أو أكثر وأسر سبعمائة(1).

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ [الآية 27] مزارعهم ﴿وَدِيَٰرَهُمْ﴾ [الآية 27] حصونهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية 27] نقودهم وأثاثهم ومواشيهم. روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «إنكم في منازلكم، فقال عمر رضي الله عنه: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ فقال: لا إني جعلت هذه لي طعمة»(2) ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الآية 27] كفارس والروم أو خيبر أو مكة وكل أرض تفتح إلى يوم القيامة على أن الخطاب لجميع الأمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 27].

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3043)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 6) رقم (5323)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 63) رقم (17796)، وأبو يعلى في المسند (2/ 405) رقم (1188).

(2) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (3/ 104) رقم (1013).

وأفاد الأستاذ: أنّ الحق سبحانه إذا أجمل أكمل وإذا كفن شفى وإذا وعد وفى فأظهر المسلمين عليهم وأورثهم معاقلهم وأذل متعززهم وكفاهم بكل وجه أمرهم ومكنهم من قتلهم وأسرهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 28] متعتها وسعتها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 28] زخرفها وبهجتها ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ [الآية 28] أعطكن المتعة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية 28] طلاقاً من غير مضرة ولا بدعة.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ﴾ [الآية 29] أي المخلصات في النيات ﴿مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 29] تستحقر دونه الدنيا وزينتها روي أنهن سألته ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله / ثم اختارت الباقيات اختيارها كما في الصحيحين وغيرهما 40/ أ
وروي أنه لما نصر الله نبيه وفرق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله نساء كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والعناء فأمره الله أن يتلوا عليهن ما نزل في شأنهن.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ما أراد أن يكون قلب أحد من المؤمنين والمؤمنات في شغل عنه أو يعود إلى أحد أذى وتعب منه فخير النبي صلى الله عليه وسلم بأمره نساءه ووفق عائشة رضي الله عنها حين أخبرت عن صدق دينها وكمال قلبها ويقينها وبما هو المنتظر في ظنيتها وطويتها من أصلها ونيتها والباقين جرين على منهاجها ونسجنَ على منوالها ومشين في ضوء سراجها.

﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الآية 30] كبيرة ظاهر قبحها، وعن ابن عباس: هي النشوز وسوء الخلق في عشرتها ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية 30] ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه وقدره مرتين لأن النشوز معه ليس كالنشوز مع سائر الأزواج ولأن الذنب منهن أقبح من غيرهن فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضله ولذا جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا

يعاتب به غيرهم ثم الشرط لا يقتضي الوقوع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: الآية 81]، وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين المفتوحة وابن كثير وابن عامر يضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 30] هيناً.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 31] في بقية عمرها على سائر أمرها ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 31] مثلي ثواب غيرها أو مرة على الطاعة ومرة على القناعة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياً أيضاً حملاً على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ [الآية 31] في أعلى عليين من الجنة زيادة على أجرها تكريماً لأمرها ولا يبعد أن يكون ذلك وعداً دنيوياً / بأن 40/ب
يرزقها ﴿رِزْقًا﴾ [الآية 31] لدينا ﴿كَرِيمًا﴾ [الآية 31] من جهة أنه حلال بلا تعب ونصب ومن غير إعواز إلى من يكون.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية 32] أي ليس كل واحدة منكن كواحدة من نساء زمانكن لعظمة نسائكن ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ [الآية 32] مخالفة أمر الله وحكمه ومعارضة ورضا رسوله وحبيبه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 32] أي لا تكلمن كلاماً ليناً ومقالاً هيناً ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الآية 32] فجور ونفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الآية 32] عند أرباب وفاق.

﴿وَقَرْنَ﴾ [الآية 33] أمر من وقر تقر وقاراً إذا سكن وقرأ نافع وعاصم بالفتح من قررت بالكسر أقر بالفتح لغة في عكسها المشهور والمعنى اسكن واثبتن ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الآية 33] عند عدم الحاجة إلى بروزكن ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ [الآية 33] أي وعند خروجكن عن سكنكن لضرورتكن لا تتبخترن في مشيكن ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 33] مثل تبرج النساء اللئيمة في أيام الجاهلية القديمة ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية 33] أي فرضت عليكن ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الآية 33] في سائر ما أمركن ونهاكن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الذنب المدنس لعرضكم أو خبائث القلب التي ليست من غرضكم والجملة استئناف متضمن للتقليل في الأمر والنهي ولذا عم الحكم للرجال

والنساء جميعاً من ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية 33] على سبيل التغليب فقيل عنكم أهل البيت بالنصب على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الآية 33] عن سائر المعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾ [الآية 33] والأظهر أن المراد بإذهاب الرجس إزالة الأعمال الدنية وبالتطهير تطهير القلب عن الأحوال الرديئة.

ثم اعلم أن في صحيح مسلم أن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً جاؤوا إليه فأدخلهم النبي صلى الله عليه وسلم في كساء من شعر أسود كان عليه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الآية[1].

وفي مسند الإمام أحمد وغيره روايات متنوعات عن أم سلمة: إنه عليه السلام كان في بيتها فجاء علي وفاطمة وابناهما وجلسوا عنده على كساء خيبري فأنزل الله هذه الآية فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج / يده 41/ أ
وألوى إلى السماء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأَذْهِب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً»، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله! فقال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»[2].

والصواب أن أزواجه الطاهرات من أهل بيته كما صرحت به الآية وكذا هؤلاء ومن في معناهم كما أشارت إليه السنة.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 34] من الكتاب الجامع بين المواعظ والأحكام والحكم المحكمة وهو تذكير بما أنعم الله عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يتعلق به من الرسالة ومشاهدة أنواع المعجزة مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الآية 34] يعلم ما يصلح لنبوته ومن يصح أن يكون أهل بيته.

وأفاد الأستاذ: أن الرجس الأفعال الخبيثة كالفواحش ما ظهر منها وما

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2424/ 61).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 451) رقم (3558)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 52) رقم (2662)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 351) رقم (3205)، وأبو يعلى في المسند (12/ 451) رقم (7021).

قلّ وما جلّ والأخلاق الدنية الأهواء والبدع وكالبخل والشح وقطع الرحم ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالإيثار والجود والسخاء والرحمة وصلة الرحم ويديم لهم العصمة والتوفيق والتشديد والتحقيق ويطهرهم من الذنوب والعيوب ثم قال: واذكرن عظيم المنة وجلال الحالة التي تجري في بيوتكن من نزول وحي الرسالة ومجيء الملائكة وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم والنور الذي تقتبس من الآفاق ونور الشمس الذي يبسط على العالم بالاتفاق فاعرفنَ هذه النعمة وارعين هذه الحرمة.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية 35] الداخلين في السلم المنقادين للحكم ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 35] المصدقين بما يجب التصديق ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الآية 35] المطيعين على وجه التحقيق ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الآية 35] في الأقوال والأفعال والأحوال ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الآية 35] على العبادات وعن المعاصي والسيئات وفي البليات والمصيبات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ [الآية 35] المتواضعين لله بقلوبهم وقوالبهم ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ [الآية 35] المحسنين إلى
41/ب إخوانهم بما وجب في أموالهم ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ [الآية 35] / بمنع أنفسهم عن الشهوات واللهوات ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الآية 35] عن المحرمات ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية 35] لقلوبهم وألسنتهم في أكثر الحالات والأوقات ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الآية 35] لما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 35] لما ظهر منهم من الطاعات والآية وعدلهن ولأمثالهن على الطاعة الشاملة والتذرع بهذه الخصال العشرة الكاملة.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الاستسلام والمبالغة في المجاهدة والمكابدة والإيمان هو التصديق والتحقيق والتوفيق والقنوت طول العبادة والاجتهاد في الزيادة والصدق يكون في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصبر على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان مناجاة القصة وخشوع أطراف السريرة عند بواده الحقيقة والتصدق بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصمية لأجلهم فيما نالوا فيهم أو قالوا أنهم والصيام هو الإمساك عما لا يجوز في الشريعة والطريقة والحفظ في الظاهر

عن الحرام وفي الإشارة عن جميع الأنام والذكر بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أوقاتهم فهؤلاء لهم جميل الحسنى وجزيل العقبى.

﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صحّ ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الآية 36] أي حكماً وعيناً قدراً ﴿أَن يَكُونَ﴾ [الآية 36] وقرأ الكوفيون وهشام بالتذكير ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الآية 36] أن تختاروا رأياً آخر من تلقاء أنفسهم بل يجب على كل أحد أن يجعل في جميع أمره اختياره فيها تبعاً لاختيار الله ورسوله ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 36] فيما بيننا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الآية 36] والآية نزلت في زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله وهي أميمة ابنة عبدالمطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأتت هي وأخوها عبدالله فسمعا وأطاعا وأجابا إلى ما دعا.

وأفاد الأستاذ: أن الافتئات عليه بأمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد إلى إشارته قرع باب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعاً وقع في وهدته.

42/ أ ﴿وَإِذْ تَقُولُ/ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصها بالإنعام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بما وفقك الله فيه من المحبة والتبنية وسائر الإحسان إليه وهو زيد بن حارثة وكان قد اشتراه في الجاهلية وزوّجه في الإسلام زينب الهاشمية ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37] زينب حين قال: أريد طلاقها وشاورك في فراقها وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدها أنكحها إياه فقال: سبحان مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها هنالك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك أرأيت منها شيء؟» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها يتعظم عليّ شرفها فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37]، إقامة للشريعة مع علمه بأن الأمر إلى ماذا يؤول في العاقبة ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 37] في أمرك وقصدك للفراق فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الآية 37] أي شيئاً الله مظهره وهو نكاحه إن طلقها أو ميل إلى

طلاقها أو علمه بأن زيداً سيطلقها وهو ينكحها فإن الله قد أعلمه بذلك على ما نقله ابن أبي حاتم والسدي عن علي بن الحسين.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 37] وتكره تعييرهم بأن محمداً مال إلى زوجة مولاه وتزوج زوجة من تبناه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الآية 37] فلا تظهر بلسانك خلاف ما تحت بجنابك فإن الأنبياء مأمورون بتسوية الظاهر والباطن في الخلاء والملاء أو فلا تأمر بما تعلم يقيناً أنه جرى بخلافه القضاء.

قال ابن عطاء: تخشى الناس أن يهلكوا في شأن زيد وذلك من كمال شفقته على الأمة والله أحق أن تخشاه أن تبتهل إليه ليزيل عنهم ما تخشى فيهم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الآية 37] حاجة بحيث ملّها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الآية 37] من غير حضور ولي ولا شاهد وتعيين مهر لها ولهذا كانت تقول افتخاراً زوجني الله من فوق سبع سموات
42/ ب والسفير جبريل وقيل: كان السفير زيد في خطبتها/ وذلك ابتلاء عظيم في شأنه وشاهد بين على قوة إيمانه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ [الآية 37] بالبنوة ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الآية 37] أي دخلوا عليهن لئلا يُظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 37] قضاؤه الذي أراده ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 37] كائناً محصلاً على وفق ما قضاه وظاهر الآية أنه لمسها لكن روي عنها إنها قالت: ما كنت امتنع عليه غير أن الله متعني عنه لحكمة أرادها قيل قرئ بهذه الآية عند ذي النون المصري فتأوه تأوهاً ثم قال: ذهب والله زيد بخير الدارين لو فارق الكونين بعد أن ذكره الله من بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باسمه يقول: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الآية 37].

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الآية 38] قسم له وقدر ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 38] من الأنبياء وهي نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الآية 38] قضاء مقضياً وحكماً مرضياً.

قال سهل: أي معلوماً له قبل وقوعه عندكم، عندكم وهل يقدر أحد أن يجاوز المقدور منكم.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 39] مدح لهم منصوب أو مرفوع ﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الآية 39] لعلمهم بأنه لا يصيب أحد ضرر ولا محذور إلا بتقدير مقدور فيفردونه بالخشية عند كل أمور وفيه تلويح بعد تصريح ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية 39] كافياً للمخاوف أو ومحاسباً للذنوب فينبغي ألا يخشى إلا من علام الغيوب.

قال ابن عطاء: هذه خشية السادة وأكابر الأصفياء وأما خشية عوام الخلق فمن جهنم ونحوها من أنواع البلاء.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الآية 40] على حقيقة أمره فلم يثبت بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ونحوه ما ثبت بين الأب وولده ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] إن كان رسول الله وهو أبو الأمة في الشفقة والحرمة ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الآية 40] آخرهم الذي ختمهم أو ختمهم به على قراءة عاصم بفتح تائه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 40] فيعلم حيث يجعل الرسالة وكيف يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه في الجلالة.

وقال الأستاذ: أي نسبه ظاهر فيكم لكن إنما/ يعرف بي بنسبه منكم إذ قل ما يقال له محمد بن عبدالله ولكن أبد الأبد يقال محمد رسول الله. 43/ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] يعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسائر الصفات ويشمل جميع الأوقات والحالات.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الآية 42] أي أول النهار وآخره خصوصاً تنزيهاً له من الحدوث تغييراً أو تبديلاً فسبحان من يغير ولا يتغير وقال بعضهم: المراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين الصبح والعصر والعشاءين وفي الحديث: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» رواه الإمام أحمد والطبراني[1].

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 677) رقم (1839)، وابن حبان في الصحيح (3/ 99) رقم (817)، وأبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376)، وأحمد في المسند (3/ 68) رقم (11671).

وورد: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت ولم يذكروا الله فيها» رواه الطبراني والبيهقي(1).

وفي الخبر: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه الشيخان(2).

وفي «تفسير السلمي» وقّت الله العبادات كلها بالأوقات إلا الذكر فإنه أمر أن يذكر ذكراً كثيراً والذكر الكثير للقلب وهو أن لا يغيب القلب عن المشاهدة ولا يغفل عن الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره فيجب أن يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكره الله ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي يمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته سرمداً كالمتعذر ثم التسبيح من قبيل الذكر ولكنه ذكره بلفظين لئلا يعتريك سآمة من ذكر واحد.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 43] بالرحمة ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الآية 43] بالدعوة للمغفرة والمعني يصلحون أموركم ويظهرون شرفكم ونوركم ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الآية 43] من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الآية 43] حين اعتنى بصلاح أمرهم وفلاح قدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة في الأصل الدعاء فصلاته سبحانه دعاه لنا بالتقريب للقاصي وصلاة الملائكة دعاؤهم لنا بالإحسان للمطيع وبالغفران للعاصي ويقال: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة بمعنى الشفاعة ليعصمكم من الضلال إلى روح الوصال ويقال: ليخرجكم من ظلمات التدبير

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، وفي مسند الشاميين (1/ 258) رقم (446)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6407)، ومسلم في الصحيح (779/ 211).

إلى فضاء شهود التقدير ويقال: ليخرجكم من/ ظلمات نفوسكم إلى أنوار 43/ ب
البصائر في قلوبكم ويقال: ليخرجكم من أسباب التفرقة إلى شهود عين الحقيقة والتحقق بأوصاف الجمعة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ [الآية 44] من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ [الآية 44] يوم لقائه عند الموت أو الخروج عن القبر أو دخول الجنة ﴿سَلَامٌ﴾ [الآية 44] والمعني يسلِّم الله عليهم وهو متضمن للإخبار عنهم بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] هو الجنة ونعيمها مقيماً.

قال ابن عطاء: أعظم عطية للمؤمن في الجنة سلام الله من غير الواسطة.

وأفاد الأستاذ: أن اللقاء إذا قرن بالتحية لا يكون إلا بمعنى رؤية البصرية ثم التحية خطاب يفاتح بها الملوك العادية فهذا السلام يدل على علو رتبتهم التي جعلها لهم في منزلتهم فاللقاء حاصل بعينهم والخطاب واصل بسمعهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] أي حسناً فإن الكرم نفي الدناءة والخسة، وفي الإشارة أجر كثير على عمل يسير فإن الكريم لا يستقضي في البيع والشراء وفي الإعداد تعريف بالإحسان السابق في وقت غيبة العباد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الآية 45] الله بالوحدانية ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 45] للمؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 45] للعاصين بالحرقة والفرقة.

﴿وَدَاعِيًا﴾ [الآية 46] للخلق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 46] إلى ما يجب الإيمان به من صفاته ومن القيام بوظائف طاعاته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ [الآية 46] بتوفيقه وتسهيله ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الآية 46] يستضاء به من ظلمات الجهالة ويستنقذ به من يبدأ الضلالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر في كل وقت وحالة.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الآية 47] على سائر الأمم ولو كانوا جمعاً كثيراً.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 48] دم على ما أنت عليه من إقامة الدين

واستقامة اليقين ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الآية 48] أي اصبر عليه ولا تغتم لديه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 48] اعتمد عليه فوض كفاية أمرهم إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 48] موكولاً إليه الأمور في الأحوال كلها فإن من توكل على القوي القدير تيسر عليه كل العسير.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف من قبلنا إنا أرسلناك شاهداً بوحدانيتنا
44/ أ ومشاهداً لنا بصمدانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم / مخالفة أمرنا وتعلم مواضع الخوف منا وداعياً للخلق إلينا بنا وسراجاً يستضيئون بك وشمساً ينبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل إلينا إلا من تبعك وخدمك وصدقك وقدمك وبشر المؤمنين بفضلنا معهم ونيلهم منا طولنا عليهم وإحساننا إليهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وتوكل على الله بدوام الانقطاع إليه وكفى بالله وكيلاً في الاعتماد عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 49] وفي حكمهن الكتابيات ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الآية 49] تجامعوهن وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الآية 49] مدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الآية 49] تستوفون عددها وظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة لمجرد الخلوة كما هو مذهب الشافعية وهو كذلك عند المشايخ الحنفية بناء على الديانة لا في حكم القضاء عن الخصومة ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ [الآية 49] إن لم يكن المهر مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة لأن المتعة سنة للمفروض لها عند الشافعية وأما عند الحنفية فيستحب المتعة كل مطلقة إلا التي طلقها الزوج قبل الدخول بها ولم يسم مهراً لها ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ [الآية 49] اخرجوهن من منازلكم ليس لكم عليهن عدة ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية 49] من غير ضرر بهن ولا منع حق عنهن.

وقال الأستاذ: إذا آثرتم فراقهن فمتعوهن ليكون لهن عنكم تذكرة في أيام الحرقة إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً لا

تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ظهر منهن ولا تستردوا منهن شيئاً تخلفتم به معهن فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المآل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الآية 50] مهورهن وفيه إشارة إلى أن تعجيل المهر سنة ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الآية 50] مما غنّمك الله من دار عدوك فقد ملك صلى الله عليه وسلم صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما/ ، وأما ريحانة ومارية فمن السراري، وتقييد 44/ ب
إحلال المملوكة بكونها مسبية بيان للأفضلية فإن المشتراة لا يتحقق به أمرها وما جرى عليها إلا في أسرها ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾ [الآية 50] أي لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة نبيهم وبينها سبعة أجداد ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته ﴿ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الآية 50] إلى المدينة والمعني مشتركان في الهجرة لا في الصحبة فلا تحل له غير المهاجرات كما دل عليه ما في الترمذي[1].

وعن بعض معناه: اللاتي أسلمن، وقيل: قيد الهجرة بيان الأفضلية كما في تقييدها ما قبلها من القريتين السابقتين كان إشارة إلى الأكملية ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ [الآية 50] أي أحللناها دون غيرها ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ [الآية 50] من غير مهر لها ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [الآية 50] يتزوجها ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 50] قيل: ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولي شهود ومهر وقيل: اختصاصه في ترك المهر فقط وهو الأظهر فتدبر في الجملة خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق كرامته ورفعته عن مراتب أمته ثم القضية فرضية، فعن ابن عباس ومجاهد ما كانت تحته امرأة وهبت نفسها[2]، وخالفها

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 355) رقم (3215)، وأحمد في المسند (1/ 318) رقم (2925).
(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 295) رقم (11787)، والبيهقي في مجمع الزوائد (9/ 407) رقم (15383)، والمقدسي في أطراف الغرائب والأفراد (3/ 236) رقم (2526).

كثير من السلف في نقلهما والمشهور أنها زينب بنت خزيمة الأنصاري وماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[1].

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 50] على عموم المؤمنين ﴿فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ [الآية 50] من شرائط العقد ووجوب القسم وتعيين العدد ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [الآية 50] من توسيع الأمر في المملوكات ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 50] لأرباب الزلات ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 50] بأصحاب الطاعات.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 51] تؤخر من تريد من نسائك وتترك مضاجعتهن بأن لا تقسم بينهن ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الآية 51] وتضم إليك من تشاء وتضاجعها لديك أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمهموز والمعتل في هذا المبنى متحد في
45/ أ المعنى ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ [الآية 51] أي طلبت وأردت منها الإصابة/ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ [الآية 51] من النساء التي عزلتهن عن القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ﴾ [الآية 51] في شيء من ذلك إذ الأمر إليك ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ [الآية 51] وأولى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ [الآية 51] تأكيد نون يرضين أي ذلك التفويض إليك من غير وجوب قسم عليك أقرب إلى قرة عيونهن انتفاء حزنهن وبقاءهن لاستواء الحكم في حقهن كلهن ثم أن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك عليهن وإن رجحت بعضهن علمن أنه يحكم الله فيهن فتطمئن نفوسهن ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ﴾ [الآية 51] فاجتهدوا في إحسانهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الآية 51] بذات الصدور حليماً لا يعجل بالعقوبة في الأمور واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة ويقول: اللهم هذا

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7/ 55) رقم (13131)، وهناك روايات تشير إلى ميمونة بنت الحارث. انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (23/ 421) رقم (1019)، وابن أبي شيبة في المصنف (3/ 562) رقم (17176).

قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك[1] بعين من المحبة.

وقال الأستاذ: أي وسعنا الأمر عليك في باب نكاحهن بكم شئت منهن فإنك مأمون العيب في التسوية بينهن ومراعاة حقوقهن وترك الحيف عليهن والتوسعة في النكاح تدل على زيادة الفضيلة كالحر والعبد.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ [الآية 52] وقرأ أبو عمر بالتأنيث ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الآية 52] بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشر فما فوقها وهو في حقه كالأربع في حق أمته أو من بعد هذا اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ويؤيده قوله ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الآية 52] فتطلق واحدة تنكح بدلها ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ [الآية 52] حسن الأزواج المستبدلة، واختلف أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ [الآية 51] فإنه وإن يقدمها قراءة فهو مسبوق بها منزلة فقد روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في سنتهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل له النساء[2]، انتهى.

إلا أنه عليه السلام لم يقع منه بعد ذلك تزوج فوقهن ليكون المنة له عليهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ [الآية 52] استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الآية 52] فتحفظوا أمركم وخذوا / حذركم. 45/ ب

وقال الأستاذ: لما اخترنه على الدنيا أثبت الله لهن حرمة في ألمهنّ أي كما اخترتك فلا تختر عليهن غيرهن تطييباً لقلوبهن ونوعاً للمعادلة بينه وبينهن وهذا يدل على سعة كرمه سبحانه على عباده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الآية 53]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 204) رقم (2761)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 298) رقم (14521)، والدارمي في السنن (2/ 193) رقم (2207)، وأبو داود في السنن (2/ 208) رقم (2136).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 356) رقم (3216)، والنسائي في السنن الكبرى (3/ 260) رقم (5311)، وأحمد في المسند (6/ 41) رقم (24183).

أي وقت أن يؤذن أو بأن يؤذن لكم ويدعى بكم ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الآية 53] حال كونهم غير منتظرين وقت إدراكه ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الآية 53] تفرقوا منه ولا تمكثوا فيه والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه فالحكم مخصوص بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه السلام بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعده لبعض المهام ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الآية 53] أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ [الآية 53] لتضيق المنزل عليه وعلى أهله ولاشتغاله فيما يعينه من حاله ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ [الآية 53] من إخراجكم أو من إظهار كراهة مكثكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية 53] فيبين لكم طريق الصدق نزلت حين تزوج زينب وأولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه السلام من منزله ثم رجع على قصد دخوله وهم جلوس فرجع وكان عليه السلام شديد الحياء كذا روي في الصحيحين(1).

ولعله راعى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: الآية 52] لا سيما وهو صلى الله عليه وسلم كان من أهل الكرم.

وأفاد الأستاذ: أن حسن خلقه عليه السلام جسرهم على المباسطة حتى أنزل الله هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية 53] إذا طلبتم من أزواجه ﴿مَتَاعًا﴾ [الآية 53] شيئاً يتنفع به ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ﴾ [الآية 53] المتاع ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الآية 53] روي أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب(2) فنزلت. والصحيح أنها كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4791)، وأبو عوانة في المستخرج (5/ 72) رقم (3370)، وأبو يعلى في المسند (7/ 21) رقم (3918).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4790) وابن حبان في الصحيح (5/ 319) رقم (6896)، وأحمد في المسند (1/ 24) رقم (160).

﴿وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الآية 53] من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة / ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة فلا ينبغي لأحد 46/ أ
أن يأمن نفسه في أمر الديانة ولذا تشدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية 53] وما صح لكم ولا يليق بكم ﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 53] أن تفعلوا ما يكرهه بوجه ما ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الآية 53] من بعد وفاته بالإجماع أو بعد فراقه إلا أنه اختلف في المطلقة بعد دخوله وأما مطلقته قبل الدخول فلا نزاع في حلها ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية 53] قصد إيذائه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الآية 53] ذنباً جسيماً.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ [الآية 54] كنكاحهن على ألسنتكم وسائر أموركم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الآية 54] في صدوركم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 54] فيعلم جميع أعمالكم ويجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن حفظ القلب مع الله ومراعاة الأمر بينه وبين الله على الصحة في دوام الأوقات المرور لا يقوى عليه إلا الخواص من أهل الحضور.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [الآية 55] في أن لا يحتجبن عن هؤلاء في حالاتهن ولم يذكر أعمامهن وأخوالهن لأنها بمنزلة الوالدين لهن ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ [الآية 55] لأنهن من جنسهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الآية 55] من إمائهن ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 55] في السر والعلانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 55] لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الآية 56] يعظمونه ويعتنون بإظهار شرفه وإعلاء شأنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الآية 56] اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى به وقولوا اللهم صل على محمد ونحوه ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الآية 56]

وقولوا: السلام عليك أيها النبي وشبهه وقيل: وانقادوا لأوامره الآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل: يجب كما جرى ذكره ويكتفي في مجلس بالمرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد أن يكون للأمة عنده صلى الله عليه وسلم يد خدمة كماله عليهم بالشفاعة يد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافأهم بما لديه كما أخبر صلى الله عليه وسلم مشيراً إليه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات وفي هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني في وقت من
46/ ب الأوقات/ عن الزيادة إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 57] فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كالولد والشريك وسب الدهر وأمثاله ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 57] بالطعن في حقه وفيما يتعلق به أو المراد بإيذائهما مخالفة أمرهما ونهيهما ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 57] أبعدهم من رحمته الفاخرة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية 57] يهين أشباحهم وأرواحهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ [الآية 58] بغير جناية استحقوا الأذى بها، وقيل: معناه ينسبون إليهم أشياء مما هم برؤاء منها ويؤيده قوله ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ [الآية 58] ظاهراً ففي الترمذي وأبي داود قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ فقال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول قال: إن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الآية 59] يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة لهن ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 247) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 329) رقم (1934)، والدارمي في السنن (2/ 387) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (13/ 72) رقم (5759)، وأبو يعلى في المسند (11/ 378) رقم (6493).

﴿يُعۡرَفۡنَ﴾ [الآية 59] أقرب أن يميزن من الإماء فيعرفن أنهن حرائر من النساء ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الآية 59] فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ [الآية 96] لما عسى يصدر عنهن من الإخلال في تسترهن ﴿رَّحِيمٗا﴾ [الآية 59] بهن من حيث بين لهن ما يصلح من أمرهن.

قال الأستاذ: وفيه تنبيه على حفظ الحرمة وإثبات الرتبة.

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [الآية 60] عن نفاقهم وشقاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 60] ضعف دين وقلة يقين عن فجورهم في أمورهم ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الآية 60] أخبارهم السوء عن سرايا المسلمين ونحوها في أمور الدين عن إرجافهم وإظهار خلافهم ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ [الآية 60] لنأمرك بقتالهم وإجلائهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ [الآية 60] في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الآية 60] زماناً أو عدداً أو جوراً قليلاً وثم للتراخي في الإخبار أو للرتبة من جهة الدلالة على أن مفارقة المجاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب وأتم المعايب.

﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ [الآية 61] نصب على الذم أي مبعوثين عن وصول رحمته مطرودين عن دخول جنته ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الآية 61] وجدوا/ ﴿أُخِذُواْ﴾ [الآية 61] 47/ أ
أسروا ﴿وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [الآية 61] قتلاً شنيعاً أو سريعاً.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 62] أي سن الله سنته في الأمم الخالية وهي أن يقتل الذين ينافقون الأنبياء الماضية ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الآية 62] لأنه سبحانه لا يغير سنته ولا يقدر أحدٌ أن يبدل عادته.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ [الآية 63] عن وقت قيامها استهزاءً أو امتحاناً بها ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] لم يطلع عليها أحد سواه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الآية 63] أي شيء يعلمك وقتها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الآية 63] زمن وقوعها وفيه تهديد للمستهزئين وتشديد للممتحنين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 64] أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ [الآية 64] ناراً شديدة الإيقاد في حرقة وفرقة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [الآية 65] لا نهاية لها ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ [الآية 65] يتولى نفعهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الآية 56] يدفع ضرهم.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 66] نصرف من جهة إلى جهة كلحمة تقلى في برمة أو يطرح في النار مقلوبة منكوسة أو تغير من حاله مساءة إلى نحوها وأعظم منها ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الآية 66] فلن يبتلي هذا العذاب وما يترتب عليه من الحجاب.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا﴾ [الآية 67] وقرأ ابن عامر ساداتنا ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الآية 67] بما زينوا لنا من الدليل وأخطؤونا السبيل فوقعنا في العذاب الوبيل.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 68] من عذابنا لأنهم ضلوا أو أضلوا بنا أو من العذاب الذي عذبتهم فإنهم أحقاء للزيادة ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الآية 68] في الكمية وقرأ عاصم بالموحدة أي عظيماً في الكيفية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ [الآية 69] حين نسبوه إلى البرص كما رواه البخاري مرفوعاً(1)، أو أذره على ما رواه ابن أبي حاتم عن علي موقوفاً ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ [الآية 69] فأظهر الله براءة ساحته بأن أطلعهم على حسن حالته(2) ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الآية 69] ذا وجاهة بينهما، وقرىء: وكان عبد الله وجيهاً.

وأفاد الأستاذ: أن الجاه النافع ما كان عند الله إذ يقول الناس لا عبرة ولا خطرة له لا سيما العوام فإنهم يقبلون بلا شيء سالب ويردون بلا شيء موجب.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4799) ومسلم في الصحيح (4/ 1841) (339/ 156)، والحاكم في المستدرك (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 427) رقم (11424).

(2) انظر تفسير ابن أبي حاتم (12/ 6) وما أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 70] في ارتكاب ما يكرهه/ فضلاً 47/ ب
عن ما يؤذي الله ورسوله ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الآية 70] صالحاً لقبوله وصواباً في مأموله.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 71] يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها، للقبول والإثابة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الآية 71] ويجعلها مكفرة لما سبق من أحوالكم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية 71] في أوامرهما وزواجرهما ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 71] يعيش في الدنيا حميداً وفي العقبى حميداً.

قال سهل: من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له ذنوبه في آخر الأحوال.

وقال الأستاذ: ويقال سداد أقوالكم سداد أعمالكم ولقد هون عليك الأمر من رضي منك بحاله وقال حاله ترك الشرك وقال كلمة الشهادة بالصدق يصلح لكم أعمالكم الدنيوية من الخلل ويغفر لكم في الآخرة الزلل هذا حصول سعادة الدارين وذكر الأعمال بالجمع وقدمها على الغفران لأنه ما يصلح لك في حالك ولم يكفك ما أهمك من أشغالك لم تتفرغ إلى حديث آخرتك ومالك.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] تكاليف الثقال ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ [الآية 72] بأن قلن لهن هل تحملن الأمانة؟ وما يتعلق بها قلن: وأي شيء فيها، قلنا: إن أحسنتن أثبتاكن وإن أسأتن عاقباكن قلن: لا طاقة لنا بالعقاب ولا حاجة لنا إلى الثواب ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ [الآية 72] فامتنعن عن قبولها ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ [الآية 72] خفن من ثقل حملها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ [الآية 72] أي آدم لما عرضنا عليه وفوضنا الأمر إليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا﴾ [الآية 72] لنفسه يتحمل ما يشق عليها من الأمانة ﴿جَهُولٗا﴾ [الآية 72] بوخامة عاقبة الخيانة كذا فسره جماعة وعن كثير من السلف ما كان بين قبوله الأمانة وبين ما صدر منه الخطيئة والجناية إلا قدر ما بين العصر إلى الليل.

وقال قوم هذا من باب المجاز أي إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السمٰوات

ونحوها رأيناها إنها لا تطيق ثقلها ولو تكلمت لأبت حملها ولذا قيل: معنى ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] عارضناها وقابلناها بها ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الآية 72] فقصرن ونفضن عنها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الآية 72] أي قبلها لكمال قابليته واستعداد جامعيته، وتظير هذا ما في لسان العرب وكلامها قولهم قال الجدار للوتد: لم
48/ أ تشقني/ قال: سل من يدقني وقيل: أراد بالأمانة الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء ولازمة الوفاء والمعنى إنها لعظمة شأنها ورفعته برهانها لو عرضناها على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك وإفهام لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإذا الداعي لها القائم بحقوقها لخير الدارين من فضل ربها في توفيق أمرها أنه أي الإنسان باعتبار أغلب أفراده المتصفة بخيانة العصيان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بكنه عاقبتها وشدة وخامتها وقال بعضهم: أداء أمانة الخلق من أداء أمانة الحق.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة الأمانة على مراتب فالكفار خانوا في أصل الأمانة وهي المعرفة ومن دونهم خانوا في المعصية على مقادير مختلفة وكل احتقب من وزره بقدره ويقال: أبين أن يحملنها إباء إشفاق لا إباء استكبار وشقاق، واستعفين فعفا عنهن وأعفاهن وحملها الإنسان قبلها ثم ما راعوها حق رعايتها كلٌّ بقدر حالتها في خيانتها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الآية 72] بصعوبة حمل الأمانة في الحال والعقوبة التي عليها في المآل وقوم قالوا عرض الأمانة على السمٰوات والأرض وعرض على الإنسان فهم كانوا أهل العرض فاستعفوا وهؤلاء كانوا أهل الفرض فيقول راعوا واستقصوا ويقال: هذه الأمانات هي الواجبات أصولها وفروعها ويقال: التوحيد عقد أو حفظ العهود جهداً ويقال: أي السمٰوات والأرض الأمانة فأبوا حملها ورأى الإنسان من يعرض فحملها ويقال: حملها الإنسان بربه لا بنفسه ويقال: لما حمل الأمانة وأولاده قال تعالى: وحملناهم لما حملوا ما حملوا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: الآية 60]. ويقال: كاشف الله السمٰوات والأرض بوصف الربوبية والعظمة واشفقوا وكاشف آدم وذريته بوصف اللطف فقبلوا وحملوا وفي حال بقاء: العبد بالله

بحمل السماوات والأرضين على شعرة من جفنه.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ/ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ 48/ ب
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الآية 73] تعليل للحمل من حيث أنه كان تنجيه واللام للعاقبة وذكر التوبة في الوعد مشيراً بكونه ظلوماً جهولاً من جبلتهم لا خيانتهم عن تقصير أن تصدر عن زلتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية 73] حيث تاب على فرطاتهم وأثاب على طاعاتهم بالفوز في جناتهم على حسب درجاتهم.

سورة سبأ

[مكيّة]
وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سلابة قلابة نهابة وهابة تسلب القلوب ولكن لا كل قلب وتقلب الألباب لكن لا كل لب وتنهب الأرواح ولكن من الأحباب وتهب الارتياح ولكن لقوم مخصوصين من الطلاب.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] خلقة ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 1] لما فيها من مراتب جنته ومشاهد رؤيته ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في الأمور ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية 1] بما في سطور الصدور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه افتتح السورة بذكر الثناء على نفسه بإخباره عن جلاله واستحقاقه لتفوق عزه وجماله فهو في الأزل حامد لنفسه محمود واجد موجود لا يزال معبوداً وبالطلبات مقصود الذي له ملك السمٰوات والأرض والملك لا يكون بالشركة فلا ملك إلا لله وحده وإن أجري هذا الاسم على مخلوق لا يضره فالزنجي لا يتغير عن لونه وإن سمي كافراً في وصفه وله الحمد في الآخرة من الذين اعتقهم وفي النعمة غرقهم ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] بتخليد قوم إلى الجنة وتأبيد قوم في النار الخبير بأحوال الأبرار والفجار.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 2] يدخل فيها كالكنوز والبذور والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 2] كالحيوانات والنباتات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 2]

كالملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ [الآية 2] كأعمال الأولياء وأرواح الأصفياء ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 2] للمحسنين من المطيعين ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 2] للمذنبين من المؤمنين الرحيم لمن آب إليه الغفور لمن تاب عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ [الآية 3] إنكار لمجيء القيامة ﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾ [الآية 3] يأتيكم على وجه البغتة ﴿وَرَبِّي﴾ [الآية 3] وأقسم به ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [الآية 3] الساعة التي لا تنفع فيها / إلا الطاعة ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 3] صفة ربي 49/ أ
أو بدل وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة لأن الساعة من أدخل المغيبات في الحقيقة وقرأ نافع وابن عامر: عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ [الآية 3] لا يغيب مقدار أصغر نملة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 3] وقرأ الكسائي لا يعزب بكسر الزاي ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 3] أي مسطور في اللوح المحفوظ المظهر بعض ما في علمه سبحانه ورفعهما بالابتداء.

﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 4] متعلق بقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها بوصف عظيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الآية 4] هو الجنة من غير التعب والمنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 5] بإبطال مبانيها وإفساد معانيها وتزهيد الناس فيها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الآية 5] حال كونهم معوّقين على زعمهم يحسبون أنهم يسبقوننا ويفوقوننا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وهو بمعنى معاجزين أو مثبطين عن الإيمان ومعوقين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾ [الآية 5] من سيء العذاب ﴿أَلِيمٞ﴾ [الآية 5] مؤلم في مقام الحجاب ورفعه ابن كثير وحفص على أنه نعت العذاب.

وقال الأستاذ: المحسنون يجازيهم بالخيرات متصلة والكافرون يكافيهم بالعقوبات غير منفصلة.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [الآية 6] ويعلم أولو العلم من الأصحاب ومن تبعهم من الأمة في هذا الباب أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن

﴿رَبِّكَ﴾ [الآية 6] أي القرآن المنعوت بالفرقان ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 6] ثاني مفعول يرى وهو ضمير فصل ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾ [الآية 6] أي القرآن أو الله به ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الآية 6] الذي هو التوحيد الشامل للأعمال الحميدة والأحوال السعيدة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 7] بالبعث وأنكروا ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ [الآية 7] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحال عجيب وأمر غريب ﴿يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 7] إذا متم وفرقتم كل تفريق حتى صرتم كالتراب ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [الآية 7] للحساب والعذاب.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 8] من أعجب العجاب ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [الآية 8] جنون فلا يفرق بين الصواب والخطأ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 8] أي الشديد ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ [الآية 8] عن الرجوع إلى طريق الحميد.

49/ ب ﴿أَفَلَمۡ/ يَرَوۡاْ﴾ [الآية 9] ألم يتفكروا أفلم ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 9] محيطة بهم من جميع جوانبهم ﴿إِن نَّشَأۡ﴾ [الآية 9] عذابهم في الدنيا قبل وصولهم للعقبى ﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الآية 9] لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشاء ويخسف ويسقط بالياء وحفص كسفاً بالتحريك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ [الآية 9] لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ [الآية 9] راجع إلى ربه متأمل في أمره.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ [الآية 10] على سائر الناس بالنبوة والكتاب والمعجزة والملك الوسيع والصوت البديع أو على سائر الأنبياء بما خصه من الأنبياء بقوله ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [الآية 10] رجعي مع التسبيح والمعنى سبحي معه إذا سبح ﴿وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [الآية 10] عطف على محل الجبال ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الآية 10] جعلناه كالشمع له يصرفه كيف شاء بيده من غير إحماء نار وضرب مطرقة في صنعه أن أعمل أمرناه.

﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [الآية 11] دروعاً واسعات ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ [الآية 11] في نسجها بحيث تناسب حلقها أو قدر سائرها فلا تجعلها دقاقاً فتعلق ولا غلاظاً فتحرق ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [الآية 11] الخطاب لداوود وآله الكريم أوله على وجه

التعظيم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 11] فأجازيكم على النقير[1] والقطمير[2].

وقال الأستاذ: في القصة أنه قال في مناجاته: إلهي إني رأيت في التوراة ما أعطيت أنبياءك وأصفياءك من الرتب الجلية فأعطنيها فقال: إني بليتهم فصبروا فقال: فإني اصبر على بلائك فاعطني ما أعطيتهم من عطائك فأبلاه فوفق بالصبر على ما قضاه فأعطاه ما أعطاهم قال: وتكلموا في الفضل فقال: هو رجوعه إلى الله في حال ما وقع من الاعتذار أو الانتباه ويقال: هو شهوده موضع ضره وإنه لا يصلح أمره غيره ويقال: طيب صوته للزبور عند قراءته كان يرغب من يستمع إليه في متابعته ويقال: هو حلاوة قراءته حتى في حال مناجاته ويقال: حسن خلقه مع أمته وقد أمر الله الجبال والطير بمجاوبته حين خرج إلى الصحراء ينوح على نفسه وحالته وقيل: أوحى الله إليه يا داوود كانت تلك الزلة عليك/ مباركة فقال: يا رب وكيف الزلة تكون مباركة 50/ أ
فقال: كنت تجيء قبله كما يجيء المطيعون فالآن تجيء كما يجيء المذنبون وفيما أوحى إليه يا داوود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين وقد خيل له إلا لأنه معجزة ولأمره وتوسعة لرزقه ليعمل ذلك صنعته ويقطع طبعه عن أمته في ارتفاقه بهم وانتفاعه ليبارك لهم في اتباعه.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 12] أي وسخرنا له الريح وقرأ أبو بكر بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [الآية 12] مسيرها بالغدوة إلى انتصاف الشهر مسافة الشهر وبالعشي كذلك هذا القدر.

وقال الأستاذ: وفي القصة أنه لاحظ يوماً ملكه في حال انبساطه فمال الريح ببساطه فقال سليمان: للريح استوي فقالت الريح: استويت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية بحملك فملتَ فملتُ ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [الآية 12] النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع فيه نبوع الماء من منبعه وكان ذلك باليمن ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 12] جملة من مبتدأ وخبره

---

(1) النكتة التي في ظهر النواة. انظر لسان العرب (5/ 227).
(2) القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. انظر لسان العرب (5/ 108).

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [الآية 12] بأمره ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 12] بعدك ﴿عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الآية 12] عن ما أمرناهُ من طاعة سليمان ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 12] في الآخرة أو في الدنيا بأن يدركه صاعقة فتحرقه.

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [الآية 13] قصور لطيفة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل: أريد بها المساجد والمعابد ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ [الآية 13] وصور الملائكة والأنبياء على دأب الناس وعادتهم ليروها فيعبدوا بحق عبادتهم وحرمة التصاوير شرع محدد وقع في زمن التأخير ولا يبعد أن يراد بها تماثيل غير الحيوانات فإنها من جملة المباحات ﴿وَجِفَانٖ﴾ [الآية 13] جمع جفنة وهي القصعة والصحفة ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾ [الآية 13] جمع جابية من الجباية وهي الجمع أي كالحياض الكبار ففي بعض الأخبار كان يأكل من جفنة واحدة ألف رجل ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ [الآية 13] كجبال ثابتات لا تنزل عنها لعظمها أو لدوام الاحتياج إليها أو لأن أثافيها منها ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [الآية 13] أي
50/ب ويقال لهم: ببيان القال أو بلسان الحال / اعملوا صالح الأعمال لشكر نِعَم الملك المتعال ولما كان الشكر بالجنان واللسان والأركان قال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ تنبيهاً على التزام الأنواع في جميع الأحيان ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [الآية 13] البالغ البازل وسعه بالشكر في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حق نعمه من حالاته لأن توفيقه للشكر نعمة أخرى تستدعي الشكر بالأحرى وهلم جرى ولذا قيل حقيقة الشكر هو العجز عن أداء الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن الشكور هو الذي يشكر على المحنة فوق ما يشكره العامة على النعمة فالناس يشكرونه على الرخاء والشكور يشكره في البلاء ويقال: قليل من عبادي من يأخذ النعمة عني فلم يحملها على الأسباب فيشكر الوسائط ولا يشكرني.

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الآية 14] أي حكمنا على سليمان عليه السلام بالفناء بعد كماله في البقاء ﴿مَا دَلَّهُمۡ﴾ [الآية 14] أي الجن ﴿عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ﴾ [الآية 14] وقت موته ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 14] أي الأرضة أضيفت إلى فعلها ﴿تَأۡكُلُ

﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ [الآية 14] عصاته وقرأ نافع وأبو عمرو بألف بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ [الآية 14] سقط سليمان حال كونه متكئاً على عصاه ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ [الآية 14] علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الآية 14] بزعمهم ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [الآية 14] لم يمكثوا في العمل الشاق المهين لهم روي إن كان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس سنة وسنتين وأقل وأكثر فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتي على الجن حتى يعلم الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائماً ويحسبونه حياً وهم في أعمالهم الشاقة فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحواً من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في أي موضع هي فيه كذا رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره(1).

وأفاد الأستاذ: أن الملك الذي يقوم بغيره ويكون استمساكه بعصا في يده فإذا سقط سقط بسقوطه فإن من قام بغيره زال بزواله سبحان من لا زوال لكماله / في صفات جلاله ونعوت جماله وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة 51/ أ
وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة فتكون مدة ملكه أربعين سنة.

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [الآية 15] لأولاد سبأ بن يخشب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه البزي وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وسكن حمزة وقنبل وعامله في الوصل معاملته في الفصل ﴿فِي مَسۡكَنِهِمۡ﴾ [الآية 15] في مواضع سكناتهم وهي باليمن فقال لها: مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح أي موضع سكناتهم أو مسكن كل واحد منهم وقرأ الكسائي بكسر الكاف وهو مما شذّ في القياس كالمسجد ﴿ءَايَةٌ﴾ [الآية 15] علامة دالة على وجود الصانع المختار وإنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ومجاز للمحسن على الإحسان وللمسيء على الإساءة

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 459) رقم (3584)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 451) رقم (12281).

﴿جَنَّتَانِ﴾ [الآية 15] بدل من آية تقديره هي أي تلك الآية جنتان والمراد جماعتان من البساتين ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [الآية 15] جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله وكل واحدة منهما في تقاربهما كأنها جنة واحدة أو بستاناً لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [الآية 15] أي يقال لهم: هذا المقال ببيان الحال أو بلسان المقال هذه ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [الآية 15] لمن شكر ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [الآية 15] لمن قصر جملة مستأنفة مبنية للدلالة على موجب الشكر في تلك الحالة قيل: كانت أخصب البلاد في الرخاء وأطيبها على العباد في الهواء لم تكن فيها ذبابة ولا هامة.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ [الآية 16] عن شكر النعماء وكذبوا الأنبياء فعن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وقال السدي أثنى عشر ألف نبي والله سبحانه أعلم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [الآية 16] سبيل الأمر الصعب روي أنه كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيعملون على قدر حاجتهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الجرذ فنقبه وغرقهم ذلك الماء كما قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم(1).

﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [الآية 16] ثمر بشع وقيل: كل
51/ب شجر ذي شوك أو كل نبت مر فهو خمط / وفسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم(2). فالتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً أو عطف بيان له وقرأ أبو عمرو وذواتي أكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف أكل ﴿وَأَثْلٍ﴾ [الآية 16] عطف على أكل له لا على خمط فإن الأثل هو الطرف أو شجر يشبهه ولا ثمر له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [الآية 16] ووصفه بالقلة فإن جناه وهو النبق(3) مما يطيب أكله فهو أجود أشجارها وأحسن أثمارها أو قليل نفعه أو عديم ثمره.

(1) انظر نظم الدر للبقاعي (6/ 486) وتفسير البحر المحيط (9/ 196).
(2) أخرجه البخاري ص: 890، وانظر تفسير الطبري (20/ 382)، وتفسير ابن كثير (6/ 508).
(3) انظر لسان العرب (10/ 350).

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ﴾ [الآية 17] بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالتوحيد والنبوة ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [الآية 17] لا يعاقب بمثل ما فعلنا بهم إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب.

قال الأستاذ: كانوا في رغد من العيش وسلامة من الحال ورفاهية في لمال فأمروا بالصبر على العافية والشكر على النعمة فأعرضوا عن الوفاق وكفروا النعمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قال: تبدلت وتبدلنا وأخسرنا من ابتغى عوضاً سلى فلم يجد كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصال من التوفيق في الأعمال وطيبة من القلب ومساعدة من الوقت في حضور مع الرب فيرتكب زلة أو يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو به من النعمة فتتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وكانت لياليه مضيئة بلا أقمار لكن ما عوملوا الإيماء استوجبوا، ولا سقوا إلا مما أنيطوا وما وقعوا إلا في الوهدة التي حفروا وما قتلوا إلا بالسيف الذي طيعوا.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الآية 18] بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [الآية 18] متواصلة تظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ﴾ [الآية 18] بحيث يقيل العادي في قرية ويبيت الرايح في قرية ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية 18] يقال: بلسان الحال ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ [الآية 18] متى شئتم من ليل أو نهار ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 18] لا يختلف إلا من فيها باختلاف / الأوقات وتفاوت 52/ أ الحالات.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾ [الآية 19] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بعدّ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [الآية 19] بطروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل في تيه البادية فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز من الصحراء ليطاولوا فيها على الفقراء بركوب الدواب وتزود الأزواد في الجراب ولعل كان مرادهم أيضاً أن لا يتمكن غيرهم من تلك السفرة فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 19]

حيث أشروا النعمة التامة وكرهوا المنة العامة ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 19] لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 19] أي وفرقتهم في الأرض غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وبعض إلى العراق وهكذا إلى سائر الآفاق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 19] وهو المؤمن فإنه إذا أعطي شكروا إذا ابتلي صبر.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [الآية 20] أي في ظنه وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه فيهم وضمير عليهم لبني آدم عامة وقيل لأهل سبأ خاصة وظنه إنما هو لما ركب فيهم الشهوات أو لانهماكهم في الغفلات واللهوات ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ [الآية 20] أجمعين ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] الكاملين المخلصين من العلماء العاملين.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [الآية 20] وإن كان إبليس لا يملك بنفسه أمره.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم﴾ [الآية 21] على متبعيه منهم ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 21] تسلط واستيلاء بوسوسة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [الآية 21] تردد وريبة، والمعنى لنعلم علماً وقوعياً يتعلق به الخبر أفإن كان معلوماً غيبياً في عالم القضاء أو لتميز من يؤمن ممن قدر هدايته ويشك ممن قدّر ضلالته ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 21] محافظ للأعمال ومراقب للأحوال.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس مسلط على أتباعه من الإنس والجن وليس به من الإضلال شيء ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه.

قل للمشركين: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الآية 22] أي زعمتموها آلهة ﴿مِّن دُونِ/ ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] من الملائكة والأصنام فيما يهمكم من جلب منفعة أو دفع 52/ب
مضرة ليظهر لكم أنوار الألوهية وآثار الربوبية فتقربوا بوظائف العبودية ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 22] لأنفسهم باختيارهم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 22] من خير أو شر لهم

ولغيرهم ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 22] أي في العلويات والسفليات والجملة استئناف ببيان حالهم وضعف مالهم ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ [الآية 22] شركة مالاً خلقاً ولا ملكاً ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ [الآية 22] أي الله سبحانه ﴿مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [الآية 22] نصير ولا وزير ومشير فيما يتعلق بهما من تقدير ونذير.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [الآية 23] أي يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه وظهور برهانه فليس للآلهة شفاعة كما زعم ممن عبدهم جماعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي على البناء للمفعول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية 23] غاية لما هم من سابق الكلام من أن تم توقف وانتظار الإذن بعض الأنام فيما قدر من المرام فالمعنى يتربصون بأجمعهم فزعين في كربهم حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها ربّ العزة في حقهم ﴿قَالُواْ﴾ [الآية 23] أي بعضهم لبعض على وجه السؤال ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [الآية 23] في هذا الحال ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الآية 23] أي قالوا: القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى من أهل الإيمان والرضى بالقضاء وقرأ ابن عامر فزع على البناء للفاعل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ [الآية 23] الرفيع شأنه ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الآية 23] سلطانه وبرهانه.

قال الأستاذ: أخبر سبحانه أنه بربوبيته متفرد في الإلهية متوحد وإنهم لا يملكون مثقال ذرة ولا مقياس حبة وإن الملائكة بوصف الهيبة فزعون وفي الموقف الذي أثبتهم الحق واقفون لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 24] من أهلها أو من جهتها ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 24] أن لا جواب سواه ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية 24] أي وإن أحد الفريقين من الموحدين للمتوحد بالخلق والرزق والقدرة الذاتية السبحانية بالعبادة ومن المشركين به للجماد النازل في أو في المراتب الإمكانية لمرتفع في مقام لهداية ومتشرف / على مرتبة العناية أو مطمس 53/ أ
في مطمورة الضلالة ومنغمس في مقمورة الجهالة وهذا من باب إرخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان والحاصل أنه كما لا خالق إلا الله فلا رازق سواه فلا

تعبدوا إلا إياه ولا تطعموا إلا من نعمائه.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥﴾ [الآية 25] فيما علمنا وفيه غاية من الانصاف معهم حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى مخاطبتهم.

قال الأستاذ: يحاسب الله كلاً على أعماله ويطالب كلاً بشأنه في أحواله لا يؤاخذ أحد بأعمال غيره ولا أقواله بل كل يعطى كتابه ويطلب الله من كل حسابه.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [الآية 26] يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 26] يحكم ويفصل بأن يُدخل المحق دار المثوبة والمبطل نار العقوبة ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ [الآية 26] الحاكم بالعدل ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 26] بأهل الفضل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يجمع بين عباده ثم يعاملهم في حال اجتماعهم بغير ما يعاملهم في حال افتراقهم وللاجتماع أثر كبير في الشريعة وللصلاة بالجماعة أثر مخصوص في الفضيلة وعاتب الله الذين يتفرقون عن الرسول في ميدان البيان ومدح من لا يتفرق عنه إلا بالاستئذان والشيوخ ينظرون في الاجتماع من زوائد النعمة وفوائد المنة ويستوحون عنده الآية قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح.

﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ [الآية 27] أخبروني هل لهم استحقاق بالشركة في الألوهية والربوبية ليترتب عليه استحقاق العبودية وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام حجتهم زيادة في تبكيتهم ﴿كَلَّا﴾ [الآية 27] ردع عن المشاركة بعد إبطاله المقايسة ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الموصوف بالغلبة وجلال القدرة وكمال الحكمة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 28] أي إلا رسالة عامة لهم ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية 28] لمطيعهم ومحرمهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] حقيقة حقيقتك فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

قال الأستاذ: وهو مؤيد بالمعجزات مشرق في جميع الصفات سيد من في الأرضين والسمٰوات ظاهر لأهل الإيمان مستور عن بصائر أهل الكفران وإن كان ظاهراً لهم من حيث العيان قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

53/ ب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 29] من حدة جهلاتهم وشدة ضلالتهم ﴿مَتَىٰ/ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 29] المبشر به والمنذر عنه في أمر الدين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 29] يعنون النبي والمؤمنين الموافقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لكثرة ما صدر هذا القول منهم كرر الله في كتابه هذا خبراً عنهم وجاوبهم.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ [الآية 30] وعد يوم فيه تلقون ما تلاقون ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 30].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] ولا بما تقدمه من الكتب السابقة عليه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 31] أي في موضع المحاسبة أو في مطرح المعاقبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 31] أي يردون المكالمة في مقام المخاطبة والمعاينة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الآية 31] من الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية 31] من المتبوعين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 31] لولا صدكم إيانا عن إيماننا لكنا مصدقين نبينا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ﴾ [الآية 32] أي منعناكم ﴿عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 32] في أنفسكم بمتابعة الهوى ومخالفة الهوى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية 33] إثباتاً لكونهم أسباباً في الضلالة وأبواباً في سلوك طرق الجهالة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 33] أي بل مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى غيرتم علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [الآية 33] أضداداً مما سواه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾

[الآية 33] أي أضمر الفريقان من أهل الإضلال والضلالة ما ظهر لهم من الندامة في حالة مشاهدة العقوبة مخافة التعبير والملامة ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [الآية 33] وفق ما لهم من وبال الأثقال ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 33] أي ما يجزون إلا بأعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 34] أي نبي مرسل إليها ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ [الآية 34] أي منعموها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ [الآية 34] وإنه لا بعث ولا كتاب ولا حساب ولا عقاب وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما ابتلي به من قومه وتخصيص المتنعمين بتكذيب المرسلين لأنه الداعي المعظم إلى التكبر على الأصفياء والمفاخرة بزخارف الدنيا وما يتعلق بها والاستهانة بمن لم يحظ / منها. 54/ أ

وقال الأستاذ: أي قابلوا رسلهم بالتكذيب فيما قالوا لهم وإن رسلنا صبروا وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا ففي نجاتهم أرسلوا ولصلاحهم ما دعوا وبلغوا ولو وافقهم لسعدوا ولكن أقساماً سبقت لكم وأحكاماً حقت والله غالب على أمره.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾ [الآية 35] في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآية 35] في العقبى إما لأن العذاب لا يكون هنالك أو لأنه أكرمنا فلا يهيننا كذلك.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 36] لا لكراهة ولا لإهانة بل لمجرد مشيئته ومحض حكمه ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للكرامة وإن قلتهما بسبب الإهانة وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآية 55] أي بالعقبى.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الأمر ليس بكثرة الأموال والأولاد ولا بسعة الجاه فيما بين أهل الميلاد وإنما هي بصائر مفتوحة لقوم وأخرى معدودة لقوم والله رؤوف بالعباد.

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي﴾ [الآية 37] بالخصلة التي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [الآية 37] قربة ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [الآية 37] أي لكن من آمن مخلصاً وعمل صالحاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 37] من الطاعات ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 37] من المكاره والآفات فلا تقرب إلا بتحسين الأحوال وتزيين الأعمال لا بكثرة الأولاد والأموال فإنها لا تريد إلا الأهوال وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس.

وقال الأستاذ: لا تستحق الزلفى عند الله بالأعمال الخالصة والأحوال الصافية والأنفاس الزاكية بل بالعناية السابقة بالهداية اللاحقة والرعاية الصادقة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 38] بردّها والطعن فيها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [الآية 38] ظانين أنهم يفوتوننا أو يغلبوننا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [الآية 38] كما أردنا.

وقال الأستاذ: هم الذين لا يحترمون الأولياء في الجهر ولا يراعون حق الله في السر فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الله.

54/ ب ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ/ لَهُۥ﴾ [الآية 39] يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى لحكمة رآها فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين أو هذا في المؤمنين وذاك في الكافرين فلا تكرير مع احتمال تقرير ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [الآية 39] عوضاً عاجلاً أو بدلاً آجلاً ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الآية 39] فإن غيره وسيط في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازقيه غيره من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن من الخلق في الدنيا الرضا بالعدم والفقد وهو أتم من السرور بالوجود ومن ذلك الأنس بالله في الخلق ولا يكون ذلك إلا مع التجريد.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية 40] وقرأ حفص بالياء فيهما ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 40] المشركون ﴿إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 40] تقريباً للكفرة

وتبكيتاً لحالتهم إقناطاً عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [الآية 41] أي لا موالاة بيننا وبينهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة فيما هنالك بقولهم ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [الآية 41] أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [الآية 41] أكثر الإنس بالجن مصدقون ومطيعون وموافقون.

قال الأستاذ: وفي بعض الأخبار أن غداً من يسأله الحق في مقام العدل يقع عليهم من الخجل بما يقولون عذبنا بارينا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال والملامة.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 42] إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا مجازي سواه. أفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا أن من علق قلبه في الأغيار وظن صلاح حاله من الاختيال والاستعانة بالأمثال والأشكال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم ويتركهم وتشويش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع واستغفار فإن رجعوا لا يرحمهم ولا يجيبهم في تلك الدار كما أخبر عنه بقوله ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 42] أي وبال الأعمال التي بها استوجبتم هذه العقوبة في المال.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ [الآية 43] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا؟ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الآية 43]
55/أ / فيتبعكم بما كان يستبدعه لكم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ [الآية 43] يعنون القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ [الآية 43] كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ [الآية 43] مختلق على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ [الآية 43] لأمر النبوة وشواهدها من ظهور المعجزة ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 43] ظاهر السحر به.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء الذين هم الأئمة في ظاهر الطريقة إذا

نصحوا بعض الأمة ودعوهم إلى سبيل الهداية قال إخوانهم: من إخوان السوء وضعفاء اليقين وربما كان من قبل المتنصحين من أهل الغفلة في الدين والأقارب من أرباب الدنيا من ذا الذي يطيق هذا الطريق وإنك لا تتم هذا التحقيق ولا بدّ من الدنيا ما دمت تعيش فيها وأمثال ذلك حتى يميل المسكين عن قبول النصح في الدين وربما كان له هذا من خواطره الدنية فيهلك ويضل بالحالة الرديئة.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [الآية 44] ويوجد فيها ما يدل على صحة ما يعبدونها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 44] يدعوهم إلى عبادة غير الله وينذرهم على تركها في دنياه أو عقباه فمن أين وقع لهم هذه الشبهة أو حصل هذه الريبة وهذا غاية لتجهيل عقولهم ونهاية لتسفيه رأيهم في نقولهم ثم هددهم.

فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 45] رسلهم كما كذب هؤلاء نبيهم ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 45] وما بلغ جميع الآخرين عشر ما أعطينا بعض الأولين من القوة وطول المنة وكثرة المال والسعه ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 45] أي إنكاري عليهم بالتدبير.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [الآية 46] أرسلكم بخصلة واحدة هي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية 46] خالصاً لوجهه معرضاً عما سواه ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [الآية 46] متفرقين اثنين اثنين أو مجتمعين واحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الخاطر في المهام ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [الآية 46] في أمر محمد عليه السلام وما جاء به من الأحكام فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الآية 46] ليس فيه جنون بل به علوم وفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 46] قدام القيامة ففي الحديث بعثت في نسم الساعة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 47] أي أيَّ شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ﴾ [الآية 47] خير ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 47] ولا طمع/ فيكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا 55/ ب
عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 47] مطلع يعلم صدق نيتي وخلوص طويتي.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 48] يرمي به الباطل فيدفعه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾

[الآية 48] أي هو علام الغيوب وستار العيوب ومقلب القلوب.

قال الأستاذ: ويقذف بالحق على باطل أهل الغفلة فتزول حيلهم ويظهر عجزهم ويقذف بالحق على أفعال أهل الغفلة فيضمحل اجترارهم ويحيق بهم شؤم معاصيهم ويقذف بالحق إذا حضر أصحاب المعاني على ظلمات أصحاب الدعاوى فيخمد تأثيرهم ويفتضحون في أمرهم ويتضح عوازهم.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [الآية 49] أي عبادة الأصنام والمعنى لم يبق للباطل نشأة أبداً ولا إعادة إنشاء فالباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوقاً واضمحالالاً وانمحاءاً والحق لا يزيد على ممر الأوقات إلا قوة وظهوراً واستيلاءً واستعلاء.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ [الآية 50] عن الحق في طريق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [الآية 50] فإن وبال ضلالي عليها وسبب وبالي راجع إليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ﴾ [الآية 50] إلى الحق في سبيل قلبي ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [الآية 50] فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه ورعايته ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ [الآية 50] لمن دعاه ﴿قَرِيبٌ﴾ [الآية 50] لمن رجاه.

وقال الأستاذ: إن كنت مهتدياً فبربي لا بجهدي وإن كنت عندكم من أهل الضلال فوبال ضلالي علي لا يضركم فانظروا أنتم لأنفسكم أين وقفتم وأي ضرر عليكم في طاعتكم لي لا في المال تحسرون ولا في أنفسكم تتعبون ولا في جاهكم تنقصون وما أعرفكم من نقص أصنامكم فبالضرورة تعلمون فما لكم لا تبصرون ولأنفسكم لا تنظرون.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية 51] أي الكفار ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [الآية 51] يوم بدر أو عند الموت أو البعث لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [الآية 51] فلا يفوتون الله بهرب أو بتحصن وحرب ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 51] أي على وجه عجيب وفي زمان غريب والمعنى أنه إذا أخذهم بعد الإمهال فليس هناك إلا الاستئصال.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الآية 52] آمنا بالله أو برسوله ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾

[الآية 52] وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] فإن التناول إنما هو في زمان التكليف وقد فات منهم وبعد عنهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 53] أي / بالله أو محمد وإنذاره ﴿مِن قَبْلُ﴾ 56/ أ
[الآية 53] أي قبل ذلك حين كانوا مكلفين بما هنالك ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 53] ويرجمون بالظن في الرسول من طعنه أو في العذاب من القطع على نفيه ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي تمحلوها وفي أنفسهم تخيلوها.

وقال الأستاذ: إذا تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت بهم الأسباب فليس إلا الحسرات ثم لات حين الندامات كذلك من استهان بتفاصيل فترته ولا يستفيق من محاليل غفلته يتجاوز عنه مرة ويعفي عنه كرة فإذا استمكن القسوة وتجاوز سوء الأدب حد القلة وزاد على مقدار الكثرة فيحصل من الحق لهم رد جواب ويستقبلهم حجاب فبعد ذلك لا يسمع لهم دعاء ولا يرجى لهم نداء كما قيل:

فخل سبيل العين بعدك للبكاء فليس لأيام الصفاء رجوع

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 54] من نفع الإيمان والنجاة من النار أو من اللذات النفسانية والشهوات الدنيوية أو من مياه الجنة ونعيمها الأخروية ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 54] بأشباههم من كفرة الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ [الآية 54] موقع في الريبة الظلمانية.

وأفاد الأستاذ: إن التوبة يشتهونها في آخر الأمر وقد فات الوقت والخصم يريد إرضاءه فيستحي أن يذكر في ذلك الوقت إنباءه وينسد لسانه ويضيق جنانه فلا يمكنه أن يفصح بما في قلبه ويود أن لو كان بينه وبين ما أسلفه أمد بعيد ويتمنى أن يطيع فلا تساعده القوة ويتمنى أن يكون له قبل خروجه من الدنيا نفس ثم لا تنفق في تلك الحالة، فنسأل الله العافية وحسن العاقبة.

سورة فاطر

[مكيّة]
وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب روحاً لمن كان يشاهد الإيقان وذكرها يوجب لوحاً لمن كان يوصف البيان فالروح من وجود الإحسان واللوح من شهود السلطان[1] وكل مصيب ولكل من الحق سبحانه نصيب.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 1] مبدعهما ومبديهما ومخترعهما ومنشئهما.

56/ب قال جنيد: الحمد لله الذي جعل/ ما أنعم على عباده من أنواع نعمه في بلاده دليلاً هادياً إلى معرفته على وفق مراده فقال فاطر السماوات والأرض ليستدل بهما على أن من فطرهما هو فاطر من فيهما فيستغني بفطرته الأشياء أجمع عن الرجوع إلى غيره في سبب من الأسباب ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الآية 1] وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده وإمائه يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة في المنام ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [الآية 1] متعددة متفاوتة مختلفة بتفاوت ما لهم من المرتبة ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [الآية 1] ينزلون بها ويعرجون بسببها ويسرعون بقوتها التي خلقها الله فيها ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 1] استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئة ومؤدي حكمته

(1) في المخطوطة غير واضحة، ولعلها الظان.

الآية متناولة لزيادة الأجنحة لبعض الملائكة فإنه أنه عليه السلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وكذا لزيادة والصور والمباني وفضيلة المعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وسماحة النفس وخصافة العقل.

قال ابن عطاء: حسن المعرفة بالله وحسن الإقبال عليه وحسن المشاهدة وحسن المراقبة لديه وكذا الأستاذ الخلق الحسن ويقال: الكياسة في التجارة ويقال: الفصاحة في المحاورة ويقال: الجود والسخاء ويقال: الرضا بالتقدير والقضاء ويقال: علو الهمة ويقال: التواضع في الأغنياء ويقال: العفة في الفقراء ويقال: سلامة الصدور عن ظهور الشرور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فمنها ما يعملون ذلك معاينة كالسمٰوات والأرضين وغيرهما ومنها ما سبيل إيماننا به الخبر والنقل لا تعلمه بالضرورة ولا بدليل العقل فالملائكة منهم ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنحتهم وإنهم كيف يطيرون بأجنحتهم الثلاث والأربع لكن على الجملة نعلم كمال قدرته وصدق حكمته.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 2] ما يرسل لهم ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ [الآية 2] كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [الآية 2] لحبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ [الآية 2] يطلقه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 2] بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يفعل بعباده.

57/أ قال أبو / عثمان: ما يفتح الله لقلوب أوليائه من القرب والأنس لو اجتمع الخلائق كلهم أن يمسكوه عن ذلك لعجزوا عنه ومن أغلق الله قلبه عن الإنابة إليه والتقرب لديه فلو اجتمع الخلق أن يفتحوا ما هنالك لما قدروا على ذلك.

وقال الأستاذ: ما بيح لقلوب العارفين من أنوار التحقيق وأسرار التدقيق لا سحاب يستره ولا ضباب يقهره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 3] احفظوها بمعرفة حقها والقيام بطاعة منعمها ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 3] أي من

جهتهما أو بسببهما والمعنى أنه كما لا خالق لهما إلا هو لا رازق لهما إلا هو ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 3] فمن أي وجه يصرفون عن توحيده إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف وجره حمزة والكسائي حملاً على لفظه.

قال ابن عطاء: من علم أنه لا رازق للعباد غيره ويتعلق قلبه بالأسباب دونه فهو من المبعدين.

وقال القاسم: يرزقكم من السماء الهداية ومن الأرض أسباب الغذاء والحفظ والبقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من ذكر نعمته فصاحب عبادة ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فصاحب إرادة ونائل زيادة ولكن فرق بين زيادة وزيادة هذا زيادة في الدارين عطاؤه وهذه زيادة في الكونين لقاؤه اليوم سراً بسر من حيث المشاهدة وغداً جهراً لجهر من حيث المعاينة والنعمة على قسمين ما دفع من المحن وما صنع من المنن فذكره لما دفع عنه يوجب دوام العصمة وذكره لما نفعه به يوجب تمام النعمة وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ [الآية 3] إيماء إلى أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء منه وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه أيضاً من نفسه فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوسم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره ويخلص في توكله وتفويض أمره.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ [الآية 4] أي بعض قومك ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 4] فصبروا على ما كذبوا فتأسّ بهم في الصبر على تكذيبهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 4] فيجازيك على الصبر كما يجازيهم على الكفر.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه / الآية إشارة إلى أصحاب الحقيقة مع الأجانب من هذه الطريقة فإن أرباب الحقائق أبدأ منهم في مقاساة الأذية لا بستر أحوالهم الجلية والعوام أقرب إلى قبول الحق من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول من المنكرين. 57/ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ [الآية 5] وأخباره بالثواب والعقاب صدق ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 5] فيذهلكم التمتع بزخارفها الفانية عن طلب الآخرة الباقية والسعي لمراتبها الغالية العالية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الآية 5] الشيطان الذي هو منبع الشرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية أو بأن يوسوس لكم بأن لا حساب ولا عتاب في الآخرة.

وأفاد الأستاذ: إن وعده سبحانه بالقيامة حق ووعده لمن أطاعه في الدنيا بكفاية الأمور وحصول السلامة حق ووعد للمطيعين في الآخرة بوجود الكرامة حق وللعاصين في الآخرة بالندامة حق فإذا علم العبد بذلك فاستعد للموت ولم يهتم للرزق فإنه لا فوت ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط في استكثار الطاعة في العمل ثقة بالوعد ولم يلم بالمخالفات خوفاً من الوعيد.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [الآية 6] عداوة قديمة لآبائكم ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [الآية 6] في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ [الآية 6] متابعيه ومشايعيه ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الآية 6] والجملة استئنافية مبينة لعداوته ومقررة لعرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا والإعراض عن العقبى والغفلة عن المولى فإن من نسي ذكر ربه فهو من حزبه بل قرينه من كمال قربه كما قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: الآية 19]، وقال عز وعلا: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: الآية 36].

وقال سهل: حزبه أهل البدعة والأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن عداوة الشيطان بدوام مخالفته فإن من الناس من يعاديه بقلبه وقوله ولكن يوافقه بفعله ولا يقوي / على عداوته إلا بالالتجاء إلى 58/ أ
الرب وإعاذته وتلك الاستعانة صدق الاستغاثة والشيطان لا يفتر في عداواتك فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة في طاعتك فيغلبك عدوك فإنه أبداً متمكن لك

ثم حزبه المعرضون عن الله المشغولون بغير الله الغافلون عن الله ومفهوم هذا الخطاب أن الشيطان عدوكم فأبغضوه واتخذوه عدواً وأنا وليكم وحبيبكم فأحبوني وارضوا بي حبيباً ووليا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 7] في جميع الحالات ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ [الآية 7] على ما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] على ما تحملوا من المشقات في الطاعات ففي الآية وعيد لحزب الشيطان ووعد لحزب الرحمٰن.

وقال الأستاذ: لهم عذاب معجل وعذاب مؤجل فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم ودناءة همتهم حتى رضوا بأن يكون الأصنام آلهتهم وعذاب الآخرة لا يخفي على مسلم صعوبة عقوبتهم وأما ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ [الآية 7] ستر لذنوبهم اليوم ولولا ذلك لافتضحوا بين القوم وغداً كذلك ولولا ذلك لهلكوا هنالك ﴿وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] والأجر الكبير اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وفي الآخرة لتحقيق السؤل ونيل: ما فوق المأمول.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [الآية 8] بأن غلب وهمه على عقله ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [الآية 8] بانتكاس رأيه حيث رأى الباطل حق وعكسه كمن كان أمره على خلافه بأن عرف الحق من الأحوال والحسن من الأعمال بتوفيق الملك المتعال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 8].

وأفاد الأستاذ: أن الكافر يتوهم أن عمله حسناً كما أخبر سبحانه عنهم بقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ثم الراغب في الدنيا بجمع حلالها وحرامها ويحوش حطامها لا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فلقد زين له سوء عمله والذي يتبع الشهوات يبيع مؤبد راحته في الجنة بمتابعة شهوة ساعة في النعمة فلقد زين له سوء عمله والذي يؤثر على ربه شيئاً من المخلوقات فهو من جملتهم والذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته من / 58/ب
العقوبة ودرجاته في الجنة فقد اكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن

حلاوة مناجاته والذي هو في صحبة حظوظه دون إيثار الله وحقوقه فهو ممن زين له سوء عمله ﴿فَلَا تَذْهَبْ﴾ [الآية 8] فلا تهلك ﴿نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [الآية 8] للحسرات على جهالتهم وللندامات على ضلالتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيهم على قبائح أعمالهم ومساوىء أحوالهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية 9] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الآية 9] تهيجه وتفرقه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية 9] يحتاجه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [الآية 9] بالمطر النازل منه ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 9] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 9] بيبسها وذهاب نبتها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [الآية 9] أي مثل إحياء الموات في صحة المقدور نشور الأموات من القبور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنّته بأنه يظهر فضله في إحياء الأرض بتدريج في صنعه أو لا يرسل الرياح ثم يأتي بالسحاب ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء ويمطر هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد بماءٍ يسقيه وينزل عليه من أمطار عنايته فيرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج به كوامن الإرادة ثم ينشأ فيه سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم يأتي مطر الجود فينبت في القلب أزهار البسط وأنوار الروح يطيب لصاحبه العيش إلى أن تتم لطائف الإنس.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [الآية 10] الرفعة والمنعة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 10] أي فليطلبها من عنده فإن كلها له ويجعلها لمن شاء من عبيده.

وقال الأستاذ: أي من كان يريد أن يعرف لمن العزة فليعلم إنها لله جميعاً ويقال: من كان يريد العزة لنفسه فليطلبها من ربه ثم إن عزة الربوبية لله وصفاً وغير الرسول والمؤمنين فضلاً من الله ولطفاً فإن عزته قدرته وغلبته في إرادته ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [الآية 10] بيان لما يطلب به العزة في الدنيا والآخرة وهو التوحيد والأعمال الصالحة وصعودهما مجازاً عن قبولهما أو صعود الكتبة بصفحهما والمستكن فيه يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا / التوحيد أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله تعالى رخص العمل عبده 59/ أ

الصفة لما فيه من الكلفة وقيل: الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وأنواع الثناء والكلم من الكلمة بمنزلة الثمر من الثمرة يفرق بين الجنسي وواحدة بالتاء واللفظ مفرد إلا أنه كثيراً يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنس ثم الكلم غلب على الكثير بحيث لا يستعمل في الواحد البتة حتى يوهم بعضهم أنها جمع كلمة وليس على حد تمر وتمرة هذا أو فسر في الحديث بأنه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيى بها وجه الرحمٰن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وكان الحديث مقتبس من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية 27]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 10] المكرات السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 10] جزاء لتلك الحركات والسكنات ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [الآية 10] يفسد ولا ينفد لأن الأمور مقدرة لا تتغير بمكر المكرة.

قال الأستاذ: تقلب عليهم مكرهم فما يتوهمون من خير لهم قلبة محنة عليهم ويقال: تخليته إياهم ومكرهم مع قدرته على عصمتهم وهو لا يعصمهم هو عذابهم الشديد، قبل يوم الوعيد.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الآية 11] بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 11] يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الآية 11] أصنافاً ذكراناً وإناثاً أو أنواعاً بيضاً وسوداً وعرباً وعجماً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية 11] إلا معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ [الآية 11] وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [الآية 11] من عمر المعمر لغيره بأن يعطي له عمراً نقص من عمره وقيل: الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة في اللوح مثبتة مثل أن يكون فيه أن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وقيل: المراد بالنقصان بما يمر من عمره وينتقص من الزمان أو يبارك في عمر وما ينقص في قدره ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الآية 11] هو علم الله الجامع لكل باب واللوح المحفوظ من التغيير ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 11].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم بدء نسبتهم لئلا يعجبوا بحالتهم ثم

أن المتخذ من الطين / سريع التغيير قليل القوة المكث لكنه يقبل الانحياز 59/ ب
بالماء يخمر به طينته فإذا جاد الحق عليه بما الجود أعاده بعد انكساره بالذنوب في عالم الوجود وإذا كان لا يخفى عليه شيء من أحوالهم في ابتداء خلقه فمن لا يبالي أن يخلق من يعلم أنه يعصي لا يبالي أن يغفر من رآه يعصي.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية 12] طعمه ضرب مثل للمؤمن والكافر والمطيع والفاجر والفرات الذي يكسر العطش وحرارته والسائغ الذي يسهل انحداره وابتلاعه والأجاج الذي يحرق لملوحته ومرارته ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [الآية 12] المعنى أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد والصفات لا يتساويان من حيث أنهما يختلفان فيما هو المقصود بالذات كما أن المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة وسائر المكرمات لا يستويان فيها خلق من القصور بالذات وهو المعرفة وما يتبعها من العبادات والطاعات.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي الحالتان هذه إقبال على الله واستعمال بطاعته واستقبال في معرفته وهذه إعراض عن الله وانقباض عن عبادته واعتراض على الله في قسمته وقضيته هذا سبب قربه ووصال وهذا سبب هجره وفصاله وفي كل واحدة من الحالتين يعيش أهلها ويرجي صاحبها وقتها لا يستوي الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح هذا خوف وصاحبه في احتياج وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح هذا فراق وصاحبه بوصف العبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [الآية 12] كذلك كل يتقرب في حالته بربه ويتزين على بابه وهو الحلية التي بها يتحلّى من طرب أو حرب أو شرف أو تلَفٍ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ [الآية 12] في كل منها ﴿مَوَاخِرَ﴾ [الآية 12] تشق الماء بجريها ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 12] من فضل الله بالنقلة فيها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] على هذه النعم جميعاً.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى/ ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ 60/ أ

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 13] مر مراراً كل يجري لأجل مسمى هذه مدة دوره أو منتهى سيره أو يوم القيامة وغاية دهره ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 13] مربيكم والمتصرف فيكم ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الآية 13] على وجه الملك ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 13] من الصنم وغيره ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [الآية 13] قدر قطمير من ملكه الكبير والقطمير لفافة النواة هو مثل اليسير والحقير ففيه الدلالة على تفرده بالألوهية وتوحيده بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن النفس تقلب مرة على القلب ومرة تقلب القلب على النفس وكذلك القبض والبسط وقد يستويان ومرة بقلب القبض على البسط ومرة البسط على القبض كذلك في الصحو والسكر والغناء والبقاء وسخر شمس التوحيد وقمر المعرفة على ما يريد من إظهارها على قلوب أهل التفريد والمكاشفة ذلكم الذي وصفته لكم بالقدرة على هذه الأشياء الظاهرة عندكم هو الله ربكم وهو مستبد بالملك فأروني منبسطة في النفي والإثبات مما تدعون من دونه وإذا لم يمكنكم ذلك فهلا أقررتم وفي عبادته أخلصكم وعن الأصنام تبرأتم وعن غيره أعرضتم.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [الآية 14] لأنهم جماد لا يدركون نداءكم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ [الآية 14] على الفرض والتقدير وعلى زعمكم ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [الآية 14] لعدم قدرتهم على نفعكم فإنهم لا يملكون نفع أنفسهم فكيف يملكون نفع غيرهم أو لغيرهم منكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [الآية 14] بإشراكهم لهم لأنهم يبطلانه يقرّون أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [الآية 14] أي ولا يخبرك بهذا الأمر وغيره مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به عن الحقيقة دون سائر المخبرين عن شأنه والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من مقالتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 15] في الإيجاد والإمداد ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [الآية 15] عن عبادة العباد ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الآية 15] في جميع ما أراد.

قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر والغناء

فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصَلَه فقره بغناه.

وقال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل.

وقال/ الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غناه بالله. 60/ ب

وقال ذا النون: الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة ولمحة.

وقال الشبلي: الفقر أن لا يرى في الدارين مع الله سواه. وسئل الخواص ما علامة الفقر الصادق قال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى.

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الفقر أخذ الشيء منه واختيار القليل على الكثير عند الحاجة إليه.

وأفاد الأستاذ: أن الفقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة ففقر الخلقة عام لكل حادث حصل من العدم والمخلوق مفتقر إلى خالقه في أول حال وجوده ليبدئه وينشئه وفي الثاني من حال بقائه ليديمه ويبقيه والله سبحانه في أزله وأبده غني فالعبد فقير لعينه والرب غني لعينه وأما فقر الصفة فهو التجرد ففقر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد من الأعلال، والفقر على أقسام: فقير إلى الله وفقير إلى شيء هو من الله مثل معلوم ومرسوم ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء فالفقير إلى الله هو الغني بالله فالافتقار إلى الله لا يخلق من الاستغناء بالله ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والتخشع ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر والترفع وشرف العبد في فقره وكذلك عزه وذله في توهم الغنى وكذلك صغره وإذا تذللت الرقاب تقرباً منا إليك فعزها في ذلّها ومن الفقر المذموم أن يستر الحق على صاحبه موضع فقره إلى ربه ومن الفقر المحمود أن يشهده الحق موضع فقره إليه ودوام احتياجه لديه ومن آداب الفقير الصادق إظهار التكثر عند كمال التكسر وكمال المعنى وزوال الدعوى ويقال الشكر على البلوى والبعد من الشكوى ويقال: إذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى أولاك ما يغنيك وأعطاك فوق ما يكفيك.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية 16] بإهلاككم أو بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 17] بقوم آخرين أطوع منكم في بقائكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 17] بمتعذر أو متعسّر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفك أنه غني عنك وأشهدك موضع فقرك
61/أ إليه وإنه لا بدّ لك منه في القصد من هذا إلا إرادته لإكرامك بشرق إكرامه / ولإيوائك في كنف إنعامه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 18] ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ [الآية 18] نفس أثقالها أو أوزارها ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ [الآية 18] إلى تحمل بعض حملها من أوزار ثقلها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [الآية 18] لم يجب بحمل شيء منه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية 18] المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [الآية 18] صاحب قرابتها فنفى سبحانه أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها.

وقال الأستاذ: كل مطالب بعلمه وكل محاسب بديوان فعله لكل معه شأن وله مع كل أحد شأن تعالى شأنه وتعظم سلطانه وفي العبادات ما يجري فيها النيابة لكن في المعارف لا يجري البتة فلو كان عبداً عاصياً منهمكاً في الغواية فاتته صلاة مفروضة فلو قضى عنه ألف صفيّ وألف وليّ لتلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لا يقبل منه اللهم إلا أن يحيي هو بنفسه ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: 79] عقابك لا يجري معه غيرك والخطاب الذي معك لا يسمعك غيرك فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الآية 18] غايبين عن عذابه أو غائباً عنهم عذابه أو غائبين عن الناس في خلواتهم وفق حالاتهم في جلواتهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 18] في جماعاتهم فإنهم المنتفعون بحلاوة طاعاتهم ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ [الآية 18] تطهر عن دنس المعصية ووسخ الغفلة ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 18] إذ نفعه لها وأجره لا يتعداها ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية 18] فيجازيهم على تركهم بالقليل والكثير.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [الآية 19] الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠﴾ [الآية 20] ظلمات الكفران ونور الإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١﴾ [الآية 21] ولا ثواب الجنة ولا عقاب الحرقة ولا لتأكيد نفي الاستواء أو تكريرها على الشفتين لمزيد المبالغة.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [الآية 22] أي العلماء والجهلاء أو الذاكرون والغافلون، فقد ورد: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت أو الفقراء والأغنياء، فورد: «إياكم ومجالس الموتى، قالوا: ومَن الموتى يا رسول الله؟ قال: هم الأغنياء».

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يستوي هذه الأشياء عندنا كذلك لا يستوي الموصول بنا والمشغول / عنا والمجذوب إلينا والمحجوب لدينا ولا يستوي 61/ ب
من أشهدناه حقنا ومن أغفلنا قلبه عن ذكرنا.

أحـبابـنـا شـتـان واف ونـاقـض ولا يستوي قط المحب وباغض

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 22] هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الآية 22] مبالغة في إقناطه عن إيمانهم وعن رجوعهم إلى مقام إحسانهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٢٣﴾ [الآية 23] فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 24] محقين أو محقاً أو بالدين الحق ﴿بَشِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعد الحق ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعيد الصدق ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ [الآية 24] أهل عصر ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية 24] مضى فيها نبي أو ولي ينوب عنه واكتفى بالنذير عن البشير لأنه هو المقصود الأهم من البعثة لا سيما في أول القضية.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 25] بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ [الآية 25] كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [الآية 25] كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ﴾ [الآية 26] أصروا على المعصية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 26] إنكاري عليهم بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ [الآية 27] أجناسها وأصنافها من صفرة وخضرة وحمرة وحلوة ومرة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ [الآية 27] ذو خطط ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [الآية 27] وصفر وغيرها ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [الآية 27] بالشدة والضعف فيها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [الآية 27] جمع غرابيب تأكيد للأسود قدم للمبالغة على المؤكد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 28] أي في الأحوال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] كاختلاف الثمار والجبال وهو دليل ثبوت منشئها بنعت الجلال وصفة الكمال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ﴾ [الآية 28] إذ شرط الخشية معرفة المخشيّ باعتبار ذاته وأفعاله وصفاته فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذا ورد في أخشاكم لله وأتقاكم له وقرىء برفع اسم الله ونصب العلماء على التجريد فإن الخشية خوف مع التعظيم فالمعنى إنما يعظم الله العلماء لأنهم عالمون بموقع التكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 28] معاقب للمصرّ على طغيانه ﴿غَفُورٌ﴾ [الآية 28] للتائب عن عصيانه.

62/أ قال ابن عطاء: الخشية أتم / من الخوف لأنها صفة الخاصة وهو نعت العامة.

وقال جعفر: خشية العلماء من ترك الحرمة في العبادة وترك الحرمة في الإخبار عن الحق بالنقص أو الزيادة وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولياء الأمة وتحقيق الإرادة.

وأفاد الأستاذ: إن من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله، والفرق بين الخشية والرهبة أن الرهبة خوف يوجب هروب صاحبه فيجري في نفرته والخشية إذا حصلت فبحب صاحبها فيبقى مع الله في حضرته والخوف قضيته الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 175] والخشية

قضية العلم والهيبة موجبة المعرفة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] يداومون على قراءته ويواظبون على متابعته ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 29] بآدابها الظاهرة والباطنة ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 29] أي إخفاء وإظهاراً وليلاً ونهاراً أو كيف اتفق على حسب تصحيح طوية وإيقاعها على نية وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾ [الآية 29] تحصيل ربح أخروي على عمل دنيوي ﴿لَّن تَبُورَ﴾ [الآية 29] لن تفسد لن تكسد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [الآية 30] متعلقة بيرجون أي ليعطيهم أجور أعمالهم وافية ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية 30] زيادة كافية ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ [الآية 30] لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 30] لطاعاتهم.

وأفاد الأستاذ: إنّ الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بحق الله وإتيانهم بأنواع طاعاتهم وصنوف القرب من عباداتهم فلهم القدر الأجل من التقريب والنصيب الأوفر من الترحيب والذين أحوالهم بضد أولئك فمنالهم على عكس ذلك فهؤلاء الأولياء الأعزة وهؤلاء الأعداء الأذلة.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 31] أي القرآن الجامع للأبواب التي يحتاج إليها أرباب الألباب ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة بالوجه الصدق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الآية 31] عالم بضمائرهم وظواهرهم.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 32] أي من الأمم السالفة ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 32] أي علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم / بأجمعهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 32] 62/ ب
بالتقصير في العلم به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [الآية 32] يعمل به في أغلب دهره ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الآية 32] مسارع إلى الطاعات في جميع الأوقات من عصره ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] بتوفيقه وتيسيره وأمره وثم عطف على ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية 29] وجملة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 31] معترضة بين كيفية التدريس وكيفية التوريث، وقد سئل الثوري ثم أورثنا على ماذا عطف؟ قال: عطف على إرادة الأزل بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: الآية 101] وهي الاصطفائية الأزلية.

وقال جنيد: لما ذكر الميراث؟ دل على أن الخلق فيه عام وخاص وإن الميراث لمن هو أصلح قرباً وأصح نسباً فتصحيح النسبة هو الأصل في رتبة القربة فالظالم الذي يحبه لنفسه والمقتصد الذي يحبه له والسابق الذي أسقط عنه مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراد لغلبة سلطان الحق عليه.

وقال النصرآبادي: صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق إلا من نسبه بالحق وإلى الحق دون الأسباب والوسائط وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون» وقيل: الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل: الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث كفرت سيئاته وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته» كما رواه الإمام أحمد والحاكم(1) وغيرهما.

وورد أيضاً: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفور له»(2).

وروي عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت لصهبان: أما السابق فمن

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 198) رقم (21775)، وانظر تفسير البيضاوي (1/ 419).

(2) أورده العقيلي في الضعفاء الكبير (7/ 178) رقم (1641)، وسعيد بن منصور في السنن (5/ 305) رقم (2131)، وانظر تفسير القرطبي (14/ 346)، وتفسير الآلوسي (16/ 402)، والكشاف (5/ 419).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 167) رقم (6094)، والطيالسي في المسند (1/ 209) رقم (1489)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (10/ 392) رقم (3783).

مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم [لنفسه] فمثلي ومثلك[1].

63/ أ وعن علي رضي الله عنه: الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق / فضل له فكيف ذلك؟ قال: أنا الظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتي[2]. رواها الكواشي في تفسيره.

وفي «تفسير السلمي» قال الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم الذي زادت سيئاته على حسناته وقيل: الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر على البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل: الظالم من غلب نفسه قلبه والمقتصد من غلبت قلبه نفسه والسابق من كان نفسه وقلبه في حراسة ربه.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال أخبر عنها المصطفى بلسان المقال فسؤال الظالم أسألك الإيمان بك والكفاف من رزقك وسؤال المقتصد أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وسؤال السابق أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك[3].

وقال عبدالعزيز المكي: المغفرة للظالمين والرحمة للمقتصدين والقربة للسابقين.

وقال ابن عطاء: الظالم معذب والمقتصد معاقب والسابق مقرب وقال بعضهم: الظالم يراه في مقدار الجمعة والمقتصد يراه في اليوم مرة والسابق

(1) انظر تفسير النيسابوري (6/ 305).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 697) رقم (1900)، والطبراني في المعجم الأوسط (6/ 165) رقم (6091)، وفي المعجم الكبير (5/ 157) رقم (4932)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 387) رقم (1228)، وابن حبان في الصحيح (5/ 304) رقم (1971).

على الأريكة ينظر ولا يغيب عن المشاهدة وقيل: الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل: الظالم الواعظ بلسانه والمقتصد الواعظ بعمله والسابق الواعظ بسره ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 32] أي التورث أو الاصطفاء أو السبق ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 32].

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 33] مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة وقرأ أبو عمرو: ويدخلونها على بناء المفعول.

قال جعفر الصادق: فرق الله المؤمنين ثلاث فرق وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه بتفاوت معاملاتهم ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال: جنات عدن يدخلونها ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه وإن الظالم لا يؤثر في الأصفياء ثم بين بالمقتصدين / لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين 63/ب
لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال الأستاذ: أي أعطيناك الكتاب وهو القرآن وذكره بلفظ الإيراث توسعاً في البيان واصطفينا اخترنا ثم ذكر أقسامهم الثلاثة، وفي الخبر: أنه لما نزل هذه الآية قال عليه السلام: «أمتي ورب الكعبة» ثلاث مرات، وفي الآية وجوه من الإشارات فمنها أنه ذكر بلفظ الميراث وهو يقتضي صحة النسب أو السبب وتمحل النسب هنا المعرفة وتمحل السبب الطاعة وإن قيل: تمحل النسب فضله وتمحل السبب فعلك فهو وجه ويصح أن يقال: تمحل النسب اختياره لك بدءاً وتمحل السبب إحسانه إليك ثانياً ثم بالميراث يبدأ بذوي الفروض ثم ما يبقي فللعصبة وإن كان صاحب الفرض أضعف استحقاقاً كذلك قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 32] فقدمه على أن المقتصد السابق. وتكلموا في الظالم فمنهم من قال: هو الأفضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة والأكثرون على أن السابق هو الأفضل وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة ولهذا نظائر كثيرة يعني فهو من باب التدلي لأمن طريق الترقي ويقال: قرن باسم الظالم قرينة وهو قوله لنفسه، وقرن باسم

السابق قرينة وهو قوله: بإذن الله فالظالم كان له زلة والسابق كان له صوله فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته بقوله: بإذن الله يا ظالم ارفع نفسك ظلمت ولكن على نفسك ويا سابق اخفض رأسك سبقت ولكن بإذن الله ويقال إن العزيز إذا رأى ظالماً قصمه ولكن الكريم إذ رأى مظلوماً أخذ بيده يا ظالماً إن كان كونك ظالماً يوجب قهرك فكونك مظلوماً يوجب الأخذ بيدك ويقال: الظالم من زهد في دنياه والمقتصد من رغب في عقباه والسابق من آثر على الدارين مولاه ويقال: الظالم من نجم كوكب عقله والمقتصد من طلع بدر علمه والسابق من أشرق شمس معرفته ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم يبخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال: الظالم من ترك الغفلة والسابق من ترك الملامة
الظالم من له علم اليقين والمقصد من له عين اليقين والسابق من له حق / اليقين. 64/ أ
ويقال: الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال: الظالم له المغفرة والمقتصد له الرحمة والسابق له القربة ويقال: الظالم صاحب الدنيا والمقتصد صاحب العقبى والسابق صاحب المولى ويقال: الظالم طالب الدرجات والمقتصد طالب النجاة والسابق طالب المناجاة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 32] الذي ذكر الظالم مع السابق.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرّعد: الآية 33] لما ذكر أصنافهم رتبها ولما رتب حديث الجنة ذكرهم على الجمع تنبيهاً على أن دخولهم الجنة لا لاستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تمييزاً، انتهى. وفيه بحث لا يخفى فإن الجنات فيها درجات ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية 33] عطف على ذهب أي من ذهب مرصّع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية 33].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [الآية 34] همهم من خوف العاقبة أو همهم لأجل المعيشة أو من وسوسة إبليس ونحوها وعن ابن عباس حزن الموت[1]،

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (1/ 128) رقم (105) ونقله عن مجاهد؛ وانظر تفسير البغوي (6/ 423) ونقله عن قتادة، والكشاف (5/ 420) ونقله عن ابن عباس.

وقيل: حزن زوال النعمة. وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار وقيل: التحويل من دار إلى دار وقيل: حزن المحاسبة وقيل: حزن المقاطعة وهو يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا.

وقال النصرآبادي: ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم فلما نجوا منها حمدوا.

وقال أبو سعيد الخراز: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في العقبى قال تعالى: حاكياً عن أهلها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [الآية 34] وإنما أحزانهم الاشتغال بالأعراض والأغراض فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا في الدنيا عيش أهل الجنة في العقبى ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الآية 34] للمطيعين.

وقال سهل: غفور لذنوب كثيرة شكور لأعمال يسيرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قدّم ما للعاصين رفقاً بهم لضعف حالهم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [الآية 35] دار الإقامة لا يبغون عنها حولاً من كمال الاستقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 35] حتى أقامه وتفضله إذ لا واجب عليه بشيء من فعله ﴿لَا/ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الآية 35] تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ 64/ب
[الآية 35] كلال وملال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أرادوا أن يروا مولاهم لا يحتاجون إلى قطع مسافة أياماً بل هم كل في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة بل يرونه كما هم بلا كيفية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 36] لا يحكم بموت فان عليهم ﴿فَيَمُوتُوا۟﴾ [الآية 36] ويستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [الآية 36] فيسكنوا بل كلما خبت نارها زيد إسعارها.

وقال الأستاذ: لا حياة يتمتعون بها ولا أمانة يستريحون بسببها بل هم مقيمون في العذاب ومديمون في الحجاب ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [الآية 36] صاحب كفر وكفران وقرأ أبو عمرو وعلي بناء المفعول وإسناده إلى كل.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [الآية 37] يستغيثون من أهوالها وشدة أحوالها ويقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الآية 37] من الأعمال القلبية والقالبية على القواعد الدينية اليقينية ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية 37] من الأمور الدنيوية الوهمية ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [الآية 37] وهو متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من أن يتذكر ويتفكر ولعل كمال عمر فيه يعذر وما ورد عنه عليه السلام العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة رواه البزار[1] ولفظ البخاري من عمره الله ستين سنة[2] فقد أعذر إليه في العمر.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [الآية 37] أي النبي أو الكتاب أو العقل أو الشيب أو موت الإخوان والأقران ويقال: سقوط السن وفقد الأرب ونقوس الظهر وسائر علامات الكبر ﴿فَذُوقُوا۟﴾ [الآية 37] عذاب السعير ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الآية 37] يدفع العذاب عنهم ويرفع الحجاب منهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 38] لا يخفى عليه الأمور ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: أي عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين وجحد الكافرين ونفاق المنافقين ومن يريد بالناس سوءاً ومن يحسن بالله ظناً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 39] يلقي إليكم مقاليد تصرفها لينظر كيف يعمل كل أحد فيها ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الآية 39] جزاء كفره على نفسه لا يتعداها ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ [الآية 39] شدة البغض من الرب في الدنيا ﴿وَلَا يَزِيدُ/ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 39] في 65/ أ
تجارة العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن أهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن قوم هم

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (5/ 99) رقم (2710)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 146) رقم (20305)، وأحمد في المسند (1/ 371) رقم (3519).
(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6311).

لسلفهم جمال ومن قوم هم لهم أرذال وأنذال، الأفاضل زمانهم لهم محنة والأرذال لزمانهم منهم محنة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] يعني آلهتهم التي يعبدونها مما سواه والمعنى أخبروني هؤلاء الشركاء ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 40] أي جزءً من الأرض استبدوا بخلقه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 40] أم لهم شركة مع الله في خلق شيء من السمٰوات وتصرفه فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية والربوبية لتقوموا لهم ببعض حقوق العبودية ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 40] أي الآلهة ﴿كِتَٰبًا﴾ [الآية 40] أي ينطق على أنا اتخذناهم شركاء ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ [الآية 40] فيه على حجة من ذلك الإنباء ويجوز أن يكون ضميرهم للمشركين لقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 35] ولا منع من الجمع بأن يكون الضمير لهم ولأتباعهم وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي على بينات وفيه إيماء إلى أن الشرك خطير لا بدّ فيه من تعاضد دلالات ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 40] أي يعدون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 40] ما يغترون به من الأوهام في تصحيح عبادة الأصنام وهو تغرير الأسلاف الأخلاف بأن هؤلاء شفعاء عند الله تعالى يشفعون بالتقرب إليهم.

وقال الأستاذ: كرَّر الله إشهادهم عجز أصنامهم ونقص من ألحدوه الآلهة من أوثانهم يسفه بذلك آراهم ونهيهم عن ذميم أحوالهم وقبيح أفعالهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما به يطالبون وليس لهم جواب عما يسألون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [الآية 41] أي يمنعهم عن زوالهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [الآية 41] ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [الآية 41] ومن بعد زواله أو من بعد الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الآية 41] حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: الآيتان 90،91].

وقال الأستاذ: أمسكهما بقدرته وأتقنهما بحكمته وزينهما بمشيئته وخلق

أجلهما على موجب قضيته فلا شبيه في إبقائها / وإفنائها يساهمه ولا شريك 65/ ب
في وجودهما وبقاءهما يقاسمه.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] نبي ينذرهم ويخبرهم ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [الآية 42] وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى في صنيعهم لو أتانا رسول لنكونن أهدى من واحدة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ [الآية 42] أي النذير أو مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 42] تباعداً عن الحق وتنفراً عن الصدق.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 43] لأجل استكبارهم فيها على أهلها ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [الآية 43] والعمل القبيح فوقها ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ [الآية 43] لا يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [الآية 43] وقد حاق بهم يوم بدر جزاء مكرهم ولا بدّ لغيرهم من إجزاء أمرهم ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 43] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 43] أي سنة الله فيهم بتعذيب تكذيبهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 43] بأن يرحمهم بدل ما يعذبهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [الآية 43] بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم.

وفي «المدارك»: أي لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها.

وقال الأستاذ: ليس لقولهم تحقيق ولا لعهدهم وضمانهم توثيق وما يعدون من أنفسهم فصريح زور وما يوهمون من وفائهم فصرف غرور وكذلك المريد في أوان نشاطه تمنيه نفسه ما يعيد به عليه حالاً له فربما يعاهد الله ويؤكد فيه عقده مع الله فإذا عضته شهوته وأراد الشيطان أن يكذبه صرعه بكيده وأركسه في هوة غيه ومنته نفسه فيسود وجهه ويذهب عند الله وجاهته.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 44] بظواهرهم أو بسرائرهم ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ [الآية 44] فيبصروا أو فيتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 44] فيعتبروا بحالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 44] سعة وشوكة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ [الآية 44] ليسبقه ويقلبه ﴿مِن شَىْءٍ﴾ [الآية 44] خلقه ﴿فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 44] بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ [الآية 44] على ما شاء منها جميعها.

وأفاد الأستاذ: أن في الجملة ما خاب له ولي ولا ربح له عدو ولا يبال الحقيقة بمن انعكس قصده وارتد عليه كيده دمر على أعدائه تدميراً ووسع لأوليائه فضلاً كثيراً.

66/أ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [الآية 45] من معاصيهم / ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [الآية 45] على وجه الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 45] من نسمة تدب عليها بشؤم أعمالهم وقبح أحوالهم ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ﴾ [الآية 45] معين لهم في الدنيا أو العقبى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [الآية 45] فيجازيهم على أعمالهم وفق أحوالهم.

وقال الأستاذ: لو عجل لهم ما يستوجبون من الثواب والعقاب لم تفِ أعمارهم القليلة وما اتسع أيامهم القصيرة لها فأخّر ذلك ليوم الحشر والنشر فإنه طويل عسير والله على كل شيء قدير وبأمور عباده خبير.

سورة يس عليه السلام

[مكيّة]

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله آية افتتح بها خطابه فمن علمها أجزل ثوابه ومن عرفها أكثر إيجابه ومن أكبر قدرها أكرم مآبه، يّس: قال الصادق: أي يا سيد مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولذا قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(1)]، ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه أخبر عن مخاطبة الحق إياه بقوله.

﴿يسٓ ۝١﴾ [الآية 1] وهذا شبيه قراءة على المنبر ونادوا يا مال ونداؤه لأبي هريرة يا أبا هر وأما قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(2)] أي لا أفتخر بالسيادة ولأن افتخاري بالعبودية أجل من إخباري عن نفسي بالسيادة وهذا المعنى في يس مروي عن كثير من السلف كابن عباس وعكرمة والحسن وسفيان وسعيد بن جبير وغيرهم وروي عن ابن عباس أيضاً وغيره أن يس اسم من أسمائه سبحانه فيكون مقسماً به كما يشير إليه عطف قوله.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي ذي الحِكَم والأحكام على وجه الإحكام.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] إلى جمع الثقلين عظيم.

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2278/ 3)، والحاكم في المستدرك (2/ 660) رقم (4189)، وابن حبان في الصحيح (14/ 398) رقم (6478)، وأبو يعلى في المسند (7/ 281) رقم (4305)، وأبو داود في السنن (4/ 351) رقم (4675).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 4] على دين قويم عظيم في التوحيد بل إلى جميع العالمين من التوحيد والنبوة والبعثة والاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال: الياء تشير إلى يوم الميثاق والسين تشير إلى سره مع الأحباب فقال: بحق يوم الميثاق وسري مع الأحباب وبالقرآن الكريم إنك يا محمد لمن المرسلين وإنك لعلى صراط مستقيم.

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [الآية 5] أي هو منزله أو كما أنه منزله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني.

وقال الأستاذ: أي هذا الكتاب تنزيل العزيز المتكبر الغني عن طاعة المطيعين الرحيم المتفضل عباده المؤمنين.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ [الآية 6] أي مثل إنذار آبائهم الأقدمين أو
66/ ب شيئاً أنذر / به آباؤهم الأبعدون أو لتنذر قوماً لم تنذر آباءهم الأقربون لتطاول مدة الفترة عليهم وعدم وصول رسول إليهم.

وقال الأستاذ: أي خصصناك بهذا العنوان وأنزلنا عليك هذا الفرقان لتنذر به قوماً حصلوا في أيام الفترة وانقرض سلفهم على هذه الفطرة ﴿فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 6].

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 7] أي كلمة العذاب والفصل ﴿عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾ [الآية 7] بالعدل دون الفضل ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 7] تحقق علمه سبحانه بأنهم لا يوقنون.

وقال الأستاذ: أي حق القول بالعقوبة على أكثرهم لأنهم أصروا على جحدهم وانهمكوا في جهلهم فالمعلوم منهم والمحكوم عليهم أنهم لا يؤمنون وعن العذاب لا يأمنون.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ [الآية 8] أي وفي أيديهم أيضاً فإن الغل لا يكون إلاّ فيهما ويؤيده أنه قرأ ابن مسعود: إنّا جعلنا في أيمانهم، وابن عباس في أيديهم، فالكل من باب الاكتفاء والاستفتاء والآية تمثيل لتصميمهم على الكفر

بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بالذين غلت أعناقهم ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ [الآية 8] فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا يخليهم يطأطون رؤوسهم من جهة إذعانهم ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [الآية 8] رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى جهة الحق ولا يقبلونه ولا يعطفعون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وقيل: الآية محمولة على الحقيقة إنه سبحانه لما أخبر عن أحوالهم في الدنيا بين بعض شيء من سوء مآلهم في العقبى ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: الآية 71]، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: الآية 97].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [الآية 9] ويبصره قول الأستاذ: سنجرهم إلى هوائهم وصغرهم ونذيقهم وبال أمرهم، والمعنى على التمثيل أنهم شبهوا بمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلالة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بالفتح.

وفي «**تفسير السلمي**» من بين أيديهم سداً: طوال الأمد وطمع البقاء ومن خلفهم سداً هو الغفلة كما سبق من القضاء وقلة الندم على الجفاء أعماهم ترددهم في الغفلات عن اعتذارهم لما سبق لهم من الجنايات/ . 67/ أ

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [الآية 9] اليوم في بحار الضلالة وسرادقات الجهالة وفي الآخرة نقذفهم في النار والأنكال ونضيق عليهم بالسلاسل والأغلال ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ [الآية 9] أعميناهم عن شهود الحجة ولبسنا عليهم في الآخرة سبيل المحجة فيعثرون في وهدات جهنم وآخرين يبقون في دركاتها صاغرين مهجورين مطرودين ملعونين مبعودين لا مقطوعاً عنهم ما به يعذبون ولا مرحوماً عليهم ما يشكون.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [الآية 10] في البقرة.

وأفاد الأستاذ: أن مهجور الحق لا أحد يصله ومردود الحق لا أحد

يقبله والذي قصمته المشيئة وأقامته القضية لا تنجع فيه النصيحة.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنذاراً نافعاً ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [الآية 11] أي القرآن ومواعظه بالتأمل فيه والعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 11] أي بقلبه وسريرته ولم يغتر بكرم الله ورحمته فإنه كما هو رحمٰن وغفار منتقم قهار ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 11] لفرطاته ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 11] لطاعاته.

قال الحسين: أشرف منازل الذاكرين من نسي ذكره في مشاهدة مذكورة وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية ذكره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 12] يوم القيامة أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ [الآية 12] ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ [الآية 12] الحسبة كعلم علموه ووقف أوفقوه أو بناء خير بنوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وإبداء بدعة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] يعني اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: أي نحيي قلوباً ماتت بالقسوة بما مطر عليها من صوب الإقبال والزلفة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [الآية 12] خطاهم إلى المساجد لنا ووقوفهم على بساط المناجاة معنا وقد ترقرق دموعهم على عرصات خدودهم وتصاعد أنفاسهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] ثبت تفصيله في اللوح المحفوظ لا لتنالها كيف وقد قال: أحصي كل شيء عدداً ولكنا أحببنا إثبات آثار أحبابنا في المكنون منا من كتابنا.

67/ ب ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ [الآية 13] بين لهم قصة غريبة وحكاية عجيبة / ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية 13] على طريقة ليس فيها قرية ولا مرية والقرية أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 13] من عند رسولنا أو من قبلنا كما يدل عليه قوله.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 14] أي ادّعيا الرسالة عنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [الآية 14] وقاربوا أن يقتلوهما ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [الآية 14] وقرأ أبو بكر مخففاً أي فقويناهما ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوا﴾ [الآية 14] أي الرسل الثلاثة ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [الآية 14] من ربنا أو من رسولنا وذلك أنهم كانوا عبدة الأصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين من

أصحابه الكرام فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنماً له فسلما فأخبراه فقال: أمعكما آية تشفي المريض وتبرء الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك فطلبهما وقال لهما: ألنا إلٰه سوى آلهتنا، قالا: نعم من أوجدك وآلهتك قال: قوما حتى انظر في أمركما. فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت تفصيل ما يقولان؟ قال: لا قد حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون: من ربكما؟ قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأوجزا قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما آتاكما؟ قالا: ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظرهما فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل ذلك. قال: ليس لي عنك سرّ إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال شمعون: لهما إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فدعوا فأحياه الله تعالى فقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان، أي لقبول دعوتهم في إحياء الغلام فإن شمعون أيضاً كان يدعو معهما سراً فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع/ ومن لم يؤمن 68/ أ
صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا.

قال الأستاذ: انقرض زمانهم ومشى شأنهم وأوانهم ولكنا نذكر أحوالهم بعد فوات أوقاتهم ولا نرضى بأن لا يجري بين أحبابنا على ألسنة أوليائنا ذكر الغابرين الماضين من عبادنا وهذا مخلوق يقول في صفة مخلوق.

إذا نسي الناس إخوانهم وخان المودة خلانها
فعندي لإخواني الغائبينا صحائف ذكرك عنوانها

﴿قَالُوا۟ مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآية 15] لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون من الرسالة إلينا وهلا أرسل الله ملكاً ليكون مقبولاً لدينا

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الآية 15] من الوحي والرسالة ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [الآية 15] في دعوى الرسالة والنبوة.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [الآية 16] بتقويم الدين.

﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ [الآية 17] التبليغ الظاهر المبين بالدليل المبرهن بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحة الرسالة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الآية 18] تشاءمنا بمجيئكم من وقت اختلاق الكلمة بيننا لأجلكم وتوقع الفتنة بسببكم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ﴾ [الآية 18] عن هذه المقالة ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ [الآية 18] بالحجارة أو لنشتمنكم بالملامة على وجه السفاهة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 18] في هذه الحالة.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ [الآية 19] سبب شؤمكم ﴿مَّعَكُمۡ﴾ [الآية 19] لا يفارقكم وهو سوء عقائدكم وأحوالكم وقبح أعمالكم وأقوالكم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ [الآية 19] أي لئن وعظتم تطيرتم أو توعدتم بما ذكرتم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الآية 19] في العصيان فمن ثم نشأتم أو في الطغيان وكذلك توعدتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به ويعظم.

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] أي القرية ﴿رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [الآية 20] يسرع مساعدة في الدين أو شفقة على المرسلين وهو حبيب النجار وقيل القصار وكان يتعبد في الغار بقرب بلد الكفار ولما سمع بهمهم بقتل رسلهم جاء ينصحهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآية 20].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ [الآية 21] على تبليغ الرسالة وتبين النصيحة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الآية 21] إلى خير الدارين وكذا من تبعهم في الكونين فقيل له: أو أنت توافق هؤلاء وتخالف ديننا وتعبد غير إلهنا.

فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 22] خلقني وأعبد مخلوقاً مثلي
/ أو دوني ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 22] بالموت بعد مضي آجالكم فيجازيكم 68/ب
بأعمالكم فاسعوا أنتم أيضاً في تحسين أحوالكم.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي﴾ [الآيــة 23] لا ينفعني ﴿شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 23] من المنفعة ولا تمنع عني شيئاً من المضرة ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [الآية 23] لا يخلصوني بالمعاونة والمغالبة.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ [الآية 24] بين الضلالة ظاهر الجهالة أن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز عن النفع والدفع.

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [الآية 25] الذي خلقكم وكفرتم به ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ [الآية 25] فاسمعوا ما يدل على إيماني ولا يشير إلى إيقاني.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ [الآية 26] لما قتلوه بشارة بأنه من أهل الجنة وإشارة إلى دخولها لكونه من أرباب الشهادة والكلام إعلام بحاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في بقر دينه وحزبه ولذا ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 26].

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [الآية 27] ما صدر عني من ذنبي ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الآية 27] بتقربي أو نصح قومه في حياته ومماته كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس[1].

وقال حمدون القصّار: لا يسقط عن الخلق رؤية الحق بحالٍ ولو سقط عنه في وقت لسقط في مشهد الأعلى في الحفرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون حدّث النفس إذ ذاك برؤية الخلق أقول: ما قال إنما هو باعتبار غالب الحال وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[2]. والصوفية يعبِّرون عن ذلك المقام بالسكر والمحو والفناء والاستغراق، والأكثر أنه كبرق خاطف وقلّ أنه يدوم يوماً بالاتفاق وعنه صلى الله عليه وسلم: «سبّاق الأمة ثلاثة لم

---

(1) أورده ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (2/ 779) رقم (779)، وانظر روح المعاني (22/ 229)، واللفظ عندهم: (نصح قومه حياً وميتاً).

(2) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/ 565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/ 173) رقم (2159)، والنخبة البهية في الأحاديث المكذوبة (1/ 15) رقم (278).

يكفروا بالله بعدي طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يٰس، ومؤمن آل فرعون»[1] ذكره صاحب الكشاف.

ثم اعلم أن بعض السلف وأكثر الخلق على أنهم رسل عيسى وأسماؤهم يحيى ويونس وشمعون والقرية أنطاكية ذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهما بثالث وظهور معجزاتهم ومن بقي على الكفر أهلكوا وكلام بعض دال على أنهم رسل الله وأسماؤهم صادق وصدوق وشكوم وهو ظاهر القرآن لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: الآية 10].

69/ أ ويخطر بالبال والله / أعلم بحقيقة الحال إمكان الجمع بين الأقوال بأنهم كانوا رسل الله تعالى إلا أنهم كانوا تابعين لعيسى كما كان لوط مع إبراهيم وهارون مع موسى عليهم السلام وبه ينتظم متفرقات الكلام وإن الأسماء المتأخرة أوصاف للمسميات المتقدمة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه قال: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] ولم يكن أقصاها وأدناها لتتفاوت بكثير في مداها ولكن جرى سنة في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان برضاه ثم يستدرّ الكثير من فضله إذ بذله وأعطاه ثم لما صدق في حاله ونصح في مقاله وصبر على ما لقي من قومه ورجع إلى ربه تلقاه بحسن إفضاله وآواه إلى كنف إقباله ووجد ما وعده ربه من لطف إفضاله تمنى أن يطلع قومه على حاله ووصوله إلى مقام كماله وإنما أراد ذلك إشفاقاً عليهم ليعملوا مثل أعماله ليجدوا ما وجد من حسن مآله.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 28] من بعد هلاكه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 28] لإهلاكهم ونصرة الأنبياء كما أرسلنا يوم بدر والخندق جمعاً من الملائكة لنصرة سيد الأصفياء بل كفينا أمرهم بصيحة ملك رفعت شرهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [الآية 28] أي وما كان من عادتنا إنزال جنيد من السماء في إهلاك الأمم المكذبة للأنبياء فأنزل الملائكة لنصرة سيد الأصفياء نبيه المصطفى

(1) انظر الكشاف (5/ 427)، وتفسير القرطبي (15/ 20)، ونسبه إلى ابن أبي ليلى.

ورسوله المرتضى كان من مختصاته تشريفاً لمقاماته.

﴿إِن كَانَتْ﴾ [الآية 29] ما كانت الأخذة أو العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 29] من جبريل بعثه الله إلى قريتهم فأخذ بعضادتي باب بلدتهم فصاح على أهل جلدتهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [الآية 29] ميتون جامدون شبهوا بالرماد حيث لم يبق في البلاد أرواح تتردد في الأجساد.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 30] تعالي فهذه الحالة التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها قوله ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 30] فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خيري الدنيا والدين أحقاً بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهب على حالهم المتلهفون وقد تأسف على حالهم الملائكة والمؤمنون ونصبها لطولها/ بالجار المتعلق بها. 69/ ب

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الآية 31] ألم يعلموا؟ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [الآية 31] الماضية وما عاملنا من قبلهم من الأمم لخالية ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 31] والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من تقدم عليهم كونهم غير راجعين إليهم.

وقال الأستاذ: كلهم في قبضة القدرة لم يفتنا أحد ولم يكن بواحد منهم علينا عون ولا مدد ولا عن حكمنا ملتحد.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] يوم القيامة يرجعون للجزاء إلينا ويجتمعون للعرض علينا وإن مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للمبالغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى ألا فيكون إن نافية أي ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون محشورون إلينا.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [الآية 33] أي اليابسة وقرأ نافع بتشديد التحتية ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ [الآية 33] بإنزال المطر عليها وإنباتها بما يليق إليها ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ [الآية 33] ما يسمى حباً من أنواعه وأصنافه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 33] ومنه ما يدخرون.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [الآية 34] من أنواع النخل

والعنب واختير النخل دون ثمرها لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [الآية 34] شيئاً من منابعها.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [الآية 35] ثم ما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضمتين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 35] ما موصولة عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالدبس والعصير. ويؤيده قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها ويعضده قراءة ابن مسعود ومما عملته أيديهم والمعنى أن الثمر في نفسه يخلق الله لا بفعلهم إلا أن فيه آثاراً من كدهم وتعبهم في غرسهم وسقيهم أو نافية أي ومن الثمر لم يعلمه أي الناس بل خلقها الله بقدرته وإرادته قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] أي ألا يتدبرون صنعه فلا يشكرون نعمه.

قال ابن عطاء: أي القلوب الميتة بالغفلة أحييناها باليقظة والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها معارف صافية وأحوالاً زاكية فهي أنوارها على ظواهرها وبواطنها جارية وسارية.

وأفاد الأستاذ: إنه لما كان أعظم شبههم في أمر البعث وإنكاره كان
70/أ تكراره سبحانه حديث البعث وضرب المثل/ بإحياء الأرض بالنبات أكثر من كثير من الآيات والعجب ممن ينكر علم الأصول ويقول ليس في الكتاب عليه دليل كيف يشكل عليه هذا السبيل وأكثر ما في القرآن من الآيات يدل على صحة الحشر على سبيل الاستدلال ولحكيم أدلة العقول ولو أنهم أنصفوا من أنفسهم واشتغلوا بأهم شيء لهم لما ضيعوا أصول الدين فرضوا فيها بالتقليد وادعوا في الفروع رتبة الإمامة والتصدير في التسديد، ويقال في معناهم:

يا من تصدّر في مقام الإمامة فهي ... مسائل الفقه إملاءً وتدريسا
عجّلت عن حجج التوحيد بحكمها ... شيدت فرعاً وما مهدت تأسيسا

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36] الأنواع والأصناف جميعها ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 36] من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 36] من الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] وأزواجاً مما لم يطلعهم الله على حقيقته ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

قال عبد العزيز المكي: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فدل ذلك على أن خالق الأزواج منزه عن الزوج مستغنٍ عنه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أيضاً فيها تنبيه على التفكر في بديع صنعه فقال تنزيهاً لمن خلق الأشياء المتشاكلة له أجزاء وعيناً من النبات ومن أنفسهم ومن الأشياء الأخر التي لا يعلمون تفصيلها كيف جعل أوصافها في المطعوم والأرايج والشكل والهيئة واختلاف أوراق الأشجار وفنون أغصانها وجذوع أشجارها وأصناف ثمرها وأزهارها واختلال أشكال أثمارها في تفرقها واجتماعها ثم ما نيط بها من الانتفاع بها على مجرى العادة مما يسميه قوم الطبائع في اختلافها في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقب شرب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة فالأوقات متجانسة والأزمان متماثلة والجواهر متشاكلة وهذه الأحكام مختلفة فلولا تخصيص حكيم لكل شيء بما اختص به وإلا لم يكن تخصيصها بغير ذلك أولى من تخصيصها بهذا وإن من كحل الله عين بصيرته بيمن / التعريف وقدر أوبته بالتوفيق أتم نظره ولم يصده 70/ ب
مانع يعقب أثره فما أقوى في المسائل حجة وما أوضح في المسالك بهجة ولكن أقسام سبقت وأحكام على من شاءه الحق بما شاء منه حقت.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية 37] نزيله عن مكانه ونكشفه لظهور شأنه ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [الآية 37] داخلون في ظلام برهانه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبطل ضوء النهار بهجوم الليل عليه ويزيل ظلام الليل بهجوم النهار عليه كذلك نهار الوجود يدخله على ليالي التوفق ويقود بيد كرمه عصا من عمي عن شكوك رشده فيهديه إلى سواء طريقه.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [الآية 38] لحد مقررٍ ينتهي إليه دورها أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين

مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم فمستقر اسم زمان والصحيح أنه اسم مكان إذا صح في البخاري وغيره بروايات متعددة عنه صلى الله عليه وسلم أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك[1] ما علم أنه إذا كان العرش كوة محيطة فتحتيتها باعتبار ومكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به.

وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب مما يكون إلى العرش وفي نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] ذلك الجري الخاص على وجه الاختصاص المتضمن للحكم المتعلقة بها بما يكلّ الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 38] الغالب بقدرته على كل مقدور له ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [الآية 38] المحيط علمه بكل معلوم عنده.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [الآية 39] صيرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 39] أو جعلنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً فنزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منازله دق في جماله واستقوس في حاله ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ [الآية 39] رجع ﴿كَٱلْعُرْجُونِ﴾ [الآية 39] وهو العود المعوج الأصفر الذي عليه التمر ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ [الآية 39] العتيق اليابس وقرأ ابن عامر
71/أ والكوفيون والقمر بالنصب على شريطة التفسير/ والباقون بالرفع على الابتداء.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾ [الآية 40] يصح لها ويتسهل عليها ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [الآية 40] في آثاره ومنافع أسراره أو في مكانه بالنزول إلى محله وسلطانه ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 40] يسبقه فيفوته ولكن يعقبه والمعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انتهائه بل يتعاقبان في أزمنة معلومة إلى يوم القيامة وقيل: المراد في الليل والنهار آيتاهما والسيران فيهما والمعنى لا يطلع القمر بالنهار وله ضوء يطمس نور الشمس ولا بالعكس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4802)، ومسلم في الصحيح (159/ 250).

فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل كما لكل من المقدار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الآية 40] أي وكلهم والضمير لهما ولسائر النجوم فإن ذكرهما مشعر بذكر غيرهما أولهما وجمع لاختلاف مطالعهما فكأنها شموس وأقمار في محالهما ولإطلاق السباحة التي هي للعقلاء جمع بالواو والنون أي يسيرون فيه سير إسراع إقبالاً وإدباراً ليلاً ونهاراً لا يرى فيهما قراراً ومداراً ووصف الشمس بعدم الإدراك لأنها بطيئة السيران والقمر بعدم السبق لسرعة الجريان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إلى أن العبد في أوان الطلب دقيق الحال ضعيف اليقين مختصر الفهم في الأعمال متفكر حتى تزداد بصيرته وتتكمل حالته إلى أن يصير كاملاً جليلاً ثم يتناقص ويدنو من الشمس قليلاً وكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفي ولا يرى ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد حتى يعود بدراً فشبيه الشمس عارف أبداً في ضياء معرفته صاحب تمكين غير متلون بشرق من برج سعادته دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره سحاب وشبيه عند تلون أحواله في التنقل صاحب تلوين له في البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويتبع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه عن وقته ثم يجود عليه الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن
فترته وإفاقته/ عن سكرانه فلا يزال يصفو له الحال إلى أن يقرب من الوصول 71/ ب
ويرزق صفة الكمال ثم بعد ذلك يأخذ في النقص والزوال كذلك حاله إلى أن يحق له بالمقسوم ارتحاله.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 41] وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم أي أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الآية 41] المملوء من أمتعتهم وحيواناتهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 42] مثل الفلك وشبهه من مراكب البحر ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [الآية 42] من الإبل فإنها سفائن البر.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى حمل الخلق في سفينة السلامة في

بحار التقدير عند تلاطم أمواجها بفنون من التغيير والتأثير فكم من عبد غرق في أشغاله في ليله ونهاره لا يستريح لحظه من كد أفعاله ومقاساة التعب في أعماله من جمع ماله بنسيان عاقبته ومآله واستيلاء شغل ولده وعياله على ذكره وباله وما سعيه إلا في وباله ومحاله وكم من عبد غرق في لجة هواه يجره مناه إلى تحمل بلواه وحيس من الأمر مطلوبه ومبتغاه ثم لا يصل قط إلى منتهاه خسِر دنياه وعقباه وبقي عن مولاه ومثال هذا ما لا يحصى وعلى عقل من تفكر واعتبر لا يخفي وإذا حفظ أحداً في سفينة العناية أفرده بالتحرز عن دق خسائس الأمور وشغله بظاهره بالقيام بحقه وأفرده في سرائره بفراغ القلب مع ربه ويرقيه إلى ما قال: «أنا جليس من ذكرني» وقل ما شئت من علو شأن من هذا صفته ولا حرج.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ [الآية 43] فلا مغيب لهم يحرسهم عن إغراقهم أو فلا إعانة لهم ولا إغاثة عن استغراقهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [الآية 43] ينجون من عذاب فراقهم.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا﴾ [الآية 44] إلا رحمة من عندنا ونمتع بالحياة من جانبنا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 44] زمان عين لآجالهم في تقديرنا.

وقال الأستاذ: لولا وجوده وفضله لحلّ به من البلاء ما حل بأمثاله ولكن بحسن إفضاله حفظه في جميع أحواله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 45] من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [الآية 45] من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها أو نوازل السماء وبلياتها
72/أ ونوائب الأرض / وعاهاتها كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: الآية 9] أو عذاب الدنيا وعقاب العقبى أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر من العيوب ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 45] لكي ترحموا وعن الغفلة تعصموا، وجواب إذا محذوف وهو أعرضوا عنه كما دل عليه قوله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 46] غير ملتفتين إليها أو مقبلين عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 47] على من قدر الله عليه رزقه وفق ما قضاه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 47] من مشركي قريش وغيرهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 47] أي في حق فقرائهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [الآية 47] أي من لم يرزقه الله مع قدرته لا نطعمه لموافقة مشيئته وهذا من فرط ضلالتهم وكثرة جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب وأشياء منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له في الخلاء والملاء ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 47] حيث أمرتمونا بإنفاق سعة والإرفاق على من ضيق الله عليه في الأرزاق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 48] في وعد البعث والإعادة.

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ [الآية 49] ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 29] وهي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [الآية 49] يختصمون في المعاملة فتأتيهم بغتة وفجأة في الحالة وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد وأبو عمرو وقالون باختلاس الفتحة وحمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [الآية 50] في شيء من أمورهم ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 50] ولا يتمكنون من الرجوع إلى دورهم ليروا أهليتهم ويشاهدوا حالتهم بل يموتون حيث تبغتهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذه صفة من يسبتهم في أودية الخذلان ووسمهم بسمة الحرمان وأصمهم عن سماع الرشد وصدهم بالخذلان على سلوك القصد فلا تأتيهم آية في الزجر إلا قابلوها بإعراضهم وتجافوا عن الاعتبار بها على دوام انقباضهم وإذا أمروا بالإنفاق والإطعام عارضوا بأن الله رازق الأنام وإذا شاء نظر إليهم بالإنعام / ثم يستعجلون هجوم الساعة ويستبطؤون قيام 72/ب
القيامة لا عن تصديق يزيحهم عن شكهم أو خوف يمنعهم عن غيهم ولكن تكذيب لدعوة النبوة وإنكار لصحة الرسالة واستبعاد لأمر الإعادة فقال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 49] عند قيام الساعة ثم أنهم في العذاب محضرون لا يكشف عنهم ولا هم ينصرون.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الآية 51] أي نفخة ثانية ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [الآية 51] أي قبورهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [الآية 51] يسرعون.

قال الأستاذ: يموتون قهراً ويحشرون جبراً ويلقون شراً ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ [الآية 52] يا هلاكنا تعالَ إلينا فهذا أوان قربك لنا ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [الآية 52] فيه إشعار بأنهم لاختلاط عقولهم لا يشعرون أنهم صاروا أمواتاً بل يظنون أنهم كانوا نياماً ثم لما أفاقوا من أحلامهم وتيقظوا من منامهم صرحوا في كلامهم رداً على أنفسهم في مرامهم وتحسروا في مقامهم بقولهم ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الآية 52] أي ما وعده لنا ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 52] أي فيما أخبرونا فموعده حق وإخباره صدق.

﴿إِن كَانَتْ﴾ [الآية 53] ما كانت النفخة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 53] وهي النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 53] في موقف القيامة بمجرد تلك الصيحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم يموتون على جهلهم لا يعرفون ربهم ويبعثون على مثل حالهم لا يعرفون من بعثهم ويعدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة بالإضافة إلى ما سيلقون من الآلام الجديدة نوماً ورقاداً وسيطأون من الفراق المقرح والاحتراق العظيم المفخم مهاداً ولا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً ولقد عوملوا بذلك استحقاقاً.

قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الآية 54] من الظلم في معرض حساب لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 54] من الحسنات والسيئات في كل باب ففي الحديث القدسي والكلام إلا لنبي إنما هي أعمالكم أحصاها لكم.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 55] أي يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِى شُغُلٍ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر بالسكون / ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [الآية 55] 73/أ
متلذذون في النعمة وفي تنكير شغل وما فيه من الإبهام تنبيه نبيه على أنه أعلى

من أن تحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام.

قال طاووس: لو علموا عمن شغلوا منا ما اشتغلوا به عمّالهم من الهناء.

قال ابن عطاء: أشغلهم في الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة وهذا من أعظم الأشغال في المجاهدة وسئل بعضهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فقال من رضي من الله بالجنة.

وقال ابن عطاء: مكر بالحق في كل موضع وخدعهم عنه بكل شيء حتى في الجنة.

وقال الأستاذ: إنما يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره والأخذ بمجامع قلبه أمره فصاحب الدنيا من في أسرها وأصحاب الجنة الذين هم طلابها والساعون لها والعاملون لمنالها قال تعالى مخبراً عن مقالهم ومجمل حالهم: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: الآية 61]، وهذه الأحوال وإن جلّت منهم فهي بالإضافة إلى أحوال الأكابر والسادة تتقاصر عنهم، قال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله»(1)، ومن كان في الدنيا عن الدنيا حراً فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حراً يختص برحمته من يشاء، يعني كما يختص بنعمته من يشاء ويختص بنقمته من يشاء ويختص برؤيته من يشاء. وقيل: هذا الخطاب لأقوام هم فيها فارغون فيقول لهم: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [الآية 55] وهم أهل الحضرة والذين لا يشغلهم الجنة عن أنس القربة وراحات الوصلة ولذات الرؤية وقالوا: لو علموا عمن شغلوا لما تهنّأوا لما به شغلوا. ويقال: إنما يقال هذا لأقوام في العرصة أصحاب المعصية لم يدخلوا النار ولم يدخلوا الجنة فيقول: الحق لهم عبيدي أهل النار ليس يتفرغون إليكم لأهوالهم وما هم فيه من صعوبة أحوالهم وأصحاب الجنة اليوم في شغل عنكم لأنهم في لذات منالهم وما وجدوا من إفضالهم مع أهلهم وأشكالهم فليس لكم

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 124) رقم (1366)، والقضاعي في مسند الشهاب (2/ 110) رقم (989).

اليوم، إلا نحن وكرمنا بالقوم وقيل شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم وذلك من أهم
73/ب الاشتغال وأولاهم وهي أشغال مؤنسة مريحة لا منيفة موحشة. ويقال: / لا تنافي بين أشغالهم بأبدانهم مع أهلهم وشهود مولاهم كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حالة هم ولا يقدح اشتغالهم باستبقاء حظوظهم في معارفهم قلت: وهذا أكمل الأحوال في مقامات الرجال والصوفية يسمونه جمع الجمع من أعلى المرتبة وهو أن لا يمنع وجود الكثرة عن شهود الوحدة ويقال: لشغل نفوسهم بشهواتها حتى يخلص الشهود لأسرارهم بكمالاتها على غيبة من إحساس النفس الذي هو أصعب الرقباء في ملاحظاتها ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب أقول: وهذا معنى اللطف من الأول وأشرف فتأمل.

﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾ [الآية 56] قيل أشكالهم في منازلهم وأحوالهم كقوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: الآية 22]، وقيل حظاياهم من الحور العين وسائر نسائهم ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ [الآية 56] من أشجار الجنة وقصورها وأستار أنوارها وقرأ حمزة والكسائي في ظلل ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: الآية 56] على السرر المزينة ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [الآية 56] على هيئة ما كان أهل الدنيا متنعمون.

﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ [الآية 57] ما يسمى فاكهة من جميع أنواعها وأصنافها ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [الآية 57] يدعون زيادة على أجناسها وأنفاسها أو ما يتمنون في الدنيا من الجنة ودرجاتها.

﴿سَلَٰمٞ﴾ [الآية 58] أي ولهم سلام عظيم في مقام كريم يقال لهم قولاً كائناً ﴿قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [الآية 58] والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة من الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم فيما أعطاهم وذلك نهاية مطلوبهم وغاية متمناهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [الآية 58] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون

إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره لديهم وبركته عليهم[1].

وقال ابن عطاء: السلام جليل الخطر وعظيم المحل وأجله ما كان في المشاهدة من المكافحة من الله الكريم حين يقول: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أنهم يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة وأكد ذلك بقوله ﴿مِّن رَّبٍّ﴾ [الآية 58] ليعلم أنه ليس بسلام على لسان/ سفير والرحمة في تلك 74/ أ
الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال من يسلم عليهم ليكمل النعمة ويقال: الرحمة في ذلك أن يبقيهم في حال سماع كلامهم وحال لقاء مرامهم لئلّا يصحبهم دهشة ولا يلحقهم حيرة، ويقال إنما قال: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [الآية 58] ليكون من العصاة من المؤمنين فيه نفس ولرجاءهم فيه مساغ فإن الذي يحتاج إلى كثرة الرحمة هو صاحب المعصية ويقال: قال ذلك ليعلم العبد أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه وإنما وصل إليه برحمة ربه.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [الآية 59] يريد بهم الكافرين أي وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة وبغيرهم إلى العقوبة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن غيبة الرقباء من أتم النعمة وإبعاد الأعداء من أجل المنة فالأولياء في إيجاب القربة والأعداء في عذاب الكربة.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الآية 60] ألم أوصكم بلسان أنبيائكم ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [الآية 60] أي لا تطيعوه فيما زين لكم من العصيان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 60] ظاهر العداوة في جميع الأوقات.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ [الآية 61] أطيعوني في الأوامر والزواجر ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 65) رقم (184)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 583)، وتفسير القرطبي (15/ 45).

﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 61] دين قويم.

قال الواسطي: من عبدالله لنفسه فإنما يعبد نفسه ومن عبده من أجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهر يظهرها الربوبية فقد أصاب.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [الآية 62] خلقاً كثيراً ممن وجبت عليه الضلالة وثبتت له الجهالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضمتين وتخفيف اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم فسكون ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 62].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [الآيات 63، 64] ادخلوها وذوقوا عذابها في العقبى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 64] بسبب كفرهم في الدنيا.

وورد في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] [الآية 60] إلى آخر الآية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأقوال لو قالها مخلوق لمخلوق لكان شبه
74/ب اعتذار في الأحوال، أي لقد نصحتكم / ووعظتكم وعن هذا حذرتكم وكم وصلت لكم القول وذكرتكم ولم تقبلوا وعظي ولم تعملوا بأمري فأنتم خالفتم وعلى أنفسكم ظلمتم وبذلك سبقت القضية منّا لكم.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية 65] نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 65] من الآثام. وفي حديث رواه مسلم إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم[2].

قالوا: وفائدة هذا الكلام أن يعلم الأنام أن كل من كان عوناً على المعصية صار شاهداً على تلك الحالة فلا ينبغي لأحد أن يصحب إلا الله في

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (3/ 285)، والطبري في تفسيره (20/ 542)، وابن أبي حاتم في تفسيره (12/ 167).
(2) لم نعثر عليه في صحيح مسلم، وانظر تفسير أبي السعود (7/ 176).

جميع حالاته لئلّا يفتضح عنده بسبب أهل صحبته.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم سخر الله أعضاء الإنسان بعضها لبعض وغداً ينقض هذه العادة فيخرج بعض الأعضاء على بعض ويجري بينهم الخصومة والمنازعة فأما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم لهم مبيدة أي مهلكة وأما العصاة من المؤمنين فقد يشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن يشهد بعض أعضائهم أيضاً لهم بالإحسان وكما قيل:

بيني وبينك يا ظلوم الموقف والحاكم العادل الجواد المنصف

وفي بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً يشهد عليه أعضاؤه بالزلة فيتطاير شعره من جفن عينه تستأذن بالشهادة له فيقول الحق تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية 66] لمسحنا أعينهم فأعميناهم ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الآية 66] فابتدروها ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 66] فكيف يرونها ومن أين يسلكونها والمعنى لو شاء الله لهم الغواية بالعمى عن الهدى فكيف يبصرون طريق الهداية إلى المولى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ [الآية 67] بتغيير صورهم وإبطال قدرهم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ [الآية 67] وقرأ أبو بكر مكاناتهم أي على حالاتهم وفي مقاماتهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا﴾ [الآية 67] ذهاباً ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 67] أي ولا رجوعاً وإياباً
ولا قدروا إقبالاً / ولا إدباراً، والمعنى أنهم بكفرهم ونقض ما عهد إليهم أحقاء 75/ أ
أن يغفل ذلك بهم لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة أمراً لهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ [الآية 68] نطيل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [الآية 68] نقليه في خلقته فلا يزال يتزايد ضعف بنيته عكس ما كان عليه أمر بدائه فيصير إلى حال طفولتيه وقرأ عاصم بكسر الكاف وتشديدها للمبالغة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 68] إن من قدر على ذلك قدر على البعث هنالك وقرأ نافع ابن ذكوان بالخطاب.

قال أبو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فإن الأيام تؤثر فيه حالاً فحالاً من طفوليته وشيبه وكهولته وشيخيته إلى أن يبلغ ما حكاه الله من قوله ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [الآية 68] ومن أحياه الله بذكره فإن تلوين الأحوال لا يؤثر فيه فإن متصل الحياة بحياة الحي قال الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية 97].

وأفاد الأستاذ: أن هذا التنكيس إنما هو في الجثث والمباني دون الأحوال والمعاني فإن الأحوال في الزيادة إلى أن تبلغ حد الخرافة فيختل رأيه وينتقص عقله وأصحاب الحقائق تشيب ذوائبهم ولكن محابهم ومعانيهم في عنفوان شبابها وطراوة جدتها.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [الآية 69] تعليم القرآن وتفهيم الفرقان فإنه لا يماثله مبنى ولا يشابهه معنى لأنه غير موزون ولا مقفى وليس في معناه ما يقصده الشعراء من التخيلات المرغبة لها والمنفرة ونحوها مما لا أصل لها ولا حقيقة عندها وعن ابن عباس وغيره ما ولد عبدالمطلب ولداً ذكر ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [الآية 69] وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد ونظمه على ما اخترتم طبعه نحواً من أربعين سنة فمن أين لكم الشبهة في صحة النبوة أو معناه ما يصح للقرآن أنه شعر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [الآية 69] أي ليس الذي أتى به إلا موعظة من الله ونصيحة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 69] ظاهر الدلالة على أنه من الله لما فيه من المعجزة.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ [الآية 70] أي الله أو القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالخطاب ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ [الآية 70] عاقلاً كاملاً فإن الغافل والجاهل يكون في مرتبة الميت نازلاً أو مؤمناً في علم الله على ما قدره وقضاه ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 70] يجب كلمة العذاب ويثبت وقفة الحجاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 70]
75/ب المصرين / على كفرهم لما سبق لهم في قضائهم وقدرهم أموات في الحقيقة في حياة عمرهم.

قال جنيد: الحي من تكون حياته ببقاء مليكه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه

فإنه ميت في وقت حياته وعند وفاته.

وقال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياه الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والاستسلام لديه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [الآية 71] مما عملنا بلا شريك لنا وتولينا أحداث ما أردنا مما لم يقدر على إحداثه غيرنا ﴿أَنْعَـٰمًا﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها من بدائع الفطرة ومنافع بالكثرة ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ [الآية 72] فصيّرناها منقادة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ [الآية 72].

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 72] مأكولهم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ [الآية 73] أثاث ومتاع من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ [الآية 73] من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] من خلقها وذللها.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [الآية 74] اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعمة الظاهرة ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 74] رجاء أن ينصروهم في حق بهم من أمورهم والأمر بالعكس في حقهم كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [الآية 75] أي نصر أنفسهم فضلاً عن نصر غيرهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ [الآية 75] لأصنامهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [الآية 75] معدون لحفظهم والذب عنهم في الدنيا أو محضرون معهم في عذاب العقبى.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 76] فيك أو في كتابنا أو فينا ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فنجازيهم بجميع أقوالهم وأعمالهم وفق أحوالهم وفيه تسلية للنبي والمؤمنين والإشارة إلى حسن مآلهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه ذكر جزيل منته عليهم وجميل نعمته لديهم بما سخر لهم من الأنعام التي فيها وجوه من انتفاع الأنام وذلك بما ينتفعون بركوبها وبأكل لحومها وشحومها وشرب ألبانها وبما يحمل عليها وبقطع

المسافات الشديدة بها فطالبهم بالشكر عليها ثم وصفهم بالتقصير في شكرها حكاية لو كانت في صفة المخلوقين كانت شكاية فقال مع كل هذه الوجوه من إحسان النعمة اتخذوا من دون الله آلهة ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فإن العبد إذا علم أنه بمرأى من مولاه هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله.

76/أ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] بين الخصومة لا يتأمل في بدء أمره ولا يستحي من آخر عمره. روي أن أُبّي بن خلف أو عاص بن وائل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالٍ يفتته بيده وقال: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: «نعم يميتك الله ويبعثك ويدخلك النار»[1] فنزلت.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [الآية 78] أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على الإعادة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [الآية 78] في البداءة ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [الآية 78] أي بالية اسم لما بلي من العظام لا صفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 79] فإن قدرته كما كانت شاملة كاملة والمادة على حاله قائلة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 79] فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها ومواضعها وإعادة الأرواح إلى أشباحها.

وفي «تفسير السلمي» أي من يحيي القلوب الميتة بالإعراض عنه والقسوة والغفلة ويردها إلى التفويض والتسليم في الطاعة والعبادة.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [الآية 80] بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضر وأن يقطر منها الماء فتنقدح منهم النار ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [الآية 80] لا تشكون في أنها نار خرجت منه حين تقدحون وفي المثل

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (6/ 593).

في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فمن قدر على إحداث النار من خضر الأشجار مع ما فيها من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الرطوبة فيما كان رطباً وعرض له اليبوسة.

وقال الأستاذ: أي شددنا أسرهم وجمعنا نشرهم وسوينا أعضاءهم وركبنا أجزاءهم وأودعناهم العقل والتمييز ثم إنه ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 77] ينازعنا في بابه ويعترض علينا في أحكامنا بزعمه في استصوابه كما قيل:

أُعلِّمه الرماية كل حين فلما اشتد ساعده رماني

ثم مهد لهم سبيل الاستدلال وقال: إن الإعادة في معنى الاستبداء فإذا أقررت بالابتداء فأي إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 81] مع كبر جرمها وسعة عظمها ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [الآية 81] في الصغر والحقارة بالإضافة إليها فإن خلق الصغر أسهل من الكبير عندكم أو في زعمكم ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 81] جواب من الله مشعر بأنه لا جواب سواه وهو ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ [الآية 81] للعباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 81] بما أراد.

76/ب ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ [الآية 82] أي شأنه سبحانه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 82] / أي إيجاده أو إمداده ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [الآية 82] أن يكونه ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية 82] فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعماله آلة قطع لمادة الشبهة وهي قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول.

وأفاد الأستاذ: الله سبحانه يخلقه بقدرته وأخبرنا أنه يتعلق بالمكوّن كلمة على ما يجوز في صفته وسيان عنده خلق الكثير في كثرته والقليل في قلته.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 83] بقبضه قدرته تصرف من

كل شيء في خلقته فهو الملك المدبر في مملكته ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 83] أي تردون إلى حكومته، وفيه وعد للمقرّين ووعيد للمنكرين.

وقال الأستاذ: أي بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث شيء قل أو كثر إلا بإبداعه وإنشائه ولا يبقى ما يبقى منها شيء إلا بإبقائه، فمنه ظهور ما يحدث وإليه مصير ما يخلق.

سورة الصافات

[مكيّة]

وهي مئة وإحدى وثمانون آية(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة إذا استولت على قلب قلبته وأزالت عنه من الدارين أربه ثم ألزمته على وجه التنقية جرمه ثم شرفت من حيث الهمة طلبه.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الآيات 1،3] أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار الربوبية منتظرين للأمور الإلهية الزاجرين للأنام عن المعاصي والآثام بأنواع الإلهام التالين آيات الله وجلايا أنبائه على أنبيائه وأصفيائه والعطف لاختلاف الصفات وإلغاءٍ لترقي المقامات.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ [الآية 4] جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه وأما تحقيقه فبقوله:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الآية 5] فإن وجودها وانتظامها على وجه الأكمل في شهودها مع إمكان غيره دليل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وقدرته وإرادته والمشارق مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق في كل يوم من واحد وبحسبهما / تختلف المغارب 77/ أ
في مغاربها ولذا أكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأكمل في النعمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه واحد في ملكه وذلك أنهم تعجبوا

---

(١) كذا في الأصل المخطوط.

أن يقوم الواحد بجميع أحوال عالمه ومعنى كونه واحد تفرده في حقه عن التقسيم وتقدسه في وجوده عن التشبيه وتنزهه في ملكه عن الشريك واحد في جلاله واحد باستحقاق جماله واحد في أفعاله واحد في كبريائه بنعت علائه ووصف سنائه ورب المشارق مشارق النجوم والشمس والقمر ومشارق القلوب شموسها وأقمارها ونجومها.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 6] القربى منكم ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الآية 6] بزينة هي الكواكب والإضافة بيانية ويعضده قراءة حمزة وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وبيان زينة الكواكب فيها ويؤيده قراءة أبو بكر بالتنوين والنصب على الأصل.

﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 7] أي وحفظناها حفظاً ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الآية 7] خارج عن الطاعة برمي الشهب عليها.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الآية 8] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد أي لا تستمع الشياطين ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الآية 8] الملائكة أو أشرافهم ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ [سَبَإٍ: الآية 8] ويرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الآية 8] من جوانب السماء الدنيا وأطرافها إذا قصدوا الصعود إليها.

﴿دُحُورًا﴾ [الآية 9] أي للطرد عنها وحال كونهم مطرودين منهما ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الآية 9] أي دائم أو لازم وهو عذاب الآخرة.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [الآية 10] استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه أي إلا من اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الآية 10] مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه وهو ما يرى كان كوكباً انقضّ من مكانه واختلف في أن المرجوم هل يتأذى به فيرجع عن قصده؟ أو يحترق به؟ لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالمروج لراكب السفينة ولذا لا يرتدعون عنه بالكلية أم لأنهم لا يعلمون بحقيقة القضية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين السماء الدنيا بالنجوم وقلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وحفظ السماوات بأن جعل النجوم للشياطين

رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجمها بنجوم معارفهم إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كذلك إذا اغتم الشيطان من الأولياء يلقي إليهم شيئاً من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون
ورجعوا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ / طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ 77/ ب
تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ [الآية 11] الضمير لمشركي مكة وغيرهم أو لبني آدم جميعهم فاستخبرهم ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ [الآية 11] أي من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الآية 11] لاصق ثابت للمآرب فمن قدر على خلق هذه الأشياء في ابتداء قدر على إعادتهم في الانتهاء.

﴿بَلۡ عَجِبۡتَ﴾ [الآية 12] من قدرتنا وإرادتنا أو من إنكارهم لإعادتنا ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الآية 12] من تعجبك في كمال صفتنا وجمال حكمتنا وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء استعظمت من أن ينكر البعث ممن له هذه الأفعال أو هم يسخرون ممن يجوز هذه الحالة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الآية 13] وإذا وعظوا لا يتعظون بالموعظة.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ [الآية 14] معجزة تدل على صدق القضية ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ [الآية 14] يبالغون في السخرية.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الآية 15] ظاهر السخرية.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ [الآية 16] تفرقت أعضاؤنا وتفتت أجزاؤنا ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الآية 16] أصله انبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقرأ نافع بحذف الهمزة الأولى ونافع والكسائي بطرح الثانية.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الآية 17] عطف على محل أن واسمها وسكن قالون وابن عامر الواو على أن الترديد فيها.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الآية 18] أنتم مبعوثون محشورون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الآية 18] صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الآية 19] أي إذا كان كذلك فإنما البعثة صيحة واحدة هي النفخة الثانية وأمرها في الإعادة كما مرّ في البداءة ولذا رتب عليهما ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 19] فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] أي اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا على حسب أحوالنا فيقال لهم.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] والفصل القضاء إذ الفرق بين المحسن والمسيء في الجزاء ويقول الله للملائكة: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 22] على أنفسهم بالكفر والمعصية من مقامهم إلى الموقف العظيم أو إلى وسط الجحيم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الآية 22] وأشكالهم كعابد الصنم مع عبدته وأمثالهم أو نسائهم اللاتي على دينهم أو قرنائهم من شياطينهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
78/ أ اللَّهِ﴾ [الآيتان 22، 23] من الأصنام وغيرهم زيادة في تخجيلهم / وتحسرهم ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 23] دلوهم إلى نحوها وعرفوهم طريقها ليسلكوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بأزواجهم قرنائهم وأشكالهم ومن عمل بمثل أعمالهم ومن أعانهم على ظلمهم بقليل أو كثير في حالهم ومآلهم وهكذا في هذه الطريقة من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة على زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الآية 24] احبسوهم في مواقف أحوالهم ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الآية 24] عن عقائدهم وأعمالهم وأحوالهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآية 26] منقادون بظهور عجزهم إليهم وانسداد أبواب الحياة عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن مقام السؤال مقام صعب الحال قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملائكة فالذين يسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تسأل للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا يصلح للكشف وهم قسمان الخواص يسترهم الحق على اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والعقبى والعوام وهم أرباب الزلات يرحمهم الله فلا يفضحهم فيم أنهم يكونون في بعض أحوالهم بعين الهيبة وفي بعض ينعت البسط والقربة وفي الخبر أن قوماً يسترهم بيده ويقول لهم تذكر عذرك أي فيما مضى من أمرك وحديث الخلق في الصحيح وهو في هذا المعنى كالصريح وهؤلاء أصحاب الخصوص في تحقيق أسرار الأبرار، فأما الأغيار والأجانب والكفار فيقال: ادخلوا بحكمكم النار، ثم يقال لهم في بعض أحوال الفزع عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الآيتان 25،26].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية 27] يعني الأتباع والرؤساء أو الكفرة والفرقاء ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الآية 27] يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع ولذا فسر يتخاصمون.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] عن أقوى الوجوه في صد الدين أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق اليقين.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ [الآيتان 29،30] من برهان مبين ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الآية 30] أجابهم الرؤساء للمتبوعين أولاً بمنع إضلالهم بأنهم في / أنفسهم كانوا ضالين، وثانياً بأنهم ما أجبروهم على 78/ ب
الكفر إذ لم يكن عليهم سلطان وإنما جنحوا إليه لأنهم اختاروا طريق الطغيان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ﴾ [الآية 31] بعذاب الكافرين ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الآية 31] ما وعدنا على ألسنة المرسلين.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الآية 32] ثم بين الرؤساء أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه أصلاً فأحبوا أن يكونوا

مثلهم وفيه، أي في هذا الباب، وإن غاية ما فعلوا بأتباعهم أنهم دعوهم إلى الغي معهم لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماءٌ بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية بإغواء غاوٍ فمن أغواهم فهذا نصير قوله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول[1]! ، فتأمل فإنه يكشف لك من هنا باب التوحيد على الوجه الأكمل.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 33] أريد بهم الاتباع والمتبوعون ﴿يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 33] أي في العقبى كما كانوا مشتركين في الغواية في الدنيا بحسب مراتب زلاتهم واختلاف حالاتهم في جهالاتهم من ضلالاتهم وإضلالاتهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أي الذين كانوا يكفرون وعلى المعاصي يصرون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] أن يقولوا ليس كمثله شيء وينكرون على قائله.

وأفاد الأستاذ: إن احتجاجهم بقلوبهم أوقفهم في وهدة عذابهم وذلك أنهم استكبروا عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية 172] أي أن يكونوا عبيداً له لأن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعة الله.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الآية 36] يعنون به محمداً أعقل العاقلين.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: لما لم يحتشموا من وصفه تعالى بما لا يليق به لم يبالوا بما أطلقوا من المثالب في وصف أنبيائه.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية 38] بإشراك الله العظيم وتكذيب الرسول الكريم.

---

(1) لم نعثر عليه، وقد أورده الشربيني الخطيب في تفسير السراج المنير (1/ 3631).

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية 39] إلا مثل ما كنتم تصنعون جزاء وفاقاً وقضاء استحقاقاً.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية 40] أي لكن عباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المحسنين.

79/ أ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الآية 41] / مشهور خصائصه من الدوام وتمحص اللذة في المرام ولذا بينه بقوله.

﴿فَوَٰكِهُ﴾ [الآية 42] فإن الفاكهة ما تقصد به اللذة دون التقوية فإن أهل الجنة أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة على تجلّل البينة فكانت أرزاقهم فواكه خالصة أو ما في معناها من قصد اللذة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الآية 42] في نيل الرزق إليهم وحصوله من غير تعب لديهم ولا منة لأحد عليهم.

وقال أبو بكر بن طاهر: صحة البقاء مع الله إخلاص العبودية لله وقت العبد مع الله ببقاء حظه من الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص إفراد الحق سبحانه بالعبودية والذي يشوب عمله رياء ليس بمخلص في أداء حق الربوبية ويقال: الإخلاص تصفية العمل لا توفيته، وفي الخبر: «يا معاذاً أخلص العمل يكفيك القليل منه في الأمل؟»[1]. ويقال: الإخلاص فقد رؤية الأشخاص ويقال: أن لا يلاحظ محل الاختصاص ويقال: هو أن تنظر إلى نفسك بعين الانتقاص. ثم قال في أثناء التقارير: من كان له رزق معلوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من جملة المياسير وهذه صفة أهل الجنة كما وقعت به البشارة فلهم في الآخرة رزق لإبشارهم وأسرارهم فالأغنياء اليوم لهم رزق معلوم لأنفسهم وعيالهم والفقراء اليوم لهم رزق معلوم لقلوبهم وأحوالهم فواكه وهم مكرمون، من ذلك وردد الرسول عليهم من قبل الله في كل وقت وحين وكذلك ليوم الخطاب، وأراد منُّ الله على قلوب الخواص في كل وقت بكل

(1) انظر تفسير القشيري (6/ 416)، وتفسير حقي (12/ 285)، والبحر المديد (5/ 231).

أمر من عوارف الدين ومعارف اليقين.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الآية 43] في جنات ليس فيها إلا النعيم المقيم.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 44] في مقام التكريم يستأنس بعضهم برؤية بعض من أرباب التعظيم.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾﴾ [الآية 45] يدار عليهم بإناءٍ فيه خمر من معين من شراب معين أو نهرٍ مبين أي ظاهر للعيون جمع عين بمعنى جشمه منه أو خارج من العيون وفيه الإيمان بأنها لكثرتها تجري كالماء.

﴿بَيۡضَآءَ﴾ [الآية 46] فيها حظٌ للناظرين ﴿لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 46] منها
79/ب ووصفها بلذة / دون لذيذة لإرادة المبالغة في اللذاذة فكأنها عينها.

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ [الآية 47] غائلة كما في خمر الدنيا من صداع ونحوها ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الآية 47] يسكرون من نزف الشارب مجهولاً إذا ذهب عقله وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه.

قال الأستاذ: شراب يحضرهم ولا يسكرهم شراب لا يزيل عنهم الحشمة ولا يرفع عنهم الهيبة فقوم يشربون من وراء الستور وقوم يسقون على نعت القرب في الحضور.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الآية 48] يقصرون أبصارهن على أزواجهن ﴿عِينٞ﴾ [الآية 48] جمع عيناً أي نجل العيون.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ﴾ [الآية 49] في صفاء الأنوار وضياء الأسرار ﴿مَّكۡنُونٞ﴾ [الآية 49] مصون من الغبار وإصابة يد الأغيار.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] أي يشربون يتحادثون عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا من الشمائل كما قيل وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الآية 51] جليس في الدنيا.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الآية 52] في العقبى.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الآية 53] مجزيون بأعمالنا ومحاسبون بأحوالنا.

﴿قَالَ﴾ [الآية 54] إن ذلك القائل لأهل الجنة أو الله أو بعض الملائكة ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الآية 54] هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار فتعلمون أين منزلتكم من منزلتهم في القرار.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ [الآية 55] عليهم ﴿فَرَءَاهُ﴾ [الآية 55] أي قرينه منهم ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 55] وسط عذاب الحميم.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] لتهلكني بالإغواء عن الهداية، وإن مخففة واللام فارقة.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ [الآية 57] بالتوفيق والعصمة ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الآية 57] معك في عذاب الحرقة وحجاب الفرقة.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي أنحن منعمون وغيرنا معذبون وكلنا مخلدون فما نحن بمن شأنه الموت والبلى.

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 59] التي كانت في الدنيا ونصبها على المصدرية من الصيغة الفاعلية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الآية 59] بالموت مرة أخرى والجملة تتمة كلامه لقرينه تقريعاً له في دينه أو معاودة إلى مكالمة جلسائه ومحاورة إنشائية تحدثاً بنعمة الله وتحججاً بها وتعجباً منها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] الإشارة إلى ما هم فيه من النعمة / والأمن من النقمة. 80/ أ

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي لنيل مثل هذا الفضل يجب أن يعمل العمل لا للحظوظ الدنيوية المنسوبة بالأعراض الردية والأعواض الدنية والجملة من كلامهم في تقرير مرامهم أو من كلام الله والملائكة لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إن كان العابد يقول أو يقال له إذا ظهرت الجنة وبدت النعمة وزالت المحنة ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] الطاعة والعبادة فإذا بدأ به شظية من حقائق المعرفة وتباشير الوصلة أو ذرة من نسيم القربة، فبالحري أن يقول القائلون: لمثل هذه الحالة تبذل الأرواح وتفنى الأشباح.

على مثل سلمى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على الباب طاوياً[1]

وها هنا تضيق العبارات وتقصر الإشارات.

﴿أَذَٰلِكَ﴾ [الآية 62] أي أما ذكر من النعمة في الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ [الآية 62] للأبرار ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الآية 62] التي ثمرها نزول أهل النار وفي ذكر النزل دلالة على أن ما ذكر من الثواب والعقاب جزاء بمنزلة ما يقام للنازل ابتداء ولهم ما وراء ذلك ما يغفر عنه الاتهام انتهاء والزقوم اسم شجرة منتنة مرّة تكون بتهامة سميت بها الشجرة الموصوفة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] محنة وعقوبة للكافرين في العقبى أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا بها أنكروها وقالوا: لا يمكن وجودها ولم يعلموا إن من قدر على خلق ما يعيش فيها ويتلذذ بها فهو قدير على خلق الشجر في وسطها وحفظها من إحراقها.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] منبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها نظيرة ما لأهل الجنة من شجرة طوبى أصلها في أسفلها وأغصانها في أعلاها واصلة إلى درجاتها.

﴿طَلْعُهَا﴾ [الآية 65] حملها ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الآية 65] في تناهي قبحها وهولها.

﴿فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] لغلبة الجوع على أهلها أو للجبر على أكلها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 424).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 67] بعدما شبعوا منها وعليهم العطش بها وطال استسقاؤهم فيها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 67] لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم ويمزق أجزاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ [الآية 68] مصيرهم بعد أكلهم وشربهم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 68] إلى دركاتها أو إلى سائر عقوباتها.

/ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 69] وجدوا أسلافهم ﴿ضَآلِّينَ﴾ [الآية 69] عن 80/ ب
طريق اليقين.

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الآية 70] يسرعون متقلدين من غير استعمال أفكارهم في تحقيق الدين.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 71] قبل هؤلاء الموجودين ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 71].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] بالعقاب لمن أصر ومبشرين بالثواب لمن أقر.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 73] من شدة الحال وفظاعة المآل.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 74] الذين أخلصوا دينهم لله. وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى لدينه الإسلام والخطاب مع رسوله والمقصود به من آمن من قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ [الآية 75] دعانا حين أيس من إيمان الكفرة فأجبناه أحسن الإجابة ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الآية 75] نحن لمن نادينا في حال محنته ودعانا لزوال بليته.

وقال الأستاذ: أي لما أصابه الأذى من قومه ولم يسمع قومه ما بلغهم من قوله فرجع إلينا وخاطبنا وخاطبناه وكلمنا وكلمناه ونادانا وناديناه وكان لنا فكنّا له وأجابنا فأجبناه فلنعم المجيبون كان لنا ولنعم المجيبون كنا له.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ [الآية 76] أي من آمن معه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] من الغرق أو أذى الغرق كما أفاد الأستاذ: بقوله أخبر الله سبحانه عن كونهم جميعاً في الكرب ولكن شتان بين كرب نوح وأهله وبين كرب قومه:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الآية 77] إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير نبيه وأزواجهم السكينة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الآية 78] في الأمم المتأخرين.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الآية 79] والجملة جيء بها على الحكاية ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في المؤمنين والملائكة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الآية 80] قيل: المحسن من أحسن لنفسه فلا يوقعها في ورطة الغفلة وفي وهدة الزلة ويحسن إلى الخلق ولا يؤذيهم بسوء الخلق وبحسن العبادة والطاعة فلا يشوبها بشيء من الرياء والسمعة.

81/أ وقال الكتاني: بين العبد وبين الله سبحانه ألف مقام من/ نور وظلمة وإنما كان اجتهادهم في قطع الظلمة حتى وصلوا إلى نور القربة فلم يكن لهم رجوع إلى ما ورائهم فهؤلاء من المحسنين.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الآية 81] تعليل للإحسان وإظهار لفضل الإيمان وإشعار لجلالة قدرة وأصالة أمره.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الآية 82] أي الكافرين.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [الآية 83] ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة من أركان الإحسان ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية 83] وكان بينهما ألفان وستماية وأربعون سنة وبينهما نبيّان هود وصالح عليهم السلام والتحية.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الآية 84] من الخلائق والعلائق أو سليم من محبة الأغيار ومحنة الأكدار أو سليم من حظوظ نفسه وهواه مسلماً لله فيما اختاره وقضاه أو سالم من آفات القلوب وخالص لعلام الغيوب. ومعنى المجيء

يدربه إخلاصه له كأنه جاء به متحفاً لربه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الآية 85] على جهة الإنكار عليهم والتنبيه لهم على موضع غلطهم لديهم.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الآية 86] أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً وقربة فقدم المفعول به للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر لهم أنه على الباطل مبني أمرهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الآية 87] بمن هو حقيق للعبودية لكونه موصوفاً بالربوبية حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره في طاعته أو أمنتم من عذابه وعقوبته.

وقال الأستاذ: أي إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فما الذي تقولون له وكيف بكم من مقام الحجة بين يديه وإن كنتم اليوم غافلين عنه غير ملتفتين إليه.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الآية 88] إليها فرأى مواقعها.

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الآية 89] أي سقيم القلب لكفركم بالرب أو بصدد الموتى ومعرض الفوت ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً[1].

وقول لبيد:

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء[2]

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس جملة فقيل: ما هذا؟ قالوا: مات وهو صحيح في نفسه فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وما أحسن قول من قال من أرباب الحال/ : 81/ ب

(1) انظر جامع الأثير (15/ 306) رقم (15555)، وكنز العمال (3/ 308) رقم (6692) ص (166).

(2) انظر تفسير القرطبي (15/ 93) والكشاف (5/ 472).

كـل أمـرىء مُـصـبح فـي أهـلـه والـمـوت أدنـى مـن شـراك نـعـلـه[1]

وحاصله إني سأسقم على الموهوم إن كان تأتيه الحمى للوقت المعلوم وقد تعلل به ليتأخر عنهم عند ذهابهم إلى عيدهم ليتمشى له ما كان في نفسه من كسر أصنامهم وكيدهم.

وقال ابن عطاء: إني سقيم القلب لفوت مرادي من الرب فإن الحبيب أبداً يكون سقيم القلب في البعد والقرب.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الآية 90] فأعرضوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 90] وإلى عيدهم وزينتهم مقبلين.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الآية 91] فذهب إليها بخفية ومال عليها بحيلة فرأى عندها أنواعاً من الطعام موضوعة للتبرك بذلك المقام ﴿فَقَالَ﴾ [الآية 91] لها استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 91] كآحاد الحيوان.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الآية 92] كأفراد الإنسان. والمقصود إثبات الجمادية وأنهم بمعزل عن استحقاق العبودية.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الآية 93] أي فحمل عليهم يضربهم ضرباً بسبب اليمين وهو قوله تعالى: لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الآية 94] أي بعد ما رجعوا عن عيدهم ورأوا أصنامهم مكسرة في مكيدهم وبحثوا عن كاسر الأصنام وظنوا أنه إبراهيم عليه السلام كما بينه قوله تعالى: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: 59] الآية يزفون يسرعون وقرأ حمزة بضم الياء أي يحملون أنفسهم أو بعضهم بعضاً على ما يبادرون.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] أي ما تنحتونه من الأصنام.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الآية 96] أي وما تعملونه من الأعلام فإن جوهرها بخلقه سبحانه وشكلها وإن كان بفعلهم وكذا جعل من عملهم فبإقداره

(1) نسب إلى أبي بكر رضي الله عنه، انظر نهاية الأرب (4/ 339).

إياهم عليه وخلقه تعالى ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي إليه وحصول عددهم لديه.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ [الآية 97] مرتفعاً أو احفروا له مكاناً منخفضاً ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الآية 97] في النار الشديدة الموقدة في البقعة البعيدة.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الآية 98] فإنه لما قهرهم بالحجة التامة قصدوا هلاكه لئلا يظهر عجزهم للعامة ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 98] الأذلين بإبطال كيدهم وإظهار برهانه وإعلاء شأنه كمالاً وتماماً حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً روي أنه لما رمي من المنجنيق وقد حصل له ما حصل من الضيق فنزل جبريل من السماء وتعرض له في الهواء/ وقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا 82/ أ
فقال: فاسأل ربك؟ فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وفي رواية قال الخليل: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] حيث أمرني ربي بإقامته أو حيث أتجرد فيه لعبادته ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] سيدلني إلى ما فيه صلاح ديني وإنما بت القول لسبق وعده أو لتحقق توكله أو للبناء على عادته تعالى معه من فضله ولم يكن موسى عليه السلام في مقام الخليل حين قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: الآية 22] حيث أتى بصيغة التوقع في المقام الجليل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] وأخبر عن صفة موسى بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: الآية 143] وقال في نعت نبينا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية 1] فإبراهيم كان بعين الفرق وموسى بعين الجمع ونبينا بعين جمع الجمع انتهى.

واعلم أن المراد بالفرق هنا مقام البقاء وبالجمع حالة الفناء ولجمع الجمع أن لا يمنعه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة فهو الجامع بين المحو والصحو كما يقتضيه صفة الجلال ونعت الجمال ولعل فرقه عُلِمَ من قوله: ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] فإنه يشير إلى سيره إلى الله وهو مقام تفرقه بالنسبة إلى صاحب [الجمعيّة] ومؤمن من يكون سيره في الله

وهو حال ناقص أيضاً بالإضافة إلى مقام صاحب جمع الجمع وهو من يكون سيره بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا التحقيق ظهر كساد ما أفاد الأستاذ بقوله: كان ذاهباً في الله، فلذلك قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] فذهابه فيه أوجب ذهابه إليه ويقال: إنما طلب هداية مخصوصة لأنه كان صاحب هداية منصوصة ولو لم يكن له هداية في نفسه لما ذهب إلى ربه ويحتمل أنه كان صاحب هداية في الحال فطلب الهداية في الاستقبال أو الزيادة في الهداية من البداية إلى النهاية ويقال: طلب الهداية إلى كيفية [آداب] الرعاية في الحضرة ويقال: طلب الهداية إلى نفسه لأنه فقد فيه قلبه ونفسه فقال: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الآية 99] إلى الأقوم بحق عبوديته علي فإن المستهلك في / حقائق الجمع لا يصح منه أداء العبادة إلا بأن يرد إلى حالة 82/ ب
التفرقة والتمييز في الإرادة بين العبادة والعادة. وقالوا: معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] إلى المكان الذي يعبد فيه ربي سيهدين إلى مقصدي.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الآية 100] يعني ذريّة صالحة تعينني على الدعوة والطاعة وتؤنسني في الغربة والكربة.

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾ [الآية 101] بشره بذكر يبلغ أوان الحلم وزمان العلم وقد قيل: ما نعت الله نبياً بالحلم في كتابه لعزة وجوده في بابه غير إبراهيم وابنه وأي حلم مثل حلمها كما يشهد عليه فيما سيأتي حالهما.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الآية 102] أي وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله الدينية أو أحواله الدنيوية وكان له يومئذ ثلاث عشر سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الآية 102] من الرأي في المرام يحتمل أنه رأى حقيقة ذلك أو رأى ما هو تعبيره هنالك وروي أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك أن تذبح ابنك فلما أصبح رؤي أنه من الرحمٰن أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره هنالك وقال له ذلك ولذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر، ثم الأظهر أن المخاطب إسماعيل لأنه الذي ذهب له أثر الهجرة ولأن البشارة

بإسحاق بعدما معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبدالله فإن عبدالمطلب نظر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقترع فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذا سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثم ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فيبعد الأمر بذبحه قبل وقوعه وإنما شاوره فيه وهو حتم عليه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاءِ ربه فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه/ إن سلم وليوطن نفسه عليه فيهون الأمر 83/ أ
لديه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله إليه وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء والمعنى أي شيء تراه ويحملني عليه من اعتقاده ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الآية 102] أي تؤمر به ولعله فهم من كلامه أنه رأى أن يذبحه مأموراً به أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر منه ولعل الأمر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص في الأعمال وإنما قال: أرى لتكرير الرؤيا ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 102] على حكم الله وبلائه وقضائه في ابتلائه.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الآية 103] استسلما لأمر الله وحكمه أو سلمه الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه وقد قرىء بهما ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الآية 103] صرعه على شقه فوقع جبينه على جنبه وقيل: كبه على وجهه بأمره كيلا يرى فيه تغييراً يرق له فيمنعه عن ذبحه قيل: لما وصل إلى الأرض موضع السجود جاء الفرج وأثر الجود من الودود.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الآيتان 104،105] بالعزم والجزم من النيات والإتيان بالمقدمات روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما له تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الآية 106] الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره رد المحنة البينة فإنه لا أصعب من هذه البلية.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخلصين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأنبياء والصديقين نوع من اختيارات.

وقال سهل: البلاء على صنفين بلاء رحمة وبلاء عقوبة، فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على تدبيره واختياره.

وقال جنيد: البلاء هو الغفلة عن المبلي.

83/ ب ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ﴾ [الآية 107] بما يذبح به بدله فيتم/ به فعله ﴿عَظِيمٍ﴾ [الآية 107] الجثة وقد ورد استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم أو عظم الرتبة لأنه يفدي الله سبحانه نبياً ابن نبي من نسله سيد الأنبياء فعن ابن عباس هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقيل منه وكان يرعى في الجنة[(1)].

وعن الحسن: فدي بوعلٍ هبط عليه من ثبير[(2)]. وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنّة وذبح الناس أبناءهم، أي في كل حجة أو سنّة[(3)].

قال ابن عطاء: استسلما انقياداً به ورضياً.

قال جعفر: أخرج إبراهيم من قلبِه محبة ابنه وأخرج إسماعيل من قلبه محبة روحه وقيل: الحكمة في أمر الله إبراهيم بذبح ابنه لما أراد الله أن يزيل

(1) أورده الطبري في تفسيره (21/ 87)، والقرطبي في تفسيره (15/ 107)، والزمخشري في كشافه (5/ 479).
(2) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 31)، والقرطبي في تفسيره (15/ 107)، وابن أبي حاتم في تفسيره (12/ 104)، والأزرقي في أخبار مكة (3/ 120).
(3) أورده الكشاف في كشافه (5/ 479)، والنسفي في تفسيره (4/ 25).

عن سره محبة ولده لكيلا يزاحم محبته محبة غيره ويثبت محبته في قلبه لأن وجود محبة الله في قلب إبراهيم مع محبة الولد محال فنظر إلى أقرب الأشياء إلى قلبه فوجد ابنه فأمره بذبحه، والمبتغى مما أمره الله به إبراهيم من ذبح الابن إخلاء السر وترك عادة الطبيعة لا حصول الذبح في الشريعة ألا ترى لما أمر السكين انقلب فلم يقطع فنودي بقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 107] أي وقد خلصت مما طالبناك به من طريق الإشارة فيما تقدمت إليك العبارة.

قال ابن عطاء: لما سعى إسماعيل في الطاعة سعيه وأقام بحقوق الله حسب ما رضي به الخليل وارتضاه وقرت عينه لقيامه بحقوق مولاه وأنس الخليل بمكانه وفرح من شأنه قيل له: اذبحه فإنه لا يصلح للخليل أن يفرح بشيء سوى خليله فابتلي بذبحه ثم لما أسلم وقام مقام الاستقامة واتبع الأمر في الطاعة فداه بذبح عظيم فصار ذبح الضحايا من سنة الأنبياء وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال الخليل: الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآيتان 108،109] قال الواسطي: ثناء جزيلاً عليه وقبولاً جميلاً إليه عند جميع الأمم المتأخرين.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآيتان 110،111].

وأفاد الأستاذ: إنه يقال: أيهما كان أشد بلاءً؟ قيل إسماعيل لأنه وجد الذبح من يد أبيه الخليل/ ولم يتعود من يده إلا التربية بالجميل فكان البلاء 84/ أ
عليه أشد لأنه لم يتوقع منه ويقال: بل إبراهيم أشد بلاء لأنه كان يحتاج أن يذبح ابنه بيده ويعيش بعده قلت: الأظهر هو الأول فتأمل ويقال: لم يأت في ذلك إسماعيل بالدعوى فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 102] فتأدب بلفظ الاستثناء لصعوبة الصبر على مثل هذا البلاء ويقال: لو قال إسماعيل إما أن لا تقل يا بني بهذه اللطافة وإما لا تقل إني أذبحك فإن الجمع بينهما عجب في العبارة. قيل في التفاسير: كان إبراهيم يمر السكين على حلقه وكان السكين لا يقطع شيئاً من جلده فتعجب إبراهيم فنودي يا إبراهيم إنما المقصود

من هذا استسلامكما ويقال: إن الله ستر عليهما علم ما أريد منهما في حال البلاء وإنما كشف عليها بعد مضي وقت المحنة لئلّا يبطل معنى الابتلاء وكذلك لما ألقي إبراهيم في النار فأخفي عنه المراد منه ليحصل معنى الابتلاء وهكذا يكون الحال في حال البلاء تنشر وجود التهدي إلى الحال وكذلك كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإفك وهكذا حال أيوب وسائر الأنبياء في حال الابتلاء وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر المحنة ولكن مع استعجام الحال واستبهامه في أول القصة إذ لو كشف الأمر على صاحبه ابتداء لم يكن حينئذ ابتلاء ثم الناس في البلاء على أقسام: فبلاء مستصعب وذلك صفة العوام وبلاء مستعذب وهو نعت الأولياء الكرام، يستعذبون بلاياهم كأنهم لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا قلت: الأظهر أنهم يقولون ما قيل، اقتلوني يا ثقاتي، إن في قتلي حياتي وفي الحديث: «سترون ربكم ولن تروه قبل موتكم».

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ [الآية 112] مقضياً نبوته مقدراً ثبوته نبياً ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 112].

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 113] على إبراهيم في أولاده وأحفاده ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الآية 113] بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وأفاد الأستاذ: إن كل هذا بعد البلاء قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 6]، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ [الآية 113] على نفسه بالإيمان والطاعة ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 113] بالكفر والمعصية ﴿مُبِينٌ﴾ [الآية 113] / ظاهر أثر كل ما واحد منهما وفيه تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدي والضلال أن الظلم في عقابهما لا يعود عليهما بالنقص والوبال. 84/ ب

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الآية 114] أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والمصالح الدنيوية.

﴿وَنَجَّيۡنَـٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الآية 115] من الغرق أو من تغلب فرعون وأتباعه.

﴿وَنَصَرۡنَـٰهُمۡ﴾ [الآية 116] الضمير لهما مع قومهما ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ﴾ [الآية 116] على فرعون وقومه.

﴿وَءَاتَيۡنَـٰهُمَا ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الآية 117] التبليغ بيانه العظيم برهانه وهو التوراة.

﴿وَهَدَيۡنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الآية 118] الدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إنه هو شهود الوحدة والتبري عن الحول والقوة.

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الآيات 119،123] هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقرأ ابن ذكوان في وجه عنه يوصل هذه همزة إلياس وقيل هو إدريس لأنه قرىء مكانه إدريس وإدراس.

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الآية 124] عذاب ربي أو مخالفة أمري.

﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلًا﴾ [الآية 125] أتعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك ﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَـٰلِقِينَ﴾ [الآية 125] وتتركون عبادته وتخالفون طاعته.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الآية 126] جملة من مبتدأ وخبر أو خبر مبتدأ مقدر هو هو وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الثلاثة على البدلية.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 127] ووعظهم فما صدقوه ﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ [الآية 127] في العذاب يوم الحساب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 128] استثناء من الواو لصحة المبنى لا من المحضرين لفساد المعنى.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الآيتان 129، 130] لغة في إلياس كسيناً أو سينين وقيل جمع له مراد به وهو وأتباعه من المؤمنين أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين وقرأ نافع وابن عامر على إضافة آل إلى ياسين فتكون ياسين أي إلياس ويؤيده أنهما في المصحف مفصولان وقيل: المراد آل محمد ولا يناسبه نظم سائر القصص ولا قوله وتركنا عليه في الآخرين ولا قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآيات 131،135] أي الباقين.

85/ أ / ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الآية 136] أي الكافرين. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 137] يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ [الآية 137] على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم في طريقه ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية 137] حال كونكم داخلين في الصباح تارة.

﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الآية 138] أي وفي المسامرة أو نهاراً أو ليلاً ولعل قريتهم وقعت قريب منزل يمرّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 138] فتتفكرون فتعتبرون.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ﴾ [الآيتان 139،140] أي هرب وأصل الإباق هرب العبد من سيده لكن لما كان هربه من قومه بإذن ربه حسن إطلاقه بلفظ ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الآية 140] المملؤ بأهله.

﴿فَسَاهَمَ﴾ [الآية 141] فقارع أهله ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الآية 141] فصار بالقرعة من المغلوبين روي أنه لما وعد قومه بنزول العذاب وحلوله خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا: هاهنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال: أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الآية 142] فابتلعه مأخوذاً من اللقمة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

[الآية 142] آتٍ ما يلام عليه أو داخل في الملامة أو مليم نفسه الندامة.

وأفاد الأستاذ: إنه كان في أول الأمر يطلب التفصّي من النبوة فلم يعاف ثم استقبله ما استقبله فلم يلبث حتى رأى نفسه في بطن الحوت في الظلمة.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الآية 143] الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وقت حصره بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ونحوه أو من المصلين في جميع دهره.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الآية 144] حياً وقيل: ميتاً وفيه حث على إكثار الذكر والدعاء وإظهار الثناء وإن من أقبل على الله في السراء أخذ بيده عند الضراء، وفي الحديث: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[1].

قال الواسطي: كان من العارفين بأن تسبيحه لا ينجيه مما هو فيه من العناء وإنما ينجيه منه الفضل وسابق القضاء ويحتمل أن تكون معناه من المنزهين الله عن ظلمه والمعترفين بظلم نفسه كما يشير إليه قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ [الآية 145] بأن حملنا الحوت على لفظه وطرحه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الآية 145] بالفضاء من الصحراء[2].

روي أنه سبحانه أوحى إلى الحوت أنا جعلنا بطنك له سجناً وله فيه مقاماً ولم نجعله لك طعاماً واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل: ثلاثة أيام وقيل: سبعة وقيل: عشرون وقيل: أربعون ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الآية 145] مما ناله وأصاب/ حاله قيل: صار بدنه كبدن الطفل حين نزل من بطن أمه. 85/ ب

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 146] أي فوقه مظلة لديه ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الآية 146]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 623) رقم (6303)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 223) رقم (11560).
(2) في المخطوطة: السحراء، والمثبت من تفسير القرطبي وبحر العلوم للسمرقندي.

من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه في العادة والأكثر على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع على الدباء، ويدل عليه أنه قيل له صلى الله عليه وسلم: إنك لتحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس عليه السلام»(1). وفي تفسير ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنه قال: طرح يونس ابن متى عليه السلام بالعراء وأنبت الله عليه اليقطينة وهيأ له أروية وحشية ترعى في برية وتأتيه فتتفحج عليه فترويه(2) من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه وقيل هي التين وقيل الموز يتغطى يونس بورقه ويستظل بأغصانه ويفطر على ثماره.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الآية 147] في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم وتأمل في عددهم قال: هم مائة ألف أو أكثر وقرىء بالواو وبيل هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله إليهم أو إرسال ثان لديهم قيل: نام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فأصابته الشمس فبكى فأوحى الله إليه لا تحزن على شجرة يبست ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون أرسلناك إليهم فلم يتبعوك فأردت هلاكهم.

﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ [الآية 148] فصدقوا به أو جددوا الإيمان بمحضره ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 148] إلى أجل مبين في لوح مبين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما خرج يونس من بينهم ورأوا أثر العذاب قد أظلهم ندموا وتضرعوا إلى الله سبحانه وآمنوا به فكشف الله العذاب عنهم فكانوا يقولون لو رأينا يونس لوقرناه وعظّمناه فرجع إليهم بعد نجاته من بطن الحوت وعود قوته إليه فاستقبلوه معظماً وأدخلوه بلدهم مكرماً ويقال: الذنب كان من قومه وهم قد توعدوا بالعذاب ويونس لم يذنب فخرج من بينهم فكشف الله العذاب عنهم واستقبل يونس ما استقبله حتى بعد المقاساة التي نجافيها عجباً من سر تقدير القضاء وفي القصة إن الله سبحانه أوحى إلى

(1) أورده الزمخشري في كشافه (5/ 486)، والنيسابوري في تفسيره (6/ 360)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 27).
(2) انظر تفسير ابن كثير (7/ 39) وتفسير الطبري (21/ 113).

يونس بعد نجاته أن قل لفلان الفخار حتى يكسر ما عمله هذه السنة كلها فقال: يا رب إنه تعنّى مدة في اتخاذ ذلك فأمره أن يكسرها كلها هنالك فقال له: يا يونس يرق قلبك بخزاف يتلف عمل سنة وأردت أن أهلك مائة ألف/ 86/ أ من عبادي يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ [الآية 149] في قولهم الملائكة بنات الله وهم لها كارهون ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الآية 149] على ما يشتهون فكيف يصفون القديم بما عنه يستنكفون.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الآية 150] خلقتهم أو خلقنا إياهم والمعنى سلهم من أين زعموا أو بأي حجة حكموا وفي أي أودية شبهة وقعوا وعن أي قضية عموا.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الآيتان 151،152] لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية 152] فيما يتدين كل منهم ويدعيه.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الآيتان 153،154] له بوصف العاجزين.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الآية 155] أنه تعالى منزه عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الآية 156] برهان عقلي واضح لما هنالك.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الآية 157] بدليل نقلي في بابكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 157] في دعواكم.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الآية 158] يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن يبلغوا هذه المرتبة في وصفهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الآية 158] أي الكفرة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الآية 158] في العقوبة.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 159] من الولد والنسب والشركة.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 160] فإن وصفهم جميل وأجرهم جزيل.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 161] أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 161] من دونه.

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 162] أي على دينه ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ [الآية 162] مفسدين الناس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الآية 163] إلا من سبق عليه القضاء بأنه داخل العذاب المقيم.

قال أبو عثمان: من مال إلى شيء سوى الله وعظَّم شيئاً مما عداه فذلك لترادف الفتنة عليه وبعد التوفيق والمنة إليه.

وقال القاسم: ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت له الضلالة في السابقة.

وقال الأستاذ: أي إلا من أغويته فبحكمي ما ضلوا إلا بإضلالكم.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الآية 164] حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية الرد على العبدة والمعنى وما أحد منا إلا له منزل معلوم في المعرفة والعبادة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الآية 165] في مسالك الطاعة ومنازل الخدمة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الآية 166] المنزهون الله عما لا يليق به من الصفة.

قال جعفر: الخلق مع الله على مقامات متفرقة وحالات مختلفة فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام المعاينة وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الخدمة والقربة وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الطرد والغفلة.

وقال أبو عثمان: / معلوم في علم الله إلى ماذا يصير أهل كل مقام في منتهاه. 86/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم ولا يتعدون حدهم ومرامهم والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد من غيرهم والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة

والكرامات المتظاهرة لأنهم للخلق قدوة فأمرهم على الشهرة وأمر الأولياء على الستر.

﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ [الآية 167] أي مشركو مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 167] متمنّين ومدعين.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الآية 168] كتاباً من كتب المرسلين المتقدمين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الآية 169] ولم نكن من المشركين.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 170] بذكرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الآية 171] أي عدتنا ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 171] بالنصرة والغلبة كما بينه بقوله.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الآيتان 172،173] أي في غالب الأوقات ولأنه المقضي بالذات.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 174] فأعرض عنهم ولا تبال بهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 174] هو موعد نصرك عليهم وظهور دينك لديهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ [الآية 175] على ما ينالهم من العقوبة ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 175] ما قضينا لك من الظهور والنصرة في الآخرة.

وقال الأستاذ: أي سبقت كلمتنا لهم بالسعادة وتقدم حكمنا لهم بالولاية والرعاية فهم من قبلنا منصورون وإن جندنا لهم الغالبون من نصره لا يغلب ومن قهره لا يغلب وجنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخر وفي حبل هلاكه ينجر فتول عنهم إلى أن تنقضي آجالهم وتنتهي أحوالهم وانظر انقضاء أيامهم فإنه سينصرم حديث أحكامهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 176] لقلة علمهم وفرط جهلهم.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ [الآية 177] العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ [الآية 177] وأناخ البلاء بعقوبتهم وحصل الفناء بفنائهم ووصل العناء بعنائهم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 177] فبئس صباحهم قبل مسائهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٨﴾ [الآية 178] فعن قريب يحصل ما منه يحذرون.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٩﴾ [الآية 179] تأكيد إلى تأكيد وتهديد بعد تهديد أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعقاب العقبى.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الآية 180] تقريباً له وتنزيهاً عما قاله المشركون وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن عزّه.

87/ أ ﴿وَسَلَٰمٌ/ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١﴾ [الآية 181] تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم بالتكريم.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 182] على ما أفاض عليهم وعلى من اقتدى بهم فيما أنزل إليهم من جميل النعمة وحسن العاقبة. والآية محتوية على صفاته السلبية ونعوته الثبوتية والمراد تعليم المؤمنين كيف يسبِّحونه ويحمدونه ويسلِّمون على رسله في مقام كلام يختمونه.

وعن علي على ما رواه البغوي: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ [الآية 180]»[1] إلى آخر السورة.

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 47)، والزمخشري في كشافه (5/ 497).

سورة صٓ

[مكيّة]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز اعترفت المعارف بالمقصود عن إدراكه، اسم جليل تقنعت العلوم خجلاً من الطمع في إحاطته، اسم كريم صغرت الحوائج على ساحة جوده، اسم رحيم تلاشت قطرات زلات عباده في تلاطم أمواج رحمته.

﴿صٓ﴾ [الآية 1] لسكون الدال وقرىء بكسرها على أنه أمر من المصادرة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض النداء والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن زواجره وقيل: معناه صدق وعده أو هو الصادق فيما حكمه أو صدق محمد فيما أخبره ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [الآية 1] أي ذي البيان الشافي والبرهان الوافي والموعظة البليغة والحجة البالغة والشرف والشهرة والجواب محذوف أي أنه لمعجزة أي معجزة أو أن محمد لصادق الكلمة.

وقال الأستاذ: إنّ صاد مفتاح اسمه الصادق والصمد والصبور والصانع أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: الآية 64]، ويقال: أقسم بصفاء مودة أحبابه وبالقرآن الذي هو أشرف كتاب.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ﴾ [الآية 2] للنفس وعزة وغفلة وتكبُّر عن قبول الحق ﴿وَشِقَاقٍ﴾ [الآية 2] خلاف الله ولرسوله فيما بين الخلق.

وقال الأستاذ: في ضلالة ظاهرة وعداوة بينة وإعراض عن بحث أدلة وتحقيق حجة.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية 3] وعيد لهم على كفرهم استكباراً وشقاقاً في أمرهم استدباراً ﴿فَنَادَوا﴾ [الآية 3] استغاثة واستعانة واعتذاراً واستنفاراً ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [الآية 3] أي ليس حين ملجأ لخلاص.

87/ب وقال الأستاذ: /فنادوا حين هجم البلاء بالاستغاثة وقد فات وقت الإجابة.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 4] بشر من جنسهم أو أي من نوعهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 4] المبالغون في كفرهم ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ [الآية 4] فيما يظهره من المعجزة ﴿كَذَّابٌ﴾ [الآية 4] فيما يدعيه من النبوة ومن الغريب العجيب أن لم يعجبوا من أن يكون المنحوتات آلهة.

﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية 5] بأن جعل الألوهية التي كانت لهم منحصرة لواحد مع كثرة العبادة إذ كانت العادة فيهم أن تختص كل قبيلة بصنم أو كل واحد بوثن بحسب اختلاف أهويتهم وتفاوت وهدات أوديتهم ولم يتصوروا حقيقة الألوهية التي ينافي الإثنية مع اعترافهم بأنه سبحانه هو المنفرد بوصف الخالقية ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [الآية 5] بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه إسلامه في الحسب والنسب.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [الآية 6] أي اذهبوا وتفرقوا قائلين بعضهم لبعض امشوا على طريقتكم ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [الآية 6] واثبتوا على عبادتها في محجتكم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [الآية 6] أن هذا الأمر العجيب الشأن لشيء يراد بنا من ريب الزمان فلا مرد له كسائر مصائب الدوران قال عمر والمكي لقد وبخ الله تعالى للتاركين الصبر من المؤمنين على دينهم وثبات يقينهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار إذا تواصوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في وقتهم على مقصودهم.

﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ [الآية 7] بالذي يقوله من دعوى التوحيد وادعاء النبوة ﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 7] في الملة التي أدركنا عليها آباءنا المتقدمة ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [الآية 7] افتراء يجر إلى خلاف وشقاق.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى النشأة والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلالة ومالوا إلى تقليد أهل الجهالة وقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ [الآية 8] إنكاراً لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ [الآية 8] من كتابي وما فيه من أمري ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [الآية 8] بل لم يذوقوا بعد عذابي الذي استحقوه من كفرهم بي. والمعنى أنهم لا يصدقون بتحقيقه حتى يمسهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو استبصروا في أديانهم لما أقدموا على ما أسرفوا فيه من جحودهم وعصيانهم / ولو أنا أدمنا لهم العاقبة في أبدانهم لما تفرغوا 88/ أ
إلى طغيانهم.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩﴾ [الآية 9] حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا.

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠﴾ [الآية 10] فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى عالم العلويات وهو غاية آلهتكم بهم لظهور عجزهم عن الأمور الجزئية في السفليات.

﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾ [الآية 11] أي هم جندنا من الكفار المتحزبين على الأنبياء الأبرار مهزوم مكسور عما قريب في هذه الدار فمن أين لهم التدابير الصمدانية والتصرف في الأمور الربانية وما مزية للتعليل وهنالك إشارة إلى حيث أنفسهم من القيام لمثل هذا المرام والمراد أنهم في مفاد الطرد والحجاب والبعد عن باب رب الأرباب.

وقال الأستاذ: أي هؤلاء الكفار الذين عارضوا ونازعوا وكذبوا واحتجوا عندهم شيء من هذه الأشياء أو هم يقدرون على شيء من هذه الأشياء فيفعلوا ما أرادوا ويعطوا من شاؤوا ويرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي

على من أرادوا ويهلكوا ما أرادوا بل هم جند ما كلهم عجزة لا يقدرون على ذلك مهزومون هنالك شبههم في بقائهم عن مرادهم بالمهزومين عن بلادهم والمعنى أن هؤلاء الكفرة ليس معهم حجة ولا لهم قوة ولأصنامهم من النفع والضر مكنة ولا في الرد والدفع عن أنفسهم شوكة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] ذو الملك الثابت بالأوتاد ومنه قوله ولقد عتوا فيها بأنعم عيشه في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده وقيل نصب أربع أسطوانات وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب أوتاداً عليها ويتركه حتى يموت.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ [الآية 13] أي الغيضة(1) وهم قوم شعيب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [الآية 13] يعني المتحزبين على رسلهم الذي جعل الجند المهزوم بعضهم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ [الآية 14] بيان لما اسند إليهم على وجه الإيهام من تكذيبهم وهو إما مقابلة جمعهم بجمعهم أو جعل تكذيب واحد منهم
88/ب تكذيب جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [الآية 14] فثبت عليهم / عقابي ووقع لديهم حجابي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 15] أي وما ينتظر قومك الكافرون أو الأحزاب فإنهم في علم الله الحاضرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 15] هي النفخة الأولى أو الأخرى ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [الآية 15] من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحبلتين وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [الآية 16] قسطنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 16] مبالغة في استبعاد نزوله وإنكار حصوله.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 17] فإنه لن تطول مدتهم ولا تمتد مهلتهم فعن قريب سينصر الله عبده ويصدق بالتحقيق وعده ويقوي جنده ويهزم الأحزاب

(1) وهي الشجرة المتكاثفة.

وحده ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ [الآية 17] ذا القوة في الصبر على العبادة والمحنة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 17] رجاع إلى الله بكثرة التوبة والأوبة وكان عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل الصيام ويقوم نصف الليل عن المنام وهو أكمل القيام.

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ [الآية 18] مسبحات في أفضل حالات وأوقات ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ [الآية 18] بعد الظهر ﴿وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [الآية 18] أي وبوقته وهو حين تشرق الشمس بضيائها وتصفو بشعاعها وصفائها وهو وقت الضحى فعن أم هاني أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال: «هذه صلاة الإشراق»[1].

وعن ابن عباس: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية[2]. وأما شروقها فطلوعها والتحقيق أن أول وقت صلاة الضحى حين شروقها وارتفاعها قدر رمح وآخره ما يقال له: ضحوة الكبرى.

﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾ [الآية 19] إليه من كل جانب مجموعة محضورة ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [الآية 19] أي كل منهما ومن داود له سبحانه رجاع بالتسبيح تعظيماً لشأنه وتكريماً لبرهانه.

وأفاد الأستاذ: أن داوود كان يسبح والجبال تسبح وكان يفهم تسبيحها على وجه تخصيصه كرامة له ومعجزة وكذلك الطير كانت تجتمع له فتسبح لله وداوود كان يعرف تسبيحهن وكل من تحقق بحاله مع ربه ساعده كل شيء كان بقربه ويصير غير جنسه بحكمه. وفي معناه أنشدوا:

ربّ ورقاء هتوف بالضحى ذات شجوٍ صرخت في فننِ[3]
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً وبكت شوقاً فهاجت حزني

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (24/ 406) رقم (986).
(2) أورده الطبري في تفسيره (21/ 169) وابن كثير في تفسيره (7/ 58) والزمخشري في كشافه (6/ 5).
(3) نسبت هذه الأبيات إلى التهامي. انظر الكشكول (1/ 293).

فــبكـــائــي ربــمـــا أرّقــهـــا وبـــكـــاهـــا ربـــمـــا أرّقـــنـــي
ولــقــد تــشــكــو فــمــا أفــهــمــهــا ولــقــد أشــكــو فــمــا تــفــهــمــنــي
وغــيــر أنــي بــالــجــوى أعــرفــهــا وهــي أيــضــاً بــالــجــوى تــعــرفــنــي

الشجو: الحزن والفنن: والأفنان بمعنى الأغصان، والجوى: الحزن.

89/ أ / ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [الآية 20] فقويناه بالهيبة وكثرة الجنود والغلبة والنصرة وقيل: أن رجلاً ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان لديه فأوحى الله إليه أن اقتل المدعى عليه فقال: صدقت إني قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته كذا نقله البيضاوي وتفصيله في المثنوي المولوي وقيل: بالعقل والتؤدة وقيل: بالتوفيق والإنابة وقيل: صرفنا بصره عن الملك وجعلنا نظره إلى الملك وقيل: شددنا ملكه بوزراء صالحين فدلوه على الخير معاونين.

وقال الأستاذ: أن في التفسير كان يحفظ ملكه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [الآية 20] بنصرنا له ورفعنا البلاء عنه ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بالعدل في القضية وحسن السيرة في الرعية ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بدعاء المستضعفين له ويقال: بأن رأى منا جميع نصرته وتبرأ من حوله وقوته ويقال: بتيقظه وحسن سياسته ويقال: برجوعه إلينا في سائر حالاته وأوقاته ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [الآية 20] كمال العلم واتقان العمل أو النبوة وقيل: العلم بنا والفهم عنا وقيل: مخالطة الأبرار ومجانبة الأشرار ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [الآية 20] أي الرشد والصواب أو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الأحكام وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار محل ولا إكثار ممل كما جاء في وصف كلام نبينا صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر أي لا يسير ولا كثير.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [الآية 21] استفهام معناه التعجيب في شأنه والتشويق إلى استماع بيانه والخصم أريد به جنس المخاصم ولذا قال ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [الآية 21] إذ تصعدوا سور الفرقة من غير طريق الباب.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ [الآية 22] للفصل بينهم ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 22] لأنهم نزلوا عليه في يوم الاحتجاب من فوق بيته والحرس على الباب فإنه عليه السلام

كان جزّأ زمانه يوماً للعبادة ويوماً للحكومة ويوماً للموعظة ويوماً للاشتغال بما له من الخاصة فتسور عليه الملائكة وتصوروا على صور الإنسان في يوم الخلوة ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفۡ﴾ [الآية 22] أي منا ﴿خَصۡمَانِ﴾ [الآية 22] أي نحن فوجان متخاصمان ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [الآية 22] منا على فرض المسألة لأنهم كانوا / ملائكة وقصدوا التعريض به في قضية ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [الآية 22] ولا تبعد عن الصدق ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [الآية 22] أي وسطه وهو العدل بالرفق. 89/ ب

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ [الآية 23] في الديانة أو الصحبة ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الآية 23] وهي الأنثى من الضأن وقد كنّى بها عن المرأة والتلويح أبلغ من التصريح وهذا تصوير للمسألة كما يقال: لي أربعون شاة ولهذا أربعون فخلطناهما وحال الحال عليهما فكم يجب فيهما ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [الآية 23] ملكنيها أو اجعلها كفلي أي نصيبي أو أنزل عنها حتى أكفلها ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [الآية 23] وغلبني في مخاطبته إياي في هذا الباب.

﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ﴾ [الآية 24] أي صاحبك في علاجه ﴿بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [الآية 24] قال ذلك بعد اعتراف الآخر أو على تقدير صدق المدعي لما قرر فضحك أحدهما في وجه صاحبه وصعد السماء من عنده فعلم أنه تنبيه في حقه وعتاب من ربه ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ [الآية 24] الشركاء الذين خلطوا أموالهم ﴿لَيَبۡغِي﴾ [الآية 24] ليتعدى ﴿بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [الآية 24] في عامة أحوالهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [الآية 24] أي وهم قليل في غاية القلة وما مزيدة للمبالغة ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ [الآية 24] أي استيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [الآية 24] ابتليناه بالمعصية أو بالفتنة الموعودة أو امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه لها أم لا ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [الآية 24] أي فطلب مغفرة ربه لما صدر عنه من ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ [الآية 24] ساجداً على تسمية السجود ركوعاً بالتوسعة أو خاشعاً متضرعاً بهيئة السكينة ﴿وَأَنَابَ﴾ [الآية 24] ورجع إلى الله بالتوبة وحسن الإنابة.

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ [الآية 25] أي ما استغفر عنه هنالك ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾

[الآية 25] أي لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾ [الآية 25] مرجع في الجنة وعند صلى الله عليه وسلم السجدة التي في صاد سجدها داوود توبة ونحن نسجدها شكراً.

قال سهل: الإنابة هي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر مع انكسار القلب وانتظار المقت.

وقال أبو عثمان الإنابة أجل من التوبة لأن التائب يرجع ببعضه فيسمى تائباً ولا يسمى منيباً إلا من رجع إلى ربه بالكلية.

وقال القاسم: إنابة العبد أن يرجع إلى ربه بنفسه وقلبه وروحه فإنابة
90/ أ النفس أن يشغلها بخدمته / وطاعته وإنابة القلب أن يخليه مما سواه وإنابة الروح دوام حضوره حتى لا يذكر غيره.

وقال أبو سعيد الخراز: زلّات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات ألا ترى إلى قصة داوود حين أحس تأويل أمره كيف استغفر وتضرع في دهره فأخبر الله تعالى بما ناله في حال ظنه من الزلفى فقال: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [الآية 24] فتضرع ورجع وكان له بذلك عندنا زلفى وحسن مآب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أرسل إلى داوود عليه السلام ملكين على صورة رجلين فتحاكما إليه تنبيهاً له على ما كان منه من تزوجه بامرأة أوريا وكان تركه أولى وهذا على طريق من رأى تنزيه الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب ومن جوز عليهم الصغائر قال: كان هذا من جملتها ثم قيل: لم يكن أوريا تزوج بها بعد وكان خطبها فأجابته في التزويج به فخطب داوود على خطبته وقيل: بل أرسل أوريا إلى قتال الأعداء فقيل: فتزوج بها وقيل: بل كانت امرأته فسأله أن ينزل عنها فنزل بأمره فتزوجها قلت: وكذا نقله محيي السنة عن ابن مسعود ولعله كان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى عندهم.

ثم قال الأستاذ: وكان داوود عليه السلام قال: يا رب أني لأجد في

التوراة أنك أعطيت الأنبياء الرتب العالية في الاجتباء فأعطنيها فقال: إنهم صبروا فيما ابتليتهم به فوعد داوود من نفسه الصبر إذا ابتلاه طمعاً في نيل تلك الدرجات فأخبر الله أنه يبتليه يوم كذا فجعل داوود ذلك اليوم يوم عبادة وخلا في بيت وأمر حرسه أن لا يؤذن أحد في الدخول عليه وكانوا ثلاثين ألف رجل وأغلق على نفسه الباب وأخذ يصلي زماناً ويقرأ التوراة زماناً لكن لم يمكنه غلق باب السماء فلم يدفعوا عنه حكم القضاء ولقد قال الحكماء: الهارب مما هو كائن في كف الطالب يتقلب ثم أنه كان في البيت كوة يدخل منها الضوء فدخل منها طير صغير من الذهب ووقع قريباً منه وكان لداوود ابن صغير فهم أن يأخذه ليدفعه إلى ابنه فتباعد عنه.

90/ ب وجاء في التفاسير إنه كان إبليس/ تصور له في صورة طير فتبعه داوود فلم يزل يتباعد قليلاً قليلاً وداوود يتبعه حتى خرج من الكوة فنظر داوود في أثر توقع بصره على امرأة أوريا وهي تنتقل متجردة فعاد إلى قلبه منها شيء فكان هذا السبب.

وقد جاء في التفسير أنه سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود إلا للمكتوبة عليه ويبكي حتى نبت العشب من دموعه ولم يأكل ولم يشرب في تلك المدة حتى أوحى الله إليه بالمغفرة فقال: يا رب كيف بحديث الخصم فقال: إني استوهبك منه وقيل: كان لا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدموعه ويقال: لما التجأ داوود عليه السلام في أوائل البلاء إلى التوبة والبكاء والتضرع واللجأ وجد المغفرة والتجاوز عن العناء وهكذا من رجع في أول الشدائد إلى الله فالله يكفيه ما ينوبه ومن صبر إلى حين من المدة طال عليه المحنة ويقال: إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك ويدنيك أجدى لك من طاعة إعجابك بها يبعدك عن ربك ويقصيك انتهى وفي معناه ما قاله ابن عطاء: معصية أورثت ذلاً واستغفاراً خير من طاعة أوجبت عزاً واستكباراً.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 26] استخلفناك على الملك فيها أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق المتعلق بها وبغيرها

وقيل: حاكماً من قبلي على أهلها ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 26] بحكم الهدي ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [الآية 26] ما تهوي النفس وتتمنى من الردى ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق قرب المولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ [الآية 26] بأنفسهم أو يضلون غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق الصواب ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 26] بسبب نسيانهم عن سبيل المولى فإن تذكره يقتضي ملازمة الهدى ومخالفة الهوى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾ [الآية 27] خلقاً باطلاً لا حكمة فيه أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 27] أي خلقها باطلاً ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ [الآية 27] أي مظنونهم جهلاً ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 27] بسبب هذا الظن الباطل الذي ليس تحته الطائل.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 28] في الدنيا والعقبى ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 28] من الكفار ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 28] أي الأبرار من المؤمنين ﴿كَٱلْفُجَّارِ﴾ [الآية 28] من المجرمين.

91/أ وقد أخرج أبو يعلى / عن أبي ذر مرفوعاً كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار(1).

وفي الآية دلالة على صحة الحشر والإعادة فإن التفاضل بينهما لا بد منه عقلاً ونقلاً وهو أما أن يكون في الدنيا والغالب فيها أن غير المؤمن أحسن حالاً وأكثر مالاً ومنالاً بحسب الظاهر أو في غيرها وذلك يستدعي أن يكون لهم داراً أخرى يجازون فيها.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 29] أي مكتوب عظيم ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [الآية 29] مقام كريم ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] ليتدبروا آياته ويتفكروا فيها فيعرفوا حسن مبانيها وصحة معانيها فيعلموا بمقتضى أوامرها ونواهيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 29] وليتعظ ذو العقول السليمة بمواعظه القويمة.

(1) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (9/ 173) رقم (3224).

أخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] قال: إنما تدبر آياته اتباعه بعمله.

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ [الآية 30] أي ابنه ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ﴾ [الآية 30] أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 30] رجاع إلى الله بالتوبة والأوبة أو بالصبر في المحنة وبالشكر في النعمة. وسئل جنيد: من العبد؟ قال: الذي يكون مطروحاً عند سيده كالميت بين يدي غاسله لا يكون له تدبير ولا حركة.

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 31] أي على سليمان ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ [الآية 31] بعد الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ [الآية 31] الخيل التي تقوم على ثلاثة قوائم وتنثني في وقوفها طرف سنبك يد أو رجل واحدة وهو في الخيل من الصفات المحمودة ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ [الآية 31] جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل: جمع جيد أصله جيود فخفف روي أنه عليه السلام غزا دمشق فأصاب ألف فرس فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وعقل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها وذبحها تقرباً إلى الله سبحانه وقيل: وضع عليها الكي فسبلها ووهبها لمن طلبها فعوضه الربح بدلاً عنها فمن ترك شيئاً لله لم يخسر على الله.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 32] أي الخيل التي شغلته ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [الآية 32] أي غربت الشمس بإضمارها من غير سبق ذكرها لدلالة العشي عليها.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ [الآية 33] أي الصافنات ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا﴾ [الآية 33] فأخذ وشرع يمسح السيف مسحاً ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [الآية 33] بسوقها وأعناقها / يقطعها وقد 91/ ب
أبعد من رد ضمير ردوها إلى الشمس فإن المخاطبين لم يقدروا على ردها.

وفي «**تفسير السلمي**» قال أبو سعيد القرشي: من غار لله وتحرك له فإن الله تعالى شكره ألا ترى سليمان لما أشغله الأفراس عن الصلاة ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [الآية 32] قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ [الآية 33] قيل: إنه كان عشرون ألف فرس منقش ذوات أجنحة أخرجهم الشياطين من البحر

فشكر الله سعيه بتسخير الريح، أبدله مركباً أهنأ منها وأنعم والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [الآية 34] أظهر ما قيل في فتنته وامتحانه وبليته ما روي مرفوعاً أنه قال: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فرساناً[1].

قال الأستاذ: فاستغفر من ترك الاستثناء وكان ذلك ترك ما هو الأولى فوقع في الابتلاء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾ [الآية 35] لا يتسهل ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [الآية 35] ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [الآية 35] المعطي ما تشاء لمن تشاء.

قال ابن عطاء: أي مكني من مخالفة نفسي حتى لا أوافقها بحال من أحوالي وقيل: هب لي المعرفة بك لا أرى معك غيرك ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا.

وقال سهل: ألهم الله سليمان أن يسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليقصم به الجبابرة والكفرة الذين يخالفون ربهم ويدعون لأنفسهم قدرة وقوة من الجن والإنس فوقع السؤال من سليمان على ما اختيار الله له لا على اختياره لنفسه.

وقال جنيد: أي هب لي ملكاً على نفسي فإني إن ملكت الدنيا ولم أملك نفس أكون عاجزاً في ملكي.

وقال ابن عطاء: لما سأل سليمان من الله الملك وسخر له الريح أعلمه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3424) ومسلم في الصحيح (1654/ 25) والبيهقي في السنن الكبرى (4480) رقم (19694)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 108) رقم (1532).

بذلك إن ما سواه ربح لا بقاء له ولا دوام معه.

وقال محمد بن علي في قوله: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي هو أنه لا يشغله عن ربه شيء مما آتاه من الملك فتكون / حجة على من بعده 92/ أ من الملوك وأبناء الدنيا.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 36] فذللناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ [الآية 36] لينة على وفق إرادته ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [الآية 36] أي أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب.

﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية 37] بدل منه ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ [الآية 38] عطف على الريح كل ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [الآية 37] أي وجماعة مردة ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ [الآية 38] قرن بعضهم مع بعض ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [الآية 38] في القيود والسلاسل ليكفوا عن الشر والرذائل.

﴿هَـٰذَا﴾ [الآية 39] أي الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط بالغلبة في السلطنة ﴿عَطَآؤُنَا﴾ [الآية 39] لك ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [الآية 39] فاعط من شئت وامنع من شئت، فأو للتنويع ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 39] غير محاسب على منه ومنعه لتقويض التصرف فيه إلى أمره والمعنى أنه عطاء من غير إمكان حصره.

وقال ابن عطاء: امنن على من أردت بعطائنا فإنا لا نمن عليك بذلك وإنما نمن عليك بالهداية إلينا والمعرفة لنا قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحُجرَات: 17].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [الآية 40] لقربى في العقبى مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 40] هو الجنة المأوى.

وأفاد الأستاذ: أن المشي في الهوى للأولياء في الجملة وقطع المسافات البعيدة في مدة يسيرة مما يعلم وجوده قطعاً في هذه الأمة إن لم يعلم للأفراد والآحاد على تعيين القضية وإظهاره على خدم خير البرية يدل على أن مقامه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أشرف المقامات وألطف الحالات.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] أي ابن عموص ابن رعويل بن عيص ابن إسحاق ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 41] بدل من عبدنا، وأيوب عطف بيان له ﴿أَنِّي﴾ [الآية 41] بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ [الآية 41] بتعب ﴿وَعَذَابٍ﴾ [الآية 41] ألم ووصب.

والإسناد إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الآية 41] أما لأن الله مسبب ببليته لما فعله أيوب بوسوسته كما قيل: إنه أعجب بكثرة ماله وسعة حاله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه لاشتغاله أو لسؤاله امتحاناً لصبره في مقام كماله فيكون اعترافاً بذنبه وتقصيره في مآله أو مراعاة للأدب مع الرب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه في داره وثم أخرجه من دياره أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه / وبليته من عظم بلاء الله والقنوط من رحمته ويغريه على الجزع من حالته 92/ب
قيل: فبلغ أمره ووصل ضرّه إلى أن لم يبق منه عضو سالم إلا قلبه ولسانه ويروي أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسياً إلا ومعي جائع أو عريان فكشف الله سبحانه وتعالى عنه بقوله:

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ [الآية 42] أي اضرب برجلك الأرض ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [الآية 42] أي فضربها فنبعت عين بها فقيل: هذا الماء مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك ويعود إليك جمالك وكمالك قيل: لبث في البلية أربعين سنة وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ﴾ [الآية 43] بأن جمعناهم بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [الآية 43].

وقال الأستاذ: رد الله عليه ماله ومثله وأحيى أولاده وأهله ﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [الآية 43] ورحمتنا عليه ونعمتنا لديه ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 43] وتذكرة وموعظة لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ [الآية 44] حزمة صغيرة من حشيش ونحوه ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [الآية 44] بتركه روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل: رحمة بنت

أفرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برأ أن يضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الشريعة إذا قال: مائة جلدة أو مائة عصاة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ [الآية 44] فيما أصابه من شدة الحال في النفس والأهل والمال ولا يخل به شكواه من الشيطان إلى مولاه فإنه لا يسمى جزعاً في البلاء كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال: ذلك خشية أن يفتنه أو قومه فيما لا يرضي ربه ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ [الآية 44] أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [الآية 44] مقبل بكليته إلى الله في جملة بلواه.

قال ابن عطاء: صابراً أي واقفاً مع الرب بحسن الأدب لا يؤثر عليه دوام النعم وتمام المنن ولا يزعجه تواتر البلاء وتابع المحن لمشاهدة المنعم والمبلي ونعم العبد لم يشغله مالنا عنا وقيل: الصبر الفناء في البلوى بلا إظهار الشكوى.

93/ أ وقال القاسم: محنة / الأنبياء تقريب تهذيب وترتيب وكشف عن ظهور ما لهم للعوام لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ [الآية 44] عبد عرف أن لا رجوع له إلى مولاه فرجع إليه إنه أواب أي راجع إلينا في السراء والضراء مما ابتلينا.

وقال جعفر: لم يستعذب البلاء من لم ير البلاء من العطاء نعم العبد سره بلاؤنا كما سره عطاؤنا.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر أن لا يعترض على التقدير أقول ولعله أراد قل ما يراد به في التعبير كما عبر عن كماله بقوله. ويقال: التلذذ بالبلاء واستعذابه دون استصعابه، ولم ينف قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: الآية 83] اسم الصبر عنه لأنه لم يكن على وجه الشكوى منه ولأنه مرة واحدة والحكم للغلبة.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير: عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو على إنه إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وإسحاق ويعقوب عطف عليه لكونهما تابعين لديه ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾

[الآية 45] أصحاب القوة في الطاعة وأرباب البصيرة في المعرفة أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الجزيلة وفيه تفريض بالبطلة الجهلة.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ [الآية 46] جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة هي تذكرهم للآخرة بوصف المداومة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار التي عليها المدار وإنما الدنيا معبر في نظر النظار من أهل الاعتبار وأصناف نافع وهشام بخالصة إلى ذكره للبيان.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ [الآية 47] لمن المجتبين من أمثالهم المختارين في أحوالهم.

قال الواسطي: إنا خلصناهم بخالصة لم يبق معها ذكر الدار وهو الكونين وما فيهما.

وقال أبو يعقوب السوسي: لما قال أخلصناهم بخالصة صفت قلوبهم بذكره عند ذلك ووقت أرواحهم له بإرادته هنالك فهم في مكشوف ما تقدم لهم في الغيب سبقت لهم منه الحسنى فصاروا بدرجة المخلصين.

وقال جنيد: الإخلاص ما أريد الله به من أي عمل كان.

وقال سهل: الإخلاص التبري مما سواه وقيل: أخلصناهم بخالصة أي أبقينا عليهم في أعقابهم حسن الثناء لديهم.

وقال الأستاذ: أي تفضيله خالصة وهي ذكرى الدار ذكر الجنة والنار بدعاء/ الناس إليها والهرب منها ويقال: بسلامة قلب من ذكرى الدار أي لم يعملوا على ملاحظة جزاء ويقال: تجردوا لنا بقلوبهم عن ذكرى الدارين. 93/ب

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ [الآية 48] أفرده بالذكر لشرفه وكونه جداً لأشرف الأنبياء في مقام لطفه ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ [الآية 48] استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ وقرأ حمزة والكسائي واللّيسع بتشديد اللام وسكون الياء ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ [الآية 48] ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ووجه نعته فقيل: فر إليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل: تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة.

وأفاد الأستاذ: أن اليسع وذا الكفل أخوان ﴿وَكُلٌّ﴾ [الآية 48] أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [الآية 48] أي أخيار الأبرار.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 49] أي هذا القرآن ﴿ذِكۡرٌ﴾ [الآية 49] أي فيه ذكر ما كان وما يكون ويقال: أنه شرف لك لأنه معجزة تدل على صدقك أو هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم ثم بين ما أعد لهم ولأمثالهم بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [الآية 49] مرجع أو انقلاب وبيانه.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ [الآية 50] بساتين إقامة حال كونها ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [الآية 50].

قال الأستاذ: أي إذا جاؤوها لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان أن بالباب بل تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والإرحاب.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ [الآية 51] على أرائكهم في حجالهم بأنعم أحوالهم ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ﴾ [الآية 51] ما يتفله به ويتلذذ بسببه ﴿كَثِيرَةٖ﴾ [الآية 51] أي لا يسيرة ولا عسيرة ﴿وَشَرَابٖ﴾ [الآية 51] على ما يشتهون من كل باب.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ [الآية 52] من الحور العين وغيرهن لا ينظرون إلى سوى أزواجهن ﴿أَتۡرَابٌ﴾ [الآية 52] لذات أتراب مستويات في الأسنان فإن النجائب أثبت بين الأقران أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية منهن كلهن في سن ثلاث وثلاثين على ما ورد في حقهن.

وأفاد الأستاذ: أنهن مستويات في الحسن والجمال والشكل والدلال.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية 53] وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالغيبة ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الآية 53] لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [الآية 54] أي ليس له انقطاع ولا انتهاء في الدنيا ولا في العقبى.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 55] أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا أو هذا المعد للمتقين ﴿وَإِنَّ/ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ [الآية 55] شر مرجع ومنقلب. 94/ أ

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 56] بدل منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الآية 56] حال أو استئناف يدخلونها ويعذبون بها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية 56] ما مهد لهم وأعد لأجلهم وهو جهنم لقوله: لهم من جهنم مهاد.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 57] العذاب أو العذاب هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [الآية 57] هو الماء الحار ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [الآية 57] ما يسيل من صديد أهل النار وقيل: المراد به الزمهرير وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين وآخر أي مذوق آخر أو عذاب آخر وقرأ أبو عمرو وآخر أي ومذوقات أو عقوبات.

﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ﴾ [الآية 58] من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 25] أجناس وأصناف.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ [الآية 59] فقال للمتبوعين: هؤلاء قوم من التابعين مقتحمون معكم النار وتابعون لكم في قرار دار البوار ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ [الآية 59] دعا من المتبوعين على التابعين أي ما أتوا رحباً وسعة بل حضروا ضيقاً وشدة ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [الآية 59] داخلوها مع أثقال الأوزار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 60] أي الأتباع للرؤساء ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ [الآية 60] بل أنتم أحق بما قلتم منا ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ [الآية 60] أي العذاب ﴿لَنَا﴾ [الآية 60] بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمناه من الأحوال الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [الآية 60] في دار البوار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 61] أي الأتباع أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الآية 61] مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾ [الآية 61].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 62] أي الطاغون وهم الأتباع والمتبوعون من الكفار بعد دخولهم النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ [الآية 62] يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [الآية 63] صفة مستأنفة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لهم على أنفسهم وملامة لها في

الاستسخار بهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخرنا بالضم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الآية 63] أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم في النار وأم معادلة لما لنا لا نرى أن المراد ففي رويتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أغابوا عنها أم زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم هنا أو منقطعة والقصد الدلالة على أن سبب استرذالهم واستحقارهم زيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالاً الفقراء وانكسارهم وذلك مثل فعل أبي جهل وإضرابه في حق مثل بلال وأصحابه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] أي الذي حكينا/ عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ [الآية 64] خبر صدق لا بدّ أن يتكلموا هنالك ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 64] فيما بينهم عند ظهور البوار بدل من حق أو خبر محذوف تقديره: هو. 94/ ب

﴿قُلْ﴾ [الآية 65] يا محمد للكفار ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [الآية 65] مخوف لكم من العذاب إن كفرتم ومبشر لكم بالثواب إن آمنتم ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ [الآية 65] الذي لا يغبك في ذاته الكثرة والشركة ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ [الآية 65] الموصوف بالقدرة والغلبة.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 66] منه خلقاً وإليه أمرها ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 66] البديع في أفعاله على وفق مراده ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الآية 66] لذنوب المؤمنين من عباده وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد في الدين وتحرير بالوعد والوعيد للموحدين والمشركين.

﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 67] أي ما أنبأتكم من أني نذير بين يدي الساعة أو هو بمعنى هذا والمراد به ما بعده من نبأ آدم والملائكة ﴿نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [الآية 67].

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الآية 68] لقلة معرفتكم وكثرة غفلتكم.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ [الآية 69] أي ولا بكلامهم ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 69] في قضية آدم وغيره من مرامهم.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 70] أي ما أوحي إلي إلا الإنذار لأنه المقصود الأهم بالنسبة إلى كثرة الكفار وقلة الأبرار على أن النذارة والبشارة

متلازمان في باب الرسالة وقد يكتفي بأحدهما عن الأخرى بحسب الدلالة أو التقدير لأنها والمعنى ليس يوحي إلي إلا لأني نذير مبين للبشارة.

وأفاد الأستاذ: أن الملأ الأعلى قوم من الملائكة في السماء العليا واختصاصهم كما ورد في الخبرية أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا أدري فقال جبريل: في الكفارة والدرجات من إسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وإنما اختلفوا في بيان كيفية المثوبة وكمية الفضيلة فيجتهدون ويقولون أيتهن أفضل وأيتهن أكمل وقيل: المراد بذلك الاختصام ما وقع لهم في شأن آدم عليه السلام حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١﴾ [الآية 71] لا سيما على
95/ أ القول بأنه بدل من إذ / يختصمون.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ [الآية 72] عدلت صورته وكملت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الآية 72] وأحييته بنفخ الروح في بنيته وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته.

وقال ابن عطاء: أي روحت سره المكنون بما يكون به الروحانيون ﴿فَقَعُواْ﴾ [الآية 72] فخروا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 72] تكريماً وتعظيماً له نحو تبجيل الكعبة في كون المراد به القبلة فإنه لا يعبد الله ولا يسجد لسواه.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 73].

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 74] استثناء متصل أو منفصل ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ [الآية 74] تعظم وتكبر ﴿وَكَانَ﴾ [الآية 74] وصار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 74] باستكباره أمر الله إياه أو كان منهم في علم الله.

وأفاد الأستاذ: أن أخباره سبحانه كان للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم هنالك لأنه تعالى خلق ما خلق من الكونين والجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة وغيرهما ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة آدم

هنا ولم يأمر بالسجود، لأحد ولا لشيء من خلقه إلا لآدم وسبحان الله خلق أعز خلقه من أقل شيء وأخسّه وهو التراب والطين ثم روح آدم وإن كانت مخلوقة فلها شرف على سائر الأرواح لإفرادها بالذكر فلما سوى خلق آدم وركب فيه الروح الأعظم جلله بأنوار الخصوصية فوقعت هيبته على الملائكة فسجدوا لأمره وظهر لإبليس الشقاوة ووقع بامتناعه في اللعنة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ [الآية 75] أي من سجودك ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [الآية 75] بعد وجودك بنفسي من غير الواسطة والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة أو اختلاف الصنعة حسب اختلاف الصفة المستدعية للهيبة والعظمة والحاصل أن في التنبيه إشارة إلى أنه جعل مظهر الكمال بظهور صفتي الجلال والجمال بخلاف سائر المخلوقات على اختلاف الأحوال فإن منهم من جعل مظهر الجمال فقط بدوام الطاعة بالملائكة المقربين ومنهم من خلق مظهر الجلال فحسب باستمرار الضلال كالشياطين ومنهم من لا يصلح لشيء من ذلك بل لحكم أخرى يقتضي هنالك ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ [الآية 75] الآن ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [الآية 75] المستكبرين في مضي الزمان أو تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق باتفاق.

95/ب ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الآية 76] إظهار لمانع لديه وقوله ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ/ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الآية 76] دليل عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه من هنا وقع الغلط له حيث توهم أن الفضيلة من حيث البنية والجوهرة ولم يعلم أن التفضل من حيث اللبسة دون الخلقة ويقال: ما أودع عند آدم لم يوجد عند غيره فيه ظهرت الخصوصية.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ [الآية 78] من الجنة والسماء والصورة الملكية ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [الآية 78] مطرود من الرحمة ومبعود من الكرامة.

وقال الأستاذ: مرمي باللعن وبالشهب من السماء وبالرجوم والشهب من قلوب الأولياء أن تعرضت لها بشيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [الآية 78] أي مستمرة وإنما غياه إلى

يوم القيامة فإنه يشاهد عقوبة في تلك الحالة تنسيه اللعنة فكأنها حينئذ منقطعة أو المراد باللعنة المغياة المجردة عن العقوبة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 79] أي أمهلني في العقوبة إلى يوم القيامة ولو وفق للطاعة لقال: انظرني إلى يوم الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه من كمال شقاوته جرى هذا على لسانه وتعلق به إرادته بسؤال أنظاره ليزداد إلى يوم القيامة في سبب عقوبته فانظره الله وأجابه لدعوته لأنه بلسانه سأل تمام شقاوته.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠﴾ المهملين في سؤالك الموهوم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الآيتان 80،81] وهي النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [الآية 82] فبسلطانك وقهرك وعلو شأنك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 82] أي آدم وذريته أصالة والجن تبعية ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 83] الذي أخلصهم الله لطاعته بعصمته أو أخلصوا أحوالهم وأعمالهم بتوفيق الله ورحمته قيل المخلص الذي يكون سره بحيث لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده.

وأفاد الأستاذ: أنه لو عرف حقيقة عزته لما أقسم به على مخالفته ويقال: تحاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على المخالفة وأقسم عليه للمبالغة أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود ولآدم وترك الطاعة.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ [الآية 84] أي فأحق الحق أو أقول الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ [الآية 85] أي من ذاتك أو جنسك في صفاتك لتناوله الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي من الإنس والجن ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 85]
96/أ وهو جواب القسم المقدر والجملة تفسير للحق المقول المقرر / وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق قسمي أو على الخبر أي فأنا الحق.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 86] أي على التبليغ بالرسالة من

أجرة ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [الآية 86] المتصنعين بما لست من أهله فأنتحل النبوة وأتقوَّل القراءة.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 87] ما القرآن إلا موعظة للعالمين وهداية للمؤمنين وحجة على الكافرين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ [الآية 88] صدق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [الآية 88] وقت الموت وحين الغرغرة أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام والغلبة.

سورة الزمر

[مكيّة]

وهي خمس وسبعون(1) آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب شفاءها وللأرواح ضياءها وللأسرار علاءها وبالحق بقاءها.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 1] أي نزله كله أو بعضه مبتدأ خبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] فيما يفعل بعباده.

وقال الأستاذ: هذا كتاب عزيز نزل من رب العالمين عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن قوم عزيز بأمر عزيز:

ورد الرسول من الحبيب الأول بعد التلاقي بعد طول تنزل

نزهة قلوب الأحباب بعد ذبول غصن سرورها في كتب الأحباب عند قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهق سروراً بوصولها وارتياحاً بحصولها ويقال: كتاب العزيز عزيز. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ [الآية 2] إليك ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 2] ملتبساً بالحق أو بسبب إثبات الحق ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 2] محضاً له الطاعة من الشرك والرياء والسمعة. ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الآية 3] أي تنبهوا أنه هو الذي وجب اختصاصه بخلوص العبودية فإنه المنفرد بصفات الألوهية ونعوت الربوبية.

---

(1) ذكرت في الأصل المخطوط اثنتان وسبعون آية وأثبتت هنا حسب المصحف.

وأفاد الأستاذ: أن العبادة معانقة الأمر على غاية من الخضوع والمذلة ويكون بالنفس وبالقلب وبالروح فالتي بالنفس الإخلاص فيها التباعد عن الانتقاص والتي بالقلب الإخلاص فيها العمى عن رؤية الأشخاص والتي بالروح فالإخلاص فيها التنقي عن طلب الاختصاص. ثم الدين الخالص ما يكون جملته لله وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد لا قريب اللهم
إلا أن يكون ما يسره فإنه إذا أمر العبد/ أن يحتسب الأجر على طاعته فإطاعته 96/ ب
لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ولولا هذا المخلص لما صح أن يكون في العالم مخلص ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 3] من غير الله آلهة يعبدونها قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الآية 3] قربى في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 3] من أمر الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل نار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يقولوا هذا من قبل الله ولا بأمره ولا بإذنه وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم فرد الله عليهم وفي هذا إشارة إلى أن ما يفعله العبد من القرب بنشاطة نفسه من غير أن يقتضيه حكم وقته وما يعقد بين وبين الله من عقود ثم لا يفي بها ولا يقوم بحقها فكل ذلك أتباع نفس وهوى لها قال تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: الآية 27]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ [الآية 3] إلى طريق الأبرار ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الآية 3] من طبع على الكذب والكفر من طوائف الفجار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يهديهم اليوم لدينه ولا في الآخرة إلى ثوابه وإشارة إلى تهديد حتى يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئاً ليس بصادق في مرامه فالله لا يهدي قط إلى ما فيه طريق سداده ورشده وعقوبته أنه يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده وذوقه.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية 4] كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 4] أي لاختيار ما يشاء من مخلوقاته من غير نحو عيسى وملائكته وما شابه سائر كائناته وفيه تنبيه أنه لا يتصور موجود سواه ألا وهو مخلوقه على

وصف قدره وقضاه وفيه إيماء إلى عدم تناهي قدرته وإمكان زيادة إرادته فقول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان محتاج إلى تأويل في عبارته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ [الآية 4] أي تنزيهاً له من اتخاذ الولد فضلاً عن تحققه المنافي لوحدته وقهاريته بغلبته وعزته واستغنائه عن غيره ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الآية 4] فإن الألوهية
97/ أ الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تناهي المماثلة المعتبرة/ في الوالدية والولدية مع ما فيهما من لوازم عوارض الحدوثية المعارضة للقديمية الأزلية.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية 5] أي محقاً لا عابثاً أو بسبب ظهور الحق وزهوق الباطل ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الآية 5] يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس في الجملة أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة ولعل الإشارة فيها إلى اختلاف الأطوار وتفاوت الأدوار وتداول المظاهر في الأسرار والأنوار.

وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي لا تنكر الباطن في طوره فإنه بعض ظهوراته ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ [الآية 5] أي ذللها بقدرته وفق حكمته ﴿كُلّٞ﴾ [الآية 5] منهما ﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ [الآية 5] وهو منتهى دورته أو منقطع حركته ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 5] الغالب على كل شيء بالقدرة ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الآية 5] حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضى فيما تقدم اختلاف أحوال العبد في القبض والبسط والجمع والفرق والأخذ والرد والصحو والسكر ونجوم العقل وأقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليالي الشك والجحد ونهار الوصل وليالي الهجر وكيفية اختلافهما وزيادتهما ونقصانهما ألا هو العزيز المتعزز على المحبين الغفار للمذنبين.

﴿خَلَقَكُم﴾ [الآية 6] أي قدر خلقكم ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [الآية 6] وهي آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا﴾ [الآية 6] من ضلعها الأيسر فيها ﴿زَوۡجَهَا﴾ [الآية 6] حواء

ليسكن إليها فتأملوا المعنى في صنيع الرب من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب بل قيل هو العالم الأكبر وما دونه من المخلوقات هو العالم الأصغر كما يشير إليه فيما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرض ولا سماء ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1] ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ [الآية 6] أي قضى وقسم لكم فإن القسم والقضايا توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح حال الابتداء والانتهاء وقيل: خلقها في الجنة ثم أنزل أصولها ﴿مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الآية 6] ذكراً أو أنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما مر في سورة الأنعام ﴿يَخۡلُقُكُمۡ﴾ [الآية 6]/ باختلاف هيئاتكم ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ 97/ ب
خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ [الآية 6] حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة من بعد عظام عارية من بعد مضغ علق من بعد نطف ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الآية 6] ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 6] الذي هذه أفعاله في خلقتكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [الآية 6] هو المستحق لعبادتكم ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الآية 6] أي ظاهراً وباطناً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 6] إذ لا يشاركه في خلق الأشياء غيره ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الآية 6] فكيف يعدلون عن عبادته إلى الإشراك به.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم حقيقة نسبتهم لئلا يعجبوا بحالهم وصفتهم ويقال بين آثار أفعاله لحكمته في كيفية خلقتك البديعية من قطرتين من نطفة أمشاج متشاكلة الأجزاء مختلفة الصور في الأعضاء مسخراً بعضها لبعض في الأوقات العديدة محالّاً للصفات الحميدة كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من أحوال القلوب وانقلابها وكالسمع والبصر والشم ونحوها ويقال: هذه كلها نعم أنعم الله بها علينا فذكرنا بما هو موجود لدينا إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [الآية 6] يعني الذي أحسن إليكم بجميع هذه الوجوه هو ربكم والمعنى أنا خلقتكم وأنا صورتكم فأحسنت صوركم وأنا رزقتكم وأكثرت رزقكم وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميل إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق جمالي

---

(1) أورده النيسابوري في تفسيره (5/ 223).

وجلالي وهديتكم إلى توحيدي وألزمتكم رعاية حدودي فما لكم لا تنطقون بالكلية إلي ولا ترجون ما وعدتكم لدي ومالكم في الوقت لا تنظرون بقلوبكم إلي.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ [الآية 7] بإظهار كفرانكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ [الآية 7] وعن إيمانكم ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الآية 7] لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الآية 7] لأنه سبب فلاحكم وموجب نجاحكم.

قال سهل: أول الشكر الطاعة وآخره رؤية المنة ثم اعلم أن قوماً استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرضى كفر الكافرين وإن كان يريده فإن الرضى والمحبة معناهما واحد كما أن الإرادة والمشيئة مرادهما متحد ثم بدل القرينتين تغاير ظاهر فهما تعلق به الثواب يقال: فيه إن الله رضيه وأحبه
98/ أ ويقال/ أيضاً إرادة ومشيئة وما تعلق به العقاب ويقال: إن الله تعالى أراد وشاء ولا يقال: أحبه ورضيه بل يقال: كرهه ونهى عنه ومعنى ذلك أنه لا يثيب عليه لأنه يقع قهروا لديه به كسائر مكروهات العباد فإن العبد يقع المكروه عليه قهراً ولو قدر على رفعه رفعه والله سبحانه يتعالى على هذا المعنى وهذا مذهب كثير من السلف ومشرب أكثر الخلف.

قال قتادة: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها وقد شاء وجودها فيمن خلق لها.

وقال ابن عباس والسدي وجماعة: أن الله يرضى الكفر للكافرين كما يرضى الإيمان للمؤمنين.

فالآية من العام الذي أريد به الخصوص أن لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ﴾ [الإسراء: الآية 65] وهو كقوله: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية 6] أي المؤمنون الأبرار وهؤلاء الطائفة لا يفرقون بين الإرادة والمحبة والرضى بالمشيئة يقولون كل ما أراده فقد رضيه ممن أريد منه وإن كان لا يؤمر به ولا يثبت عليه.

وقال الأستاذ: في بيان معنى المراد إن أعرضتم وأبيتم وفي جحود

كفركم تماديتم فما افتقرنا إليكم ونحن أغنياء عنكم ولكني لا أرضى لكم أن تبقوا عني في حال منكم أنت المسكين إن لم أكن لك فمن تكون أنت من الذي يحسن إليك من الذي يقبل عليك من الذي يرحمك من الذي ينثر التراب على جرحك من الذي يهتم بشأنك بمن تسلى إذا أبقيت عني من الذي يبيعك رغيفاً بمثاقيل ذهب عبدي أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي فأنت كيف ترضى أن لا تكون لي يا قليل الوفاء يا كثير الجفاء إن أطعتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرتك وإن خطوت لأجلي خطوة ملأت السماوات والأرضين من شكرك.

لو علمنا أن الزيارة حق لفرشنا الخدود أيضاً لترضى

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية 7] لا تحمل نفس آثمة قل آثمة أخرى بل كل منهما بحملها أولى وأخرى في دنيا وأخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة والمجازاة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 7] فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم ولا غائبة من أحوالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] مقبلاً عليه ومتضرعاً لديه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ [الآية 8] / أعطاه مما تمناه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو 98/ ب
إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] أي الضر الذي كان يدعو الله أي كشفه أو ربه الذي يتضرع في طلب لطفه ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 8] قبل النعمة من الضر والمحنة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الآية 8] أي أشباهاً أو أضداداً ﴿لِّيُضِلَّ﴾ [الآية 8] غيره ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ [الآية 8] عن دين ربه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء واللام لام العاقبة ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية 8] من الزمان أو تمتعنا قليلاً في هذا المكان إنك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية 8] على وجه الخزي والهوان والأمر للتهديد والوعيد الشديد.

قال الواسطي: الخلق مجبورون تحت قسمته مقهورون تحت خلقته ألا ترى إذا ضاقت الصدور واشتدت الأمور كيف يفزع بالإخلاص إلى الملك الغفور.

وقال الأستاذ: إذا مسه ضر خشع وخضع وإلى ربه فزع وتملق بين يديه

وتضرع إليه فإذا زال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح شغله نسي ما كان يدعو إليه من قبل فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه وأشرك بمعبوده وأصر على جحوده أو من كان هذا صفته فسحقاً له وبعداً سوف يلقى حزناً وطرداً.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الآية 9] قائم بوظائف طاعاته ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 9] في ساعاته وأوقاته ولعل الاقتصار على آناء الليل من باب الاكتفاء أو لما يفهم منه غيره بالطريق الأولى أو تنبيهاً على الاستنباه فيه الأحرى والأعلى والمعنى بل أمر من هو قانت في أوقات عبادته كمن هو بضده في حالته. وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم أي أمن هو قانت لله كمن اتّبع هواه وجعل أنداداً لمولاه ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الآية 9] حالان من ضمير قانت ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَٰخِرَةَ﴾ [الآية 9] أي ما يؤدي إلى عذابها أو يخاف العذاب الموعود بها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 9] من دخول جنته وحصول نعمته ووصول رؤيته.

قال ابن عطاء: القانت الذي يجتهد في العبادة فلا يرى ذلك من نفسه بل يرى من فضل الله عليه ولطفه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي ويعلمون ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي يجهلون أو لا يعملون بما يعلمون نفياً لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم بالمزية. / وقيل: المعنى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا 99/ أ
يستوي القانتون والعاصون.

قال رويم: المقامات كلها علم والعلم حجاب أي المقامات كلها معلومات لأصحاب الحالات والعلم حجاب عن شهود الذات بمشاهدة الأفعال والصفات وقد قيل: العلم حجاب نوراني والغفلة حجاب ظلماني ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 9] يتعظ في هذا الباب ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 9] أي دون أرباب الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أنهما لا يستويان هذا في أعلى الفضائل وهذا بأسوأ الرذائل والعلم المخلوق على ضربين مجلوب بكسب العبد وموهوب من قبل

الرب ويقال: موضوع ومصنوع ويقال: علم بيان وعلم برهان، فالعلوم الدينية كلها برهانية إلا ما يحصل بنعت الإلهامية انتهى. وقد قيل: علم مشروع وعلم مطبوع ولا بدّ منهما ولا يستغنى عنهما ومن كان فيه أحدهما فهو في مرتبة القصور ومن أوتيهما، وكان فيه أحدهما فهو نور على نور ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: الآية 40].

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ [الآية 10] بلزوم طاعته ودوام عبادة ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ [الآية 10] بالطاعات ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾ [الآية 10] مثوبة مستحسنة في العقبى والإحسان هو الإتيان بجميع وجوه الإمكان وقيل: في هذه بيان لمكان جنسه أي للذين أحسنوا بالعبادة حسنة في الدنيا وهي الصحة والعافية والقناعة وحسن الخاتمة ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ [الآية 10] فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى متمكنه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [الآية 10] على مشاق الطاعة من احتمال الأحزان ومهاجرة الأوطان ومفارقة الإخوان ﴿أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الآية 10] أجراً لا يهتدي إليه حساب الحسّاب وفي الحديث إنه ينصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل رواه الثعلبي وابن مردويه(1).

99/ ب ﴿قُلۡ/ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ [الآية 11] أي الانقياد في الطاعة على وجه المحبة.

﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الآية 12] أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والعقبى لأن إحراز قصب السبق في الدارين بالإخلاص في الدين.

قال جنيد: الإخلاص إخراج الخلوة من معاملة الحق والنفس أول الخلق.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 60).

وقال الأستاذ: في الخبر أن الله يقول الإخلاص بين الله وبين عبيده ويقال: إن الإخلاص لا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الملكان.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 13] بترك الإخلاص في الدعاء والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 13] لعظمة ما فيه من العناء.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] في جميع أعمالي وسائر أحوالي من القيام بالطاعة والحذر عن المخالفة.

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الآية 15] وهو غاية الوعيد ونهاية التهديد ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 15] أي الكاملين في الخسران وإرادتهم الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 15] بالضلال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 15] بالإضلال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 15] حين يدخلون النار بالسلاسل والأغلال بدل الجنة ونعيم الوصال إلى أزل الأزل ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية 15] أي الظاهر البرهان لأنهم جمعوا وجوه الخسران ووبال الهجران.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك غاية الخسران وهو الخزي والهوان والخاسر على الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما عنه نهي وخسر مولاه فلم نستحي منه فيما رأى.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الآية 16] أطباق منها.

وقال الأستاذ: وأحاط بهم سرادقها فهم لا يخرجون منها ولا يفترون عنها كما أنهم اليوم في جهنم عقائدهم يستديمون حجابهم ولا ينقطع عنهم عتابهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 16] إلى ما ذكر من العذاب ونحوه ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الآية 16] ليستجنبوا طريق خلافه ولو أراده ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الآية 16] فخافوا عقوبتي واتقوا مخالفتي.

وقال الأستاذ: إن خفت اليوم كفيت اليوم وإلا فبين يديك عقبة كؤود أي شاق عليك.

100/أ / ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الآية 17] المبالغ في الطغيان وهو الشيطان ومن يجري مجراه في العصيان ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الآية 17] بدل اشتمال منه أي يطيعوها ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 17] أقبلوا إليه واعتمدوا عليه ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [الآية 17] البشارة الكاملة بالمثوبة الشاملة على ألسنة الرسل في الدنيا أو الملائكة عند حضور الموت وحلول العقبى.

قال سهل: الطاغوت الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المأكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنب الطاغوت من خالف هواه وعانق رضى مولاه فعبادة النفس بموافقة الهوى وقليل من لا بعيد هواه ويجتنب حديث النفس وما يتمناه ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [الآية 17].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [الآية 18] أي الأقوال الحسنة ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الآية 18] يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفاضل فالأفضل من بين محاسن الشمائل ومناقب الفضائل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 18] لدينه وأبواب يقينه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 18] ذوو العقول السليمة عن منازعة الأوهام الذميمة قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عبادته كذا في «**تفسير السلمي**».

وأفاد الأستاذ: أن اللام في قوله القول للعموم يقتضي جنس المقول والاستماع يكون لكل شيء والاتباع يكون للأحسن وفيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى الحسن والثاني أنه للمبالغة والحسن ما كان مأذوناً فيه والأحسن هو الأولى والصواب ويقال: أحسنه ما كان لله دون ما سواه ويقال: الأحسن ذكر الله خالصاً لرضاه ويقال: من عرف الله لا يسمع إلا بالله ويقال: للعبد دواعي باطنه فوساوس الشيطان تدعوا إلى المعاصي وهو أحبس النفس يدعو إلى ثبات الأشياء مما لها فيه نصيب وحظ وخواطر الملك تدعوا إلى الطاعات والقربان وخطاب الحق في حقائق التوحيد ودقائق التفريد ويقال: من أحسن أن يسمع من الله أحسن أن يسمع عباد الله.

100/ ب
﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 19] وثبت له مذلة الحجاب ﴿أَفَأَنتَ/ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 19] أي أتخلصه وتنجيه من العقاب وفيه إيماء إلى أن الأحوال اللاحقة إنما هي على طبق الأقوال السابقة.

وأفاد الأستاذ: إن الذين حقت عليهم كلمة العذاب فريقان فريق حقت عليهم كلمة بعذابهم في النار وأصحاب الحجاب حقت عليهم كلمة العذاب بأنهم اليوم لا يخرجون عن حجاب قلوبهم ولا يكون لهم بهذه الطريقة إيمان وإن كانوا من أهل الإيمان.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الآية 20] علالي بعضها فوق بعضها ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الآية 20] بنيت على أسس قوية سفلية وعلوية بحسب مراتب بهية ومناقب رضية وفيه تنبيه على أن أبنية الجنة حسية لا كما توهم قوم أنها معنوية ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 20] من تحت غرفها أو من تحت تصرف أهلها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] مصدر مؤكد لما سبق من الوعد ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية 20].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعد المطيع بالجنة ولا محالة لا يخلفه ووعد التائبين بالمغفرة ولا محالة يغفر له ووعد المريد القاصد بالوجود والوصول فإذا لم يقنع له فترة فلا محالة يصدق وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية 21] أي مباركاً وطهوراً ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ [الآية 21] أدخله ﴿يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] هي عيون ومجار كائنة فيها ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الآية 21] أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة ونحوهما ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الآية 21] يتم جفافه لأنه إذا تم حال يبوسته حان له أن يثور عن منبته ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 21] من يبسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الآية 21] فتاتاً في تكسره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 21] لتذكر آياته بأنه لا بدّ من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها إلا من اتبع هواه واختار دنياه على آخرته ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 21] إذ لا عبرة بغيرهم في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً ثم يصير شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يصير إلى أرذل العمر ثم آخره يخترم وعن حياته يحترم ويقال: إن الزرع ما لم يأخذ في الجفاف فلا يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه كذلك الإنسان ما لم يجف من نفسه صوله لا يكون له قدر ولا قيمة ويقال: إن المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه إلا أن يبدو منه/ كمال تمكنه من وقادة بصيرته ثم إذا بدأت لائحة من سلطان المعارف 101/ أ
تصير تلك الأنوار مغمورة فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة كذلك قالوا:

فلما استنار الصبح أدرج ضوءه   بأنواره أنوار تلك الكواكب

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 22] من معرفة وهداية كائنة من عناية ربه ورعاية كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة من نفسه من جهالة وغواية، وقد روى الحاكم وغيره عنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله(1).

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 22] أي من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لان القاسي من أجل الشيء أشد تائباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 22] أي أصحاب القسوة وأرباب الغفلة ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 22] ظاهر الضلالة وأوضح الجهالة.

قال الحسين: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان فإن بالنعمة يشكر وبالشدة يذكر.

وقال يحيى بن معاذ: قسوة القلب من اتباع الهوى ومخالفة الهدى.

وأفاد الأستاذ: أن النور الذي من قبله سبحانه اللوائح بنجوم العلم ثم

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (2/ 489) رقم (983)، وفي القضاء والقدر (1/ 353) رقم (334).

نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد وعند ذلك فلا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد، كلا بل هو الله الواحد القهار، يعني ويظهر حينئذ معنى قول من قال ليس في الدار غيره ديار.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الآية 23] أي ما يحدث به ويشرح صدر العبد بسببه وهو القرآن العظيم والفرقان الكريم ﴿كِتَٰبٗا﴾ [الآية 23] جامعاً للمعاني ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الآية 23] في المباني ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الآية 23] مثنياً فيه أحوال الداني والقاصي والمطيع والعاصي أو مشتملاً على نوعي الثناء بذكر سلطانه وإحسانه وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد للأبرار والفجار ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الآية 23] تضطرب/ وترتعد خوفاً مما فيه من الوعيد بالعقوبة 101/ ب
﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ﴾ [الآية 23] أي تستكن وتطمئن ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 23] في وعده بالرحمة وعموم المغفرة.

وقال الأستاذ: تقشعر وتلين بالخوف والرجاء ويقال: بالقبض والبسط ويقال: بالهيبة والإنس ويقال: بالتجلي والاستتار أقول وقد يقال: بالفناء والبقاء ويقال: بالمحو والصحو ويقال: بالسكر والشكر ويقال: بالفرق والجمع ويقال: بالغفلة والخصور ويقال: بالشعور والغيبة ونحو ذلك مما يصح أن يقال هنالك:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 23] أي الكتاب المعروف أو الحال الموصوف ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 23] هدايته ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] أي ومن يخذله ويشأ ضلالته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الآية 23] يخرجه من غوايته في بدايته أو نهايته.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الآية 24] يجعله درقه لأنه يقي به نفسه حيث يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من مقاربة العقوبة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 24] في

ذلك الحين ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 24] أي سوء وباله وقبح حاله.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الآية 25] من الجهة التي لا تخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها في حالهم.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ [الآية 26] الذل والمهانة بغتة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 26] خزياً وأكثر حزناً لشدته ودوام مدته ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] ذلك لاعتبروا بما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العذاب ما يكون بغتة كما أن أتم السرور ما يكون فلتة ومن الهجران والفراق ما يكون فجأة غير متوقعة وهو أنكره للفؤاد وأشده في التأثير وأوجعه للقلب وفي معناه قلنا:

فبتنا بخير والدنى مطمئنة ... وأصبحت يوماً والزمان تقلبا

وأتم السرور وأعظمه تأثيراً في الصدور ما يكون فجأة حتى قال قائلهم: أشد السرور قفلة على غفلة، أي رجعة في حال جذبة ومنه فقولهم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، وفي معناه أنشدوا:

بينها خاطر المنى بالتلاقي ... سائح في فؤاده وفؤادي

جمع الله بيننا / فالتقينا ... هكذا بغتة بلا ميعاد[1] 102/ أ

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 27] بينا لهم ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 27] يحتاج إليه الناظر في أمر دينه وتحقيق يقينه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27] يتعظون به ويتفكرون في مصدره ومورده وينتفعون بما هو المقصود من ذكره.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 28] منصوب على المدح أي مقرؤاً غريب المعاني عربي المباني ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الآية 28] لا اختلال في مبانيه ولا اختلاف في معانيه ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 28] لكي يتقوا ما ينافيه ويتبعوا ما فيه من أوامره

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 2) و(7/ 31).

ونواهيه قال ابن أنس في قوله: غير ذي عوج أي غير مخلوق كذا في «تفسير السلمي». ولعله أشار إلى مضمون قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية 82] وهذا ما وجد أحد فيه اختلافاً يسيراً فدل على أنه من عنده وإنه كلامه لا كلام غيره لأن المخلوق من حيث هو لم يخلو من نقص في وصفه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي بين مثلاً للمشرك والموحد وأبدل منه ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ [الآية 29] متخالفون متنازعون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الآية 29] مثل المشرك على ما تقتضيه طريقته من أن يدعي كل واحد من معبودية عبوديته بعبد تشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتناوبون في خدمته على وفق مهامهم المختلفة في تحيره وتشتت فكره وتوزع أمره وتضييق صدره ومثل الموحد بمن خلص لواحد في ملازمته ليس لغيره عليه سبيل في مطالبته وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلماً بفتحتين وهو مصدر نعت به مبالغة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 29] أي الرجلان أو المثلان ﴿مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي صفة وحالاً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 29] لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات على ما عداه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 29] فيشركون غيره به من غلبة جهالتهم وقوة ضلالتهم.

قال ابن عطاء: لا يعلمون ما لهم في حمد الله من الذخر والفخر.

فقال جعفر: لا يعلمون أن أحداً من عباده لم يبلغ الواجب من حمده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30] ستموت وغيرك أيضاً من المؤمن والكافر يموتون.

/ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 31] على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 31] فتحتج عليهم بأنك اجتهدت في التبليغ والإرشاد وأنهم لجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا وكبرانا وإنا وجدنا آبانا أو المراد به الاختصام العام فيما دار بينهم في الدنيا يقصد الانتقام في ذلك المقام. 102/ ب

قال ابن عطاء: إنك ميت عمّا هم فيه من الاشتغال بالدنيا وإنهم ميتون

عما كوشفت به من حقائق التقريب ودقائق قرب المولى وقيل: إنك ميت عن رؤية الأكوان وبمشاهدة المكون أي بخلاف أحوال أهل الغفلة والنسيان.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يتفرغ من ما تم نفسه وأنواع همه فليس له من هذا الحديث أثر شمه فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فحينئذ يجد الخبر من ربه وليس هذا الحديث يصح منهم إلا بعد فنائهم عنهم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الآية 32] وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الآية 32] من غير تفكر في أمره وتوقف في دهره ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 32] أي ذلك يكفيهم فيما يجازيهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى من أشار إلى أشياءكم يبلغها ويدعي وجود أشياء لم يذق شيئاً منها وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: الآية 60]، ويقال: لا بل هؤلاء الكفار وفأما المدعي الذي لم يبلغ ما يدعيه من حاله فكيف يكذب على ربه وإنما كذب على نفسه حيث ادعى لها أحوالاً لم يجدها ولم يذقها فأما غير المتحقق الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفته سبحانه ما يتقدس ويتعالى عنه عز شأنه.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 33] أريد به الجنس ليدخل الرسل والمؤمنون لقوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 33] وقيل: هو النبي وأتباعه أجمعون وقيل: الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وقيل: على ما في الدر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو جائز عند الأخفش والكوفيون خلافاً / للبصريين 103/أ
قال أبو سعيد الخراز الصدق منزلة تبلغ الآمل مأموله.

وقال الأستاذ: جاء بالصدق في أفعاله من حيث الإخلاص وفي أحواله من حيث الصدق وفي أسراره من حيث الحقيقة.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ [الآية 34] من النعمة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] في الجنة

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية 34] في الطاعة.

وقال الأستاذ: لما سلموا له المشيئة استيقنوا بأن الله يفعل ما يشاء سلم لهم المشيئة غداً فقال: لهم ما يشاؤون عند ربهم ثم ظاهر هذا الخطاب أن يرى ربه كل وقت أراده ثم لا يريد دوام الرؤية أي سلب عنه هذه الإرادة ليتم له اللذات المعتادة.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 35] أي ليغفر لهم ويستر عنهم ﴿أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الآية 35] أخص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك في العادة أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب الصادرة عنهم يحسبون أن ما فرط فيهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء وإنما لم يؤت به لئلا يتوهم عدم مغفرة الأسوأ ﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم﴾ [الآية 35] ويعطيهم ثوابهم ﴿بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 35] فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يكون مؤمناً فليس من أهل هذه الجملة ومن كان معه إيمان فإذا كفر عنه أسوأ عمله وأسوأ أعماله كبائره فإذا غفرت يجزيهم بأحسن أعمالهم وأحسن أعمال المؤمن الإيمان والمعرفة فإذا كان المؤمن مؤقتاً كان ثوابه مؤقتاً وإلا ليس كذلك وإذا كان الإيمان على الدوام فثوابه على الدوام ثم يجب أي بمقتضى الوعد أن يكون على أحسن الأعمال أحسن الثواب وأحسن الثواب الرؤية فيجب أن يكون على الدوام وهذا استدلال قوي في المرام أقول الظاهر أن المراد بأحسن الأعمال جنس الأحوال من الإيمان وغيره من الأقوال والأفعال وكذا أحسن الثواب جنس مترتب على ما ذكر في هذا الباب ولذا قال بعض المحققين أن الرؤية في
103/ب العقبى إنما هي بقدر المعرفة وحالة المراقبة والمحاضرة / والمشاهدة في الدنيا.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الآية 36] أي رسوله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 36] حيث قال

قريش له إنا نخاف أن تخيلك آلهتنا بعيبك إياها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 36] حتى عقل عن كفايته وخوفه بما لا ينفع ولا يضر بحسب ذاته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 36] يهديه إلى إرشاده.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 37] اكتفى بحمايته ورعايته ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الآية 37] عن طريق هدايته إذ لا راد لفعله ولا معقب لحكمه كما قال ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 37] غالب منيع بديع ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الآية 37] من أعدائه لأحبابه.

قال أبو بكر بن طاهر: من لم يكتف بربه بعد قوله أليس الله بكاف عبده فهو في درجة الهالكين.

وأفاد الأستاذ: أن الله كاف عبده اليوم في عرفانه بتصحيح إيمانه وغداً في غفرانه وما بينهما فكفاية تامة وسلامة عامة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ [الآية 38] إذ لا جواب لهم سواه ﴿ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] أي ما تعبدون مما سواه ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 38] بمضرة من محنة ومشقة ومرض وفاقة ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الآية 38] هل من يكشفنه ويرفعنه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية 38] بنعمة من صحة وسعة وراحة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية 38] فيمنعها مني وقرأ أبو عمر وبتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمتي ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 38] كافياً في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرّر أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من الخير أو الشر ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 38] وقرأ أبو بكر.

[﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟] عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية 39] أي حالاتكم ومراتب مقاماتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ [الآية 39] على مكانتي بقدر حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39].

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 40] أي بهيبته ويهلكه ويرديه في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية 40] دائم وهو عقاب العقبى.

وقال الأستاذ: سوف ينكشف ربحنا وخسرانكم وسوف يظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف نطالبكم ولا جواب لكم ونعاقبكم ولا شفيع لكم وندم عليكم فلا صريخ لكم ولا مغيث لديكم.

104/ أ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 41] / لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبساً بالصدق.

قال سهل: ليهتدوا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 41] إلى الحق ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية 41] إذا نفع به نفسه في حالها ومآلها ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الآية 41] فإنّ وبالها لا يتخطاها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية 41] ما وكل إليك أمرهم لتجبرهم، على الهداية وإنما أمرت بالتبليغ وقد بلغت وفي النصيحة بالغت.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فإحسانه إلى نفسه اكتسبه ومن أساء فبلاؤه إلى نفسه جلبه والحق غني عن التجمل بطاعة من أقبل والتنقص بزلة من أعرض.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الآية 42] أي يقبضها عن الأبد إن جميعها بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً أو باطناً وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في حالة النوم ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ﴾ [الآية 42] أي قدر وحكم ﴿عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الآية 42] ولا يردها إلى بدنها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وبرفع الموت ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الآية 42] أي النائمة إلى بدنها عند يقظتها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 42] وهو الوقت المضروب لموته. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتميز، والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم(1).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: تخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 205) رقم (1118).

في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا نبه من النوم عاد الروح إلى جسدها بأسرع من لحظة(1).

وقال سهل: إن الله تعالى إذا توفى الأنفس أخرج الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيفي فالذي يتوفى في النوم من لطيف نفس الطبع لا من لطيف نفس الروح فالنائم يتنفس نفساً لطيفاً وهو نفس الروح الذي إذا زال لم يكن للعبد حركة وكان ميتاً وقال: حياة نفس الطبيعي بنور لطيف الروح وحياة لطيف نفس الروح بذكر الله وقال أيضاً: الروح /يقوم بلطيفه في ذاتها بغير 104/ب
نفس الطبع ألا ترى أن الله خاطب الكل في الذر بنفس الروح مع فهم وعقل وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 42] أي فيما ذكر من التوفي والإمساك والإرسال ﴿لَآيَٰتٍ﴾ [الآية 42] لدلالات على كمال قدرته وجمال حكمته وشمول رحمته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] في كيفية تعلقها بأبدانها وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية ولو صارت أبدانها فانية وما يعتريها من السعادة وأحوالها والشقاوة وأهوالها وفي الحكمة في توفيها على ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.

وأفاد الأستاذ: أن قبض الأرواح في حال النوم بإخراج اللطيفة التي في البدن وهي الروح ويخلق بدل الاستشعار والعلم الغفلة والغيبة في محال الإحساس والإدراك ثم إذا قبض الأرواح عند الموت خلق في أجزائه الموت بدل الحياة والموت ينافي الإحساس والعلم وإذا ردّ الأرواح بعد النوم إلى الأشباح خلق الإدراك في محل الاستشعار فيصير مستيقظاً والأرواح إذا قبضها الله في حال النوم فقد وردت الأخبار أن لها مراتب وإن روحاً تقبض على الطهارة ترفع إلى العرش وتسجد لله سبحانه ويكون لها تعريفات ومخاطبات والله أعلم.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ [الآية 43] بل اتخذ المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [الآية 43]

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 122)، والنسفي في تفسيره (4/ 56).

أتشفع لهم عند الله على زعمهم ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 43] أي يشفعون ولو كانوا كما يشاهدون جمادات لا يقدرون ولا يعلمون.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44] أي هو مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ولا يستقلّ بها ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 44] أي أنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه وحكمه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 44] إلى موافاة جزائه.

قال الواسطي: قطع أطماع العباد أجمع عنه أن يصل أحد إليه إلا به لقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الآية 45] دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ [الآية 45] نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية 45] وما يتعلق بها من التوحيد
105/ أ والنبوة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الآية 45] من صنم/ وغيره ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 45] لفرط افتتانهم به ولقد بولغ في الأمرين غاية المبالغة في بيان العبارة فإن الاستبشارات أن يمتلىء القلب سروراً حين ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا لمفاجأة.

قال أبو عثمان: كل قلب لا يعرف الله فإنه لا يأنس بذكره ولا سكن إليه ولا يفرح به.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوحى إليه وعلّمه كيف يثني عليه، والآية تشتمل على الإشارة إلى البيان بما فيه التنصل والتذلل وابتغاء العفو والتفضل وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 47] أي لكل نفس ظلمت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الآية 47] إقناط كلي لهم من الخلاص ووعيد شديد بعدم تصور المناص ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] زيادة مبالغة في الوعيد وهو نظير قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] في الوعد قيل: من اعتمد الفضل نجا ومن اعتمد العمل بدا له منه الهلاك.

وقال الأستاذ: لافتدوا به لم يقبل منهم واليوم لو تصدقوا بمثقال ذرة لقبل منهم كما أنهم لو بكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم عليهم في البكاء وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثير من دواوينهم ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] في سماع هذه الآية حسرات لأصحاب الانتباه ففي بعض الأخبار أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار فإذا وافوها يقول مالكٌ: من أنتم فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم كانت مسودة وعيونهم مزرقة وأنتم لستم بتلك الصفة فيقولون ونحن لم نتوقع أن نلقاك وإنما انتظرنا سبباً آخر هنالك ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47].

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 48] سيئات أعمالهم حين تعرض صحائف أحوالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 48] وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

/ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الآية 49] بلية مجازاة لأعماله أو امتحاناً لأحواله 105/ ب
﴿دَعَانَا﴾ [الآية 49] إخبار عن الجنس بما يغلب فيه من تقلب قلبه في مقابلة حكم ربه. قال جنيد: من يرى البلاء ضراً فليس بعارف إذ العارف من يرى الضر على نفسه رحمة ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ [الآية 49] أعلينا إياه تفضلاً من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 49] على معرفة مني بوجوه كسبه وإلهاماً إن جعلت موصولة لا كافة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد بها الإنعام ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 49] امتحان له أيشكر أم يكفر وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] حقيقة القضية.

﴿قَدْ قَالَهَا﴾ [الآية 50] أي هذه الكلمة أو الجملة المتقدمة ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 50] كقارون وأمثاله ممن اغتر بكثرة ماله ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 50] في متاع الدنيا عن ظهور هلاك العقبى.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ [الآية 51] أي جزاؤها ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 51] المشركين الموجودين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الآية 51] فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدرٍ صناديدهم ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 51] فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ [الآية 52] حيث ضيق عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] بأن الحوادث كلها من الله وأن لا متصرف في الكون سواه.

وقال الأستاذ: أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق فموسع عليه ومضيق له وليس لواحد منهم شيء مما خصّ به من التقصير والتكثير.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الآية 53] الظاهر أن الخطاب للكفرة وإن عموم المغفرة لما يترتب على الإيمان من الكفارة لئلا ينافي بعمومه قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: الآية 48] ولا يناقض ما صح في الإخبار من عذاب جمع من المؤمنين في النار ولما روي في سبب نزوله على ما رواه الطبراني والبيهقي من أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له(1) فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا الأنفس ولقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] أي توبوا إليه ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الآية 54] أي بقلوبكم أو انقادوا بجوارحكم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ / ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الآية 54] أو الآية عامة إلا أن عموم المغفرة يقيد بالتوبة الشاملة للكفر والمعصية وما أبعد من قال: أنه يغفر بلا توبة ولو بعد العقوبة. 106/ أ

قال الحريري: أمر الله عباده أن لا يعتمدوا على أعمالهم ولا يقنطوا من التقصير في أحوالهم فإن العناية والرعاية سبقت العباد أي على وفق المشيئة.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 71).

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الآية 54] ارحلوا إليه بالتضرع والدعاء والمسألة والثناء وأسلموا له فوضوا الأمر إليه.

وقال محمد بن علي: اعتذروا إليه مما سلف منكم من التقصير وأخلصوا على دوام الموافقة بعدها.

وأفاد الأستاذ: أن التسمية يا عبادي مدح والوصف بأنهم أسرفوا ذم فلما قال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾ [الآية 53] طمع المطيعون ولم يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا حتى يقول لي هذا؟ فقال الله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ [الآية 53] فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت مذلتهم والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم ثم أزال الأعجوبة عن القضية بما قوى رجاءهم بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الآية 53] يعني إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت، يعني لا يضر بكبريائنا ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 53] بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عن جنابنا وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الآية 53] الألف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جمع وجميعاً تأكيد فكأنه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي ويقال: إن كانت لكم جناية عميمة فلي بشأنكم عناية قديمة ثم الإنابة هي الرجوع بالكلية وقيل: الفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع خوف العقوبة وصاحب الإنابة يرجع استحياء الكرامة المشهورة بين الصوفية في الفرق بين التوبة والإنابة إن الأولى من المعصية والثانية عن الغفلة والإسلام الذي هو الإخلاص بعد الإنابة أن يعلم أن نجاته بفضله لإنابته فبفضله يصل إلى إنابته وبإنابته يصل إلى فضله وقيل: المراد بالعذاب الفراق والحجاب.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ [الآية 56] كراهة أن تقول نفس مقصرة في الطاعة ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ [الآية 56] / وقرىء بالياء على الأصل ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ [الآية 56] بما 106/ ب
قصرت ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] في جانبه أي في حقه وهو طاعته أو في قربه وحضرته أو في جنب نعمته أو مقابلة منته ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الآية 56] المستهزئين بأهل عبادته.

قال الواسطي: من قصد في مقصوده غير الحق فقد عظمت استهانته للحق.

وقال سهل: من ترك مراعاة حق الله وملازمة خدمته واشتغل بعاجل الدنيا من سابقة النفس ولذة هواه فقد ضيع في جنب الله أي في ذاته من القصد إليه والاعتماد عليه.

وقال فارس: من هرب مني لأحرقنه أي من هرب مني إلى نفسه أحرقته بالتأسف على قوتي إذا شاهد حقاً مقامات أهل معرفتي ويدل عليه قوله: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 56] وهذا لا يقوله إلا محترق كذا في «**تفسير السلمي**».

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ [الآية 57] إلى الإيمان والإحسان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 57] للعصيان.

﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾ [الآية 58] أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية 58] في العقيدة والعمل النافع في العقبى.

﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ [الآية 59] على من بينها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 59] أي صرت ممن أصر على الكفر بها أو كنت في علم الله من الكافرين فلم يحصل لك منفعة فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه يقال هذا في أقوام يرون بعض أمثالهم قدموا عليهم في علو أحوالهم فتذكروا ما سلف من تقصيرهم ورأوا ما وفق أولئك من توقيرهم فيعضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخيبة.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 60] بإثبات الولد والشريك له ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ [الآية 60] بما ينالهم من الظلمة والشدة ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 60] عن الإيمان والطاعة.

قال يوسف بن الحسين: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له أو أظهر من حال هو خال عنه قال الله عزّ وجل: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الآية 60] قال: هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين في دعواه.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء الذين ادعوا أحوالاً ولم يصدقوا فيها وأظهروا المحبة ولم يتحققوا/ بها وكفاهم افتضاحاً بذلك صباحاً ورواحاً. 107/ أ

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى تنزف الدمع بالبكا وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الآية 61] بسبب فلاحهم من إيمانهم وصلاح أعمالهم مفعلة من الفوز وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع مراعاة للمضاف إليه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61].

قال الواسطي: ينجيهم بما سبق لهم من الفوز بالسعادة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الآية 61] زوال النعمة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61] على فوت المنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما وقاهم اليوم عن المخالفات حماهم غداً عن المعاقبات فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً نعمة واليوم عناية وغداً حماية.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 62] من خير وشر وإيمان وكفر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية 62] يتولى التصرف فيه بما شاء منه.

قال الحسين: كل ما أراد الله به الإهانة والمذلة ألبسه لبسة المخلوقية ألا ترى كيف نزّه عن ذلك صفاته وكلامه فالله خالق كل شيء والمخلوقات ليس لها عز إلا بالنسبة إلى خلقته.

وأفاد الأستاذ: أن اكتساب العباد دخل في هذه الجملة ولا يدخل كلامه فيه لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 63] مفاتيح أمرها من خيرها وشرها ولا يتمكن غيره من التصرف فيها بأجمعها. وعن عثمان بن عفان: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان

الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير رواه الطبراني وغيره بسند ضعيف(1).

والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه خير منها.

وقال سهل: بيده مفاتيح القلوب موفق من يشاء لطاعته وخدمته وتصرف من يشأ عن بابه وحضرته.

وأفاد الأستاذ: أن المراد منه أنه قادر على جميع المقدورات فما يريد أن يوجده أوجده من الكائنات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 63] دلائل قدرته وشواهد حكمته أو بكلمات توحيده وتمجيده ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
107/ ب [الآية 63] في جميع الأزمان لخسرانهم رأس مالهم من الإيمان / وحرمانهم عن ربح حالهم من العرفان.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي﴾ [الآية 64] وقرأ نافع بالتخفيف وابن عامر تأمرونني ﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الآية 64] أي أبعد هذه الدلائل تأمروني بعبادة غيره أيها الجاهلون بوصفه وأمره.

قال أبو عثمان: عبادة الله على الإخلاص ينفي عن صاحبها الجهل قلت: لأن الإخلاص إنما ينشأ عن غاية المعرفة وترك العبادة أو ممزوجة بالرياء والسمعة تنشأ عن نهاية الجهالة.

وقال الأستاذ: أي متى يكون لكم طمع في أن أعبد غيره وبتوحيده رباني وبتفريده عزاني وشراب حبه سقاني.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 65] من الأنبياء والمرسلين ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 65] في عملك كلام على

---

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 75)، وأبو السعود في تفسيره (7/ 261).

سبيل الفرض والتقدير وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد في التعبير، والمراد به تهييج الرسل وأقناط الكفرة والأشعار على حكم الأمة.

قال ابن عطاء: لئن طالعت غيري لتحرمنّ حظك من قربي وأمري.

وقال جعفر: لئن نظرت إلى من سواه لتحرمنّ في الآخرة لقاءه.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الآية 66] لا غيره ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية 66] لأنعامه قيل: حقيقة العبودية تسليم الأمور للربوبية.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الآية 67] أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث جعلوا له شريكاً في ذاته أو وصفوه بما لا يليق به من صفاته ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا﴾ [الآية 67] ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ [الآية 67] بطبقاته أي ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الآية 67] تنبيه على جمال عظمته وكمال قدرته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 67] ما أبعد من هذه صفاته عن إشراكهم بمخلوقاته.

قال جنيد: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع من العقول من طيها ونشرها إذ كل الكون كحبة خردلة أو جناح بعوضة أو أقل من ذلك كذلك قوله: قائم على كل نفس يستحيل قيامه على هذا الكون الذي لا يزن ذرة عنده بل قيامه بنفسه لنفسه.

وقال الأستاذ: ما وصفوه حق وصفه فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن السنن المثلى وانحرف عن الطريقة الحسنى وصفوا الحق / 108/أ
بالأعضاء وتوهموا في نعته الأجزاء فما قدروه حق قدره فالخلق في قبضة قدرته والسمٰوات مطويات بيمين قوته ولا يد في نعته أقسم أن يفنيها ويطويها سبحانه تنزيهاً له عما أشركوا في صفته.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الآية 68] النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 68] خر ميتاً ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الآية 68] قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل: فإنهم يموتون بعد ذلك وقيل: حملة العرش والمقربون هنالك ﴿ثُمَّ نُفِخَ

﴿فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ [الآية 68] نفخة أخرى ﴿فَإِذَا هُمۡ﴾ [الآية 68] أي الخلق كلهم ﴿قِيَامٞ﴾ [الآية 68] قائمون من قبورهم أو متوقفون في أمورهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الآية 68] في جوانبهم أو ينتظرون ما يفعل بهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه النفخة الأولى يموتون ثم في النفخة الثانية يجرون والنفختان متجانستان فيخلق الله عند أحدهما إزهاق الأرواح وفي الأخرى منهما إحياء الأشباح ليعلم أن النفخة لا تعمل شيئاً بعينها وإنما الجبار بقدرته يَخلق ما يشاء ويحكم ما يريد بعزّته.

﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الآية 69] بما أقام من العدل فيها كما في حديث الشيخين: الظلم ظلمات يوم القيامة[1]. أو بسبب نور ربها في قلوب أهلها من المؤمنين ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ أي نور إيمانهم ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: الآية 12].

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنّة نبيّهم. وقال القاسم: أشرقت الأرض بأولياء الله فهم أنوار الله.

وقال الأستاذ: نور يخلقه الله في القيامة فتشرق القيامة به وذلك عند تكوير الشمس وانكدار النجوم وذلك الإشراق والنور يستضيء به قوم دون قوم والكفار يبيتون في الظلمات والمؤمنون نورهم يسعى بين أيديهم ويقال: اليوم إشراق وغداً إشراق في القيامة إشراق الأرض واليوم إشراق القلب وغداً إشراق الأرض بنور ربها واليوم إشراق القلوب بحضورها عند ربها ويقال: غداً أنوار التولي للمؤمنين واليوم أنوار التجلي للعارفين ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الآية 69] الجزاء والحسنات أو صحائف الأعمال في أيدي العمال وقيل: اللوح المحفوظ تقابل به صحائف أعمال العباد فتطابقه من غير زيادة ولا نقصان في جميع الموادي ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الآية 69] أي والمرسلين ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الآية 69]
108/ب للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل: أراد بهم/ المستشهدين وفي معناهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (2579/ 57).

العلماء العاملين والأولياء من أرباب الشهود واليقين ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 69] بين الخلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 69] بالعدل والصدق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 69] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية 70] جزاؤه إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشراً ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 70] أي بأفعالهم وما يترتب عليها من الجزاء وفق أحوالهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الآية 71] أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض بمراتب مختلفة على تفاوت إقدامهم في الضلالة والشرارة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الآية 71] ليشموا حدة ريحها ويدركوا حدة فوحها وقرأ الكوفيون: بالتخفيف هنا وفيما بعدها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الآية 71] تقريعاً وتوبيخاً ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية 71] من جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 71] وهي قوله تعالى: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الآية 72] عن قبول الدين أو على أهل الحق واليقين وفيه تنبيه إن تكبرهم وسائر قبايحهم مسببة عن الحكم عليهم بشقائهم ففي الحديث: «إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموتوا على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»[1].

وأفاد الأستاذ: أن الكفار يساقون إلى النار عنفاً والمؤمنون يساقون إلى الجنة لطفاً فالسوق بجمع الجنسين ولكن شتان بين سوق وسوق إلى المكانين، فإذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالتثريب والتأنيب فلا تكريم ولا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 593) رقم (4001)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 266) رقم (3075)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 347) رقم (11190)، وابن حبان في الصحيح (14/ 37) رقم (6166)، وأبو داود في السنن (4/ 363) رقم (4705).

تعظيم ولا سؤال ولا استقبال بل خزي وهوان ومن كل جنس من العذاب ألوان.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الآية 73] إسراعاً بهم إلى دار الكرامة ومحل السلامة وقيل: سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم على أقدامهم ﴿زُمَرًاۖ﴾ [الآية 71] على تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سوق ولكن بغير تعب ولا نصب سوق ولكن بروح وطرب وقوله ﴿زُمَرًاۖ﴾ [الآية 71] جماعات / هؤلاء عوام الجنة وفوق هؤلاء قوله: 109/ أ ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: الآية 85]، وفوقهم من قال: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: الآية 90] غير بعيد، ففرق بين من يُساق إلى الجنة وبين من تقرّب منها على سبيل المنة هؤلاء الظالمون والآخرون المقتصدون والآخرون السابقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الآية 71] حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة ما لا تحيط به العبارة وإن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم تعظيماً لقدومهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وافوا الجنة تكون الأبواب مفتحة لئلّا يصيبهم وصف الاستنظار وفيه من المحنة ويقال: إذا كان حديث الجنة فالواجب أن يبادر إليها ولا يحتاج إلى أن يساق لها ولعل هؤلاء لا رغبة لهم في الجنة بالكثرة فلهم معه في الطريق طيب فيساقون إلى الجنة ولكن بلطف دون عنف ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 73] لا يلحق مكروه إليكم ﴿طِبۡتُمۡ﴾ [الآية 73] طهرتم من أدناس وأرجاس كانت لديكم ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الآية 73] مقدرين الخلود فيها.

قال ابن عطاء: السلام في الجنة من وجوه منهم من يسلم عليهم خزنة الجنة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ [الآية 73] وهؤلاء قائم، ومنهم من يكون سلامه من الملائكة بقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: الآيتان 23، 24]، ومنهم من يكون له سلام من الحق سبحانه بقوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: الآية 58] وهم أرفعهم درجة. أقول:

ولا يبعد أن يحصل لبعضهم هذه الجملة.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الآية 74] بالبعث والمثوبة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 74] أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الآية 74] بإدخال الجنة وإكمال المنة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الآية 74] الجنة ودرجاتها العلية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام مخصوصون والذين هم أهل الغرف قوم آخرون.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الآية 75] محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 75] ومن زائدة أو ابتدائية ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 75] ملتبسين بحمده وثنائه، والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وجماله تلذُّذاً بنعوت كماله وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين من الخلق هو الاستغراق في ذكر الحق.

قال أبو علي الجرجاني: ما تقرّب أحد إليه إلا بالافتقار والعبودية والتذلُّل والتنزيه للربوبية من كلّ ما نُسب إليه مما لا يليق إطلاقه عليه. ألا ترى إلى مقام الملائكة / مع كمال قربهم يحفون بالعرش يسبحون بحمد ربهم 109/ ب
وذلك غاية عباداتهم ونهاية لذاتهم ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 75] بين الخلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 75] بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة حسب دركاتهم ووفق درجاتهم أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 75] على ما قضى بيننا أو على ما هدانا أو وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين على أحوالنا في دنيانا وآخرتنا.

سورة غافر (المؤمن)[1]

[مكيّة]
وهي خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من تحقق بها شرف من الحق مناله وصفت عنده أحواله خلع على نفسه ود الأفضال وألبس قلبه حلل الإقبال وأفرد روحه بروح لطف الجمال واستخلص سره بكشف وصف الجلال.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] أمال حاءه ابن عامر وحمزة والكسائي محضاً وورش وأبو عمرو بين بين ولا يبعد أن يكون في الحاء إيماء إلى بعض الأسماء كالحميد وفي الميم إشارة إلى بعضها كالمجيد أو بهما يشار إلى شطر الأول من الحميد وإلى طرفي حرفي الحكيم.

وأفاد الأستاذ: أن في تفسير حم أمر كان أي قضي بحلمي ومجدي لا أخلد في النار من آمن بي ويقال بهذه الحروف.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] أي البالغ في القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة.

وقال سهل: الحي الملك هو الذي أنزل عليك الكتاب وهو الذي وله به قلوب العارفين العزيز عن درك الخلق ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما شاء قدر.

وقال الأستاذ: أي المعز لأوليائه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما كان ويكون منهم فلم

(1) في المخطوطة: المؤمن.

يمنعه علمه عما سلف لهم من قضائه.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] أي مشدده، بالعدل ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] صاحب سعة الفضل وقيل: ذي الغنى عن الكل وفي إيراد هذه الصفات على هذا النسق والترتيب إيماء إلى تحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب وفي أفراد نعت العقوبة مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الآية 3] فيجب الإقبال الكلي على عباداته ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع
لمجازاته فيجازي المحسن والمسيء بحسب حالاته وقيل: / إذا كان إليه المصير 110/ أ
فقد طاب المسير قال بعضهم: غافر الذنب كرماً وقابل التوب فضلاً شديد العقاب عدلاً لا إله إلا هو فرداً إليه المصير تصديقاً للوعد غداً وقال بعضهم: غافر الذنب للظالمين وقابل التوب للمقتصدين ذي الطول للسابقين شديد العقاب للكافرين والجاحدين والمنافقين ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 3] يصل الظالم بجوده إلى رحمته ويصل المقتصد بفضله إلى رضوانه ويصل السابق بمنّه وكرمه إلى وجهه الكريم.

وقال الأستاذ: معنون بقبول توبته لعباده علم أن العاصي منكسر القلب فأزال عنه الانكسار بأن قدم نصيبه فقدم اسمه على قبول التوبة فسكن قلوبهم بوصفين يوجبان الرجاء وهو قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] ثم عقّبهما بقوله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] ثم لم يرضى حتى قال بعده: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] فيقابل قوله ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الآية 3] وقوله: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [الآية 3] وسبق قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] ويقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [الآية 3] لمن أصر واجترم ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [الآية 3] لمن أقر وندم شديد العقاب لمن جحد وعند ذي الطول لمن عرف ووجد.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 4] بالطعن فيها والصد عنها دون الجدال لتبين مبانيها وظهور معانيها وتأويل ما ينافيها ولذا ورد أن جدالاً في القرآن بالتنكير على ما رواه البيهقي وغيره[1].

(1) واللفظ: «إنّ جدالاً في القرآن كفر»، انظر ما أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3/ 216) رقم (1128).

وقال سهل: هو المجادلة في الذات دون الفروع والحكومات ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الآية 4] إمهالهم في دنياهم وإقبالهم على هواهم فإنهم عن قريب مأخوذون بفعلهم نحو من قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر البرهان واتضح البيان استسلمت الألباب الصاحية للاستجابة والإيمان فأما للكفار فلهم على الجحود إصرار وشؤم شركهم بالاعتساف يحول بينهم وبين الانصاف وكذلك من لا يحترم أولياء الله يصرون على إنكارهم تخصيص الله عبادة بالآيات الواردة في أسرارهم ويعترضون عليهم بقلوبهم في حلول أنوارهم فيجادلون في جحد الكرامات وسيفتضحون كثيراً من الأوقات والحالات ولكن لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم.

110/ ب ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 5] برسولهم ﴿وَٱلْأَحْزَابُ/ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 5] والذين خرجوا على الرسل واجتمعوا على حربهم كعاد وثمود وحزبهم وافقوهم في تكذيبهم ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 5] من هؤلاء الجماعة ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [الآية 5] ليعاقبوه ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [الآية 5] بما لا حقيقة له ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية 5] ليزيلوه به ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ [الآية 5] بالإهلاك جزاء لهم برسلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 5] عقابي لهم فإنكم تمرون على ديارهم وترون آثار دمارهم وهو تقرير على تعذيب فيه نوع تعجيب وقال الأستاذ.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] من انقرض من الكفار فيمن قبلهم كان التكذيب للرسل دأبهم والله انتقم منهم وعلى كفرهم اخترمهم والمنكر لهذا الطريق بإنكاره يتوهم أن يتقرب إلى الله به فينعته في أولياء الله من جملة إحسانه وخيراته والله في العاجل يعذبهم بتخليتهم فيما هم فيه وصد قلبهم عن هذه المعاني وجرمهم ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] قضاؤه بالعذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية 6] أي أصروا على الكفر ووقعوا في الحجاب ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 6] بدل من كلمة ربك بدل الكل.

وقال الأستاذ: إذا انختم على عبد حكم الله بشقاوته فلا ينفعه كثرة ما

يورد عليه من النصح في حالته ومن أسرته يد الشقاوة فلا يخلصه من مخلبها الجهد والسعاية.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [الآية 7] أي ومن يكون حوله من الحافين وهم أعلى طبقات الملائكة المقربين ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 7] يذكرون الله بصفات الكمال من نعوت الجلال فالجمال ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية 7] أخبر عنهم بالإيمان إظهار لفضله وتعظيماً لأهله كما أشير إليه بقوله ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 7] وإشعاراً بأن حمله العرش وسكان الفرش سواء في معرفته رداً على المجسم في مقالته ثم استغفارهم لهم الشفاعة وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه أن المشاركة في صفة الإيمان توجب النصيحة والشفقة والمرحمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: الآية 10]، ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية 7] يقولون يا ربنا ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [الآية 7] أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات هنا باعتبار السابق واللاحق في القضية ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [الآية 7] عن الشرك والمعصية ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [الآية 7] / طريق يوصل إليك من الكتاب والسنة. 111/أ

قال سهل: هم الذين تابوا من الغفلة وأنسوا بالذكر والطاعة واتبعوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجه المحبة ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الآية 7] واحفظهم من عقاب الحرقة وحجاب الفرقة.

وأفاد الأستاذ: أن حملة العرش ومن حوله مأمورون بالتسبيح مع سائر الملائكة المقربين ثم بالاستغفار للمذنبين لأن الاستغفار مختص لأرباب السيئات فيجتهدون في الدعاء لهم كما في هذه الآيات ويدعون لهم بالنجاة ثم يرفع الدرجات ثم يحيلون الأمر فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾ [الآية 9] فلئن سلط عليك أراذل من خلقه وهم الشياطين فلقد قيض بشفاعتك أفاضل من خلقهم من الملائكة المقربين.

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ [الآية 8] أي إقامة أي ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ [الآية 8] إياها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ [الآية 8] أي الملائكة وأدخلهم معهم

من يصلح أن يكونوا في درجاتهم ليتم غاية سرورهم ونهاية لذاتهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 8] البديع المنيع ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 8] فيما يظهره من الصنيع.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 9] العقوبات في الدنيا أو جزاء السيئات في العقبى ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] أي ومن تق ارتكاب المعاصي في الدنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [الآية 9] في الأخرى ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 9] الحاصل من فضل المولى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ [الآية 10] يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] إياكم ﴿أَكْبَرُ﴾ [الآية 10] عظيم وأكثر ﴿مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية 10] الأمارة بالسوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [الآية 10] اذكروا إذ تنادون ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [الآية 10] بالداعي والمدعو.

قال سهل: المقت غاية الإبعاد من الله تعالى عن العباد فالكفار إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم بما رأوا من البوار ومقت الله لهم أشد عليهم من دخول النار.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العقوبات التي يوصله الحق إليهم أثار سخطه وغضبه عليهم وأكره النقم التي يفردهم بها أثار إعراضه عنهم فإذا عرف الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان فلا شيء أصعب على قلبه منه في ذلك الزمان حيث علم أن لا بكاء ينفعه ولا غناء يزيل عنه ما هو فيه ويرفعه ولا يسمع له تضرع ولا يرجى له حيلة.

111/ب / ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية 11] إماتتين بأن خلقتنا أمواتاً في بدئ أحوالنا ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [الآية 11] إحياءة الأولى في الدنيا وإحياءة البعث في العقبى كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية 28]، وقيل: الإماتة الأولى عند انخرام الآجال والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال والإحياءآن ما في القبور ويوم النشور والصحيح أن الإماتة في القبر وإنما هو إماتة كما في الصحيح من الخبر: يقال للمؤمن نم كنومة العروس وأما الكافر فيحصل له غشيان بعد

النفخة الأولى[1]، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يٰس: الآية 52].

وأغرب الأستاذ حيث اختار القول الضعيف في الإسناد ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [الآية 11] اعترفوا بالمخالفة بعد المعاينة بما عقلوا عنه ولم يكترثوا منه وهو اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للعقبى ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ [الآية 11] نوع خروج من النار ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ [الآية 11] طريق فنسلكه وندخل الجنة مع الأبرار.

وفي «**تفسير السلمي**» قال بعضهم: أمّتنا اثنتين السمع والبصر فعجزتنا أن نفقه الحق وتتخذ سبيل الرشد والصدق فاعترفنا بذنوبنا أنا مصرفين تحت العداوة وأنت القادر علينا بوصف القوة.

﴿ذَٰلِكُم﴾ [الآية 12] أي الذي أنتم فيه من حالكم بأنه بسبب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ [الآية 12] متحداً ومنفرداً ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ [الآية 12] بتوحيده وما شكرتم بتمجيده ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [الآية 12] بإشراكه ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] المستحق للعبادة والقاسم لعباده مراتب الشقاوة والسعادة ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ [الآية 12] شأنه ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ [الآية 12] سلطانه.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء إماتتهم وإحياؤهم محصورة فأما أهل الجنة فلهم في كل وقت موت وحياة حاضرة كما قال قائلهم:

أموت إذا فقدتك ثم أحيا فكم أحيا عليك وكم أموت

وإن الحق أبداً يردد الخواص من عباده بين الفناء والبقاء والحياة والممات والمحو والإثبات قلت: وفي هذا إشعار بعدم مداومة مشاهدة الذات مع أنها من أعظم اللذات.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 13] مصنوعاته الدالة على توحيد ذاته وتحقيق صفاته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ [الآية 13] أسباب رزق صوري

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (3/ 383) رقم (1071)، وابن حبان في الصحيح (7/ 386) رقم (3117).

112/ أ كالمطر مراعاة لمعاشكم أو/ أسباب رزق معنوي من الآيات القرآني والإلهامات السبحاني ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 13] بالآيات الإلهية ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع عن الغفلة عنها بالإقبال عليها والتفكر فيها والتأمل في مبانيها.

قال أبو بكر بن طاهر: من آياته في الأرض للعوام سوق الأرزاق إليهم من غير حركة منهم ولا سعي في ذلك لديهم ومن آياته للخواص من عباده مكان أوليائه وأصفيائه فمن صحبهم وتبعهم في طريقتهم وصبر على موافقتهم كفي الاهتمام في طلب الرزق ورزق من حيث لا يحتسب من بين الخلق قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13].

وقال ابن عطاء: إنك لا تنظر إلى شيء من الموجودات إلا وهو يخاطبك بحقيقة توحيد الذات ويدلك على تحقق الصفات وذلك ظاهر لمن تبين وكشف له وأيد بالعناية معه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريهم آيات فضله فيما يلاطفهم ويريهم آيات قهره فيما يكاشفهم ويريهم آيات عفوه إذا تنصلوا وآيات جوده إذا توسلوا وآيات جلاله إذا هابوا فغابوا وآيات جماله إذا آبوا واستجابوا وينزل لكم من السماء رزقاً لأبدانكم وهو توفيق المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولأسراركم وهو فنون المواصلات والزيادات ويقال: ينزل من السماء ماء المطر فيحيي رياضكم وماء الرحمة فيحيي قلوبكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع من العادة إلى العبادة ومن الشك إلى اليقين ومن الخلق إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن النكرة إلى المعرفة.

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 14] أي الطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 14] هذه الحالة التي هي غاية الاستطاعة.

قال أبو عثمان: الإخلاص في الدعاء هو الذي إذا دعوته في كشف ضرٍّ فكشفه ألزمت نفسك إلى الأبد شكره وإذا دعوته لاستجلاب خير فأعطاك ألزمت نفسك الحمد إلى الأبد وأن لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الدعاء تقديم المعرفة فتعرف من الذي تدعوه ثم تدعوه ما تحتاج إليه مما لا بدّلك منه ثم تنظر هل أعطاك ما تطلب وأنت لا تدري به ثم لا تطلب ما يكون مخالفة لأمره ثم تتباعد عن سؤال الأشياء الدنية / الدنيوية وترضى ما يختار لك مولاك والإخلاص في الدعاء ألا ترى 112/ ب
الإجابة الآمنة ولا ترى لنفسك استحقاق إلا بفضله وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو حظك لا تبقي عن عبادة ربك الذي هو حقه فإن الدعاء مخ العبادة ومن الإخلاص في الدعاء أن تكون في حال الاضطرار لما لا يكون ابتداؤه جرماً لك ويكون ضرورتك سراية جنايتك فإن ذلك يبعد من موعود الإجابة.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [الآية 15] أي هو رافع السماوات أو مراتب المخلوقات أو درجات ثواب الحسنات ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الآية 15] صاحب العرش الذي هو أعظم المخلوقات فهو في قبضة قدرته كأضعف المكنونات.

وقال الأستاذ: أي رافع الدرجات للعصاة بالنجاة وللمطيعين بالمثوبات وللأصفياء والأولياء بالكرامات ولذي الحاجات بالكفايات وللعارفين بتنقيتهم عن جميع أنواع الإرادات ويقال: درجات المطيعين بظواهرهم في العقبى ودرجات العارفين بقلوبهم في العقبى فيرفع درجتهم عن النظر إلى المكنونات وما عليها ومن المساكنة إليها وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا في الدنيا والعقبى شيئاً غير رضى المولى ويقال: العرش الذي هو قبلة الدعوات أرفع المخلوقات وأعظمها جثة في المكونات ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [الآية 15] أي ينزل الوحي الذي هو مبدأ خيره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 15] أي يختاره للرسالة إلى أهل بلاده ﴿لِيُنذِرَ﴾ [الآية 15] أي الله أو الروح أو من اختاره للنبوة ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [الآية 15] يوم القيامة أي ليخوف مجيئه الشامل لأهل الوفاق والشقاق فيتلاقى فيه الأرواح والأشباح وأهل العلويات والسفليات والعابدون والمعبودون والأعمال والعمال.

قال ابن عطاء: حياة الخلق على حسب ما ألقى الحق عليهم من الروح

فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة ومنهم من ألقي إليه روح النبوة ومنهم من ألقي إليه روح الصديقية ومنهم من ألقي إليه روح الشهادة ومنهم من ألقي إليه روح الصلاح والديانة ومنهم من ألقي إليه روح الخدمة والعبادة ومنهم من ألقي إليه روح الهداية ومنهم من ألقي إليه روح الحياة الحيوانية فقط فهو ميتة
113/ أ في الباطن وإن / كان حياً في الظاهر.

وقال الأستاذ: روح بها ضياء أبدانهم وهو سلطان عقولهم وروح بها ضياء قلوبهم وهو شفاء علومهم وروح بها ضياء أرواحهم والذي هو الروح روح بقائهم بالله واستغنائهم عما سواه ويقال: روح هو روح إلهام وروح هو روح إعلام وروح هو روح إكرام ويقال: روح النبوة وروح الرسالة وروح الولاية وروح المعرفة ويقال: روح بها بقاء الخلق وروح بها ضياء الحق.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ [الآية 16] خارجون من قبورهم ظاهرون في نشورهم أو ظاهرة مراتب أعمالهم وسرائر أحوالهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ [الآية 16] لا من أعيانهم ولا من أفعالهم.

قال الواسطي: كيف يخفى عليه وهو الذي يبدي عليهم وكيف يسترون عنه بشيء وهو الذي يظهر عليهم ما عنه يسترون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم الحاصل الموجود ويعلم المعدوم المفقود والذي كان والذي يكون والذي لا يكون مما علم أنه لا يجوز أن لا يكون والذي جاز أن يكون إن لو كان كيف كان يكون ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [الآية 16] وحكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به على لسان الجمع من القوم أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع وسائط الأكساب وأما حقيقة لسان الحال فدائماً ناطقة بذلك المثال.

قال جعفر الصادق: أخْرَس المكونات من ذوات الأرواح عن جواب سؤاله في قوله لمن الملك اليوم فلم يجسر أحد على الإجابة وما كان يستحق أن يجيب سؤاله سواه فلما سكت الخلق عن الجواب أجاب الحق نفسه بما كان يستحقه من الجواب الصواب فقال لله الواحد القهار.

وقال الأستاذ: لا يتقيد ملكه بيوم ولا يختص ملكه بوقت ولكن دعاء للخلق اليوم لا أصل بها فتنقطع تلك الدعاوى عزاً وترتفع تلك الأوهام عن عامة الأنام.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 17] من العقائد والأحوال ومن الأقوال والأفعال وتحقيقه أن النفوس تكتسب بأعمالها أمراً لا توجب لذتها ومحنتها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت علائقها / وعوايقها وأدركت آلامها ولذات مرامها ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 17] 113/ ب
ببعض الثواب وزيادة العقاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 17] أو لا يشغله شأن عن شأن في جميع الأبواب.

قال ابن عطاء: من طالع من نفسه أفعاله وأذكاره وطاعته جزى على ذلك ولا ظلم عليه ومن طالع فضله ومنّته أسقطه عن درجة الجزاء إلى مقام الإفضال والرحمة لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: الآية 58].

وقال الأستاذ: يجازيهم على أعمالهم الجنان وعلى أحوالهم الرضوان وعلى أنفاسهم القربة وعلى محبتهم الرؤية يجازي المذنبين على توبتهم المغفرة وعلى بكائهم والضياء والشفاء والرحمة لا ظلم اليوم أي أنه يستحيل تقدير الظلم منه أزلاً وأبداً فليستوي فيه اليوم وغداً فكل ما يفعله فله أن يفعله وهو سريع الحساب مع عباده لا يشغله شأن عن شأن من مراده وسريع الحساب مع أوليائه في الحال يطالبهم بالصغير والكبير والنقير والقطمير تحيُّناً لما لهم في المآل.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ [الآية 18] أي القيامة الآتية القريبة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [الآية 18] واصلة إليها حيث ترتفع عن أماكنها من أسافلها إلى أعاليها فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا ﴿كَٰظِمِينَ﴾ [الآية 18] مملوئين من الغيظ والهم دائمين متحسرين نادمين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 18] قريب مشفق ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [الآية 18] أي حتى يقبل شفاعته.

وأفاد الأستاذ: أن قيامة الكل مؤجلة وقيامة المحبين معجلة لهم في كل

نفس قيامة من العتاب والعقاب والثواب والبعاد والإقراب وما لم يكن لهم في الحساب وشهادة الأعضاء والأجزاء على وجه الإبداء فالدمع يشهد وخفقات القلب تنطق والنحول يخبر واللون يفصح ويعبر والعبد يستر ولكن البلاء يظهر يا من تغير صورتي لما بدا للجميع ما ظنوا بنا التصديق، وقلوبهم إذا أزف الرحيل بلغت الحناجر وعيونهم شرفت بدموعها إذا نودي بالرحيل وشدت الزوائد على الرحائل.

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ [الآية 19] النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم
114/ أ عليه واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين/ ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [الآية 19] من الضمائر والسرائر كالحزن والسرور فيجازي العباد بما في ظواهرهم وبواطنهم من أعمالهم وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة أعين المحبين استحسانهم أشياء من الدنيا والأخرى ومن خيانة أعينهم أن تأخذهم سنة الغفلة لأن السيئات في أوقات المناجاة من الخيانات وفي قصة داوود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر قلوبهم مما تقع عليه عيونهم ينظرون ولكن لا يبصرون ومن خائنة أعين الموحدين أن يخرج منها قطرة دمع تأسفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والأخرى ولا على أنفسهم فيما تهوى.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية 20] بالعدل الصدق ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 20] وقرأ نافع وهشام بالخطاب ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ [الآية 20] أي لا يتمكنون على القضاء بشيء أصلاً لا ظلماً ولا عدلاً لأنهم جماد لا يقدرون نطقاً ولا فعلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الآية 20] تقرير لعلمه بخيانة الأعين وقضائه بالحق في الأعيان ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه على ما يزعمون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقضي للأجانب بالبعاد وبالوصال لأهل الوداد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ [الآية 21] مآل حال المكذبين لرسلهم كعاد وثمود وأمثالهم ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 21] تمكناً وقدرة وقرأ ابن عامر أشد منكم قوة ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] من القلاع المرتفعة والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] عاقبتهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الآية 21] يمنع العذاب عنهم.

وقال الأستاذ: أو لم يسيروا بنفوسهم في أقطار الأرض وجوانبها ويطوفوا مشارقها ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [الآية 21] بقلوبهم في الملكوت بجولان الفكر فيشهدوا أنوار التجلي فيستبصروا بها أو لم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ويتخلصوا من جميع الخلائق قاصيها ودانيها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 22] الأخذ بالسيئات / ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ 114/ ب
[الآية 22] بالمعجزات أو الأحكام الواضحات ﴿فَكَفَرُواْ﴾ [الآية 22] بها ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 22] بسببها ﴿إِنَّهُۥ قَوِيٌّ﴾ [الآية 22] بما أراد ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 22] لمن كفر به من العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه إن بقي من أهل السلوك قاصد لا يصل إلى مقصده فليعلم أن موجب حجبه اعتراض عن بعض شيوخه مما خامر في قلبه ففي الخبر «الشيخ في أهله كالنبي في أمته».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 23] يعني المعجزات ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 23] وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا واليد البيضاء من جهة الكرامات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الآية 24] أي هو يعني موسى جامع بين السحر للخلق والافتراء على الحق وفيه تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم ووعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

وأفاد الأستاذ: أن أكرم خلقه سبحانه كان موسى عليه السلام في وقته وزمانه، وأخس خلقه وأذلهم في حكمه وأشدهم كفراً بربّه كان فرعون إذ لم

يقل أحد غيره ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: الآية 38] فبعث الله أخص عباده إلى أخسّ عباده فقابله بالتكذيب ونسبه إلى السحر وأنبه بأنواع التأنيب ثم أنه سبحانه لم يعجل عقوبته وأمهله إلى أن أوصل إليه شقوته إنه سبحانه حليم وبعباده عليم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ [الآية 25] أي موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم كي يصدوا عن مظاهرة موسى ويضعفوا عن مقاومة مخالفهم ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 25] منهم ومن غيرهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 25] أي ضياع في تدبير أمرهم.

وقال الأستاذ: عزم على إهلاكه وإهلاك قومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله ولكن كان كما قال: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 25] وإذا حفر واحد لولي من أولياء الله حفرة ما وقع فيها غير حافرها بذلك أجرى الحق سنته.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [الآية 26] أي اتركوني وكانوا يكفونه عن قتله وأظهر على لسانه ما ذكر من تعلله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 26] ليستعن بربه
115/أ وهذا تجلد منه وجرأة في كفره ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ/ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [الآية 26] ما يفسد دنياكم فيما بينكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ووقع الفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 27] أي لقومه لما سمع من فرعون بعض قوله ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 27] خص اسم الرب لأن المطلوب هو التربية والتقوية وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على الموافقة لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة وذكر وصفاً يعم فرعون وغيره لإفادة تعميم الاستعاذة وللدلالة على الحامل له على تلك المقالة.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 28] من أقاربه وهو ابن عمه

وقيل: من متعلق بقوله ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [الآية 28] والرجل إسرائيلي من جنده ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا﴾ [الآية 28] أتقصدون قتله ﴿أَن يَقُولَ﴾ [الآية 28] لأن يقول أو وقت أن يقول ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 28] أي وحده من غير تأمل في أمره ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 28] المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الآية 28] ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط في دفع قتله بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ [الآية 28] أي لا يتخطاه وبال ما افتراه فيحتاج في دفعه إلى إهلاكه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [الآية 28] أي فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو يصيبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ [الآية 28] في الأفعال ﴿كَذَّابٞ﴾ [الآية 28] في الأقوال والمعنى إنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولما قواه بتلك المعجزات أو أن من أهلكه الله وخذله فلا حاجة لكم في قتله ولا يبعد أن يكون تقريضاً منه بحالهم وبما يؤول إليه من عاقبة مالهم.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ [الآية 29] غالبين قاهرين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 29] أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] عقابه ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ [الآية 29] بسبب قتل نبيه وأدرج نفسه معهم أي بأنه يساهم فيما ينصح لهم ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ﴾ [الآية 29] ما أشير إليكم في أمره ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [الآية 29] من
115/ ب استصواب قتله ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا/ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [الآية 29] وطريق السداد.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾ [الآية 30] في تكذيبه والتعرض لقتله ﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [الآية 30].

﴿مِثۡلَ﴾ [الآية 31] أيام الأمم الماضية ووقائعهم البادية مثل ﴿دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ﴾ [الآية 31] مثل جزاء ما كانوا عليه دائباً من الكفر بربهم وإيذاء رسلهم ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ [الآية 31] كقوم لوط ونحوهم ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [الآية 31] أي من نفسه فإنه لكونه محالاً في صفته لا يوجد فيه تعلق إرادته فلا يعاقبهم بغير ذنب صدر منهم ولا يخلي الظالم بغير انتقام عنه إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [الآية 32] يوم نزول البلاء والمحنة حين ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والحسرة.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ [الآية 33] عن مساكنكم فارين عن المهلكة ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ [الآية 33] يعصكم من العقوبة ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الرّعد: الآية 33] يرده إلى الهداية وقيل المراد بيوم التناد يوم القيامة وفيه أن القوم لم يكونوا مؤمنين بوقوعه والقائل في مقام نفيه من قوله اللهم إلا أن يحمل على فرض وقوع ما يدعي موسى مع قومه أو أظهر حينئذ ثبوت إيمانه بعد ما كان مدة على كتمانه كما سيظهر في بعض كلامه من تحقيق بيانه ثم من جملة نصحه قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ [الآية 34] أي ابن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى فإنه نقل أنه عمر أربعمائة وأربعين سنة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 34] قبل موسى ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 34] بالمعجزات روي أنه بعثه الله رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه في ما يتعلق بالأمر الأخروي بل بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾ [الآية 34] من الحكم الديني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [الآية 34] مات ﴿قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾ [الآية 34] فيما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده على طبق حالته ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ [الآية 34] شاك فيما تشهد به البينات أنه طريق صواب.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ [الآية 35] بغير حجة وبرهان ﴿أَتَىٰهُمۡ﴾ [الآية 35] بل أما تقليد طائفة جاهلة أو شبهة داحضة زائلة لاحت لهم والجملة مبتدأ خبره ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 35] عظم جدالهم غضباً عند ربهم ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الآية 35] لأنهم متخلقون بأخلاق مولاهم ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [الآية 35] وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان
بتنوين قلب/ على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما ومعدلهما. 116/أ

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ [الآية 36] بناءً مكشوفاً عالياً ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ [الآية 36] الطرق العالية في الاكتساب.

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 37] أسباباً تعين الصعود إلى جهات العلويات

وهي بيان لما قبلها وفي إيهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفة بيانها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [الآية 37] عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترخي وهذه كلها منه أمور وهميات وتعللات تخيليات منشأها غاية الجهالة ونهاية الضلالة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [الآية 37] في دعوى الرشاد وهذا كذب منه لظهور صدق موسى بقطعي الدلالة ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ [الآية 37] سبيل الرشاد وطريق السداد والفاعل هو الله حقيقة والشيطان وساطة وقرأ الحجازيان والبصري والشامي صد على بناء الفاعل على أن فرعون صد الناس عن البينات بأمثال هذه التمويهات ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [الآية 37] خسار ودثار، قيل: من رأى في نفسه زلة وستر عليها ولم يجتهد في إزالتها زين في عينه مساوئه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ [الآية 38] يعني مؤمن آل فرعون ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ﴾ [الآية 38] بالدلالة ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [الآية 29] سبيلاً يصل سالكه إلى المراد وفيه تعريض بأن فاعله فرعون وقومه سبيل الغي والعناد.

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ [الآية 39] تمتع يسير لسرعة زوالها وانقضاء آجالها ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [الآية 39] لدوامها وبقاء آمالها.

قال محمد بن علي: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء وطالبوها من المهانين عند الحكماء وما قام داع في أمة من نبي أو ولي إلا وحذر حبها وجمعها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم الآية أي لن تصل سبيل الهداية وأهلها وفي قلبك محبة الدنيا وطلبها.

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ [الآية 40] عدلاً من الله ونعمة وفيه دلالة على أن الجناية تغرّم بنحوها.

وقال الأستاذ: إلا مثلها في المقدار لا في الصفة لأن الأول سيئة والمكافأة / حسنة. قلت وأما قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾ [الشورى: الآية 40] 116/ ب
فهو من باب المشاكلة أو من حيثيته الصورة من الهيئة ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الآية 40] أي في المآل أي المدار على تلك الحال ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الآية 40] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بصيغة المجهول ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 40] بغير موازنة بالطاعة بل أصناف مضاعفة فضلاً منه ورحمة.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [الآية 41] إلى ما به النجاة من العقاب والفوز بالثواب ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 41] ما يجرف إلى دار البوار ومقام الكفار والفجار.

وقال أبو عثمان من أراد النجاة فليترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعينه فإن نجاة الدارين فيه.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 42] أي بألوهيته ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ﴾ [الآية 42] بربوبيته ﴿عِلْمٌ﴾ [الآية 42] عرفان والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بدّ لها من برهان وأن اعتقادها لا يصح إلا عن إيقان ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [الآية 42] المستجمع لصفات الألوهية ونعوت الربوبية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتمكن عن المجازاة على الحسنة والسيئة والقوة على العقوبة والمغفرة.﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 43] لا بدّ ولا محالة ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 43] أي إلى عبادته من الآلهة ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [الآية 43] مستجابة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 43] أي أصلاً لأنها جمادات ليس لها ما تقتضي ألوهيتها عقلاً ونقلاً ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 43] مرجعنا إلى حكم بالموت وغيره ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 43] في الضلالة كالمشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 43] ملازموها ومداوموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ [الآية 44] عند معاينة الأهوال ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ [الآية 44] من النصيحة في تحسين الأحوال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 44] ليعصمني من كل سوء أراده بي من سواه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 44] عالم بمن هو من أهل الصلاح وأرباب لفساد.

قال أبو عثمان البصري: قلت لأبي صالح حمدون أوصني قال: أن

تصبح مفوضاً لا مدبراً وقال بعضهم: التفويض قبل نزول البلاء والتسليم بعد نزول العناء. وسئل ذا النون متى يكون العبد مفوضاً لأمره إذا أيس من نفسه وأفعاله والتجأ إلى الله في جميع أحواله.

117/ أ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 45] أي حفظ مؤمن آل فرعون/ ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [الآية 45] شدائد مكرهم في حقه ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية 45] بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 45] الإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى كما قال تعالى في حق قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: الآية 25].

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [الآية 46] طرفي النهار وما بينهما معذبون بشيء آخر ودائماً أريد بالعشي الليل وبالغدو والنهار. وقد ثبت في الأخبار عن سيد الأخيار وسند الأحبار أنه قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدوة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(1).

وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 46] أي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت القيامة قيل لهم ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 46] فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا على أمر الملائكة بإدخالهم النار وهذا إشكال منشؤوه سؤال وهو أن الآية لا شك في أنها مكية.

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية في المدينة كانت تعيذ عائشة رضي الله عنها من عذاب القبر فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمراً عيناه بأعلى صوته أيها الناس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1379)، ومسلم في الصحيح (2866/ 65).

استعيذوا بالله من عذاب القبر فإنه حق»[1] وأجيب بأن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبته عليه السلام عذاب الجسد والمراد به الجمع بين العذاب الروحاني والجسماني في الجملة فلا ينافيه ما روي ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواح الكفار في أجواف طير سود وتعرض على النار بكرة وعشياً[2] إلى يوم القيامة.

وما روي غيره مرفوعاً أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش[3].

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ [الآية 47] أي واذكر حين يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ [الآية 47] الأتباع من الفقراء توبيخاً ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ [الآية 47]
117/ب للمتبوعين من / الأغنياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [الآية 47] أتباعاً في الدين طمعاً في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 47] بالدفع منا أو الحمل عنا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ [الآية 48] نحن وأنتم واقعون فيها فكيف نغني عنكم شيئاً منها ولو قدرنا لأغنينا عن أعيننا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [الآية 48] بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار على ما أراد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وفي الآية إشارة إلى أن عذاب الأغنياء من الكفار لجمعهم بين الضلال والإضلال أشد من كفار الفقراء لاقتصار وبالهم على الضلال ففي الجملة دلالة على فضل الفقراء على الأغنياء كما ذهب إليه أرباب الكمال والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 582) رقم (3604)، والطبراني في المعجم الكبير (25/ 103) رقم (268)، وابن حبان في الصحيح (7/ 395) رقم (3125).

(2) ورد بلفظ: «أرواح آل فرعون» انظر ما أورده ابن كثير في تفسيره (7/ 148)، والطبري في تفسيره (21/ 395)، والقرطبي في تفسيره (15/ 319).

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (1887/ 121)، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 183) رقم (8905)، وأبو يعلى في المسند (4/ 219) رقم (2331)، وأحمد في المسند (1/ 265) رقم (2388).

وقد صرح حجة الإسلام أن عذاب الكافر الفقير أحق من الكافر الغني فإذا نفع فقر الكافر صاحبه في دار الجحيم فكيف لا ينفع فقر المؤمن صاحبه في دار النعيم وقد ورد أشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الضعفاء يقولون للكبراء أنتم أضللتمونا والمستكبرون يقولون لهم بل أنتم باختياركم وافقتمونا فمحاجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم فكما يعذبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وبغض بعضهم من بعض في نحورهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 49] كلهم أو بعضهم ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 49] وهي مشتملة على جميع دركاتها وطبقاتها ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ [الآية 49] وقتاً ما ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 49] شيئاً منه ولو يسيراً في هذا الباب ثم في قولهم ادعوا ربكم دون ادعوا ربنا أيما إلى كمال ضلالهم في مقام البعد وحال الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أيضاً من إمارات الأجنبية يدخلون واسطة بينهم وبين ربهم في الأدعية ثم أن الله تعالى ينزع الرحمة عن قلوبهم حتى لا يشفعوا في حقهم.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 50] أرادوا بهذا إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعوة وتعطيل أسباب الإجابة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ [الآية 50] أنتم فإنا لا تجترىء في ذلكم إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 50] لو دعونا هنالك ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 50] ضياع لا يجاب.

لذلك ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 51] بالحجة وللنصرة من الكفرة بحسب الغلبة/ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [الآية 51] من 118/أ
الملائكة والأنبياء والصالحين من العباد.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 52] وقرأ ابن كثير وأبو عمر وأبو عامر بالتأنيث وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون فالآية

من باب نفي القيد والمقيد ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ [الآية 52] البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية 52] وفيها أشد العقوبة.

قال جعفر الصادق: ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهراً وننصر المؤمنين بالرسل باطناً.

وقال سهل: نكرمهم بالعلم والمعرفة في الدنيا وبالرضا والرؤية في العقبى.

وقال الأستاذ: ننصرهم بالآيات وفنون من التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا أن الظفر وضده من الله والخير والشر كله من عند الله ويقال: ننصرهم بكيد خفي ولطف غير مرئي من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب وكما ينصرهم في الدنيا ينصرهم في الأخرى ينصرهم في الدنيا بالمعرفة واليقين بأن الكائنات من الله وفي العقبى ليشهدوا بالإقرار ويعرفوا بالاضطرار أن التأثير من الله وغاية النصرة أن يقتل الناصر عدو من ينصره فإذا رآه حقيقة أنه لا عدو في الحقيقة وإن الخلق أشباح يجري عليهم أحكام القدرة فالولي لا عدو له ولا صديق له ليس له إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: الآية 257].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية 53] ما يهتدي به في الدين من المعجزات والأحكام البينات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 53] وتركنا عليهم بعده التوراة.

﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ [الآية 54] هداية وتذكرة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الآية 54] لذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 55] على أذى الكفرة والفجرة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [الآية 55] بالغلبة والنصرة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [الآية 55] وتدارك فرطاتك كترك الأولى وساعة الغفلة عن المولى والاهتمام بأمر العدي بالاستغفار ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [الآية 55] ودم على التسبيح والتحميد لربك فإنه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر وقيل صل بهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشية.

118/ ب وأفاد الأستاذ: أن الصبر في /انتظار الموعود من الحق على حسب الإيمان والتصديق بالإيقان فمن كان تصديقه ويقينه أتم وأقوى كان صبره أتم وأوفى، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] وإنه يعطي وأن توهم العبد أنه يبطىء ويقال: الصبر على قسمين صبر على العافية وصبر على البلاء فالصبر على العافية أشد وأقل من الصبر على البلاء. ثم قال وفي قوله: وللمؤمنين دليل على أنه كان له ذنوب ولم يكن جميع استغفاره لأمته لأنه ذكر استغفاره للمؤمنين ويكون ذلك محمولاً على ذنوبه قبل النبوة ويجوز أن يكون العبد قد تاب من الزلة ثم يجب عليه الاستغفار من ذلك الذنب كلما ذكره فإن تجديد التوبة يجب كما يجب أصل التوبة انتهى كلامه ولا يخفي ما فيه من نقصان مرامه، فإن قوله: وللمؤمنين ليس في هذه الآية ثم إثبات الذنوب له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة مما لا يرتضيه المحققون من علماء الأمة بل حملوا إثبات هذه الآية على ما سبق من أن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ثم ما ذكره من وجوب تجديد التوبة فلا أعرف أن أحداً من الفقهاء ذهب إليه ولا أحد من الصوفية اعتمد عليه بل اختلفوا هل تذكر المعصية وتجديد التوبة أفضل أو نسيانها من أصلها أكمل فتأمل فإنه موضع زلل وموقع وحل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 56] حجة وبرهان ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ [الآية 56] بل جادلوا فيها بما وافق هواهم ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [الآية 56] تكبر عن أتباع الحق وتعظم عن التفكر والتعلم في طريق الصدق أو إرادة الرياسة والتقدم على الخلق ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [الآية 56] ليسوا بواصلي مقتضيه فإن الله يعذر رسوله ومتابعيه ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 56] التجىء إليه واعتمد عليه واستسلم لديه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 56] لأقوالكم وأفعالكم فيجاريكم وفق أحوالكم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 57] أي أعظم وأشق في نظر العقل القاصر وإن استويا بالنسبة إلى قدرة الخالق القاهر فمن قدر على خلقها مع عظمها في زعمكم أولاً من غير أصل ومادة قدر على خلق الإنسان ثانياً من أصل موجود في/ الجملة بعد مدة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 119/ أ

[الآية 57] لأنهم لا يتفكرون في مبدأ فطرتهم لفرط غفلتهم وأتباع أهوائهم وشهوتهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 58] الغافل والمستبصر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [الآية 58] في العقائد والطاعات أي وما يستوي المحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم مال يظهر فيه تفاوت حال وهي فيما بعد البعث من دار البوار للكفار ومن دار القرار للأبرار وزيادة لا في المسمى لأن المقصود نفي مساواته مع ماله من سوء الحالة للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في مقصود التعبير أو للدلالة بالصراحة بعد الكناية للتأكيد والتقرير ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ [الآية 58] تذكر أما قليلاً ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] حيث لا ينتفعون والضمير للكفار أو لأكثر الناس من الفجار وقرأ الكوفيون بالخطاب تغليباً أو التفاتاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به ما يستوي المؤمن والكافر ولا المربوط بشهوته كالمبسوط بصفوته ولا المجذوب بقربته كالمحجوب بعقوبته ولا المرقي إلى مشاهدة كالمبقي في مشاهدة ولا المحدود بسعادته كالمردود بشقاوته.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 59] لا شك في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 59] لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به من أثرهم.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] أثبكم لقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [الآية 60] أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها بل زبدة أسبابها فقد ورد أن الدعاء مخ العبادة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [الآية 60] صاغرين وفي الحديث من لم يدع الله غضب عليه وقرأ ابن كثير وأبو بكر بصيغة المفعول وهو أبلغ في الزجر.

قال ابن عطاء: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأوقاتاً وأسباباً فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والخشوع والاستغاثة وقطع القلب من الأسباب وتعلقه/ برب الأرباب وأجنحته الصدق في القول والفعل ومواقيته 119/ ب
الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقال الوراق: ادعوني على حد الالتجاء وغاية الاضطرار حيث لا يكون لكم مرجع إلى الأغيار.

ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [الآية 60] ونحن ندعوا فلا يستجاب دعاؤنا فما بالنا فقال: إن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتابه [ولم] تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ومودّته وتركتم متابعة سنّته والرابع: ادّعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه في دعوته والخامس: ادعيتم حب الجنة فلم تعملوا لها والسادس: ادعيتم خوف النار فلم تتركوا المعصية خوفاً منها والسابع: أقررتم أن الموت والإعادة حق ولم تستعدوا لها والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم عن عيوب أنفسكم وإصلاحها والتاسع: أكلتم نعمة الله وكفرتم بها والعاشر: دفنتم موتاكم في المقبرة ولم تعتبروا فيها.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [الآية 60] إن شئت لأنه قال في آية أخرى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: الآية 41]، ويقال: ادعوني بشرط الدعاء ومن شرط الدعاء الأكل من الحلال فقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة أسنانه لقم الحلال ويقال: كل من دعاه استجاب له إما بما يسأله بعينه أو بشيء آخر هو خير له منه ويقال: الكافر ليس يدعوه لأنه إنما يدعو من له شريك وهو لا شريك له ويقال: إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين فما من مؤمن يدعو ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة يقال له: هذا يدل ما طلبته في الدنيا وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئاً في

الدنيا ويقال: ادعوني بالتفضل استجب لكم بالتفضل ادعوني بحسب الطاعة استجب لكم بكشف الفاقة ادعوني بالسؤال استجب لكم بالنوال.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ [الآية 61] مظلماً ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ
120/ أ مُبۡصِرًاۚ﴾ [الآية 61] منيراً/ لتتحركوا فيه الأمر معاشكم وما يتعلق فيه من أمر معادكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 61] بوصف عميم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [الآية 61] فضله وإنعامه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع إكرامه وتكرير الناس لتنقيص تخصيص الكفران بهم.

وأفاد الأستاذ: أن سكون الناس في الليل على أقسام أهل الغفلة ليسكنون إلى غفلتهم وأهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم فشتان بين سكون غفلة وسكون وصلة قوم يسكنون إلى أمثالهم وأشكالهم وقوم يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وقوم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم أولئك أصحاب الاشتياق فهم أبداً في الاحتراق.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 62] المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الآية 62] أخبار متلاحقة تخصص اللاحقة السابقة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 62] فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وأنتم مغمورون في فضله وخيره فذلك أي مثل إفك ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الآية 63] ولا يتأملون ما هنالك.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [الآية 64] ذات قرار ومدار ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [الآية 64] سقفاً محفوظاً قال بعضهم: جعل الأرض قراراً لصفوتة والسماء بناءً لملائكته ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [الآية 64] بأن جعلك منتصب القامة بادي البشرة والهامة متناسب الأعضاء ومتعادل الأجزاء متهيئاً لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 64] المستلذات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ [الآية 64] مربيكم في أحوالكم ومقويكم في أعمالكم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 64] تكاثر خيره على من سواه ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 64] فإن كل ما عداه مربوب له ومفتقر إليه في دنياه وأخراه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق العرش والكرسي والسمٰوات والأرض وسائر المخلوقات ولم يخاطبهم بهذا الخطاب وإنما قال لنا: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] وليس الحسن ما يستحسنه الرقيب وإنما الحسن ما يستحسنه الحبيب.

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

120/ ب لم يقل للشموس في علانها ولا / للأقمار في ضيائها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] ولما انتهى إلينا قال: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [الآية 64] وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]. ويقال: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا فالملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم وصوركم أحسن صوركم عنده بأن محا من ذنوبكم الزلات وأثبت في ذلك الحسنات قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: الآية 39]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: الآية 70]. ثم لبس الطيب ما يستطيبه الخلق الطيب ما يستطيبه القلب الخير، الغفار أطيب للفقير الشاكر من الحلوى للغني المتسخط ورزق النفوس المطعومات والمشروبات ورزق القلوب لذات الطاعات.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الأزلية الأبدية. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 65] إذ لا موجود يساويه في ذاته وصفاته أو يدانيه ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ [الآية 65] فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 65] الطاعة من الشرك والسمعة قائلين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 65] على سائر النعمة.

قال الحسين: هو الحي الذي أحيا العالم بنظره فمن يكن بنظره حياً فهو ميت وإن تحرك ونطق.

وقال جنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي.

وقال الأستاذ: هو الحي الذي لا يموت ولا فضله يفوت فادعوه تبيان القوة فإن ذلك عليه لا يفوت.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾

[الآية 66] من الحجج والآيات ﴿مِّن رَّبِّي﴾ [الآية 66] من عنده على وجه الكرامات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 66] أن انقاد له في ديني أو أخلص له في يقيني.

وقال الأستاذ: أي أمرت بالتبري عما عبدتم والإعراض عما به اشتغلتم والاستسلام للذي خلقني وبالنبوة أخلصني.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الآية 67] أي من نقلكم من تربة إلى قطرة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ [الآية 67] أي كلاً منكم ﴿طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الآية 67] ثم يبعثكم لتبلغوا شباباً ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 67] قبل الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟﴾ [الآية 67] أي ويفعل ذلك بكم لتبلغوا ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [الآية 67] وهو القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67]
121/أ / ما في هذا المعبر من الحجج والعبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 68] أي ثم يبعثكم ثم في إحدى الدارين ينزل بكم ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [الآية 68] أي أراد شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية 68] فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وبحسم كلفه ومدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية 69] عن التصديق بها والتأمل فيها وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه أو للتوكيد في الوعيد والتهديد فلا حجة يوردون ولا عذاب عن أنفسهم يردون.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 70] بالآيات القرآنية أو بجنس الكتب السماوية [﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾] [الآية 70] جزء أفعالهم الدنية.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [الآية 71] في رقابهم ﴿يُسْحَبُونَ﴾ [الآية 71] أي بها.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ [الآية 72] أي بالجحيم ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [الآية 72] يحرقون والمراد أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينتقلون من بعضها إلى بعض كما

كانوا في عالم الأسباب.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الآيات 73، 74] غابوا عنا وضاعوا منا فليس لنا منهم إلا لعنا ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ [الآية 74] ينفعنا ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 74] حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الدنيا والأخرى.

﴿ذَٰلِكُم﴾ [الآية 75] الإضلال أو العذاب والأنكال ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 75] تنظرون وتتكبرون فيها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 75] بغير استحقاق بل بمجرد الطغيان ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [الآية 75] تتوسعون في الفرح بالعدوان والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ والعتاب.

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ [الزُّمَر: الآية 76] الأبواب السبعة المقسومة لأهلها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] مقدرين الخلود فيها ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 76] فبين مثواهم ومصور بهم وساء ذهابهم ومسيرهم.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 77] كائن لا محالة ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية 77] ما مزيدة لتأكيد الشرطية والمعنى فإن ترك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الآية 77] وهو القتل والأسر والمذلة ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 77] قبل أن نرى تلك الحالة ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 77] جميعهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم على حسب ما يستحقونه من العقوبة.

قال أبو بكر بن طاهر: صبراً على شدائد الدنيا فإن وعد الله حق لمن صبر فيها على البلاء والعناء أن يوصله إلى الراحة الكبرى وهو مقعد صدق عند مليك / مقتدر. 121/ ب

وقال الأستاذ: أي كن بقلبك فارغاً عنهم وانظر من بعد إلى ما نفعل بهم واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلا فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعدك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ [الآية 78] كثيراً ﴿مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾

[الآية 78] حاله مفصلاً أو مجملاً ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 78] حاله أصلاً إذ روي أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل ثلثمائة وخمسة عشر والمذكور قصتهم قيل أربعة وعشرون شخصاً ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 78] من الأولين والآخرين ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فهم كسائر القسم لغيرهم فليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها فإن بعضهم من ذكر القسمة وما جرى له في السابقة ينقطع عن السؤال والدعاء ويعلم أن القضاء كائن بالحق من الحق في الابتداء أو الانتهاء ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 78] بعذاب المقترحة في الدنيا والآخرة ﴿قُضِيَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 78] بإنجاء المحق وتعذيب المبطل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 78] المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها من المعجزات.

وقال الأستاذ: لم يكن في وسع صاحب نبوة أن يأتي بمعجزة إلا إذا أظهرناها نحن عليه على ما أردنا إذا أردنا كما أرادنا فكذلك إن طالبوك بآية فقد أظهرنا عليك من الآيات ما أزحنا العذر وأظهرنا صحة الأمر وما اقترحوه إن شئنا أظهرناه وإن شئنا تركناه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ [الآية 79] من غاية الأنعام ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 79] والظاهر أن المراد بها الإبل وحدها لقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الآية 80] كألبانها وجلودها وأوبارها ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية 80] بالمسافرة عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 80] في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 80] بأثقالكم وأحمالكم.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 81] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال رحمته ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 81] فأي آية من تلك الآيات ﴿تُنكِرُونَ﴾ [الآية 81] فإنها لظهورها لا يمكن إنكارها.

122/أ / ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بسير قلوبهم أو أبدانهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 82] مال أحوالهم مع كثرة آمالهم وإصرارهم

على كفرهم ومساوىء أعمالهم ﴿كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 82] عدة وعدة ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ [الآية 82] وأحدّ شوكة ﴿وَءَاثَارًا﴾ [الآية 82] وأكثر عمارات فانية منهم باقية بعدهم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 82] كالقصور والقلاع ونحوها ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الآية 82] الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 83] بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [الآية 83] واستحقروا علم الرسل بجنب علمهم كما صدر عن بعض الحكماء السفهاء والمراد بعلمهم علوم الطبائع والتنجيم والمنطق ونحوها أو عقائدهم الفاسدة وشبههم الكاسدة من قولهم لا حساب ولا عذاب في الدار الآخرة ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده الحسنى فسماها علماً على زعمهم تهكماً بهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 83] جزاء استهزاءهم وجهلهم بأنبيائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾ [الآية 84] شدة عذابنا ويبينوا من الوقوف على بابنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 84] من الصنم ونحوه.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [الآية 85] لامتناع قبوله حينئذ لأن إيماننا الابتلاء غير معتبر حال حلول البلاء ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ [الآية 85] أي سنّ الله ذلك سنة ماضية في العباد في جميع البلاد ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ [الآية 85] وقت رؤيتهم البأس ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 85] من الناس.

سورة فصلت

[مكيّة]

وهي أربع وخمسون آية(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: أفلح من عرف بسم الله وما ربح من بقي عن بسم الله من صحب لسانه ذكر بسم الله وصحب جنانه حب بسم الله كفى له شفيعاً بسم الله إلى من تعبدنا بذكر اسم الله.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] قال سهل: حم قضي في اللوح المحفوظ وكتب فيه ما هو كائنٌ من المذموم قال بعضهم: الحافظ الملك هو الله ولا يبعد أن يكون الحاء إيماء إلى صفة الرحمٰن والميم إلى نعت الرحيم وأُشير إلى وسط الوصف الأول فإنه يعم ويشمل أهل الدنيا وأومىء إلى آخر النعت الثاني لأن محل ظهوره المؤمنون في العقبى ويؤيده قوله:

122/ب ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [الآية 2] حيث/ أضاف التنزيل إلى الوصفين الشريفين للدلالة على أنه مناط المصالح الدنيوية والمنافع الأخروية.

وقال الأستاذ: أي بحقي وحياتي ومجدي في ذاتي وصفاتي إن هذا تنزيل من الرحمٰن الرحيم.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 3] أي هذا كتاب جامع فيه لكل حكم باب ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 3] باعتبار فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها عن غيرها لتعلق الإعجاز بها.

(1) في المخطوط: ثلاث وخمسون آية.

وقال ابن عطاء: أي بينت أحكامه.

وقال الأستاذ: بينت دلالاته وعلاماته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] نصب على المدح وفيه امتنان لسهولة مبناه وفهم معناه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] العربية أو لأهل العلم والنظر في القضية بشيراً للعالمين به ونذيراً للمخالفين له.

وقال ابن عطاء: ﴿بَشِيرًا﴾ لمن آمن به برضا ربه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن أعرض عنه بسخط ربه ويلائمه قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 4] عن نذيره وقبوله ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 4] سماع تأمل في حصوله.

وأفاد الأستاذ: أن الدليل منصوب لكافة العالمين ولكن الاستبصار به للعالمين دون المعرضين الجاحدين بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم ونذيراً لمن أبعدناهم ومن شهود آياتنا أعميناهم فأعرض أكثرهم عن دعائنا أياهم فهم مثبتون فيما أردنا بهم وعلى ذلك الوصف علمناهم.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ [الآية 5] أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [الآية 5] ثقل وصمم ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [الآية 5] يمنعنا عن التواصل فينا ﴿فَٱعْمَلْ﴾ [الآية 5] على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [الآية 5] على ديننا.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوه على الاستهانة والاستهزاء ولو قالوا: ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً فمنوا بالمقت لما فقدوا من تحقيق الوقت قلت لو كان لهم بصيرة هنالك لما قالوا ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية 6] أي قل لا ادعي أني من جنس الملائكة بل ادعوكم إلى التوحيد بطريق اليقين مما دل عليه دلائل العقل وشواهد النقل.

وفي «تفسير السلمي» أي أنا مثلكم في الصورة ولست مثلكم في
الحقيقة كما ورد إني لست لأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني
﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 6] أي استقيموا في أفعالكم / متوجهين إليه بأحوالكم 123/ أ
﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [الآية 6] مما فرطتم في أعمالكم قيل: الاستقامة مساواة الأحوال في

الأقوال والأفعال وهو أن لا يخالف الظاهر الباطن ولا الباطن الظاهر فإذا استقامت جملة حالتك فاستغفر من رؤية استقامتك واعلم أن الله سبحانه هو الذي قومك لا إنك استقمت بنفسك كذا في تفسير السلمي.

ويحتمل أن يكون معناه واستغفروا مما فرط عنكم لأنكم لا تقدروا على حقيقة الاستقامة فيكم لقوله صلى الله عليه وسلم: استقيموا ولن تحصوا أي لن تطيقوا ولذا قيل الاستقامة أشد من ألف كرامة.

وقال الأستاذ: أي أنا بشر مثلكم في الصورة والبنية والذات والخلقة والتفرقة بيني وبينكم أنه يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فالخصوصية لي من قبله لا من قبلي ولقد لبثت فيكم عمراً ولقيتموني دهراً فما عثرتم مني على غير صواب ولا وجدتم في قولي شوب كذاب وأمري لكم أن استقيموا في طاعة أمره واستسلموا لقضاءه وحكمه فطوبى لمن أجاب والويل لمن أصر وخاب. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾ [الآيتان 6، 7].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ [الآية 8] غير مقطوع في العقبى أو في الدنيا أيضاً لما قيل: إنها نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في العافية.

وقال الأستاذ: آمنوا: شاهدوا الألوهية والربوبية، وعملوا الصالحات: لازموا بساط العبودية، وأجر النفوس: الجنة، وأجر القلوب الرضا بالمنة وأجر الأرواح الاستئناس بالله وأجر الأسرار دوام المشاهدة لله.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 9] في مقدار يومين أو في وقتين أو توقيتين وكفرهم به: إلحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [الآية 9] ولا يصح أن يكون له ند في مراتب تعيناته ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 9] أي خالق الأرض في قدر معين فيها هو خالق جميع ما أوجد من الممكنات ومربيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الزمان ولم يكن قبله زمان وخلق المكان ولم يكن قبله مكان / والحق سبحان كان ولا مكان ولا زمان فهو عزيز 123/ب

لا يدركه المكان ولا يهلكه الزمان ثم كيف يكون الذي لم يكن ثم حصل نداً للذي لم يزل.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الآية 10] جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾ [الآية 10] مرتفعة عليها مفروشة فيها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار والاستدلال والاعتبار بأن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله المتعال.

وقال القاسم الرواسي: الأجلّة من الأولياء الذين هم مشرفون على الخلق والثابتون بقدم الاستقامة على الحق ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [الآية 10] وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات.

قال الأستاذ: يا أيتها المطر ببركات السماء ويندفع عنها البلاء ببركات الأولياء ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [الآية 10] أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وينفعه أو أقواتاً ينشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها ليظهر لطائف أسرارها.

وقال الأستاذ: أي جعلها مختلفة في الطعم والصورة والمقدار وكذا رزاق القلوب والأرواح والأسرار ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [الآية 10] أي في تتمة أربعة أيام قيل: ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين والتصريح على فذلكة الوقتين ﴿سَوَآءٗ﴾ [الآية 10] أي استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [الآية 10] أي هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 11] قصد نحوها وهو مجاز عن الإيجاد على نحو ما أراد، يقول العرب: فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أن أكمل الأول وابتدأ الثاني في العمل والظاهر أنّه تم التفاوت ما بين الخلقين من الرتبة لا للتراخي في المدة لقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: الآية 30] أي بعد خلق السماء بسطها ودحوها متقدم على خلق الجبال فوقها.

وقال الأستاذ: قيل قصد وقيل: فعل فعلاً هو الذي يعلم تعينه ويقال

رتب أقطارها وركب فيها نجومها وأزهارها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [الآية 11] جوهر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء التي ركبت منها.

124/ أ وفي «تفسير ابن عادل» قال المفسرون: / هذا الدخان بخار الماء وذلك أن عرش الرحمٰن كان على الماء قبل: خلق الأرض والسماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية 7] ثم إنه تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً إلى جمعه الهواء فأزبد وارتفع وخرج منه دخان وأما الزبد فبقي على وجه الماء وأخذت منه الأرض بأقطارها وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق من السماوات بأطوارها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ [الآية 11] بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر المتعلقين بكما وإبرازاً ما أو دعت فيكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية 11] شئتما أم أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته وجمال عزّته وغلبته لإثبات الطوع والكره لهما ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [الآية 11] منقادين بالذات مطيعين في الصفات والأظهر تمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون ولا يبعد أن وقع لهما الخطاب وأقدرهما على الجواب بالوجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل هذا على ضرب المثل إن لم يتعسر خلقه شيء منهما على ما أردنا وقيل: بل أحياهما وأعقلهما وأنطقهما فقالتا: ذلك وانقادتا لما هنالك وجعل نفوس العابدين أيضاً لطاعته وعبادته وجعل قلوبهم أفلاكاً لنجوم علمه وأقمار هدايته وشموس معرفته فأوتاد النفوس الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وفي القلوب ضياء العرفان وشموس التوحيد ونجوم العلوم والعقول والنفوس والقلوب بيده يصرفها على ما أراد من حكمه.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [الآية 12] خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن اتقاناً إبدائياً والضمير للسماء على المعنى وسبع سماوات حال أو هو مبهم وسبع سماوات تمييز ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 12] قيل: المراد بالأيام الأربعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وإنه خلق السماوات يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة، وختم بآدم أبي الخاتم فهو ﷺ باعتبار ظهوره كالعلة

الغائية وباعتبار تصور روحه ونوره في المرتبة الأولية ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [الآية 12] شأنها وما يتأتي منها بأن حملها عليه اختياراً منها أو طبعاً فيها وقيل: أوحي إلى أهلها بأوامره على تفاصيلها ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الآية 12] فإن / الكواكب ترى كلها كأنها تتلألأ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 12] أي وحفظناها من 124/ ب
الآفات حفظاً ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الآية 12] البالغ في القدرة والحكمة.

قال ابن عطاء: زيّنا قلوب العارفين بأنوار المعرفة وجعلنا فيها ضياء التوحيد ومصابيح الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين وجه الأرض بمصابيح وهي قلوب الأحباب فأهل السماء إذا نظروا إلى قلوب الأولياء بالليل فذلك متنزههم كما أن أهل الأرض إذا نظروا إلى السماء استأنسوا برؤية الكواكب في منظرهم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ [الآية 13] عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [الآية 13] حذرتكم إصابة عقوبة شديدة الوقعة كأنها صاعقة ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 13].

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الآية 14] من جميع جوانبهم واجتهدوا به من كل جهة في بيان في رغائبهم ورهائبهم أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة من عذاب النار وكل منهما يحتملهما ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ [الآية 14] بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ [الآية 14] إرسال رسل إلينا ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [الآية 14] برسالته المقبولة لدينا ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 14] على زعمكم فيه ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 14] جاحدون منكرون إذا أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 15] على أهلها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 15] بغير استحقاق فيها ﴿وَقَالُوا۟﴾ [الآية 15] فخرة ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [الآية 15] اغتراراً بما لهم من القوة والشوكة فقبل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع بيده الصخرة فيقتلعها من أصلها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الآية 15] ألم يتبصروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى

خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 15] قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى من الممكنات ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 15] يعرفون إنها حق وينكرون.

قال الأستاذ: ركنوا إلى قوة نفوسهم بهواهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 16] باردة تهلك بشدة بردها ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ [الآية 16] جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً[(1)] وقرأ الحجازيان والبصري: بالسكون تخفيفاً قيل: كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [الآية 16] أي
125/ أ الذل / ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ [الآية 16] أكثر خزياً عليهم ﴿وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الآية 16] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 17] دللناهم على الهدى بنصب الآيات وإرسال الرسول بالمعجزات ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [الآية 17] فاختاروا الضلالة على الهداية ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [الآية 17] من السماء فأهلكتهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 17] من الكفر والمعصية وفي تفسير الأستاذ قيل: أنهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجريهم مجرى إخوانهم فيما عذبوا.

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 18] من تلك الصاعقة ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 18] المخالفة والظاهر أن المراد بالمؤمنين ممن ينجيهم الله من عذاب المخالفين وحملهم الأستاذ على العموم فأفاد أن منهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة ولم يعلموا وقوم كالبرق الخاطف وهم أعلاهم وقوم كالراكض وهم أيضاً أكابرهم وقوم عن الصراط سقطوا وتردهم الملائكة على الصراط فيثبتون فبعد فبعد وقوم بعدما دخلوا النار فمنهم من تأخذه إلى كعبيه ثم إلى ركبتيه ثم إلى حقويه فإذا بلغ القلب قال الرب للنار: لا تحرق قلبه فإنه محترق فيَّ وقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا وصاروا حمماً.

(1) إن الله تعالى أدام تلك الريح فيها على حالة واحدة لا تفتر وأهلكهم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في ذاتها نحساً وبعضها سعداً / شيخ زاده / .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 19] وقرأ نافع بفتح النون وضم الشين ونصب أعداء ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 19] يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا في محشرهم وهو عبادة عن كثرهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ [الآية 20] حضروها وما مزيدة مؤكدة لاتصال الشهادة بحضورهم ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 20] بظواهرهم.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [الآية 21] سؤال توبيخ لهم ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 21] أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أراد إنطاقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 21] الأظهر أنه استئناف من الله سبحانه في الدنيا والآخرة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 21] طواعية أو كراهية.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الآية 22] أي كنتم تسترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة/ 125/ب وما ظننتم أن أعضائكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفي تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال من الأحوال إلا وعليه رقيب مطلع على جميع ماله من الأعمال ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 22] لذلك اجترأتم على أن ما فعلتم.

قال أبو عثمان الجبري: من لم يذكر في وقت مباشرة الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترىء على الذنوب وتقدم عليها ومن ذكر ذلك حين أراد مباشرتها ربما يلحقه التوفيق والعصمة فيمنعانه عنها وذلك مبتدأ أو بدل عنه.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 23] خبره ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ [الآية 23] أهلككم وأوقعكم في مقام الفاجرين ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 23] فظهرت خسارتكم وما ربحت تجارتكم.

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [الآية 24] لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾ [الآية 24] يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [الآية 24] المجابين إليها.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾ [الآية 25] قدرنا ﴿لَهُمْ﴾ [الآية 25] لمن أراد أن يكفر بنا ﴿قُرَنَآءَ﴾ [الآية 25] إخواناً من شياطين الجن وإخواناً من شياطين الإنس ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 25] من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [الآية 25] من أمر العقبى بإنكار العقوبات والمثوبات ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 25] أي كلمة العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الآية 25] كائنين في جملة أمم أو معهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 25] وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 25] أي كلهم ﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية 25] في أحوالهم وآمالهم في مآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد بعبد سوءاً قيض له أخدان سوء قرناء وإخوان شرهم الأضداد لهم فيما راموا، وإذا أراد بعبد خيراً قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان فإنه مقيض مسلط على الإنسان يوسوس إليه بالعصيان وشر من ذلك النفس وبئس القرين هي تدعو اليوم إلى ما فيه العقوبة وتشهد غداً عليه بفعل الزلة فزينوا لهم ما بين أيديهم من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الزلل والتأخر في التوبة والتقصير في الطاعة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [الآية 26] وعارضوه بالهذيان ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [الآية 26] على ما تطلقون.

126/ أ قال ابن عطاء: من لم يكن / قلبه منور بالإيمان لا يلتذ بسماع القرآن ولا يؤثر فيه مواعظه وأحكامه إنما يتعظ به من كان منور السر مشروح الصدر مفتوح السمع حاد البصر معاناً بالتوفيق مسدداً بالعصمة والتحقيق فإذا سمعه وعى فوائد أحكامه واتعظ بلطائف مواعظه.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استولى على قلوبهم الجحد والإنكار ودام على العداوة منهم الإصرار فاختالوا بكل وجه أمكنهم فتواصوا فيما بينهم بأن لا يستمعوا إلى القرآن لأنه يغلب القلوب ويسلب العقول وكل من أقبل عليه مال إليه قالوا: فإذا أخذ محمد في تلاوة القرآن فألقى الكفار في قراءته اللّغط فيقع هو في السهو والغلط ولم يعلموا أن الذي نور قلبه بالإيمان وأيد بالفهم

وأمدّ بالبصيرة وكوشف بسماع السر من الغيب فهو الذي يسمع ويؤمن والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه ولا يباشر السماع سره.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 27] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] سيئات أعمالهم في أسوأ أحوالهم.

وقال الأستاذ: لنذيقنهم عذاباً شديداً في الدنيا بإدامة الحرمان التي هي الفراق وعذاباً بالتخليد في النيران التي هي الاحتراق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 28] الجزاء الأسوأ ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] مبتدأ وخبر ﴿ٱلنَّارُ﴾ [الآية 28] عطف بيان للجزاء لهم فيها في النار ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 28] موضع إقامتهم ومحل إدامتهم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 28] ينكرون أو يلغون ويكفرون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 29] يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة وقيل: هما إبليس وقابيل فإنهما أول من سن المعصية ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [الآية 29] انتقاماً منهما ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 29] محلاً وذلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة من هذا هي الأخبار عن تبرىء بعضهم من بعضهم ووقوع الندم عليهم حين لا ينفعهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية 30] اعترافاً بربوبيته وإقراراً بالألوهية ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الآية 30] في الإقامة على وظائف عبوديته من اكتساب طاعته
126/ ب واجتناب معصيته وما روي من الخلفاء الأربعة / في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان ومن الأمر بالطاعة والنهي عن العصيان ومن الإخلاص في عمل الأركان ومن أداء فرائض الرحمٰن فجزئيات الاستقامة كما لا يخفي على أهل العرفان ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية 30] فيما يعن لهم قبورهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم خوفهم وحزنهم ويأتيهم فرحهم وسرورهم أو في هذا عند موتهم وجزائهم وحال نزعهم وفزعهم أو في قبورهم أو وقت نشورهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ [الآية 30] ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [الآية 30] على ما فارقتم منه

﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 30] في الدنيا على لسان الأنبياء.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 31] نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل إلمام الشياطين بأهل الكفر للباطل وحملهم على الشر ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [الآية 31] بالكرامة والشفاعة حيث يتفادى الشياطين والكفرة بالبراءة والشفاعة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من اللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [الآية 31] تتمنون من المطلوبات.

﴿نُزُلًا﴾ [الآية 32] ضيافة للمؤمنين ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ [الآية 32] للمذنبين ﴿رَّحِيمٍ﴾ [الآية 32] بالمحسنين ويقال: برحمته وصلوا إلى مغفرته هذا وثم في الآية للتراخي في الرتبة إيماءً بأن مدخولها له زيادة المزية فالمعنى استقاموا في الحال ثم استقاموا في المآل بأن استدام إيمانهم وإحسانهم إلى حال الانتقال.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا بشرط الاستجابة ثم استبصروا بموجب الحجة ولم يكتفوا بالمقالة دون صفاء الحالة ويقال: هي يعني الاستقامة على قسمين في أصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة عامة المؤمنين ومستقيم في الفروع من غير المعصية وهذه صفة خاصتهم من المتقين ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم فمستقيم في عهده ومستقيم في عقده ومستقيم في جده ومراعاة حده ومستقيم في جهده وقصده وعهده وحبه ووده وهذا أعمهم وفي المقام أتمهم ويقال: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الآية 30] على دوام الشهود وعلى انفراد القلب بواجب الوجود ويقال: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ في تصفية العقد ثم في توفية العهد ثم في صحة القصد بدوام الوجد ويقال: استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم ثم بصفاء أحوالهم في وقتهم وفي مالهم ويقال: أقاموا على طاعته واستقاموا على معرفته/ 127/ أ
وهاموا في محبته وقاموا بشرائط خدمته ويقال: استقامة الزاهد أن لا يرجع إلى دنياه ولا يمتع بالجاه بين الناس عن الله واستقامة العابد أن لا يعود إلى الفترة وأتباع الشهوة ولا يتداخله الرياء والتصنع والسمعة واستقامة العارف أن لا يشوب معرفته حظ في دنياه وأخراه فيحجب به عن مولاه واستقامة المحبين أن لا يكون لهم إرب في قلوبهم من غير محبوبهم تكنفون من عطائه ببقائه ومن مقتضى

جوده بدوام عزّه ووجوده.

ثم قال: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت وهو لحلول مكروه أو فوت محبوب والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم لا يكون هذا تحقيق قوله ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [الآية 30] والحزن من حزونة الوقت والذي هو راض بجميع ما يجري عليه في حالته فلا حزونة في عيشته فالملائكة يبشرونهم بأنه لا حزونة في أحوالهم فهم في الروح والراحة ويبشرون بالجنة وهي حسن المآب وما وعد الله من جميل الثواب والذي هو موعود للأولياء بسفارة الملك موجود اليوم لخواص عباده بعطاء الملك وهو أن لا يكون له مطالعة المستقبل من حوله ويكون بحكم الوقت فلا يكون له خوف لما قلنا أن الخوف لما سيحصل في الثاني من الحال من زوال محبوب أو حصول مكروه والذي هو بصفة الرضا فلا حزونة في حاله ووقته ويمكن القياس على ما قاله الناس في قولهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [الآية 30] بأن يقال: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ من عذاب القيامة ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما أسلفتم من الجناية ﴿وَأَبۡشِرُواْ﴾ بدوام الوصلة والخطاب في ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾ [الآية 31] يحتمل أن يكون من قبل الملائكة وأن يكون أشد كلام من الله بطريق المواصلة والولاية من الله بمعنى المحبة ويكون بمعنى النصرة ولو لم يكن المحبة الإلهية في الآزال لم يحصل النصرة في الحال والمآل فيقال ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 31] بتحقيق المعرفة وفي الآخرة بتحصيل المغفرة ويقال: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 31] الدنيا بالعناية ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 31] بحسن الكفاية وجميل الرعاية في الحياة الدنيا بالمشاهدة وفي الآخرة بالمعاينة في الدنيا بالرضا / بالقضاء وفي 127/ ب
الآخرة باللقاء في دار البقاء في الحياة الدنيا بالإيمان وفي الآخرة بالغفران في الدنيا بالمحبة وفي الآخرة بالقربة ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا﴾ [الآية 31] أي في الجنة ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [الآية 31] من أنواع اللذة، الولاية نقد وحصول الشهوات وعد فمن اشتغل بنقده قل ما يشتغل بوعده.

﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [الآية 32].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 33] إلى عبادته له ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الآية 33] يصلح لمرضاته ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 33] تحدثاً بنعمته والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات تامة وقيل: المراد بهم النبيون أو المؤذنون أو الأئمة الداعون أو الوعاظ الواعون.

قال ابن عطاء: ما دعا إلى الله من دعا بنفسه إلى الله حتى يدعوا إلى الله بالله فيكون هو داعي حق.

وأفاد الأستاذ: أن الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بأن يكل أمره إلى الله ويرضى من الله بقسمة الله وعمل صالحاً كما يدعوا الخلق إلى الله يأتي بما يدعونهم إليه طلباً لرضاء الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [الآية 34] في المجازاة وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النافية ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها به من إفراد الحسنة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [الآية 34] أي إذا فعلت صار عدوك المشتاق مثل الولي القريب الشفيق المشتاق.

قال ابن عطاء: لا يستوي بين من أحسن الدخول في خدمتنا والخروج من حضرتنا وبين من أساء الأدب في الخدمة وبين من أساء في الغيبة فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد وقد يصفح عن الجاهل الكبائر ويعاتب بالالتفات بعض الأكابر.

وقال الأستاذ: أي ادفع بالخصلة هي أحسن السببية يعني بالعفو عن المكافأة بالتجاوز والصفح عن الزلة وترك الانتصاف في المظلمة وهذا من جملة حسن الخدمة والأدب في حق صحبتك مع الرب أن تحلم عن عباده لأجله ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق أن لا تنتقم لنفسك وأن تعفو عن خصمك.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [الآية 35] أي هذه الخصلة المستحسنة وهي / مقابلة الإساءة بمقابلة الحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [الآية 35] حبسوا أنفسهم عن الأخلاق السيئة ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 35] من الشمائل البهية والفضائل الجلية. 128/أ

وقال الأستاذ: لا يصل إلى سني الدرجات إلا من صبر على مقاساة شدائد البليات.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الآية 36] تحس شبه الوسوسة لأنها بعث على ما لا ينبغي من الحركة كالدفع بما هو أسوأ من السيئة وحبل النزغ نازغاً على طريقة جد جده للمبالغة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 36] من شره ولا تطعه في أمره ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 36] سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 36] لاستعاذتك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 36] بنيتك وصالح حالتك قال بعضهم: من طرد الشيطان بنفسه عن نفسه فهو أبداً قرينه ومن طرده بالالتجاء والتضرع إلى الله والاستعاذة به منه لم يجعل الله للشيطان عليه سبيلاً في دينه.

وقال الأستاذ: أي إذا اتصل بقلبك نزغة من نزغات الشيطان فلا تذرها تتكرر إلى الله تعالى بالمرة بل ارجع إلى الله في أول الخطرة فإنك إن لم تخالف أول الوهلة صارت الفكرة ثم بعد ذلك يحصل العزم على الغفلة ثم إن لم يتدارك ذلك تجري الزلة فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار القسوة ويتمادى به الوقت فهو يحظر كل آفة من الشقوة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستفاقة بالله وصدق الاستغاثة إلى الله فيه ينجو عن الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: الآية 42] فكلما زاد العبد في تفرده من حوله وقوته وأخلص بين يدي الله من تضرعه واستغاثته زاد الله في حفظه وحمايته ودفع الشيطان عنه بعنايته ورعايته.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الآية 37] أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته اختلاف الوقتين وتفاوت النيرين ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [الآية 37] أي ونحوهما من سائر الكواكب بالأولى فإنهما مأموران مثلكم بل مخلوقان ولأنهما فلكان غافلان من علمكم ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [الآية 37] الضمير للأربعة المذكورة أو للكواكب المسطورة
﴿إِن كُنتُمْ/ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 37] فإن السجود أخصّ من العبادة هو موضع 128/ ب

السجدة عند الشافعية لاقتران الأمر به في المبنى وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [الآية 38] عن الطاعة ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 38] من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 38] أي في جميع الأزمنة ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [الآية 38] لا يملون ولا يفترون.

قال ابن عطاء: أظهر لك الآيات كلها لتشتغل بمظهرها دونها فمن اشتغل بها أشغله عن مظهرها ومن اشتغل بمظهرها أشغله ذلك عن الاشتغال بها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح الآيات وألاح البينات وأزاح علة من رام الوصول إلى الكمالات فاختلاف الليل والنهار ودوران الشموس والأقمار إمارات قدرته ودلالات حكمته لا تسجدوا للشمس في علائها ولا للقمر في ضياء سمائها واسجدوا للذات المنعوت بأوصافها وأسمائها عار عليكم أن تسجدوا لغيره من المخلوقات في إبدائها وإنهاءها ويقال: الشمس وإن علت والقمر وإن حسن صورته وانجلت فلأجلك خلقناهما فاسجدوا لنا ولا تسجدوا لهما ويقال: خلق الملائكة ثم مع كثرة عبادتهم وتقدمهم في طاعتهم قال لهم: اسجدوا لآدم فامتنع واحد منهم ولعن إلى الأبد مطروداً عنهم وقال لأولاده: العصاة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فشتان ما هما فتدبر ويقال: الحق سبحانه يأمرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر وأنت لأجل كل حظ خسيس تنقل قدمك إلى كل أحد وتدخل بمحياك على كل أحد. قلت: وما أحسن دعاء الإمام أحمد بن حنبل قدس سره الأكمل: اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 39] الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ [الآية 39] يابسة ساكنة كالميتة متواضعة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ [الآية 39] تحركت بالإنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ [الآية 39] انتفخت بالنبات ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ [الآية 39] بعد موتها وهي من الجمادات ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [الآية 39]

من الإنسان والحيوانات ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية 39] بالغ القدرة كامل القوة على الإحياء والإماتة.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض إذا صحبتها جذوبة الشتاء خشنت وفي وقت الربيع إذا نزل/ عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك إذا خشعت 129/أ القلوب لاستشعارها بما عملت من الذنوب فأقبل الله عليها فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن أربابها ما قصروا في صدق القدم وكذا إذا وقع للعبد فترة في معاملته وغيبته عن بساط طاعته فإذا تعهده الحق سبحانه بما يدخل على قلبه من تذكر ظلمة الشقاق أظهر في قلبه أنوار الوفاق فيعود إلى مألوف مقامة ومعروف مرامه ويعود عود سداده غضاً طرياً وشجر وفائه وثمر صفائه ومما أصابه الجدوبة بماء العناية مستقياً وكذا إذا حصل للعبيد من أهل العرفان وقفة أو بدر لسوء أدب جرى منهم حجية فإذا نظر الحق سبحانه إليهم بالرعاية وعين العناية اهتزت رياض أنفسهم واخضرت مشاهد قدسهم وانهزمت وفود وقفتهم وانعدمت وجوب حجيتهم بعد شهود فترتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ [الآية 40] يميلون عن الاستقامة ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الآية 40] بالطعن والتحريف بالنقصان والزيادة وبالتأويل الباطل والإلغاء فيها حال القراءة ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [الآية 40] فحسابهم إلينا وعذابهم لدينا ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 40] بوصف الملامة ﴿خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [الآية 40] تهديد شديد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 40] وعد ووعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾ [الآية 41] بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ [الآية 41] بنعت الفرقان والخبر سيأتي قريباً من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [الآية 44] أو محذوف مثل معاندون أو معذبون.

وقال الأستاذ: بقوا عنا ووقعوا في أهوائهم وشقوا إلى الأبد في عنائهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [الآية 41] كثير النفع عديم النظير أو بديع منيع.

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [الآية 42] مما فيه من الأخبار الماضية والآثار الآتية ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [الآية 42].

قال ابن عطاء: كيف يكون للباطل عليه سبيل وهو من الحق بدأ وإلى الحق يعود وهو الحق فلا يتحقق به إلا بحق.

وأفاد الأستاذ: أنه كتاب عزيز لا مثل له لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله ويقال: عزيز على المؤمنين لأنه كتاب حبيبهم وهو لا ينقضه كتاب مما يقدمه
ولا ناسخ مما يأتي/ بعده ويقال: لا يدافع معناه مبناه ولا يخالف مبناه معناه. 129/ب

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ [الآية 43] أي ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ﴾ [الآية 43] إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم فاصبر كصبرهم أو ما يقول الله إلا مثل ما قال لهم فلست ببدع مما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 43] لأوليائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 43] لأعدائه والجملة استئناف منقطع عما قبله على الوجه الثاني يحتمل أن يكون المقول لهم بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والمثوبة ووعيد الكافرين بالمجازاة والعقوبة.

ومال الأستاذ إلى هذا حيث أفاد أن أصول التوحيد لا تختلف بالشرائع واختلاف الشرائع في الأحكام واحد في أنه يجب موافقة أوامره ومباعدة مزاجره ثم الله سبحانه قال في كل كتاب وشرع لكل أمة أن يعرفوا أنه للمطيعين ثواب عظيم وللكافرين عذاب أليم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ [الآية 44] أي الذكر المذكور ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ﴾ [الآية 44] أي بعض كفار العرب من المعاندين ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [الآية 44] بينت بلسان تفهمه وتعقل به أمور الدين ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّۗ﴾ [الآية 44] أي كلام أعجمي ومخاطب عربي والأعجم من لا يفصح الكلام كالأعجمي وقرأ هشام بالأخبار على تقدير همزة الأفكار ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ [الآية 44] إلى الحق والمعرفة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ [الآية 44] لما في الصدور من الشك والشبهة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 44] مبتدأ خبره ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ [الآية 44] هو في أذانهم ثقل وصمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ﴾ [الآية 44] وذلك لتصامهم عن سماعهم وتعامّهم عما يريهم من الآيات مما يغنيهم ويعينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44]

هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة إلى محصولهم.

قال جعفر الصادق: القرآن شفاء لمن كان في ظل العصمة والرعاية وعمًى على من كان في ظلمة الخذلان والغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الكتاب موجب شفاء للمؤمنين وسبب شقاء للكافرين فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كدّ الفكرة وتحيّر توارد الخطرة وشفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءة مبانيه والتلذذ بالتفكر/ 130/ أ
في معانيه وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق بما فيه من لطف المواعيد وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليه من أنوار التحقيق وآثار المواجيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ [الآية 45] بالتصديق والتكذيب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 45] وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة في تلك الساعة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] بإفناء الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 45] أي الذين لا يؤمنون ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 45] من التوراة أو القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 45] موجب للاضطراب في البرهان.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ [الآية 46] نفعه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ﴾ [الآية 46] ضره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ﴾ [الآية 46] بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية 46] فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [الآية 47] أي إذا سئل عنها أي لا يعلمها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [الآية 47] من أوعيتها وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات لاختلاف أنواعها وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ [الآية 47] بمكان أو زمان ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ﴾ [الآية 47] إلا مقروناً بعلمه واقعاً بحسب تعلقه به ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [الآية 47] بزعمكم حتى يخلصوكم ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ [الآية 47] أخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [الآية 47] من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم ولعل تكرير السؤال عنهم للتوبيخ بلسان القال أو ببيان الحال.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ [الآية 48] غاب أو ضاع منهم ﴿مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ﴾ [الآية 48] يعيدون ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ [الآية 48] حيث لا ينفعهم ﴿وَظَنُّواْ﴾ [الآية 48] أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [الآية 48] مهرب مما نزل بهم.

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الآية 49] لا يمل ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الآية 49] من طلب السعة في النعمة ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الآية 49] أدنى المضرة أو أدنى المحنة ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ [الآية 49] من الفضل والرحمة والجمع بين الوصفين لزيادة المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يمل من إرادة المنفعة وإن مسه المضرة فلا يرجو زوال المشقة لعدم علمه بربه وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إليه والاعتماد عليه.

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ [الآية 50] بتفريجها عنه وإزالتها منه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [الآية 50] حقي استحقه لما لي من الفضل والمال أو دائماً لا يزول في حال من الأحوال ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الآية 50] أي
130/ب القيامة تقوم ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [الآية 50] / على فرض الكلام ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الآية 50] للحالة الحسنى من الكرامة والأنعام وذلك لاعتقاده الفاسد وظنه الكاسد ما أصابه من النعم الدنيوية فلاستحقاق لا ينفك عنه بالكلية ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 50] فلنجزينهم بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها من آمالهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [الآية 50] بحسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: لئن كشفنا عنه البلاء وأثبتنا له الرخاء لا دعاه استحقاقاً أو إنفاقاً ولا يعتقد ذلك منا فضلاً وإنعاماً ويقول لو كان لي حشر ونشر لكان لي من الله لطف وخير وليعلمن الأمر بخلافه إذا أذقناه ما يستوجبه من عذابه.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ﴾ [الآية 51] عن ذكرنا وانصرف عن القيام بشكرنا.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة ﴿وَنَـَٔا﴾ [الآية 51] وقرأ ابن

ذكوان نأى ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ [الآية 51] ذهب بنفسه وتباعد عن مقام أنسه تكبراً وتجبراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [الآية 51] كثير العرض والطول في طلب الخير.

وأفاد الأستاذ: إنه لا يميز بين البلاء والعطاء فكثير مما يتوهمه أنه عطاء وهو مكر واستدراج فيستديمه وكثير مما هو فضل وصرف عطاء ويظنه بلاء فعيافه ويكرهه ويقال: إذا أنعمت عليه صاحبه بالبطر وإذا أبليناه قابله بالضجر ويقال: إذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر ربه ولا يذكر فضله وتباعد عن بساط طاعته وكالمستغني عنا يهيم على وجهه وإذا مسه الشر فذوا دعاء كثير وتضرع عريض وابتهال شديد واستكثار بدوام زمن مدين ثم إذا كشفنا ذلك عنه فله إلى عتوه ونبوه عود وعادة وإلى أسوأ طريقته في الجحود أعاده.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ [الآية 52] القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] أي من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [الآية 53] يعني ما ذكر لهم النبي عليه السلام من أخبار الحوادث الآتية وأثار النوازل الماضية وما يسر الله لخلفاءه من الفتوح وظهور السعادة على ممالك الشرق والغرب بطريق خرق العادة ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾
[الآية 53] أي ما ظهر فيما بين أهل مكة وغيرهم/ وما حل بهم من نزول شرهم 131/ أ
وحلول خيرهم والمراد بالآفاق ظواهر الإنسان وأشباحهم وأنوارهم وبأنفسهم وبواطنهم ورواحهم وأسرارهم وما أبرز فيها من عجائب النعمة وأودع فيها من غرائب المنة الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 53] الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله وهو الأحق ولا مانع من الجمع ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [الآية 53] الباء مزيدة على الفاعل للمبالغة ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 53] بدل منه والمعنى أو لم يحصل الكفاية بأنه مطلع على كل شيء فيعلم حالك وحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات في الآفاق اختلاف أحكام الأعيان مع اتفاق جواهرها في التجانس وهذه هي آيات حدوث العالم واقتضاء المحدث بصفاته وفي أنفسهم من أمارات الحدوث واختلاف الأوصاف ويقال في الآفاق للعلماء وفي أنفسهم لأهل المعرفة مما يجدونه من العقاب إذا ألموا بمعصية ومن الثواب إذا أخلصوا في طاعة وكذلك ما يحصل لهم من اختلاف الأحوال كالقبض والبسط والفرق والجمع والحجب والجذب وما يجدونه بالضرورة في معاملاتهم ومنازلاتهم.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [الآية 54] شك وشبهة ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ﴾ [الآية 54] بالبعث والمجازات وفق المحاسبة ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [الآية 54] عالم أكمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.

سورة الشورى

[مكيّة]

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سلوة العاصين سماع رحمة الله وخطوة العابدين في رجائهم نعمة الله وراحة الفقراء في رضائهم بقسمة الله لكل من حاله نصيب وفي كل في نفسه مصيب.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2] لعلهما اسم واحد ولمطابقة السابقة واللاحقة فصل بينهما وقد سبق ما تعلق بهما وهنا زيادة العين للإيماء إلى بعض الأسماء كالعليم والسين إلى نحو السلام والقاف إلى نحو القاهر القادر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] أي مثل إيماء هذه الصورة أو مثل إيحاء هذه السورة ﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 3] وقرأ ابن كثير يوحَى بالفتح على أنه مسند إلى إليك والله مرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار.

وقال ابن طاهر: الحاء من الحليم والميم من الملك والعين من العليم والسين من السيد/ والقاف من القادر. 131/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الحاء مفتاح اسمه حليم وحافظ وحكيم والميم مفتاح اسم ملك وماجد ومجيد ومنان ومؤمن ومهيمن والعين مفتاح اسمه عالم وعدل وعال والسين مفتاح اسمه سيد وسريع الحساب والقاف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدير وقدوس، أقسم الله بهذه الأسماء أو بهذه الحروف الدالة عليها بالإيماء أنه ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 3].

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ [الآية 4] استئناف مقرر لكمال عزته وجمال حكمته.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الآية 5] قرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ [الآية 5] يتشقق من عظمة الله وهيبته وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ينفطرن بالنون ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الآية 5] أي مبدأ الانفطار من جهة كل واحدة منهن إلى أسفلهن أو الضمير للأرض باعتبار الجنس أي من فوق أهلهن لإهلاكهم بسبب إشراكهم وأغرب الأستاذ هنا حيث قال: تكاد السماوات يتشققن من عظمة من فوقهن والله يريد فوقية الرتبة ويقال: من ثقل الملائكة وكثرتهن فوقهن ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الآية 5] بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الإلهام والشفاعة، وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك يعم المؤمن والكافر في الجملة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الآية 5] لذو مغفرة للناس على ظلمهم من كمال حلمه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] فما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته كما سبق في علمه وفي الجملة المنبهة تنبيه في الجملة على أن الله مع عظمته إذا كان غفوراً ورحيماً لجميع عباده فينبغي أن يكون كل من خواص خلقه متخلقاً بأخلاق ربه.

وقال الأستاذ: يغفر لهم مع كثرة عصيانهم ومع عظم جرمهم لا يقطع عنهم رزقهم وإن كان يريد في الآخرة أن يعذبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 6] أنداداً وشركاء ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية 6] رقيب على أعمالهم وحسيب بأحوالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الآية 6] بموكل لديهم أو بموكول إليك أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من عمل بمتابعة هواه وترك لله حداً أو نقض له عهداً فهو متخذ الشياطين أولياء والله يعلمه ولا يخفى عليه أمره وعلى الله حسابه وإليه إيابه فإن شاء عذبه/ وإن شاء غفر له. 132/أ

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [الآية 7] أي مكة والمراد

أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 7] من العرب والعجم لأنها سرتها وعمدتها وفيها قبلتها ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الآية 7] يوم القيامة يجمع فيه الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 7] لا شك في كون ذلك اليوم أو الجمع والجملة معترضة ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الآية 7] والمعنى يجمعون في موقف الحساب ثم يفرقون إلى داري الثواب والعقاب والتقدير فريق منهم والضمير للمجموعين فيه لدلالة الجمع عليه.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوة العبادات وفريق في ظلمات الشرك والجحود وعقوبات العناد والكنود فكذلك غداً أقرهم أهل اللقاء والبقاء وفريق أهل الشقاء والبلاء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 8] موحدين أو ملحدين ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 8] بالهداية والحمل على الطاعة ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ [الآية 8] بالكفر والمعصية ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾ [الآية 8] ينفعهم بالشفاعة ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 8] يدفع عنهم العقوبة بالمقاومة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إن أراد أن يجمعهم كلهم على الرشاد والسداد لم يكن مانع وإذ لا زين لهم ولو شاء أن يجمعهم كلهم على العناد والفساد لم يكن دافع وإذا لا شين منهم وحيث خلقهم مختلفين على ما أراد فلا مبالاة بهم إنما هو إله واحد جبار غير مأمور ولا مجبور ولا بحكم أحد عن فعل مزجور.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ [الآية 9] بل اتخذ بعض الأنام ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 9] كالأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الآية 9] بالحق وغيره الباطل المطلق ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 9] وغيره في المبنى جماد أو كالجماد في المعنى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 9] وغيره غير قادر على نقير وقطمير.

قال الواسطي: يحيي القلوب بالتجلي ويميت النفوس بالاستتار.

وأفاد الأستاذ: أنهم توهموا أن شيئاً من الحدثان بأحد فالله هو متولي جميع الأمور من الخير والشر والنفع والضرر وهو الذي يحيي النفوس

والقلوب اليوم ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً وهو على كل شيء قدير أزلاً وأبداً.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ [الآية 10] أنتم والكفار ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ [الآية 10] من أمور الدنيا أو الدنيا ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 10] مفوض إليه يميز الحق من المبطل بالنصرة والمعاونة أو بالإثابة والمعاقبة وقيل ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾ [الآية 10] من تأويل
132/ ب متشابهة فارجعوا فيه إلى محكم من كتابه ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية 10] الحاكم ﴿ٱللَّهُ/ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [الآية 10] في مجامع المهمات ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الآية 10] ارجع في المشكلات.

وأفاد الأستاذ: في قوله فحكمه إلى الله أي إلى كتابه وسنة نبيه وإجماع الأمة وشواهد القياس والعبرة وهذه الأشياء هي قانون الشريعة والكتاب يدل على صحة هذه الجملة ويقال: إذا لم تهتدوا إلى شيء وتعارضت منكم الخواطر فدعوا تدبيركم إلى تدبيره والتجئوا إلى ظل شهود تقديره وانتظروا ما الذي ينبغي لكم أن تفعلوه بحكم تيسيره ويقال: إذا اشتغل قلوبكم بحديث أنفسكم لا تدرون بالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم فكلوا الأمر فيه إلى الله واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكر فيما ليس لكم سبيل إلى علمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 11] أي هو مبديهما ومبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الآية 11] من جنسكم ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ [الآية 11] نساء ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ [الآية 11] ذكوراً وإناثاً ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الآية 11] أي يكثركم بسبب هذا التدبير في التقدير ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الآية 11] أي كذاته أو صفاته لأنه فاطر السماوات والأرض وخالق ما فيهما من الطول والعرض ولا مثل يضارعه ولا شكل يشاكله ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معنى ليس غير أنه آكد كما في قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الآية 11] لجميع المسموعات والمبصرات ولعل صدر الآية مشير إلى توحيد جلال الفعل

في المصنوعات وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الآية 11] إلى جمال الذات وما بعده إلى كمال الصفات.

قال الواسطي: ليس كذاته الحسنى ذات ولا كاسمه من جهة المعنى اسم ولا كصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ، وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جل ربنا وتعالى أن تحدث له اسم أو صفة إذ لم يزل تجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك أبداً.

وقال الشبلي: كل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم مقامكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم ومحدث مصنوع مثلكم وحقيقته أعلى من أن / تدركه عبارة أن تلحقه إشارة أو يحيط به وهم كلا، كيف يكون 133/ أ
به علم وقد اتفق أضداد في وصفه بقوله: هو الأول والآخر والظاهر والباطن أي عبارة تخبر عن حقيقة هذه العبارة كلا قصرت عنه الإشارات وخرست الألسن بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الآية 11] ويقال: معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء وهو مثله والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكام بيناته فقوم وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات والأركان وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات فظنوا أن بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا ما يكون من الخلق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق سبحانه مستحق التنزيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 12] خزائنهما أو مفاتيح أرزاق أهلها ﴿يَبْسُطُ﴾ [الآية 12] يوسع ﴿ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية 12] الضروري والمعنوي ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 12] ما يشاء من كمية وكيفية ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 12] ويضيق على من يشاء بما

يشاء على وفق مشيئته ومقتضى حكمته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 12] فيفعل ما ينبغي له فعله.

وأفاد الأستاذ: أن المقاليد مفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته ومن خزائنه القلوب والموجودات معادن الأشياء في المعادن جواهر مختلفة كذلك القلوب معادن أحوال من تلفه فكما أن بعض المعادن للذهب وبعضها للفضة إلى غير ذلك كذلك بعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن لمعرفة الإرادة وبعضها معادن المحبة وبعضها للشوق وبعضها للأنس وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتقرير والهيبة والرضا وأمثالها وفائدة تفريق أن المقاليد له قطع أفكار العبد من الخلق إليه في طلب ما يريده ويقبل عليه فإنه يوسع ويضيق رزق النفوس والقلوب كما قدر لديه.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ
133/ ب إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الآية 13] أي أظهر وبيَّن لكم من الدين/ دين أول الرسل وخاتم النبيين ومن بينهما من بقية أولي العزم في مقام اليقين بالأصل المشترك في ما بين الأنبياء منهم ومن غيرهم المفسر بقوله﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 13] وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكامه من امتثال أوامره واجتناب زواجره وهي الحالة الكاملة الشاملة المعبر عنها بالتقوى كما تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية 131] أي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 13] أي أعلمكم وأخشاكم ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 13] أي لا تختلفوا في هذه الأصل وأما فروع الشرائع فمختلفة كما قال: لكل جعلنا منكم شرعة.

وفي «تفسير السلمي» قال سهل: أول من حرم الأمهات والبنات والأخوات نوح عليه السلام انتهى وما أظن صحة هذا الكلام لأن آدم عليه السلام أول من حرم بدليل قضية قابيل وهابيل وأما كون الأمهات والبنات حرمن بعد تحليلهن فما ورد شيء في حقهن.

وأغرب الأستاذ حيث أفاد أن القصة أن تحريم البنات والأخوات إنما

شرع في زمن نوح عليه السلام ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 13] عظم عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] من التوحيد والتفريد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 13] أي يختار لما يدعوهم أو للدين أو لله ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] بالإرشاد والتوفيق ﴿مَن يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يقبل إليه ويعتمد عليه في التحقيق ولعل الاجتباء للمراد من المجدوبين بوصف الطيران كما يشير إليه المشيئة المجردة والهداية للمريد من السالكين بنعت النيران كما يومىء إليه قاعدة الإنابة وهي الرجعة من الغفلة إلى الحضرة أخص من التوبة التي هي الرجعة من المعصية إلى الطاعة.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ [الآية 14] أي الأمم السالفة ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [الآية 14] بأن التفرق ضلال وطغيان وأصروا على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] طلباً للدنيا على وجه العدوان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 14] أي حكم بتأخير العقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 14] وهو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] بالعقوبة العاجلة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 14] من كتابهم لا يعلمونه كما هو حقه/ أو لا يؤمنون به حق إيمانه وهو 134/ أ ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 14] معلق في الريبة أو مدخل في الشبهة.

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ [الآية 15] فلأجل ذلك التفرق في القضية ﴿فَٱدْعُ﴾ [الآية 15] إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ [الآية 15] على ما يتعلق بالدعوة ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الآية 15] بالإقامة والقيام بالطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 15] الباطلة قيل: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لأنه الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق ولذا قال عليه السلام استقيموا ولا تحصوا أي ولن تطيقوا الاستقامة التي أمرتم به.

وقال الأستاذ: أي إلى هذا القرآن ادع الخلق واستقم في الدعوة والطاعة أمراً لكل بالاستقامة وأفرده بذكر إلزام الاستقامة ويقال: السين في الاستقامة سين السؤال والرغبة أي سل مني أن أقيمك ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الآية 15] يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾

[الآية 15] في تبليغ الشرائع وفصول الحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة العلمية وهذا إشارة إلى كمال القدرة العملية ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ﴾ [الآية 15] خالق الكل ومربيه ومتولي أمره فيما يعنيه ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ [الآية 15] فكل مجزي بحسب أحوالنا وأحوالكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ [الآية 15] أي لا حجاج بمعنى لا خصومة أو الحق قد ظهر للعباد فلم يبق للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ [الآية 15] يوم القيامة ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مرجع الكل لفصل القضاء بالمثوبة والعقوبة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية 16] يجادلون في دينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ [الآية 16] من بعده ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والمعنى أن من جادل بالباطل والعدوان بعد وضوح الحق بالبرهان ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ [الآية 16] زائلة باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾ [الآية 16] بمعاندتهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] بمخالفتهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية 17] جنسه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 17] متلبساً به ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [الآية 17] أي العدل بأن أنزل الأمر به أو آله الوزن وإيجادها بأن أوحى إلى الخلق إعدادها ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الآية 17] إتيانها فاتبع الكتاب وواظب على العدل في الحساب قبل أن يناجيك / الذي يوزن فيه 134/ب
أعمالك ويوفي جزاء أحوالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يزجرهم عن طول الأمل وينبههم على انتظار الأجل.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ [الآية 18] استهزاء لها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾ [الآية 18] خائفون من وقوعها مع الاعتناء بها لتوقع الثواب فيها ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ [الآية 18] الثابت الكائن وقوعها ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 18] يجادلون في ثبوتها ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الآية 18] عن حقيقة الحق وتصورها فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى غيره.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 19] يربهم بصنوف من البر التي لا تبلغها الأفهام ولا تدركها الأوهام ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 19] وفق مشيئته فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ [الآية 19] الباهر القدرة ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 19] البديع المنيع في الغلبة والعزة.

قال ابن عطاء: يعلم من أنفسهم ما لا يعلمونه من نفوسهم.

قال جنيد: اللطيف الذي لطف بأوليائه حتى عرفوه بصفاته وأسمائه.

وقال علي بن عبدالرحيم: اللطيف من يلطف بهم من الجهات الخفية.

وأفاد الأستاذ: أن اللطيف هو العالم بدقائق الأمور وغوامضها واللطيف هو الملطف المحسن واللطف بالبعد في الحقيقة قدرة الطاعة وقوة العبادة ويقال: خاطب العابدين بقوله: ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 19] أي يعلم غوامض أحوالهم من دقائق الرياء والتصنع في أعمالهم لئلا يعجبوا بأفعالهم وخاطب القضاة بقوله: ﴿لَطِيفُۢ﴾ لئلا ييأسوا من إحسانه في مالهم ويقال: سماع قوله الله يوجب الهيبة وسماع اللطيف يوجب الطمأنينة فسماع قوله الله أوجب لهم تهويلاً وسماع قوله اللطيف أوجب لهم تأميلاً ويقال: من لطفه أنه أعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة ويقال: من لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه لأنه لو علم سعادته لاتكل عليه وثقل عمله ومن لطفه بالعبد خفاء أجله عليه لئلا يستوحش إن كان قدرنا أجله ويقال: من لطفه بالعبد في الآخرة أنه ينسيهم / ما 135/ أ
عملوه في الدنيا من الزلة لئلا يتنغص عليهم العيش في الجنة.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية 20] ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ﴾ [الآية 20] فيعطيه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها أو نزد له في حرثه الأخروي مع نفعه الدنيوي بأن يجمع له بين خيري الدنيا والأخرى ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ [الآية 20] شيئاً منها على ما قسمنا له فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الآية 20] حظ به يصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وقيل: من عمل لله محبة ورضاءً ولم يطلب

ثواباً وجزاءً صغر عنده كل شيء دون الله فلا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب المولى في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: نزد له في حرثه أي تزيده اليوم في الطاعات توفيقاً وصفاء الحالات تحقيقاً ونزيده في الآخرة ثواباً واقتراباً وفنون نجاة وصنوف درجات ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ مكتفياً به ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما يريد وليس ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الآية 20].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ [الآية 21] بل ألهم شياطين ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم﴾ [الآية 21] بطريق التزيين ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 21] كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ [الآية 21] أي القضاء السابق بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 21] بين الكافرين والمؤمنين من غير المهلة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 21] لا يتخلف عنهم والمعنى أنه يمهلهم لكن لا يهملهم.

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية 22] في القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 22] خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 22] من الشرك والمعصية ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أي وباله نازل عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ [الآية 22] في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] أي ما يشتهونه ثابت عند ربهم لأجلهم ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الآية 22] الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا من النعم الكثير.

وقال الأستاذ: لهم في الدنيا جنات الوصلة ولذاذة(1) الطاعة والعبادة وطيب الأنفس في أوقات الخلوة وفي الآخرة روضات الجنة لهم ما يشاؤون عند ربهم إن أرادوا دوام اللطف دام لهم وإن أرادوا تمام الكشف كان لهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 23] التبشير بروضات الجنات ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ
135/ ب ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الآية 23]/ .

(1) في المخطوطة: ولذا ذات، وهو تصحيف.

وقال الأستاذ: أي الذي معنى ذكره في القرآن مغرقاً من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من المثوبة هو الذي يبشر الله عباده ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 23] على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿أَجۡرًا﴾ [الآية 23] نفعاً منكم ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الآية 23] أي المحبة للتقرب إلى رضا المولى كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله.

قال سهل: أن تقربوا إلي باتباع سنّتي.

وقال ابن عطاء: لا أسألكم على دعواكم أجراً إلا أن تتودوا إلي بتوحيده وتتقربوا إليه بدوام طاعته والتزام عبادته وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة في حق القرابة ومن أجلها، إذ روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وإبناهما ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً﴾ [الآية 23] يكتسب طاعة سيما محبة أهل بيت النبوة ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا﴾ [الآية 23] في تلك الحسنة ﴿حُسۡنًا﴾ [الآية 23] بمضاعفة المثوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 23] للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 23] للمطيعين بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وأفاد الأستاذ: أن من بشَّر بالخير أحداً طلب عليه أجراً فالله بشر المؤمنين على لسانه بالكرامات الأبدية والسعادات السرمدية ثم قال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الآية 23] لأن الله ليس يطلب منكم عليه عوضاً فأنا أيضاً لا أسألكم عليه أجراً فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً والمودة في القربى هو أن يود من يتقرب إلى الله بطاعته والزيادة في الحسنة زيادة توفيق الطاعة ويقال: إذا آتيناه توفيق المجاهدة نزيده بفضلنا تحقيق المشاهدة ويقال: من يقترف حسنة من الوظائف نزد له حسناً في اللطائف ويقال: تلك الزيادة على العبادة ما لم يدركه أحد من أهل السعادة.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ [الآية 24] بل أتقولون ﴿ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 24] بدعوى النبوة ونزول القرآن ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الآية 24] أن يمسك القرآن والوحي عن صدرك أو يربط عليه بالصبر على بلواهم فلا يشق عليك أذاهم

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 24] استئناف لنفي الافتراء عما يقوله فإنه لو كان مفترياً لمحقه الحق سبحانه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق موجبه أو بقضائه وسقوط الواو رسماً من يمح لاتباع اللفظ كما في قوله
136/ أ ويدع الإنسان ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 24] / أي بالخواطر التي ترد عليها من الأمور.

قال سهل: يختم على قلبك ختم الشوق والمحبة فلا تلتفت إلى الخلق ودعاءهم ولا تشتغل بإيمانهم وإيابهم.

قال الواسطي: فإن يشاء الله يختم على قلبك بما يشاء ويمحوا الله الباطل بنفسه ونعته حتى يعلم أنه لا حاجة له إلى أحد من خلقه ثم يحق الحق في قلوب أنشأها للحقيقة وأبداها في الشريعة والطريقة.

وقال الأستاذ: إنك إن افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك ومعنى الآية: إن الله سبحانه يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية 25] بالتجاوز عما تابوا عنه وأركان التوبة الندامة بالقلب من حيث أن الغفلة معصية الرب والامتناع بالفعل عنها والعزم على أن لا يعود إليها وقضاء ما يمكنه من حقوق الله وأداء ما يتصور له من حقوق العباد وكمالها ما أشار إليه علي كرم الله وجهه بقوله: هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته أي في حال الغفلة ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 25] صغائرها وكبائرها لمن يشاء ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 25] فيجازي المطيعين على التوبة وغيرها ويتجاوز عن معصية المذنبين إن تعلقت المشيئة بها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالخطاب وكل منهما تغليب في هذا الباب فإن فيه وعد[1] ووعيد لأولي الألباب.

(1) في المخطوطة: وهو، ولعله تصحيف.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 26] أي يجيب الله لهم فحذف اللام كما في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعوة والإثابة على الطاعة وتقدم أن الاستجابة أخص من الإجابة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [الآية 26] على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا به بالاستجابة ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [الآية 26] بدل للمؤمنين من ثواب عديد.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الزيادة بقول المفسرين من أهل السنة: الرؤية والمعنى أن الطاعات في مقابلتها الدرجات فيكون بمقدارها في النقصان والزيادات وأما الرؤية فسبيلها الفضل / والفضل ليس فيه تمييز انتهى وكأنه 136/ ب أراد أن لا تمييز في أصل تعلق الفضل وإلا فلا شك في تفاوت مراتبه بالنسبة إلى اختلاف ومقامات مناقبه.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية 27] لو وسعه عليهم جميعهم أو أكثر مما هم عليه من وسعهم ﴿لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 27] لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً وأشراً أو لبغي بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا بحسب حكم الغالب في القضية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد في ما يتحرى كمية أو كيفية ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ [الآية 27] رزق كل أحد ﴿بِقَدَرٖ﴾ [الآية 27] بتقدير أو بمقدار ﴿مَّا يَشَآءُۚ﴾ [الآية 27] ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الآية 27] يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم في مآلهم وقد صح عن علي كرم الله وجهه إن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت فالمراد بعباده خواص عباده ويلائمه ما أفاده الأستاذ: أن هذا الخطاب في الظاهر لم يشبه الاعتذار في خطاب الآدميين أي إنما لم أبسط أيها الفقير عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم أني لو وسعت عليك لطغوت على العباد وسعيت في الأرض بالفساد ويقال: قوله ولولا كلمة استدراك يقول: إن لم أوسع عليك الرزق بمقدار ما تريد لم أمنع عليك الكل بل أنزل عليك بقدر ما أشاء لكي يحيي قلوبهم وتنشرح صدورهم وتتسهل أمورهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [الآية 28] المطر الذي يغيثهم من الجدب وينفعهم

من جهة الخصب ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الآية 28] أيسوا منه وقطعوا الطمع عنه ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ [الآية 28] في كل شيء من سهل وجبل ونبات وحيوان ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ [الآية 28] الذي يتولى أمر عباده بإحسانه وفق مراده ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الآية 28] المستحق للحمد على جميع أفعاله من منعه وعطائه.

قال ابن عطاء: إن الله يربي عباده بين طمع ويأس فإذا طمعوا فيه آيسهم بصفاته أي الجلالية وإذا أيسوا أطعمهم بصفاته أي الجمالية فإذا غلب على العبد القنوط وأشفق منه أتاه الله الفرج بعده ألا ترى يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه ينزل غيث رحمته على قلوب أوليائه فينبت فيه التوبة والإنابة والرعاية والمراقبة.

137/أ وأفاد الأستاذ: أن/ العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو وده وكسف شمس أنسه وبعد عن ساحة الحضرة وبساط القرب عهده فربما ينظر إليه الحق بعين عنايته فينزل على سره أمطار رحمته فيعود عوده طرياً وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 29] أي عجائب مصنوعاته ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 29] أي في أنفسهما فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم في إبداءهما وإبداعهما ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ [الآية 29] أي وخلق ما فرق ونشر عليهما ﴿مِن دَآبَّةٍۚ﴾ [الآية 29] يدب ويتحرك فيهما من الملائكة وحملة العرش وسكان الفرش ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ﴾ [الآية 29] في أي وقت شاء اجتماعهم ﴿قَدِيرٞ﴾ [الآية 29] متمكن منه لا يتخلف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل في كل شيء من مخلوقاته وصنائع أفعاله دلالة على توحده في جلاله وتفرده بنعوت كبريائه وجماله والإشارة في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الآية 29] أن الحق سبحانه يغار على أوليائه أن يسكن بعضهم بقلبه إلى بعض منهم فأبداً يبدد شملهم ولا يكاد يتفق الجماعة من أهل القلوب في موضع إلا ندرة وذلك أيضاً مدة يسيرة ثم في بعض الأحايين وقد تفضل عليهم بأن يدنوا بهم الديار ويحصل بينهم في الظاهر

الاجتماع والتقاء الآثار وذلك وقت نظر الحق سبحانه بفضله إلى العالم فإن في بركات اجتماعهم حياة العالم وهذا وإن كان نادراً فهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ [الآية 30] بدنية أو مالية ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الآية 30] فسبب كسبب المعصية والمخالفة الدينية والفاء لأن ما شرطية ولم يقرأ بها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الآية 30] من الذنوب فلا يجازي بها ولا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم من المطيعين فلأسباب أخر منها رفع درجاتهم في عليين وقد ورد ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر.

وعن ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وإن ما عفي عنه أكثر في باب حسابه كان قليل النظر عن إحسان ربه.

وقال بعضهم: العبد ملازم للجنايات في جميع الأوقات / وجناياته في 137/ ب
طاعته أكثر من جناياته في معصيته لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عباده من جناياته بأنواع، من مصيباته ليخفف عنه أثقاله يوم القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة من خطواته.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرفوعاً: من عفي عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه عقوبته في الآخرة[1].

وروي أن هذه الآية من القرآن أرجى آية لأهل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا تحقق بهذه الآية فإذا أصابه شظية أو حالة مما يسوءه وعلم أن ذلك جزاءً له وعتاباً على ما بدر منه من سوء أدبه مع ربه

---

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 241) رقم (1152).

فاستحيا بخجلته من فعله الموجب لمصيبته يشغله عن رؤية ذلك من الناس وفعلهم حتى ينتقم منهم أو يكافيهم أو يدعو عليهم ويقال: إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالت عليه فليتفكر في أفعاله المذمومة كما يحصل منه حتى يبلغ جزاء ما يفعله من العفو الكثير هذا المبلغ فعند ذلك يزداد أسفه وأحزانه لعلمه بكثرة ذنوبه وعصيانه.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 31] فايتين ما قضى عليكم من المكاسب والمصائب فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] من غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية 31] يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 31] يدفعها عنكم أو يرفعها.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ [الآية 32] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ [الآية 32] السفن الجارية ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الآية 32] كالجبال الراسية.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الآية 33] وقرأ نافع الرياح ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الآية 33] فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 33] أي لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ [الآية 34] أي إن يشأ يهلكهن بأن يفرق أهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الآية 34] من سوء عملهم فيهن أو غيرهن ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الآية 34] من أهلهن فلا يهلكهن ليشكروا نعمة نجاتنا.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الآية 35] محيد عن عقوباتنا وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت من الأنواع المختلفة ثم حفظ العبد في إيواء السلامة/ وذلك يوجب 138/أ
خلوص الشكر للمريد ليوجب له جزيل المزيد.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية 36] من الأمور الدنيوية ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القَصَص: الآية 60] الدنية يتمتعون بها في مدة قليلة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب

العقبى ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الآية 36] لخلوص نفعه ودوامه في الكيفية والكمية ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 36] في أمورهم لا على أعمالهم وأجودهم.

وقال الأستاذ: يعني أن الراحات في الدنيا لا تصفو ومن المشائب لا تخلو فإن اتفق البعض منها في أحايين من الأحوال فإنها سريعة الزوال وشيكة الارتحال وما عند الله من الثواب الموعود خير من هذا القليل الموجود.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [الآية 37] من حقوق الحق ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الآية 37] من متعلقات الخلق وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم وفسر بالشرك والفواحش بالكبائر ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟﴾ [الآية 37] على أحد ممن ظلمهم ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الآية 37] بأنفسهم من غير اعتذار لديهم ولا شفاعة إليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 38] في دعوته إلى طاعته ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: الآية 277] خصوصاً ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ [الآية 38] فيما ليس عندهم نص من كتاب أو سنة ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 38] ذو تشاور بينهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه ويختاروا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في أمرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 38] في سبل خيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المستجيب لربه هو الذي لا يبقي معه نفس إلا على موافقة رضاه ولا يبقي منه له بقية في متابعة هواه فهؤلاء هم الذين لهم حسن الثواب وحميد المآب.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ [الآية 39] الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الآية 39] بالعدل والإحسان.

﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية 40] سمي الثانية سيئة للازدواج والمشاكلة والمراد بها سيئة صورية أو لغوية ﴿مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا﴾ [الآية 40] بقلبه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية 40] بينه وبين عدوه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 40] عدة مبهمة تدل على عظمة موعوده ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 40] المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في المعاقبة.

وقال الأستاذ: فمن عفا عن الجاني عليه وأصلح ما بينه وبين ربه حتى يصلح الله ما بينه وبين خلقه فأجره على الله والذي للعبد من الله وعلى الله وعند الله خير مما يعلمه باختياره ويفعله باقتداره.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الآية 41] بعدما ظلم وقد قرىء به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 41] بالمعاتبة.

138/ ب ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ/ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 42] يشبونهم بالأضرار ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 42] أي ويطلبون ما لا يستحقونه كما هو دأب الفجار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 42] في النار على ظلمهم وبغيهم مع الإصرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه علم أن الكل من عباده لا يجد الخيرية من أحكام النفس ولا يستمكن من محاسن الخلق فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ [الآية 43] على الأدنى ﴿وَغَفَرَ﴾ [الآية 43] أي وعفا أو ستر حاله وحال من أذي بعدم الشكوى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 43] منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الآية 43] أي معزومات الأمور ومطلوباته عنه.

وقال الأستاذ: أي صبر على البلوى من غير شكوى وغفر بالتجاوز عن خصمه ولا يبقي لنفسه عليه دعوى بل يبرىء خصمه من جهة ماله عليه من كل دعوى في الدنيا.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 44] من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 44] حين يرون نار العذاب وآثار العقاب ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ [الآية 44] أي إلى رجعة إلى الدنيا أو الحالة الحسنى ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 44] أي طريق توفيق فيقال لا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ﴾ [الأنعام: الآية 28].

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 45] على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الآية 45] منكسرين محتقرين مما يلحقهم من المذلة ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الآية 45]

يبتدىء نظرهم إلى نيرانهم من تحريك ضعيف لأجفانهم كالمصبورين ينظرون إلى السيف حين امتحانهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 45] أي الكاملين في خسرانهم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 45] بالتعرض للعذاب المخلد المعد لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 45] بسبب عصيانهم ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الآية 45] من تمام كلامهم أو تصديق من الله لمرامهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الآية 46] إلى الهداية في الدنيا ولا إلى النجاة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم أوقعهم في كد كسبهم وحرمهم برد الرضا بحكم ربهم فليس لهم ولي من دون الله ولا مانع عنهم من عذاب الله وتراهم يعرضون على نار العقوبة وهم خاشعون من غاية المذلة لا ينفعهم ندامة ولا يسمع منهم دعوة ولا ناصر ينصرهم ولا راحم يرحمهم.

139/ أ / ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 47] لا يرده الله بعد ما حكم به أو من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ [الآية 47] موضع فرار ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الآية 47] إنكار لما اقترفتموه من أوزار لأنه مدون في صحف أعمالكم وتشهد ألسنتكم وجوارحكم بأفعالكم وهو عالم الغيب مطلع بتفاصيل أحوالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ [الآية 48] عن الاستجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية 48] رقيباً بالمحاسبة ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية 48] بتبليغ الرسالة وقد بلغت وبالغت ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الآية 48] أراد بالإنسان الجنس لقوله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الآية 48] يبلغ الكفران ينسي النعمة وأيامها ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها.

قال جنيد: استجابة الحق لمن سمع هواتفه وأوامره وخطابه فيتحقق فيه الإجابة بذلك السماع ومن لم يسمع الهواتف كيف يجيب وإنى له محل الجواب من الرقيب.

وأفاد الأستاذ: أن الاستجابة الوفاء بعهده والقيام بحقه والرجوع من مخالفته إلى موافقته والاستسلام في كل وقت لحكمه ثم الطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح وعن قريب سيغلق الباب على القلب بغتة ويؤخذ فلتة فإن أعرضوا عن الإجابة فليس عليك إلا تبليغ الرسالة ثم نحن أعلم بما نعاملهم به من تقليب الحالة وإذا أذقنا الإنسان منا رفاهية ونعمة فرح بتلك الحالة بطراً وتوصل بتمام عاقبته وسلامته إلى دوام مخالفته وإن إصابته فتنة وبلية ومسّته مصيبة ورزية فإنه كفور لنعمائنا جحود لِآلائِنا.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 49] فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء بين البرية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 49] من أنواع المنحة وأصناف المحنة ويقسمها بين عباده بمقتضى مشيئته وموجب حكمته ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الآية 49] أي من البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الآية 49] من غير لزوم ومجال اعتراض في الأمور.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الآية 50] أي يخلطهم عميماً ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الآية 50] جملة يهب بدل من يخلق والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة الإلهية لا على مقتضيات الطبائع البشرية فمن خص الإناث من الأنبياء لوط عليه السلام وبالذكور إبراهيم / عليه السلام 139/ ب
وبالجمع نبينا عليه الصلاة والسلام وبالمنع يحيى وعيسى عليهما السلام ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] فيفعل ما يفعل بحكمته واختياره لبريته.

وقال بعض العارفين: يهب لمن يشاء إناثاً أي العلوم الظاهرية ويهب لمن يشاء الذكور أي المعارف الباطنية أو يزوجهم يجمع لهم بينهما ويجعل من يشاء عقيماً خالياً عنهما.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [الآية 51] وما صح له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الآية 51] كلاماً خفياً يدرك بسرعة لأنه تمثل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة بتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن

عطف قوله ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الآية 51] عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية في الجملة لا على امتناعها بالكلية أو يرسل رسولاً أي ملكاً فيوحي إليه بإذنه بأمر ربه باعتبار ذاته ونعته ما يشاء من حكمه وقرأ نافع ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 51] بالرفع فيهما ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ [الآية 51] عن صفات المخلوقين باعتبار ذاته ونفسه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 51] يفعل بمقتضى حكمته فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغيرها إما عياناً وإما من وراء حجاب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بحق ملكه أن يفعل ما يشاء في ملكه ويعطي من يشاء من عباده ما يشاء من أمره ولكن أجرى العادة بأنه لا يفعل إلا ما في هذه الآية فلا يكلم أحداً إلا بالوحي أو من وراء حجاب، يعني وهو لا يرى الحق فالمحجوب يكون العبد لا الرب والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية وتعالى الله عن أن يكون وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام المحدودة التي تسبل على المحجوب ستراً أو يرسل رسولاً بحق مخاطبته إيانا بإرسال الرسل إلينا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 52] أي وحياً نحيي به قلوب عبادنا ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية 52] أي قبل الوحي ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الآية 52] أي تفاصيل أحكامه ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ [الآية 52] أي الروح المراد به الوحي أو الكتاب أو معرفة الإيمان بتفاصيله ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 52] المؤمنين بالتوفيق لقبوله والنظر فيه لحصوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ [الآية 52] أي تدل وتدعوا ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 52] دين قويم.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 53] مَلِكاً ومُلْكاً
140/ أ / ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية 53] بارتفاع الوسائط وتعلقات المخلوقين وفيه وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين.

قال القاسم: ألا إلى الله تصير الأمور لأن منه مبدأ كل شيء وإليه منتهى كل شيء فما كان منه وإليه فهو الساعة به وله.

سورة الزخرف

[مكيّة]

وهي تسع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من وثق بجوده ونعمه لم يعلق بغيره صواعد هممه ولم يقف على شدة مخلوق بقدمه في ابتغاء كرمه اسم عزيز من عوده خفايا لطفه لم يتذلل في طلب شيء لغيره ولم يرجع إلى غيره شره وخيره.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً وهو من غريب البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله تعالى بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، والقرآن المبين يبيِّن طريق الهداية وما يحتاج إليه في الديانة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 3] مبانيه وتفهمون معانيه.

قال سهل: بين فيه الهداية من الضلالة والخير من الشر وسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 4] أي القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 4] في اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب السماوية ومظهر بعض العلوم الإلهية ﴿لَدَيْنَا﴾ [الآية 4] محفوظ عندنا عن التبديل والتحويل ﴿لَعَلِىٌّ﴾ [الآية 4] رفيع الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 4] ذو حكمة بالغة البرهان.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الآية 5] أي انهملكم فسنبعد عنكم

الذكر إعراضاً عن تكليفكم والمراد إنكار أنه يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال كتاب مبين للخير والشر والنفع والضر ﴿أَن كُنتُمْ﴾ [الآية 5] أي لأجل أن كنتم ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الآية 5] وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عن بيان حال المكلفين وقرأ نافع وحمزة والكسائي أن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك في القضية بياناً لحالهم أنهم من السفهاء وما قبلها دليل الجزاء.

وقال الأستاذ: أي لا تفعل ذلك والمعنى / أفنقطع عنكم ذكر خطابنا 140/ب
وتعريفنا بما فيه عقابنا وثوابنا بأن أسرفتم في خلافكم على بابنا أي لا نرفع عنكم التكليف بأن خالفتم ولا نهجركم بقطع الكلام معكم وإن أسرفتم وفي هذا إشارة لطيفة وهو أنه لا يقطع الخطاب اليوم عمن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه فأرجو أن من لم يقصر في إيمانه وإن تلطخ بعصيانه ولم يدخل في ميدان عرفانه لا يمنع عند لطالب غفرانه.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الآيتان 6،7] ﴿إِلَّا كَانُوا۟﴾ أي أكثرهم ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 7] وفيه تسلية لرسوله عن استهزاء قومه به.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ [الآية 8] من القوم المسرفين ﴿بَطْشًا﴾ [الآية 8] قوة وشوكة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] وسبق في القرآن المبين قصتهم العجيبة وقضيتهم الغريبة وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين الآخرين بمثل ما جرى الأولين.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ [الآية 9] أي الله المنعوت بصفات الجلال والجمال.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 10] أي كالمهد فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيون مهاداً أي فراشاً ممهداً والموصول مقطوع عما قبله مرفوع على أنه مستأنف خبر مبتدأ مقدر هو هو ومنصوب بتقدير أعني قبله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 10] تسلكونها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية 10] لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر وصفه في انفراده بإبداعه واختراعه فقال: الذي جعل لكم الأرض مهداً فكما جعل لهم الأرض قراراً لأشباحهم جعل الأشباح قراراً لأرواحهم فالخلق سكان الأرض والأرواح سكان النفوس فإذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها كذلك إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [الآية 11] بمقدار مقدر ينفع ولا يضر ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾ [الآية 11] أحيينا به مكاناً زال عنه النماء ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية 11] تنشرون من قبوركم. وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء.

وقال الأستاذ: كما يحيي الأرض بالمطر يحيي القلوب بحسن النظر.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 12] أصناف المخلوقات جميعها.

141/أ / وقال الأستاذ: كذلك جنس عليكم الأحوال كلها فمن رغبة في الخيرات ومن رهبة في العقوبات وخوف يحملكم على ترك الزلات ورجاء يبعثكم على فعل الطاعات طمعاً في المثوبات وغير ذلك من فنون الصفات ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية 12] أي الإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الآية 12] أي فيه أو عليه.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الآية 13] أي ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 13] بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها بألسنتكم ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الآية 13] المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الآية 13] مطيقين.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ [الآية 14] أي راجعون والنكتة في اتصال هذه الجملة أن الركوب للرحلة والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى المولى.

قال ابن عطاء: خاطب العوام بأنهم يذكرون النعم في وقت دون وقت وفي حالة دون حالة لأنهم لا يعرفون نعم الله عليهم في كل نفس وطرفة ولحظة ولمحة وسكون وحركة.

وقال أبو بكر بن طاهر: ليكن ركوبهم على الدواب ضرورة على المشي في الحاجة أو حرباً في المجاهدة ولا يكون ركوبهم عليها ركوب اللهو والفخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما سخّر لهم الفلك في البحر والدواب في البر للركوب عليها وأعظم المنة بذلك عليهم فيها كذلك سهل للمؤمنين مركب التوفيق فحملهم عليه إلى بساط الطاعة وسهل للمريدين مركب الإرادة فحملهم عليه إلى عرصات الجود وعرفات الوجود وسهل للعارفين مركب الهمة وأناخوا بقوة العزة وعند ذلك محط الكافة لم يخرق سرادقات العز همة مخلوق سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً أو ولياً مكرماً وعند سطوات العز يتلاشى كل مخلوق ويقف وراءها كل محدث مسبوق.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ﴿لَهُۥ﴾ [الآية 15] أي الله سبحانه ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ [الآية 15] وقرأ أبو بكر بضمتين أي ولداً حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد للرحمن لأنها من فرط الجهل وغاية الطغيان.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ [الآية 16] وهم الجزء الأخس لديكم وأبغض الأجزاء إليكم ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ [الآية 16] واختياركم بإعطاء ما تختارونه من الجزء الأحسن عندكم وفي العبارة إشارة إلى أن ما سوى / الله مخلوق له فلا 141/ ب
يتصور له الولد حقيقة وأما الاتخاذ على التوسعة فلو وجد لما كان أخس الأشياء فصنيعهم هذا دل على أنهم من أجهل السفهاء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ [الآية 17] أي بالجنس الذي جعله له إذ الولد لا بدّ أن يكون لوالده مماثلاً ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ [الآية 17] صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الحزن والكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 17] مملوء القلب من كثر الكرب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ [الآية 18] أي واتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ﴾ [الآية 18] في المجادلة مع الرجال ﴿غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الآية 18]

غير مقدر لما يدعيه من نقصان عقله وضعف رأيه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد مجهولاً أي يربي في الخلوة دون الجلوة.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الآية 19] كفر آخر من قبح أحوالهم تضمنه سوء مقالهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله مقاماً وأنقصهم رأياً وأحسنهم صنفاً وقرأ الحجازيان والشامي عند علي تمثيل زلفا لهم وتقربهم عند مولاهم ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الآية 19] احضروا خلق الله أياهم فشاهدهم إناثاً فشهدوا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ نافع بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة مسهلة على صيغة المجهول ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ [الآية 19] التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 19] عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ [الآية 20] عدم عبادة الملائكة والأصنام ﴿مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ [الآية 20] فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على تحقق حسنها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض في عالم الوجود مأموراً كان أو منهياً مستحسناً كان أو مستقبحاً ولذلك جهلهم فقال ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ [الآية 20] الاستدلال ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] يفيد في معرض الجدال ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية 20] يحتالون ويتكلفون المحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما قالوا ذلك استهزاء واستبعاداً لا إيماناً وإخلاصاً فقال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] فلو علموا ذلك وقالوا على وجه التصديق لم يكن ذلك معلولاً منهم في مقام التحقيق.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 21] قبل القرآن على صحة ما قالوه من البرهان ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الآية 21] بذلك الكتاب مستمسكون والحاصل/ أن كلامهم خارج عن طريق العقل وتحقيق النقل وإنما هو مبني على محض التقليد وصرف الجهل. 142/أ

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الآية 22] أسلافنا ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الآية 22] طريقة مسلوكة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 22] أي جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [البَقَرَة: الآية 143] ومثل هذه الحالة ﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ [الآية 23] أي تنعموها ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الآية 23] وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر في الدلالة إلى تقليد أرباب الضلالة وأصحاب الجهالة وإيماءً إلى أن غالب المؤمنين كانوا فقراء وعلماء في كل وقت وحين.

﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ [الآية 24] أي أتتبعون أهواءكم وتقلدون آباءكم لو جئتكم بأهدى من دين قدمائكم وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى كل نذير ويؤيده أنه قرأ ابن عامر وحفص قال ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 24] أي وإن كان أهدى إقناطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ [الآية 25] باستئصالهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية 25] أي سوء أحوالهم وقبح مآلهم.

قال أبو عثمان علامة انتقام الله من عباده أن يجريهم في ميدان الغفلة ولا يحملهم على مدارج الذكر ومعارج الفكر ورياض القدس وحياض الإنس.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ [الآية 26] أي بريء وقرئ به ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الآية 26] أي من عبادتكم أو آلهتكم والمعنى واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد حين تولى التوفيق بالتحقيق والتأييد.

﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 27] أي لكن الذي خلقني ابتداء ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الآية 27] إلى ما وراء ما هداني إليه انتهاء.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل الله كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الآية 28] في ذرية فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعوا إلى ملته ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الآية 28] أي من أشرك منهم حين ظهور حجته.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 29] الكفار المعاصرين للرسول المختار

﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الآية 29] بالمد في العمر وأنواع النعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في أصناف الشهوة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 29] دعوته ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 29] ظاهر رسالته.

142/ ب ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 30] ينبههم عن غفلتهم ﴿قَالُواْ/ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 30] زادوا في شرارتهم بإظهار معاندتهم قسموا القرآن سحراً وصرحوا به كفراً واستحقروا بالرسول فقراً.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الآية 31] أي من أحداهما مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ [الآية 31] بالجاه والمال كالوليد بنن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال: الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها الرتبة الروحانية فتستدعي عظمة النفس بالتجلي بالفضائل الأنسية والشمائل القدسية لا التزخرف بالزخارف والدنيوية.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الآية 32] أي نبوّته التي أعلى مراتب أهل العقبى ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ [الآية 32] وهم عاجزون عن تدبير ومتحيرون في تقديرها وهو خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب في دنياهم وأخراهم قال بعضهم: لم يترك قسمة معاش الدنيا بالعبد مع خسته وكثافته فكيف يترك قسمة الرحمة بالعبد مع شرافته ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية 32] أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ﴾ [الآية 32] ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ينتظم بذلك نظام أعمالهم وأحوالهم لا لكمال في الموسع عليه ولا لنقص في المضيق عليه ثم الاعتراض لهم علينا في ذلك فكيف يكون فيما هو أعلى من هنالك ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] يعني النبوة وما يتبعها من الإيمان والمعرفة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 32] من حطام الدنيا وزخرفها فالعظيم من يرزق من الرحمة الخاصة لا من النعمة العامة.

قال ابن عطاء: اعتذار من الله لأنبيائه وأوليائه إنه لم يذد عنهم الدنيا إلا لأنها لا خطر لها ولا قدر عنده فيها وإنها فانية فآثر لهم العقبى التي هي

باقية انتهى. ويؤيده ما قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء»(1).

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إنه الحق سبحانه وتعالى لم يجعل/ قسمة السعادة والشقاوة إلى أحد من خلقه وإنما المردود في حكمه 143/أ
وقضائه وقدره من ردّه والمقبول في حكمه من جملة عباده من أراده ومن قبله قبله لا لعلة وسبب ومن رده رده لا لأمر مكتسب إنما ذلك سبباً يتغير معلوله، وقضاؤه غير مردود ثم قسم لبعض عباده النعمة والغناء ولبعض الفقر والعنا وجعل لكل واحد منهم سكناً يسكنون إليه ويشتغلون به فللأغنياء وجود الأنعام وجزيل الأقسام فشكروا واستبشروا وللفقراء من هؤلاء شهود القسام فحمدوا وافتخروا فالأغنياء وجدوا النعمة واستغنوا واشتغلوا والفقراء سمعوا قوله نحن فاستقلوا وفي الخبر أنه عليه السلام قال للأنصار: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والغنم وترجعون بالنبي إلى أهاليكم فقالوا: رضينا رضينا(2).

وقوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الآية 32] أي لو كانت المقادير متساوية لتعطلت المعايش ولبقي كل على حاله فجعل بعضهم مخصوصاً بالترف والمال وآخرين بالفقر ورقة الحال حتى احتاج الفقير في حين حاجته إلى أن يعمل للغني ليرتفق من جهته فيصلح بذلك أمر الغني والفقير جميعاً انتهى. ولما كان هنا مظنة سؤال وإيراد إشكال وهو أن أكثر الأبرار فقراء وأكثر الفجار أغنياء فما الحكمة في ذلك وما النكتة لما هنالك ولم لم يعكس البلية مع أنه بها أيضاً يتم نظام القضية وأيضاً بمقتضى القسمة الإلهية أن تكون الدنيا جنة الكافر كما أنها سجن المؤمن فيوجب ذلك أن يكون الكافر بوصف يكون المؤمن هنالك قال تعالى.

﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الآية 33] لولا كراهة أن يرغبوا في

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 341) رقم (7847)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 325) رقم (10465).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4330)، ومسلم في الصحيح (1061/ 139).

الكفر إذا رأوا الكفار في سعة ونعمة لحبهم الدنيا العاجلة وذهولهم عن العقبى الآجلة فيجتمعوا على الكفر والطغيان ولم يلتفتوا إلى الإيمان والعرفان ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 33] بناءً على حقارة الدنيا وحرمان الكافر عن نظارة
143/ب العقبى ﴿لِبُيُوتِهِمْ/ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفاً اكتفاءً بجمع البيوت ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الآية 33] مصاعد ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الآية 33] يعلون السطوح.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾ [الآية 34] أي من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [الآية 34] على أرائكهم.

﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الآية 35] وزينة عطفاً على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 35] إن هي المخففة واللام على الفارقة وقرأ نافع وعاصم وهشام في رواية لما بالتشديد بمعنى ألا وإن نافية والمعنى أنه تمتع قليل عام للمؤمنين والكافرين ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 35] خاصة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 35] لمن اتقى الكفر والمعصية وفيه إشارة إلى أن العظيم هو العظيم في العقبى لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع يسير بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة من أجر كثير مخل في الأغلب بالطاعات لما فيه من الآفات قلّ من يتخلص عنها ويسلم منها.

قال أبو بكر الوراق: التقوى سراج القلب يدله على موضع الخلل منه فيصلحه ومن لم يكن له تقوى لم يكن له في قلبه نظر ولا بصر ينفعه ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: الآية 282].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 36] يتعام عن رؤية الآيات ويعرض عن الأذكار والدعوات ويتغافل عن وظائف الطاعات بسبب فرط اشتغال بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الآية 36] نقدره له ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الآية 36] يوسوس له ويغويه في دوام الأوقات وتمام الحالات.

قال سهل: حكم الله تعالى أنه لا يرى قلب عبد يسكن إلى شيء سواه إلا أعرض عنه وسلط عليه الشيطان ليضله عن طريق الحق ويغويه عن سبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يعرف قدر الخلوة مع الله فحاد عن أذكاره العلية وأخلد إلى خواطره الردية قيض الله له من يشغله عن الله بالأمور الدنيوية فهذا جزاء من ترك الأدب في الخلوة الرضية وإذا اشتغل العبد في خلوته بربه فإذا تعرض له من يشغله عن ذكره صرف الحق/ عنه بأي وجه كان 144/ أ
وصرف دواعيه عن معالجته بما يشغله عن ربه ويقال: أصعب الشياطين نفسك الذي بين جنبيك والعبد إذا لم يعرف قدر فراغ قلبه للاشتغال بذكر ربه واتبع شهوته ومتمناه وفتح ذلك على نفسه بقي أسيراً في يد هواه لا يكاد يتخلص عنه إلا بعد مدة أرادها الله.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 37] عن الطريق الذي من حقه أن يسلك وجمع الضميرين لإرادة الجنسين من العاشي والشيطان المذكورين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 37] أي يظن العاشون أن الشياطين مهتدون إلى الحق وهادون إلى الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الذي سولت له نفسه مراً فيتوهم أنه على صواب وإنه قصد خيراً ثم يحمل صاحبه على موافقته في باطله ويدعي أنه حق في أصله فقد أضر بنفسه وبغيره ثم أنه إذا انكشف غداً الغطاء تبين خيانة صاحبه وندم على صحبته حين لا ينفع في ندامته.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ [الآية 38] أي العاشي مع قرينه أو كل واحد منهما وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءنا أي العاشي والشيطان ﴿قَالَ﴾ [الآية 38] أي العاشي للشيطان ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الآية 38] بعد المشرقين المشرق من المغرب فغلب المشرق وأضيف البعد إليهما ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الآية 38] أنت على ما ظهر في هذا الحين.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 39] أي ما أنتم عليه من التمني في العقبى ﴿إِذ

ظَلَمْتُمْ﴾ [الآية 39] حين تبين ﴿أَنَّكُمْ﴾ [الآية 39] ظلمتم أنفسكم في الدنيا وهو بدل من اليوم إنكم ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 39] أي لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في أسبابه من أنواع الحجاب.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [الآية 40] كلام الصدق ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الآية 40] إلى طريق الحق ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 40] روي إنها نزلت حين كان صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء في قومه وهم لا يزيدون إلا جفاءً في حقه.

وقال الأستاذ: أي ليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صببنا في مسامع أذنه رصاص الشقاء والحرمان فكيف يمكنك إسماعه القرآن وتفهيمه الإيمان.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الآية 41] فإمّا قبضناك قبل أن نصرناك ﴿فَإِنَّا/ مِنْهُم 144/ ب
مُّنتَقِمُونَ﴾ [الآية 41] بعدك في الدنيا والأخرى.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ [الآية 42] أي أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من عذابنا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الآية 42] لا يفوتوننا ولا يعجزوننا.

وقال الأستاذ: يعني أن انقضى أجلك ولم يتفق لك شهود ما نتوعدهم بذلك فلا يتوهم أن صدق كلامنا يشوبه مين أن ما أخبرنا عنه فلا محالة سيكون له أين أثبته على حد الخوف والرجاء ووقفه على وصف التجويز لاستبداده سبحانه بعلم الغيب وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير ويفعل الله ما يريد.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] من آيات القرآن وشرائع الإيمان ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 43] دين قويم.

قال ابن عطاء: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالاستمساك وهو لم يخل من التمسك بما أمر به لحظة لكنه خاطبه لرفع درجته وعظيم مرتبته لتكون أنت مبادراً بآداب التمسك والاقتداء ليتم لك باب الوصل والاهتداء

ويعلم ويعلم أن مثله إذا خوطب بمثل هذا الخطاب ما الذي يلزمك من الاجتهاد في هذا الباب.

وقال الأستاذ: أي اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور وقف حيث ما أمرت بما أمرت من أمر قويم وفق بأنك على صراط مستقيم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ [الآية 44] لوعظ وتذكر ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الآية 44] لمن اتبعك ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الآية 44] عن قيامكم بحقه يوم ظهور حكمه.

قال ابن عطاء: إنه لشرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بالانتساب إليك لعظمتك لدينا.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الآية 45] أي سل علماء دينهم وسائر أممهم ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الآية 45] هل حكمنا بعبادة الأوثان في ملة من مللهم والمراد الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع من الرسل في مقام التفريد أو المراد بهذا الخطاب غيره ممن يتردد ويرتاب ولا يبعد أن يكون الأمر بالسؤال من الرسل والأنبياء في ليلة الإسراء لكنه عليه السلام لما كان في المقام الأكمل قال: «لا أشك ولا أسأل».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا/ مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 46] أي التسع من معجزاتنا ﴿إِلَىٰ 145/ أ
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 46] فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أن دعوة موسى عليه لم تكن إلا إلى التوحيد والإسلام ورد لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإنه وأكثر الأنبياء لم يكونوا أغنياء بل كانوا فقراء وضعفاء وكذا أتباعهم وأشياعهم كما جرى به القضاء.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الآية 47] فاجاؤوا وقت ضحكهم والمعنى استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الآية 48] أي إلا وهي

بالغة في الإعجاز أقصى درجاتها بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس إليها من الآيات تمامها والمراد وصف كل منها بالكبر في بابها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ [الآية 48] كالسنين والطوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 48] على وجه يرجى رجوعهم إلى طريق الرشاد.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الآية 49] نادوه به في شدة حالتهم لفرط حماقتهم وغاية عداوتهم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية 49] ليكشف العقوبة عنا ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الآية 49] بعهدهِ عندك من النبوة أو استجابة الدعوة ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] بشرط أن تدعوا لنا ويكشف عنا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الآية 50] فاجأ وانكث عهدهم بالاهتداء إلى طريق الصواب.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 51] بنفسه أو مؤذنه ﴿فِى قَوْمِهِۦ﴾ [الآية 51] في مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 51] أي أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر نيّس ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الآية 51] تحت أمري أو قعري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 51] عزي وقدري.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الآية 52] أي بل أنا خير مع هذه المملكة والبسطة في الجاه والمال ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الآية 52] ضعيف فقير حقير الحال لا يستعد للرياسة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الآية 52] الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للسياسة.

وأفاد الأستاذ: أنه تعزّز بملك مصره وجري النيل بأمره فكان هلاكه في
145/ب قعره ليعلم أن من تعزز بشيء دون الله فحتفه وهلاكه/ فيه دون غيره واستصغر حديث موسى وعابه بفقره فسلطه على أمره وجعل هلاكه بيديه ليعلم أن أحداً ما استحقر أحداً إلا سلط عليه.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾ [الآية 53] قرأ حفص سورة ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ [الآية 53] أي فهلّا ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً في الاقتدار إذا كان من عادتهم أنهم إذا سودوا رجلاً سوروه بالسوار ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الآية 53]

مقرونين يعينونه بالإقرار.

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ طلب الخفة منهم في مطاوعة أمره ﴿فَأَطَاعُوهُۚ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية 54] خارجين عن نهج العقل وطوره.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الآية 55] أغضبونا بالإفراط في عنادهم وعصيانهم في بلادهم ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية 55].

قال ابن عطاء: إذا كان عصيان الرسل عصياننا فمن أسفهم أسفنا.

وقال الأستاذ: أي أغضبونا وإنما أراد أغضبوا أولياءنا وهذا أصل في باب الجمع أضاف إيسافهم أولياءه إلى نفسه وفي الخبر القدسي أنه يقول: «مرضت فلم تعدني»[1].

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ [الحج: الآية 27] والمعنى يأتونا أو بيتنا. وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: الآية 80].

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا﴾ [الآية 56] قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدرون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت بهم أو جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضمتين جمع سليف كرغف جمع رغيف ﴿وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾ [الآية 56] وعظة وعبرة للمتأخرين.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ [الآية 57] ضربه ابن الزبعري من المشركين قبل دخوله في الإسلام لما جادل النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: الآية 98] بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله فالملائكة أولى بذلك[2] ﴿إِذَا

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2569/ 43)، وابن حبان في الصحيح (1/ 503) رقم (269).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 416) رقم (3449)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 153) رقم (12739)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 340) رقم (31882).

﴿قَوْمُكَ﴾ [الآية 57] قريش ﴿مِنْهُ﴾ [الآية 57] من هذا المثل ﴿يَصُدُّونَ﴾ [الآية 57] يضجون ويصيحون فرحاً لظنهم أن الرسول صار به ملزماً وقرأ نافع وأبو عامر والكسائي بضم الصاد أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل: وهما لغتان ومعناهما يضجون فرحاً.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ [الآية 58] أي عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ [الآية 58] أي عيسى/ فإن كان في النار فليكن آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ [الآية 58] أي هذا المثل 146/ أ
﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الآية 58] لأجل الخصومة والطغيان لا لتمييز الحق من البطلان ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الآية 58] شداد الخصومة حراص على لجاج المجادلة وتمام الجواب ما سبق في سورة الأنبياء من أن عيسى ونحوه ممن عبد من دون الله ليس داخلاً في ما تعبدون لما تقرر من أن ما لغير ذوي العقول وعلى تقدير عمومها استدرك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 101] ولعله اكتفى هنا عن تمام الجواب بقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 59] أي ما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 59] بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 59] أمراً عجيباً وشأناً غريباً حيث خلقناه من غير أب وخلقناه إلينا قريباً.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ [الآية 60] بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الآية 60] أي يعقبون ويترددون.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 61] أي نزول عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الآية 61] أي من أشراطها يعلم به دنُوها وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: افتق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام يعني المهدي فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به[1] ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الآية 61] فلا تشكن في حقية

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 79) رقم (1309)، وفي المعجم الصغير (1/ 69) رقم (84)، وأبو يعلى في المسند (10/ 279) رقم (5877)، وأحمد في المسند (2/ 394) رقم (9110)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 401) رقم (20845).

الساعة ووقوعها ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ [الآية 61] واتبعوا شرعي أو رسولي ﴿هَٰذَا﴾ [الآية 61] الذي ادعوكم إليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 61] لا يضل سالك لديه.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ﴾ [الآية 62] عن المتابعة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 62] ظاهر العداوة بأن أخرجكم من الجنة وأوقعكم في المحنة.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 63] بالمعجزات أو بالشرائع الواضحات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [الآية 63] بالإنجيل والشريعة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ [الآية 63] من أمر دينكم فإن الأنبياء لم يبعثوا إلينا أمر الدنيا ولذا قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 63] فيما أنهاكم ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الآية 63] فيما أمركم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ [الآية 64] بيان لما أمرهم من إطاعة الطاعة وهو اعتقاد التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية والتعبد بأحكام الشريعة في العبودية ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 64] طريق قويم.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ﴾ [الآية 65] / الفرق المتحزبة والطوائف المجتمعة من بين النصارى أو اليهودي والنصراني من بين قومه المبعوث إليهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 65] أي ممن ثبت على ظلمه من المتحزبة ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 65] يوم القيامة. 146/ ب

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [الآية 66] أي الظالمون اجتمعوا ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ [الآية 66] بدل والمعنى ما ينتظرون إلا إتيان الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 66] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 66] غافلون عنها لإنكارهم لها ولاشتغالهم بأمور الدنيا وما يتعلق بها.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ [الآية 67] الأحباء ﴿يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية 67] ويكونون يومئذ كالأعداء ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 67] إلا المؤمنين الأتقياء فإن خلّتهم لمّا كانت في الله ومرضاته تبقى نافعة في السراء والضراء.

وأفاد الأستاذ: أن الأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الأهواء يتبرأ

بعضهم عن بعض وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض وشرط الخلة في الله أن لا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية ولا يرتفق بعضهم ببعض في الأغراض الدنية حتى تكون الصحبة خالصة للمولى لا نصيب لها في الدنيا ولا يجري بينهم مداهنة في المعاملة فبقدر ما يرى فيه من قبول طريق الله له يقبله فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى من صاحبه فإذا عاد إلى تركه عاد إلى موته وإلا فلا يساعده على معصيته ثم يتقي بقلبه أن يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو عوض دني.

﴿يَـٰعِبَادِ﴾ [الآية 68] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء وأبو بكر بفتح الياء ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الآية 68] حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون.

قال الصادق: لا خوف على من أطاعني في الفريضة واتبع رسولي في السنة وقيل: لا خوف في العقبى على من خافني في الدنيا وقيل: الخوف على القالب والحزن على القلب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية 69] صفة للمنادى ﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 69] أي مخلصين في إحسانهم وإيمانهم أو مستسلمين لقضائه ومنقادين لما فيه من رضائه.

وأفاد الأستاذ: أن يقال لهم غداً ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الآية 68] مما يلقاه أهل الجمع من الأهوال ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الآية 68] فيما قصرتم فيه من الأعمال أما الذنوب فعفوناها وأما الأهوال فكفيناها وأما المظالم فقضيناها
147/ أ فإذا قال المنادي / هذا الخطاب يطمع الكل ويقولون نحن عباده في هذا الباب فإذا قال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أيس الكفار وقوي رجاء الأبرار.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ [الآية 70] نساؤكم المؤمنات قيل: وأشكالكم ومن هو في درجاتكم ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ [الآية 70] تسرون أو تزينون أو تكرمون أو تفتون أو تبسطون.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكۡوَابٍ﴾ [الآية 71] أي من ذهب والصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وَفِيهَا﴾ [الآية 71] وفي

الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الآية 71] وقرأ ابن عامر ونافع وحفص تشتهيه أي في معيشته ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الآية 71] بمشاهدته ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 71] دائمون فإن كلّ نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وما أحسن من قال:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً

قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين لأن جميع ما في الجنات من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الأعين أصبع يغمس في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية وما تلذ الأعين في الدار الباقية من لقائه لا حد له ولا صفة ولا غاية.

وقال الواسطي: الذي ذكر مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثواباً لأوليائه لم يقدر أحد أن يصفه فكيف يقدر أحد على وصف مثيبه انتهى وكأنه أشار إلى معنى الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(1).

وقال الأستاذ: لهم فيها ما تشتهي أنفسهم لأنهم قاسوا في الدنيا بحكم المجاهدة ألم الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق في كل باب فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب وأما أهل المعرفة والمحبة فلهم ما تلذ أعينهم من النظر إلى الله لطول ما قاسوه من شدة الفراق وفرط الاشتياق بقلوبهم وما علوه من الاحتراق لشدة غليلهم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الآية 72] أي هي التي أعطيتم درجاتها بمقابلة أعمالكم وحسب مقامات أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن الخطاب لأصحاب الإخلاص في أعمالهم والصدق في أحوالهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ/ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ [الآية 73] بعضها تأكلون لكثرتها 147/ب
ودوام أنواع نعمها.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 74] كاملي الإجرام تاركي الإسلام ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 74] ثابتون دائمون.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 75] لا يخفف من عقوباتهم ﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الآية 75] آيسون من نجاتهم ومتحيرون في ظلماتهم.

قال الأستاذ: وأما أهل التوحيد فقد يكون قوم منهم في النار ولكن لا يخلدون فيها وقد يفتر العذاب عنهم بها وفي الخبر الصديق أنه يميتهم الحق إماتة ولعل المراد بالإماتة الغشية أو الإنامة إلى أن يخرجهم من النار وذكر في الآية أن الكفار مبلسون والإبلاس الخيبة فدل على أن المؤمنين فيها لا يأس لهم فهم وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم ولقد قال الشيوخ إن حال المؤمن في النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا لأن اليوم خوف الهلاك وغداً يقين النجاة ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها ... متوقع لقواصم الظهر
وفضيلة البلوى ترقب أهلها ... عقب الرجاء ونومة الدهر(1)

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ [الآية 76] لأنه من المحال ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 76] على أنفسهم بما أورثهم سوء الحال.

﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الآية 77] أي سل ربك أن يميتنا وينجينا من عقوبتنا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الآية 77] لا خلاص لكم بموت ولا مناص لكم بفوت.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو قالوا يا ملك بدل قولهم يا مالك لعله كان أحوالهم أقرب من الإجابة قلت: وكذا لو قالوا ليقض علينا ربنا لعله كان أقوالهم أنسب إلى أدب الدعوة الموجبة لقرب الإجابة ولكن وقعوا في الحجاب فلم يروا آداب الخطاب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 374).

﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 78] أي بيان طريق الصواب بالإرسال والإنذار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 78] لما في اتباعه من إتعاب الأرواح وآداب الأشباح.

﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا﴾ [الآية 79] في تكذيب الحق لمعاندتهم ﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ [الآية 79] أمراً في معاقبتهم.

وقال الأستاذ: بل أمورهم منقطعة عليهم قلّ ما يتمشى لهم ما دبروه وقل ما يرتفع له من الأمور شيء على ما قدره.

﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ﴾ [الآية 80] حديث نفسهم بذلك ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ [الآية 80] وتناجيهم هنالك ﴿بَلَىٰ﴾ [الآية 80] نسمعها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ [الآية 80] الحفظة مع هذا ﴿لَدَيۡهِمۡ﴾ [الآية 80] ملازمون لهم ﴿يَكۡتُبُونَ﴾ [الآية 80] ما لهم وما عليهم.

148/ أ وقال الأستاذ: إنما خوفهم بسماع الملائكة/ وكتابتهم أعمالهم عليهم لغفلتهم عن الله ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله ومن علم أن أعماله تكتب عليه ويطالب بمقتضى ما جرى لديه قل إلمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ﴾ [الآية 81] في زعمكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الآية 81] الموحدين لله الذي لا يلتفتون إلى سواه.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الآية 82] من كونه ذو إلٰه أو صاحبة أو كفؤ ومماثلة.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ [الآية 83] في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ [الآية 83] في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الآية 83] أي القيامة ومنزلة الندامة وفيه دلالة على أنهم مطبوع على قلوبهم في الدنيا معذبون على كفرهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا دليلاً على أنه لا ينبغي للعبد أن يغتر بطول السلامة فإن العواقب غير مأمونة الملامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الآية 84] مستحق لأن يعبد

فيهما وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية 84] كالدليل على اتصافه بالربوبية الموجبة للعبودية.

وأفاد الأستاذ: أن المعبود في السماء هو الله والمقصود في طلب الحوائج في الأرض هو الله فأهل السماء لا يعبدون غير الله وأهل الأرض لا يقضي أحد حوائجهم غير الله وهو الحكيم فيما قضى وأراد العليم بأحوال العباد.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ [الآية 85] كالهواء أي بقدرته يظهر ملكهما إلا أنه يتعزز بظهورهما ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية 85] التي تقوم فيها القيمة ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الآية 85] للجزاء على الطاعة والمعصية وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر وعاصم بالخطاب وفيه وعد ووعيد.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الآية 86] كما تتوهمون شفاعة الآلهة ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 86] لكن من شهد بالتوحيد ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] حقيقة التفريد فله الشفاعة في تلك الساعة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أن جميع المسلمين شفاعتهم غداً مقبولة.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الآية 87] أي المشركين ﴿مَّنۡ خَلَقَهُمۡ﴾ [الآية 87] من خلق العابدين والمعبودين ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية 87] إذ ليس لهم جواب سواه إذ من فرط ظهوره / تعذر المكابرة في أمره ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الآية 87] تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره. 148/ ب

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ [الآية 88] أي ويعلم قوله رسوله وقرأ عاصم وحمزة بالجر وعنده علم قوله ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 88] وعلى كفرهم مصرون.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الآية 89] أعرض عن بهتانهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الآية 89] في ردّ طغيانهم أين أمري تسلم منكم ومتاركة عنكم ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 89] عقوبة ما يستوجبون وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب وفيه تهديد شديد لهم بنزول العقاب.

سورة الدخان

[مكيّة]

وهي سبع[1] وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من ذكرها نال في الدنيا والعقبى بهجته ومن عرفها بذل في طلبها مهجته كلمة إذا استولت على قلب عطلته عن كل شغل وإذا واظب على ذكرها عبد أمنته من كل هول.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2] الحاء يشير إلى حقه والميم يشير إلى محبته ومعناه بحق محبتي لعبادي وكتابي أن لا أعذب أهل محبتي بفرقتي وحجابي.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الآية 3] في ليلة القدر أو البراءة ابتدأ فيها إنزاله وأنزل فيها من اللوح جملة إلى السماء الدنيا ثم أنزل منجماً بحسب القضايا وبركتها لكثرة خير وجد فيها فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والمصالح الدنيوية أو لما فيها من كثرة نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأقضية قيل: أعظم الليالي بركة ليلة أقمت فيها لربك مناجاته وأقلها عليك بركة ليلة غفلت فيها عن أذكاره وطاعاته.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فيها كل سنة بمقدار ما كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم بنجومها وأشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يتنعم بأنوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الآية 3] أي ومبشرين كما يشير إليه قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الآية 4] فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وكرائمها.

149/ أ وقال/ الأستاذ: أي في هذه الليلة ينزل النسخة من السماء لما يحصل في السنة من أقسام الحوادث من الخير والشر والمحن والمنن والنصرة والهزيمة والخصب والجدب ولهؤلاء القوم من الحجب والجذب والفصل والوصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط فكم من عبد نزل له الحكم والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالولاء والرفد.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الآية 5] أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من لدنا على مقتضى حكمتنا ووفق إرادتنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 5].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 6] بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتاب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم كما تقتضيه الربوبية ليقوموا بحق العبودية أو المعنى لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة وإرادة النعمة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 6] لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 6] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن رحمة هي رحمة نبي الأمة وفي الخبر: «أنا رحمة مهداة»[1]. ويقال: إنا كنا مرسلين رحمة لقلوب أوليائنا بالتوفيق ولقلوب أصفيائنا بالتحقيق إنه هو السميع لأنين المذنبين العليم بحنين المحبين.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 7] أي هو خالقهما ومربي ما فيهما وقرأ الكوفيون بالجر بدلاً من ربك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 7] أي مريدين اليقين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 91) رقم (100)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 223) رقم (2981)، والدارمي في السنن (1/ 21) رقم (15)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 325) رقم (31782).

فاعلموا ذلك فإنه النافع في الدين.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 8] أي لا خالق سواه ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 8] كما تشاهدون في قضاياه.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الكلمة الطبية نفي ما أثبتوه بجملهم وإثبات ما نفوه بجحدهم ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] أي مربي أصلكم ونسلكم من الأولين والآخرين.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ [الآية 9] في غفلة عن الدين وهو رد لكونهم موقنين.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الآية 10] يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيبة الدخان من ضعف الأبصار أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلب والحمار أو يوم/ ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عليه 149/ ب
السلام لما قال أول الآيات الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر والدخان قال حذيفة وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية[1].

وقال سهل: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن ذكر الرب.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من أشراط الساعة يتقدم عليها وقيامة هؤلاء معجلة وأما القوم فلهم يوم غيبة الاحتجاب وانسداد ما كان مفتوحاً لهم من الأنس بالأحباب.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 11] يحيط بهم صفة للدخان وقوله ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] بيان لشأن ذلك الزمان.

---

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 266) رقم (1174)، وانظر ما أورده البغوي في تفسيره (7/ 230)، والرازي في تفسيره (14/ 7).

﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الآية 12] أي يقولون بلسان القال أو بيان الحال.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الآية 13] من أين لهم أنهم يتذكرون بهذه الحالات ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] يبين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب التذكر من الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ [الآية 14] أعرضوا عن كلمته وأدبروا عن صحبته ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ [الآية 14] في قراءته ﴿مَّجۡنُونٌ﴾ [الآية 14] في دعوى رسالته.

وأفاد الأستاذ: أن القوم قد يستزيدوا العذاب على العذاب على عكس أحوال أصحاب الحجاب فهم يسألون البلاء بدل ما يستكشفه الخلق من الغطاء ويتمنون أنواع الغطاء وأما هم فيقولون:

أنت البلاء فكيف أرجو كشفه   إن البلاء إذا فقدت بلائي

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [الآية 13] أي إن خالفوا سفرة قلوبهم من الخواطر التي ترد من الحق عليهم عوقبوا في الوقت بما لا يتسع له وسعهم فإذا أخذوا في الاستغاثة يقال لهم: أنى لكم ذكري وقد جاءكم رسول على قلوبكم فخالفتم أمري.

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية 15] بدعاء نبينا فإنه دعانا برفع القحط والغلاء ﴿قَلِيلًاۚ﴾ [الآية 15] زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الآية 15] إلى الكفر عقب كشف الضر ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء لكشف البلاء فيكشف الله عنهم بعد أربعين وريثما يكشفه عنهم يرتدون على عقبهم.

﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الآية 16] يوم القيامة أو يوم بدر أي نأخذهم
150/أ أخذة أكيدة ونواخذهم مؤاخذة / شديدة ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية 16] عموماً أو خصوصاً.

وقال الأستاذ: أي نورثكم ذلك اليوم حزناً طويلاً ولا تجدون في ظل انتقامنا مقيلاً.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 17] امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم وأوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسع الرزق عليهم ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 17] على ربه أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 18] بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي والمراد تخلية بني إسرائيل من استعباد فرعون واستسخار جنده ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية 18] من عنده ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية 18] مؤتمن على وحيه.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 19] برهان واضح على تحقيق نبوتي وتصديق رسالتي من أنواع المعجزات والأدلة الواضحات.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ [الآية 20] التجأت إليه وتوكلت عليه من أن تؤذوني ضرباً أو شتماً أو قتلاً.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الآية 21] فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ [الآية 22] بعد ما أصروا على تكذيبه ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 22] بأن هؤلاء السفهاء ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الآية 22] كاملون في الإجرام مستحقون سوء الانتقام.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ [الآية 23] وقرأ الحرميان بهمز الوصل أي فقال تعالى: سر معي بني إسرائيل في ليل إلى جانب النيل ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الآية 23] يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم من عنده.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 24] أي بعد ما تتجاوزه ﴿رَهْوًا﴾ [الآية 24] مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئة مطمئنة ولا تضربه بعصاك ثانية ليرجع إلى حاله حتى يدخل فرعون مع جميع [آله] ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية 24] وبعد إغراقهم محرقون.

﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ [الآية 25] تركوا كثيراً تركوا ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 25] جارية.

﴿وَزُرُوعٍ﴾ [الآية 25] وافية ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 26] محافل مزينة ومنازل مستحسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ [الآية 27] وتنعم وسعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ﴾ [الآيتان 27،28] متنعمين متلذذين.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الآية 28] ليسوا منهم في شيء من النسب والدين وهم بنوا إسرائيل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فتنهم بعدما أصروا في جحودهم ولم يوجبوا إلى طريق الرشد من نفرة عنودهم وجاءهم رسول جليل طالبهم بإزالة الظلم
عن بني إسرائيل واستبصر بالله وأظهر الحجة / من قبل الله ثم أمره بأن يسري 150/ ب
بعباده المؤمنين وعرفه أنهم يستنقذون وإن عدوهم جند مغرقون وما خلفوه من أموالهم ورياشهم وبقي عنهم من أسباب معاشهم استلبناهُ عنهم وأورثناهم واسكنا قوماً آخرين في منازلهم ومبناهم.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 29] مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم ونفي الاعتداد بوجودهم ومنه ما ورد في الأخبار أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وفي حديث ما من مؤمن مات في غربة غابت منها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الآية 29] ممهلين إلى وقت آخر أدنى حين قال الأستاذ: لم يكن لهم من القدر والخطر ما يتحرك في العالم بسببهم ساكن أو يسكن متحرك فلا الخضراء بفقدهم أغبرت ولا الغبراء بحينهم أحمرت لم يبق منهم عين ولا خبر ولم يظهر من قبلهم على قلب أحد من عبادنا أثر وكيف تبكي السماء بفقد من لم يستبشر في حياته من قبله فإن المؤمن الذي تسر السماء بصعود عمله إليها تبكي عند فقده عليها.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ [الآية 30].

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 31] بدل مما قبله بحذف مضاف أو بدونه للمبالغة أي من استبعاد فرعون إياهم وقتله أبنائهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ [الآية 31] متكبراً في

الجبابرة ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الآية 31] في العتو والشرارة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نجاهم وأملكهم وأفنى عدوهم وأهلكهم.

﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الآية 32] عالمين بأنهم أحقاء بهذا الحال أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 32] أي على عالمي زمانهم أو لكثرة الأنبياء منهم.

قال الواسطي: اخترناهم على علم منا بجناياتهم وما يقترفون من أنواع مخالفاتهم فلم يؤثر في سابق علمنا فيهم أن الجنايات لا تؤثر في الرعايات.

وقال الأستاذ: أي اخترناهم وعلمنا ما يحتقبون من أوزراهم فرفعنا باختيارنا من أقدارهم ما وضعه فعلهم بتدنسهم بأوضارهم ويقال: على علم بما نودع / عندهم من أسرارنا ومكاشفتهم به من حقائق أنوارنا. 151/ أ

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 33] كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ [الآية 33] نعمة جلية أو بلية خفية.

وقال الأستاذ: من مطالبته بالشكر عند الرخاء والصبر عند الكد والعناء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 34] أي قومك من السفهاء ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 34].

﴿إِنۡ هِيَ﴾ [الآية 35] ما عاقبة الدهر ونهاية الأمر ﴿إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الآية 35] المزيلة للحياة الدنيوية ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الآية 35] بمبعوثين للحياة الأخروية.

﴿فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ [الآية 36] الميتين ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 36] في أنا معذبين والخطاب لمن أوعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين.

﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ﴾ [الآية 37] في القوة والمنعة ﴿أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ [الآية 37] أي الحميري الذي سار بالمجوس وصير الحيرة وبنى سمرقند وقيل: هدمها وقد كان مؤمناً وقومه كافرين ولذا ذمهم دونه وعنه عليه السلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو

غير نبي»[1]. ويقال لملوك اليمن: تبابعة لأنهم يتبعون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 37] كعاد وثمود ونحوهم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ﴾ [الآية 37] أي مع كثرة عدتهم، وشدة قوتهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 37] أي قوماً كافرين.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ [الآية 38] وما بين جنسيهما ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [الآية 38] لاهين مبطلين وهو دليل على صحة الحشر والنشر كما مر مراراً.

﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 39] إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء بالمثوبة والعقوبة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 39] لقلة نظرهم وتفكرهم وقصور تصورهم.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [الآية 40] أي وقت فصل الحق من الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء الكامل ﴿مِيقَٰتُهُمۡ﴾ [الآية 40] وقت موعدهم ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية 40] قال بعضهم: يوم الفصل بين كل عامل وعمله فمن صحح له مقاله وأعماله قيل منه وجوزي عليه ومن لم يصحح له أعمالاً وأحوالاً كان عمله عليه أنكالاً وأثقالاً.

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى﴾ [الآية 41] من قرابة أو غيرها ﴿عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾ [الآية 41] من الإغناء أو من العناء ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 41] بمساعدة الأولياء.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 42] بالعفو عن جرمه أو قبوله الشفاعة في حقه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 42] الغالب على من أراد انتقامه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 42] لمن شاء إنعامه.

151/ ب ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الآيتان 43،44] أي/ كثير الإثم والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الآية 45] وهو ما يهمل في النار حتى يذوب قيل: ورري الزيت وقيل: النحاس المذاب ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير وحفص بالتذكير على أن الضمير للطعام أو للزقوم وقيل: للمهل وهو الأقرب وإن كان

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 270) رقم (1179).

الأولان أنسب.

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الآية 46] غلياناً مثل على الماء الحار.

﴿خُذُوهُ﴾ [الآية 47] يقال: للزبانية امسكوه ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [الآية 47] وقرأ الحجازيان وابن عامر بالضم أي فجروه ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 47] أي وسط النار الموقدة.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ [الآية 48] أصله ثم صبوا فوق رأسه الحميم كما في سورة الحج ثم حول إلى صبوا فوق رأسه عذاباً هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم تحقيقاً وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

﴿ذُقْ﴾ [الآية 49] أي العذاب الأليم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الآية 49] عند قومك وأما عندنا فأنت الذليل المهين وقرأ الكسائي بالفتح أي لأنك والمعنى قولوا له ذلك تهكماً به وتقريعاً على ما كان في زعمه.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 50] العذاب المعاين ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الآية 50] تشكون فيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ [الآية 51] في موضع قيام وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أي في موضع إقامة ﴿أَمِينٍ﴾ [الآية 51] يا من صاحبه عن آفة الزوال ومحنة الانتقال.

﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 52] بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب في إقامته.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ [الآية 53] ما رق من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الآية 53] ما غلظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الآية 53] في مجالس قدسهم ومنازل أنسهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 54] الأمر أو الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الآية 54] قرناهم بهن وأبحناهن لهم من غير تزويج وتزوج لهن والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العين الحسناء والصحيح أنهن غير نساء الدنيا.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾ [الآية 55] يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه في جميع الأحيان لا يتخصص شيء منها بزمان ولا مكان ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 55] من الضرر والنقصان.

وأفاد الأستاذ: أن الولي تمكن بهذه الأوصاف من هذه الألطاف ثم قد تختطف قوماً من بين هذه الأسباب فيجزهم عن هذه الجملة وكما أن الزهاد
152/أ وطن الدنيا عليهم قلبها فيخطفهم عنها كذلك في الآخرة / طمع الحور العين في صحبتهم فيسليهم عنها فالزاهد من الدنيا بحمية والعارف من الجنة بحمية.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [الآية 56] أي في الآخرة ﴿ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الآية 56] وهي قبض أرواحهم في الدنيا وهي أول أحوال في العقبى قيل لجنيد أهل الجنة باقون ببقاء الحي قال: لا ولكنهم مبقون ببقاء الحي والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقياً ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية 56].

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 57] عطاء وتفضلاً من ربك الكريم ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 57] لأنه خلاص عن المكاره الجلية وفوز بالمطالب العلية.

قال الواسطي: هو الفضل من كرمه ورحمته لا الاستحقاق بجهد العبد وكده وحركته.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 58] سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] لعلهم يفهمونه فيتعظون به فلما لم يتذكروا به ولم يتفكروا فيه.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ [الآية 59] فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الآية 59] منتظرون ما يحل بك ففيه وعيد لأعدائه ووعد لأحبابه.

قال ابن عطاء: فتح باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يفتر عن ذكره بحال وأغلق باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يقدر على ذكره بحال.

وقال الأستاذ فارتقب العواقب ترى العجائب أنهم مرتقبون ولكن لا يرون إلا ما يكرهون.

سورة الجاثية

[مكيّة]

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: وملك لا يستظهر بجيش أحد لا يستمسك بعيش، جبار ارتدى بكبريائه، قهار اتصف بعز سنائه.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] أي بحياتي ومودتي لأوليائي لا شيء أعز على أحبائي من لقائي.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية 2] بجلاله في أزاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: الآية 18] في أفعاله وحسن إقباله.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الآية 3] أي في خلقهما.

وأفاد الأستاذ: أن شواهد الربوبية لائحة وأدلة الإلهية واضحة فمن صحا فكرته عن سكرة الغفلة ووضع مسيرته في منزلة العبرة حظي لا محالة بحقائق الوصلة.

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ [الآية 4] لتتميم معاشكم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] الجملة محمولة على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي بالنصب حملاً على اسمها.

152/ب وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا أنعم/ نظره في استواء قده وقامته واستكمال عقله وتمام تمييزه وما هو مخصوص به في جوارحه وحوائجه ثم فكر فيما عداه من الدواب في أجزائها وأعضائها ووقف على اختصاصه وامتياز بني آدم

من بين البرية من الحيوانات في الفهم والعقل والتمييز والعلم ثم في الإيمان والعرفان ووجوه خصائص أهل الصفة من هذه الطائفة من فنون الإحسان عرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم في مراتبهم فاستيقن أن الله كرمهم وعلى كثير من المخلوقين قدمهم.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الآية 5] مطر وسماه رزقاً لأنه سببه ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 5] يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الآية 5] باختلاف جهاتها وأنواع صفاتها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 5] فيه القراءتان المتقدمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل العلوم الدينية كسبية مصححة بالدلائل العقلية والشواهد النقلية فمن لم يستبصر بها زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في ظلمة الحيرة والتقليد وفي الآخرة في تخليد الوعيد.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 6] الآيات السابقة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] علامات قدرته ودلالات حكمته ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 6] ملتبسة بالصدق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 6] أي بعد حديثه وهو القرآن لقوله الله نزل أحسن الحديث ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ [الآية 6] المذكورة والمعنى إذا لم تؤمنوا بما ذكرنا فبأي دليل بعد آياته المتلوة وعلاماته المنصوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وحفص بالغيبة.

وقال الأستاذ: من لم يؤمن بها فبأي حديث يعترف ومن أي بحر في التحقيق يغترف هيهات ما بقي للأشكال في هذا من المحال.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 7] هلاك شديد وعذاب أكيد ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الآية 7] مبالغ في الكذب ﴿أَثِيمٍ﴾ [الآية 7] كثير الذنب.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ [الآية 8] يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 8] عن سماع ذكره ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الآية 8] أي كأنه لم يسمع آيات ربه ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ [الآية 8] تهكماً به ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 8] على إنكاره وإصراره.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً من آياته سبحانه صامت ناطق صامت عن القول والكلام ناطق بالبرهان في الأحكام فمن استمع بسمع الفهم / واستبصر بنور التوحيد فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزلين ومن تصامم بحكم الغفلة وقع في وهدة الجهل ووسم بكي الهجر. 153/ أ

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ [الآية 9] أي وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 9] مهزوءاً بها من غير أن يرمي فيها ما يناسب استهزاؤها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 9] غاية الإهانة جزاء وفاقاً في المعاملة.

وقال الأستاذ: اتخذها هزواً أي قابله بالعناد أو ناوله على ما يقع له من وجوه المراد من دون تصحيح بإسناد فهؤلاء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية 9] مذل بين العباد وقد يكاشف العبد من بواطن القلب بتعريفات لا يتداخله فيها ريب ولا يتخالجه منها شك فيما هو به من حالة فإذا استهان بها وقع في ذل الحجبة وهوان الفرقة فعند هذه الفقرة في وقت هذه المحنة فلا عذر يقبل منهم ولا خطاب يسمع عنهم ولهم عذاب الضعف ولا يردون إلى ما كانوا عليه من الكشف.

فخل سبيل العين بعدك للبكا   فليس لأيام الصفاء رجوع

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 10] أي من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه بعض القضاء آجالهم يوقعون عليها ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ [الآية 10] لا يدفع ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ [الآية 10] من الأموال والأبناء ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العذاب والعناء ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 10] أي من الأصناف ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 10] على زعم أنهم شفعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 10] ليس له انتهاء.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾ [الآية 11] هذا القرآن برهان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 11] مع ظهور أنوارها وبيان أسرارها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] على إنكارها وقرأ ابن كثير وحفص برفع الميم والرجز عذاب عظيم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 12] أي سطح بحره ﴿لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية 12] بتسخيره وأنتم راكبون على ظهره ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾

[الآية 12] بالتجارة والصيد والغوص ونحوه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] ربكم على نعمه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يركبون البحر فربما تسلم السفينة وربما تغرق وكذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي بهم في رياح العناية مرفوع لهم شراع التوكل مرسي في بحر اليقين فإن هبت رياح السلامة نجت السفينة وإن هبت نكبا الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء من الحيلة فعند ذلك
153/ ب المقادير / غالبة وبلغت الحناجر قلوب أهل السفينة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 13] بأن خلقها نافعة لكم منه حال كون تسخر هذه الأشياء كائنة ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أو هي منة منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 13] في صنعته ويقومون بشكر نعمته.

قال أبو يعقوب النهرجوري: سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك شيئاً منه وتكون مسخراً لمن سخر لك الكل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سخر لكم ما خلق من وجوه الانتفاع فيهما إذ ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا ومن وجه للإنسان به انتفاع فالسماء لهم بناء والأرض لهم مهاد إلى غير ذلك فمن الغبن أن يستسخرك ما هو مسخر لك وليتأمل العبد في كل شيء إن لم يكن أي خلل كان يرجع إلى الخلق فلولا الشمس كيف كانوا يتصرفون بالنهار ولو لم يكن الليل كيف يسكنون فيه ولو لم يكن القمر كيف كانوا يهتدون إلى الحساب والآجال وكذلك جميع المخلوقات.

ونقل القطب الرباني عبد القادر الجيلاني في كتابه «فتوح الغيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أي الكل منه فقال: في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطناً بقدرته وظاهراً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنع بالأدوات هو باطن في غيبه

وظاهر في حكمته وقدرته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

قال الشيخ: ولقد أظهر الله في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح أمره رفع يد العصمة بابتهال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أنا لنا الله من بركتهم وحشرنا في زمرتهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ [الآية 14] يعفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 14] لا يتوقعون وقائعه بأعدائه أو لا يأملون الأوقات التي عينها الله لنصر أحبابه ﴿لِيَجْزِىَ﴾ [الآية 14] أي الله ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 14] علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون والكسب المغفرة أو الإساءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لِيَجْزِىَ﴾ [الآية 14] / بالنون. 154/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ندبهم إلى حسن الخلق وجميل العشرة والتجاوز عن الجهلة والتنقي من كدورات البشرية ومضايقات الشح والحالات النفسية وبيَّن أن الله لا يفوته أحد فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أولياءه ويهلك أعداءه فليصبر أياماً قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ [الآية 15] لها ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ﴾ [الآية 15] عقابه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 15] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم.

وقال الأستاذ: من عمل صالحاً فله مهنأه ومن ارتكب سيئة قاسى بلواه ثم مرجعه إلى مولاه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية 16] التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ [الآية 16] الملك والحكومة أو الحكمة العلمية والعملية ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 16] إذ كثر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم أو علوم النبوة من حسن سيرتهم وسمت طريقتهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 16] الحلالات من المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 16] أي عالمي زمانهم بإنزال الآيات الواضحات.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ﴾ [الآية 17] أدلة في أمر الدين وتندرج فيه

المعجزات ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ [الآية 17] في ذلك الأمر ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الآية 17] بحقيقة الحال وما يترتب عليه من المآل ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الآية 17] عداوة وحسداً فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الآية 17] بالمؤاخذة للعاصين والمجازاة للمحسنين.

قال سهل: فتحنا أسماعهم لفهم خطابنا وجعلنا أفئدتهم وعاءً لكلامنا وكتابنا وأعطيناهم فراسة صادقة يحكمون بها في عبادنا حكم حق وإخبار صدق في هذه البينات من الأمر.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾ [الآية 18] واضحة ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ [الآية 18] أمر الديانة ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾ [الآية 18] اتبع شريعتك الثانية بالحجج البينة ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 18] أو الجهال التابعة للهوى أو الشهوة.

قال سهل: على منهاج من كان قبلك من الأنبياء والأولياء فإنهم على منهاج الهدى وسراج الضياء والشريعة هو الشارع الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشد والصفاء والوفاء.

وقال الأستاذ: أي أفردناك بلطائف فاعرفها وبينا لك طرائق فاسلكها وأثبتنا لك حقائق فلا تتجاوزها ولا تجنح إلى متابعة غيرك فيها.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ/ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الآية 19] مما أراد بك من العطاء أو العناء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ﴾ [الآية 19] إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية 19] فواله بالتقى واتباع الشريعة والهدى أو فكن من الأولياء المتقين وحزبهم في مقام اليقين. 154/ ب

قال سهل: من استغنى بغير الله تعالى فبغناه افتقر ومن تعزز بغيره سبحانه فبعزه ذل واحتقر، ألا ترى أن الله يقول: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الآية 19].

وقال الأستاذ: إن أراد الله بك نعمة فلا يمنعها أحد وإن أراد بك فتنة فلا يصرفها عنك أحد فلا تعلق بمخلوق فكرك ولا تتوجه بضميرك إلى غير

ربك والتجئ إليه وتوكل عليه واستسلم لديه.

﴿هَٰذَا﴾ [الآية 20] القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 20] بينات تبصرتم وجه العرفان بعمومهم ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 20] من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية 20] ونعمة في الدلالة ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 20] يطلبون اليقين في الدين بخصوصهم.

وأفاد الأستاذ: أن أنوار البصيرة إذا تلألأت انكشفت دونها تهمة التجويز وناظر الناس على مراتب من نظر بهجوم نجومه وهو صاحب عقل ومن ناظر بنور فراسته وهو صاحب ظن ومن ناظر بتقوية روح ولكنه من وراء ستر ومن ناظر بيقين علم بحكم برهان وشرط فكر ومن ناظر بعين إيمان بوصف اتباع ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهار وشمسه طالعة وسماؤه مصحية.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 21] بل أظن الذين اكتسبوا الكفار والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ [الآية 21] نصيرهم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 21] أي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الآية 21] الجملة بدل من الكاف والضميران للموصول الأول إذا المعنى إنكار أن تكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 21] قبح حكمهم ذلك أو يئس شيئاً حكموا به هنالك.

وقال الأستاذ: أي أمن خفضناه في حضيض الضعة كمن رفعناه في هواء المنعة ومن أخذنا بيده فنعشناه كمن داسه الخذلان فرجمناه ومن بعد بذل جهد واستفراغ وسع وإسبال دمع واحتراق قلب عذرناه / فرحمناه كمن 155/ أ
بسط وقت وإنس حال وروح لطف خصصناه فرقيناه وشكرناه ثم قربناه وأدنيناه يئس ما يحكم قوم لا ولا يخافون أن يتوجه عليهم لوم.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 22] المقتضي للعدل والصدق المستلزم للفرق بين المسيء والمحسن في الخلق وإذا لم يكن في الحياة فلا بدّ أن يكون بعد الممات ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 22] من الخير والشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 281] بتنقيص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية

ذلك ظلماً مع أنه لو فعله لم يكن منه إلا عدلاً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً ففي العبارة استعارة كالابتلاء والاختبار.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الآية 23] مهواه بترك متابعة الهدي إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعيده ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] خذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 23] مع علم بضلاله وفساد جوهر روحه في ماله ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الآية 23] فلا يبالي بمواعظه ولا يتفكر في آياته ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الآية 23] فلا ينظر بعين بصيرة وعبرة وقرأ حمزة والكسائي عشوة ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] من بعد إضلاله أو من غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 23] يتعظون بوعظه ويتمثلون بأمره.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يسلك سبيل المتابعة ولم يستوف أحكام الرياضة ولم ينسلخ عن حكم هواه بالكلية ولم يؤد به إمام مقتدى به فهو ينجرف في كل وهدة ويهيم في كل ضلالة خسرانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه أولئك في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك قد مكروا واستدرجوا من حيث لم يشعروا.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 24] يموت بعضنا ويحيى بعضنا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الآية 24] مرور الزمان وانقلاب الدوران ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 24] يعني في نسبة الحوادث إلى الدهر وإنكار الحشر والنشر ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية 24] إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على التقليد والإنكار لما لم يحسوا بعين التأييد.

وأفاد الأستاذ: اغتروا بما وجدوا عليهم سلفهم وخلفهم وزجوا في البهيمية عيشهم وعمرهم وأغفوا عن كدِّ النكرة قلوبهم فلا بالعلم / استبصروا 155/ب
ولا من التحقيق استمدوا رأس مالهم الظن وهم غافلون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 25] واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الآية 25] أي متشبثهم عند معارضتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 25] وإنما سماه حجة على حسبانهم

ومساقهم في معرض بيانهم أو المراد حجتهم الداحضة.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الآية 26] أولاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الآية 26] ثانياً ﴿ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ [الآية 26] بأحبابكم ثالثاً في قبوركم مستمرين ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [الآية 26] لا ينبغي أن يكون فيه شبهة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازات والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وكان يمكن الإتيان بالآباء لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 26] لقلة تفكرهم وقصور نظرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 27] تعميم للقدرة بعد تخصيصها في الجملة ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [الآية 27] أي يظهر خسرانهم ويتبين بطلانهم.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾ [الآية 28] باركة مستوقدة ﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الآية 28] صحيفة أعمالها وحسابها ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 28] بثواب أعمالكم وعقابها.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ [الآية 29] أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأن كتابة الكتب إنما كانت بأمره ولا يبعد أن يراد بالكتاب اللوح المحفوظ فالإضافة للتشريف ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 29] يشهد عليكم بما عملتم على وجه الصدق من غير زيادة أو نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ [الآية 29] ستكتب الملائكة ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 29] أي أعمالكم العامة.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الآية 30] التي من جملتها نعيم جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الآية 30] الظفر الظاهر على المرادات لخلوصه عن شوائب الكدورات.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية 31] أي فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ [الآية 31] عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الآية 31] بمخالفتها.

وقال الأستاذ: فأما الذين آمنوا فلقد فازوا وسادوا وأما الذين كفروا فهلكوا وبادوا.

156/ أ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 32] كائن صدق ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ/ فِيهَا﴾ [الآية 32] إفراد للمقصود من الموعود وقرأ حمزة بالنصب عطف على اسم إن ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية 32] أي شيء الساعة استغراباً لها واستهجاناً بأمرها ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ [الآية 32] في وقوعها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 32] ضعيفاً لا يفيد الإيمان بها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الآية 32] بإمكانها.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ [الآية 33] ظهر عندهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الآية 33] قبحها أو جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 33] أي وباله ووخامة مآله.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الآية 34] نترككم في العذاب ترك ما ينسى ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الآية 34] كما تركتم استعداده وما هيأتم زاده ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 34] في دار البوار ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الآية 34] أي من أعوان وأنصار.

وقال الأستاذ: ويقال لهم أنتم الذين إذا قيل لكم في حديث عتابكم كذبتم مولاكم فاليوم كما نيستمونا نسيناكم والنار مأواكم.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [الآية 35] استهزأتم بهم ولم تتفكروا فيها ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 35] أي مالها وجاهها فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الآية 35] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 35] ولا يطالب منهم أن يعتبوا ربهم في عصيانه ويرضوه لفوات أوانه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ [الآية 36] على ما يبدئ وينشىء ويجري ويمضي ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 36] إذ الكل بعض نعمته الدال على كمال قدرته وجمال حكمته.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ [الآية 37] الرفعة والعلاء والعظمة والبهاء ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 37] إذ ظهر فيهما آثارها وتبين أنوارها ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الآية 37] الغالب في مراده ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الآية 37] فيما قدر ودبر لعباده فاحمدوه وكبروه في بلاده.

قال سهل: العلو والقدرة والعظمة والحول والقوة له في جميع المملكة فمن اعتصم به أيده بحوله وقوته ومن اعتمد على نفسه وكله الله إلى حاله وحركته.

سورة الأحقاف

[مكيّة]

وهي أربع[1] وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة للقلوب سالبة حكمة للقلوب غالبة واهبة ناهية للمطيعين واهبة ومن العارفين ناهية فالذين تهبهم فلهم لطفه والذين تنهاهم فمن محقه فهو عنه خلفه.

﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية 1] حميت قلوب أهل عنايتي فصرفت عنها خواطر التجويز وأثبتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق فلاح فيها شواهد برهانهم فأضفنا إليها لطائف إحسانهم فكملنا منالهم من عين الوصلة وغذيناهم بنسيم الإنس في ساحات القربة.

156/ ب / ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الآية 2] المعز للمؤمنين بإنزال كتابه عليهم المحكم لكتابه عن التبديل والتحويل لديهم.

﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 3] إلا خلقاً ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والعدل والصدق وقيل: دليل على وجود الصانع وحكمته وجوده وإشارة إلى البعث للمجازاة بمقتضى موعوده ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية 3] أي وبتقدير أجل معين ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له في القسمة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ [الآية 3] من هول ذلك الوقت ونزول العذاب وحصول المقت ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ [الآية 3] لا يتفكرون في

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أمره ولا يستعدون لحلوله.

قال ابن عطاء: خلق السماوات والأرض وأظهر فيهما بدائع صنعته وبوادي قدرته فمن نظر إليهما ورأى آثار الصنع فهو لنقصه من نظر وشاهد الصانع فهو لتحققه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 4] أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم سفلياتها وعلوياتها فتستحق العبادة لأجلها ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ [الآية 4] الكتاب وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد وطريق الصواب ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 4] أي من بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين الصادرة من نقول الأنبياء أو عقول الحكماء هل فيها على استحقاق العبادة للأصنام ونحوها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 4] في دعواكم بألوهيتها وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتها نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 5] أي ما يعيد ما سواه ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ [الآية 5] حين دعاه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 5] أي في حين ومدة ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ [الآية 5] أي عبادتهم أو ندائهم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 5] لأنهم إما جمادات لا يعقلون وأما عباد مسخرون وبأحوالهم مشتغلون.

وقال الأستاذ: وأي أثر منهم في الملك أو القدرة والمضرة إن كان لكم حجة فأظهروها أو دلالة فبينوها وإذ قد عجزتم عن ذلك وعلمتم فهلا رجعتم عن غيكم وأقلعتم ومن أشد ضلالاً ممن عبد الجماد الذي ليس له حياة ولا منة في النفع والضر إثبات.

/ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 6] ليجازوا جزاء ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الآية 6] 157/ أ
يضرونهم ولا ينفعونهم كما ظنوا أنهم شفعاء ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية 6] مكذبين بلسان الحال أو بيان القال.

وقال سهل: هي نفوسهم التي أقادتهم إلى متابعتها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 7] واضحات أو مبينات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ [الآية 7] لأجل الأمر الحق وفي شأن القول الصدق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 7] حين جاءهم من غير نظر في أمره وتأمل في حكمه ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] ظاهر بطلانه ومتحايل برهانه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [الآية 8] أفترى على الله كذباً على وفق مهواه ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ [الآية 8] فرضاً وتقديراً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 8] فلا تقدرون على دفع شيء مني ولو بالحيلة إن عاجلني الله بالعقوبة فكيف اجترئ عليه بما يكون سبباً للمضرة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 8] تندفعون به من القدح في آياته وتخوضون في معارضة بيناته ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ [الآية 8] بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 8] يشهد لي بالصدق وتبليغ الحق عليكم بالكذب والإنكار مع الإصرار ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 8] وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن منهم وإشعار بحكم الله مع عظم ما صدر عنهم.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الآية 9] بديعاً منهم ادعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات لديه.

وقال الأستاذ: أي لست بأول رسول أرسلت ولا بغير ما جاؤوا في أصول التوحيد حيث إنما أمرتكم بالإخلاص في العبادة والصدق في العبودية والدعاء إلى محاسن الأخلاق البشرية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الآية 9] ما يفعل ربنا بنا في الدارين مفصلاً إذ لا علم لي بالغيب إلا مجملاً ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الآية 9] أي ما أتجاوز ما نزل علي وهو جواب عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 9].

قال الأستاذ: وفي الآية دليل على فساد قول أهل القدر أن إيلام البريء قبيح في العقل لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول أعلم قطعاً إني رسول الله معصوم فلا محالة يغفر لي ولكنه قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده وفق مراده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] نزل من عنده على عبده

157/ ب / ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية 10] وهو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الآية 10] وهو كونه من عند ربه ﴿فَـَٔامَنَ﴾ [الآية 10] بالقرآن ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية 10] عن الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 10] إلى سبيل الإتيان وطريق العرفان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية 11] لأجلهم وفي حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية 11] الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 11] إذ عامتهم موالي وفقراء ورعاء الشاء قاله جماعة من قريش أو يهود كانوا عظماء وأغنياء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ [الآية 11] ظهر عنادهم في حقه ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الآية 11] كما قالوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 12] قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 12] ناصب لقوله ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الآية 12] على الحال ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ [الآية 12] أي لما بين يديه وقد قرىء به أن لما تقدمه من جميع كتب الله النازلة على رسله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 12] حال من ضمير كتاب في مصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الآية 12] علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه بالخطاب ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 12] عطف على محله والمعنى إنذار للمسيئين وبشارة للمحسنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الآية 13] على ما أمره وقضاه جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلوم الدينية والاستقامة في الأمور التي هي منتهى الأعمال الأخروية وثم للدلالة على تأخر رتبة عمل الإحسان وتوقف اعتباره على معرفة التوحيد وعلم الإيمان ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من لحوق مهروب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 13] على فوات محبوب.

وأفاد الأستاذ: أن من خرج على الإيمان والاستقامة حظي بكل الكرامة ووصل إلى جزيل السلامة وقيل: السين في الاستقامة للطلب وإن المستقيم هو الذي يبتهل إلى الله تعالى في أن يقيمه على الحق ويثبته على الصدق.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] من

اكتساب الفضائل العملية بعد حصول الفواضل العلمية.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الآية 15] وقرأ الكوفيون إحساناً قال بعضهم: أوصى الله تعالى العوام ببر الوالدين لما لهما عليهما من نعم التربية
158/ أ والحفظ فمن حفظ وصية الله / في الأبوين وفّقه ببركة ذلك حفظ حرمات الله وكذلك رعاية سائر الأوامر والمحافظة عليها توصل بركاتها بصاحبها إلى محل الرضا والإنس ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الآية 15] ذات كراهة ومشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمر وهشام بالفتح ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ [الآية 15] ومدة حمله وفطامه ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الآية 15] كل ذلك بيان لزيادة ما تكابده الأم في تربيته الولد مبالغة في الوصية بها، ولذا قال عليه السلام: «برّ أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»(1) وقيل: دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ففي ذلك وتخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 15] استحكم عقله وقوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الآية 15] وهو وقت كمال هدايته فقد قيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الآية 15] ألهمني أو وفّقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الآية 15] من النعم الدينية والدنيوية.

قال بعضهم: إنما الشكر المعرفة بالعجز عن الشكر وأن توفيق الشكر يوجب الشكر إلى ما لا نهاية لذلك ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الآية 15] أي عملاً يصلح لقبوله ويستجلب رضاه.

قال ابن عطاء: العمل الصالح المرضي ما يصلح للعرض على الحق وقال أيضاً: وفقهم لصالح الأعمال ترضى بها عنهم.

وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الآية 15] واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي.

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 405) رقم (959)، وأبو داود في السنن (4/ 499) رقم (5141).

وقال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 15] عما لا ترضاه أو يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 15] المنقادين المخلصين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الآية 16] يعني طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه إلا عند تحسين نياتهم ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الآية 16] لتوبتهم أو محو خطيئتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 16] كائنين في عدادهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الآية 16] من قبل الحق.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ [الآية 17] وقرأ هشام أتعداني بنون
واحدة مشددة ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية 17] من القبور للبعث / والنشور ﴿وَقَدْ خَلَتِ 158/ ب
ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الآية 17] فلم يرجع أحد منهم قبلي ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ [الآية 17] يقولان الغياث بالله منك ومن قولك ويسألانه أن يغيثه بالتوفيق للإيمان ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 17] وأخباره صدق ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 17] أباطيلهم التي كتبها بعض المتقدمين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الآية 18] بأنهم أهل النار ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية 18] بيان للأمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [الآية 18] في معاملتهم غير رابحين في تجارتهم خسروا في الدنيا والآخرة وضيعوا رؤوس أموالهم في مدة أعمارهم الذاخرة حيث لم يصرفوها في تحصيل الأحوال الفاخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام ورعاية حق الأم من حيث الشفقة والإكرام وإذا لم يحسن حرمة من هو من جنسه فهو أبعد من مراعاة حق سيده ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخطهما لكان ذلك كافياً وللمقصود وافياً وقد وعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله: أولئك الذين نتقبل عنهم

الآية فقبول الطاعة وغفران الزلة مشروط ببر الوالدين وقد ذم الذين اتصفوا في حقهما بالتأفيف وفي ذلك تنبيه على ما رواه في التعنيف فحكم أن صاحبه من أهل الخسران والخسران نقصان في الإيمان فسبيل العبد في رعاية حق الوالدين أن يصلح ما بينه وبين الله فحينئذ الله يصلح بينه وبين غيره وشر خصال الولد في رعاية حق الوالدين التبرم بطول حياتهما والتأدي بما يحفظ من حقهما وعن قريب يموت الأصل وقد يبقى النسل ولا بدّ من أن يتبع الأصل ولقد قالوا في هذا المعنى رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظر الدهر.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الآية 19] من الفريقين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ [الآية 19] مراتب لجزاء أعمالهم من الخير والشر في أحوالهم والدرجات مستعملة في المثوبات
159/ أ كما أن الدركات / في العقوبات وهاهنا جاءت على أصل اللغة أو بحسب الغلبة ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 19] جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 19] بنقض ثواب أو زيادة عقاب بل ليس هنالك إلا عدل أو فضل.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 20] يعذبون بها كعرض الكتاب عليها ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ [الآية 20] أي يقال لهم أذهبتم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الآية 20] لذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20] باستيفاء شهواتكم ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الآية 20] فما بقي لكم شيء منها ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الآية 20] الهوان وقد قرىء به ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 20] بغير استحقاق ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الآية 20] تخرجون عن طاعة الله من خلاف وشقاق.

قال الواسطي: من أسره شيء من الأكوان الفانية دق أو جل أو لاحظها بقلبه أو بعينه فقد دخل تحت قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

وأفاد الأستاذ: أن سبيل العبد أن لا ينسى في كل حال معبوده حتى إذا

كان معه همه وسروره أو معه مناجاته في رجائه وبلائه فإن طاب له وقت أو اتفق أن يحصل له أنس أو يغلب عليه رجاء وبسط أو يهجم على قلبه قبض أو يمسه حزن فخاطبه ربه فيه فلا يكون من جملة من يقال له: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الآية 21] أي هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الآية 21] جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ [الآية 21] أي الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الآية 21] قبل هود وبعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية 21] أي لا تعبدوا سواه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 21] بسبب إصراركم على أشر الحكم.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 22] لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية 22] من العقوبة على إشراكها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 22] في دعوى نزولها.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 23] لا علم لي بوقت عذابكم وإنما علمه عند ربي فيأتيكم به في وقته قدر لكم ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الآية 23] إليكم
وما علي إلا تبليغ ما وجب عليكم ﴿وَلَٰكِنِّىٓ/ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الآية 23] فيما 159/ ب
اخترتم لديكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الآية 24] أي العذاب ﴿عَارِضًا﴾ [الآية 24] سحاباً عرض ونشأ في أفق من السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الآية 24] متوجهاً من سائر جهاتها ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الآية 24] ممطر لنا ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 24] أي قال هود ليس كما تظنون أنه السحاب بل هو ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الآية 24] من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ [الآية 24] أي هو ريح عقيم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 24].

﴿تُدَمِّرُ﴾ [الآية 25] أي تهلك وقد قرىء به ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الآية 25] من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الآية 25] إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته ووفق حكمته ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ﴾ [الآية 25] أيها المخاطب لو

حضرت في مكانهم وزمانهم ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الآية 25] خالية عن أعيانهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء المضمومة ورفع مساكنهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية 25] أي وننجي المؤمنين فقد روي أن هود عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وفرقهم من البر في البحر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب وما توجه عليهم من العقاب وأخذهم بأليم العقاب.

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾ [الآية 26] إن نافية وهي أحسن موقعاً من هنا لأنها توجب تكرير المبنى وما موصولة أو موصوفة ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾ [الآية 26] ليعرفوا تلك النعم بأسرها ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ويداوموا في فكرها وذكرها فلم يلتفتوا إليها واغتروا بها وطغوا لديها ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الآية 26] أي ما دفع عنهم شيئاً من الإغناء أو العناء ﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 26] المنزلة أو بحجج أنبيائه المرسلة ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الآية 26] من العقوبة الموعودة.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾ [الآية 27] يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ [الآية 27] كحجر ثمود وقرى قوم لوط عليه السلام ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية 27] بتكريرها وزيادة تقديرها ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الآية 27] عن إنكارها.

﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ [الآية 28] بدل أو
160/ أ عطف بيان والمعنى / فهلا منعهم من إهلاكهم آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ﴾ [الآية 28] غابوا عن نصرهم بل ولم يدروا عن أمرهم من نفعهم وضرهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ﴾ [الآية 28] أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الآية 28] من أنواع الجهالة وأصناف الضلالة فلن يغني عنهم ما أتيناهم حين ما أهلكناهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ [الآية 29] أملنا ووجهنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 29] حال ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الآية 29] أي القرآن أو الرسول ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية 29] أي بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُواْ﴾ [الآية 29] اسكتوا لتسمعة ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ [الآية 29] فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الآية 29] مخوفين إياهم بما سمعوا من هداهم روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده أو يصلي بأصحابه الفجر على ما رواه الشيخان(1).

قال محمد بن سليمان: ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول والسكون تحت موارد الهيبة مع الذلول.

وقال النصرآبادي: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحقائقها أخرست الألسن عن النطق في مشهدها كالجن لما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقرأ عليهم أوصى بعضهم بعضاً بالإنصات تأدباً لديه.

وأفاد الأستاذ: أن الصيحة على الباب وفي البساط هيبة لأولي الألباب لما حضر الجن بساط خدمته عليه السلام تواصوا فيما بينهم بحفظ أدب المقام فلما حضروه ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الآية 29] فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار وأما الثوران والانزعاج فيدل على غيبة أو غفلة أو قلة تيقظ أو نقصان اطلاع من الحضرة.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 30] من العقائد اليقينية ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 30] من الشرائع الدينية.

وقال ابن عطاء يهدي إلى الحق في الباطن وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 31]

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 495) رقم (3701) وأورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).

160/ب بعضها وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم كالقصاص لا تغفر/ بالإيمان كذا في التأويلات ذكره صاحب المدارك ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 31] مما هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة وحده رحمه الله باقتصارهم على المغفرة والإجازة على أن لا ثواب لهم في الآخرة والأظهر كما عليه الأكثر أنهم كبني آدم كما يدل عليه ما في سورة الرحمٰن من مشاركتهم للإنسان فيما ذكر من نعيم الجنان.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 32] إذ لا ينجى منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ [الآية 32] يمنعونه من عذاب ربه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 32] حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ولم يلتفتوا إلى طاعة من هذا سلطانه.

قال سهل: لا يجيب الداعي إلا من سمع النداء ووفق لجواب الدعاء وإلا فمن يقدر أن يجيب هذه الدعوة وقال أيضاً: في قلب كل مؤمن داع يدعوه إلى رشده والسعيد من سمع دعاء الداعي وتبعه في حكمه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ [الآية 33] ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الآية 33] ولم يتعب ولم يعجز في إبدائهن وإبقائهن فإن قدرته واجبة لا تنقضي بالإيجاد ولا تنقطع بالإمداد ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ [الآية 33] الباء مزيدة لتأكيد النفي أي قادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 33] انتهاء كما قدر على أحبابهم ابتداء ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 33] تقدير للقدرة على وجه العام فيكون كالبرهان على المقصود التام.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 34] الثابت في الكتاب ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الآية 34] رب الأرباب ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 34] في مقام الحجاب.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الآية 35] أولوا الثبات والجد والحزم منهم فإنك من جملتهم بل ومن أجلتهم ومن للتبيين أو للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها

وتكريرها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أو المراد بهم الصابرون على بلائه كنوح صبر على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على مفارقة/ ولده 161/ أ
وفقد بصره ويوسف على محنة حبه ومشقة سجنه وأيوب على ضره وموسى على طغيان فرعون وشره وداود بكى على خطيئته أربعين سنة من عمره وعيسى لم يضع لبنة على لبنة في دهره وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: الآية 115]، وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: الآية 48]. وفي «تفسير السلمي»: أن الدنيا أسست على المحن والبلوى وليس لها دواء إلا الصبر في العناء.

وقد قال ابن عطاء الله: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر هو الوقوف لحكم الله والثبات من غير بثٍ ولا استكراه ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الآية 35] لكفار قريش بالعذاب وأمهلهم فإنه لا محالة نازل بهم في وقت عين لهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 35] من آثارنا ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الآية 35] استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى تحسبوها ساعة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مدة الخلق من مبتدأ وقتهم إلى منتهى أجلهم بالإضافة إلى الأزلية كلحظة بل هي أقل من لمحة إذ الأزل لا ابتداء له ولا انتهاء وأي خطر لما حصل في لحظة خيراً كان أو شراً بلاغ هذا القرآن أو هذه السورة ﴿بَلَٰغٌ﴾ [الآية 35] أي كفاية لمن قدر له هداية ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية 35] الخارجون عن الطاعة من البداية أو في النهاية.

سورة محمّد ﷺ

[مدنيّة أو مكيّة]
وهي ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من ذكر بسم الله جلّت رتبته، ومن عرف بسمَ الله صفت حالته، ومن أحب بسم الله استكملت قضيته، ومن صحب بسم الله امتحقت أنانيته وتلاشت بالكلية جملته.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 1] أي ومنعوا غيرهم عن سلوك طريق فيه خيرهم ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 1] جعل مكارمهم كصلة الأرحام وفك الأسارى وشفقة الأيتام ضائعة لامتناعهم عن الإسلام.

وقال الأستاذ: ﴿كَفَرُواْ﴾ امتنعوا ﴿وَصَدُّواْ﴾ ومنعوا فلأنهم امتنعوا عن الله استوجبوا العقوبة ولأنهم منعوا الخلق عن الله استحقوا الحجبة والغيبة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 2] يعم المجاهدين والأنصار
161/ب ﴿وَءَامَنُواْ﴾ [الآية 2] من أخيار الأحبار ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ [الآية 2] تخصيص /
للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [الآية 2] أي الثابت الذي لا نسخ بعده ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الآية 2] محا عنهم ما صدر منهم من مساوىء أعمالهم ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ [الآية 2] حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد في غالب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الكفر للأعمال محبط والإيمان للتخليد في العذاب مسقط ويقال: [الذين اشتغلوا] بطاعة الله ولم يعملوا شيئاً مما خالف الله فلا

محالة نقوم بكفاية أشغالهم لله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] ما ذكر من الإضلال والتكفير والإصلاح ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ﴾ [الآية 3] وهو تصريح بعد تلويح في بيان أمرهم.

قال ابن عطاء: أتباع الأوامر والسنن وأتباع الباطل ارتكاب الشهوات أو ما في النفس ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 3] يبين لهم أحوالهم والمعنى يضرب أمثال هؤلاء لسيئاتهم وأمثال هؤلاء لحسناتهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 4] في المحاربة ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية 4] أي فاضربوا ضرب الرقاب أو فالزموه فإنه أنفع هذا الباب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ [الآية 4] أكثرتم قتلهم وأغلظتم فشلهم ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [الآية 4] فأسروهم واحفظوهم بالوثاق ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [الآية 4] فأما تمنون منّاً أو تفدون فداء والمراد والتحية بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عند الشافعية فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق.

وأفاد الأستاذ: في بيان المراد أنه إذا حصل الظفر بالعدو فالعفو عنهم وترك المبالغة في النكير عليهم موجب للندامة وتضييع للفرضية بل الواجب إزهاق نفوسهم واستئصال أصولهم وكذلك العبد إذا ظفر بنفسه فلا ينبغي أن يبقى في انتقاش شوكها بقية ولا في قلع شجرها شظية فالحية وإن بقيت من الحياة بقية فيها فمن وضع عليها أصبعاً بثّت فيه سمها لكن إذا رأى في حال المجاهدة مع النفس أن في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويح لها من الكد وقوة لها على الجهد فيما يستقبل له من الأمر فذلك على ما يحصل به الاستصواب/ من لسان شيخ أو فتوى بيان وقت أو فراسة صاحب مجاهدة 162/ أ
﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [الآية 4] آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع ونحوها والمعنى حتى تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 4] أي الأمر فيهم ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية 4] لانتقم منهم باستئصالهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [الآية 4] ولكن أمركم بقتالهم ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم لهم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن كفرهم ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] أي جاهدوا في طريق رضاه وقرأ أبو عمرو وحفص قتلوا أي استشهدوا ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 4] فلن يضيعها بل يعطيها آمالهم ويعظم ثوابهم ويكرم ما بهم.

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ [الآية 5] سيثبت هدايتهم ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [الآية 5] شأنهم وحالهم.

﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾ [الآية 6] في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما به استحقوها أو بينها لهم في العقبى بحيث يعلم كل أحد مسكنه ويهدي إليه كأنه كان ساكنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 7] دينه ورسوله ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ [الآية 7] على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [الآية 7] في القيام بحقوق إسلامكم والمجاهدة مع مخالف نظامكم.

وقال الحكيم الترمذي: إن أكرمتم أوليائي أكرمكم.

وأفاد الأستاذ: أن نصرة الله من العبد نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته وقمع أعداء ملته.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ [الآية 8] فعثاراً ودماراً حاصلاً لهم وخاصاً بهم.

وقال الأستاذ: لعناً وطرداً وقمعاً وبعداً وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 8] ضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 9] من القرآن لما فيه من التكاليف المخالفة لما ألفه طباعهم ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية 9] حيث لم تكن على وفق هداهم بل كانت على طريق هواهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما زاغوا بقلوبهم أزاغوا بالتلبيس في معاملاتهم

أحبط الله أعمالهم وهتك أستارهم وأظهر للمؤمنين أسرارهم وأخمد نارهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بأبدانهم أو بأبصارهم ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ/ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 10] أي مآل حال كفارهم ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ 162/ ب
[الآية 10] استأصل ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم وديارهم وآثارهم ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا﴾ [الآية 10] أشباه تلك العاقبة من العقوبة والمهلكة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 11] ناصرهم على أعدائهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 11] يرضى عنهم فيدفع العذاب منهم.

قال أبو عثمان: هو معين من أقبل عليه وناصر من استغاث لديه.

وأفاد الأستاذ: أن المولى قد يكون بمعنى المحب فهو ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يحبهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 11] لا يحبهم ويصح أن يقال هذه أرجى آية في القرآن حيث لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد بل قال: ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 11] والمؤمن وإن كان عاصياً فهو من جملة الذين آمنوا لا سيما وآمنوا فعل والفعل لا عموم له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ [الآية 12] ينتفعون بمتاع الدنيا من الحرام ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ [الآية 12] حريصين غافلين عن عاقبة الأيام ووخامة الآثام ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [الآية 12] منزل ومقام على الدوام.

وأفاد الأستاذ: أن الأنعام تأكل بلا تمييز بين الحلال والحرام كذلك الكافر غفول والأنعام ليس وقت لأكلها بل تأكل في كل وقت حصل لها كذلك الكافر أكول.

وفي الخبر: «أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن في مِعًى واحد»[1]. ويقال: هي تأكل على الغفلة فمن كان في حال أكله ناسياً لربه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5393)، ومسلم في الصحيح (2060/ 182).

فأكله كأكل الأنعام في وصفه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [الآية 13] أي على حذف المضاف وهو الأهل وإجراء أحكامه على المضاف إليه مجازاً والإخراج باعتبار التسبب ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الآية 13] بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 13] يكشف عنهم الحجاب قال بعضهم: لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً منهم كما خرج موسى عليه السلام ولكنه خرج حين أُخرِج ألا ترى أن الله يقول أخرجتك ولم يقل خرجت ولا فررت ولا نزعت لأنه بالله ولله في جميع أوقاته
163/ أ فلم يجر عليه الالتفات إلى غير ذات/ الله ومشاهدة صفاته.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 14] حجة من عنده وبيان وهو القرآن أو ما يعمه من البرهان ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [الآية 14] من الشرك والعصيان ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية 14] من غير شبهته لهم فضلاً عن حجة عندهم.

وأفاد الأستاذ: أن البينة الضياء والحجة والاستبصار بواضح المحجة فالعلماء في ضياء برهانهم والعارفون في صفاء بيانهم فهؤلاء بأحكام أدلة الأصول يبصرون وهؤلاء بحكم الإلهام والوصول يستبصرون.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 15] أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وحالتها الغريبة أو صفتها ما يذكر منها أن ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [الآية 15] وقرأ ابن كثير أسن بالقصر أي غير متغير طعمه ولونه وريحه ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [الآية 15] لم يصر قارصاً ولا حامضاً ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الآية 15] لذيذة لهم لا كراهة طعم وريح في ابتدائها ولا غائلة سكر وخمار في انتهائها ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [الآية 15] لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وأمثالها والمعنى أن في العقبى جميع ما يستلذ منها في الدنيا مجرداً عما ينقصها وينغصها ومعداً لأهلها بكثرتها واستمرار مدتها ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 15] صنف شريف ونوع لطيف خارج عن جنس المشاهدات ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 15] عن السيئات والغفلات ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 15] أي أفمن هو خالد في هذه الجنة كم هو خالد في العقوبة ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ [الآية 15]

مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [الآية 15] من فرط الحرارة.

وقال الأستاذ: كذلك اليوم للأولياء لهم شراب الوفاء ثم شراب الصفاء ثم شراب الولاء ثم شراب في حلل اللقاء ولكل من هذه الأشربة محمل ومحو ولصاحبه سكر وصحو فمن تحسى شراب الوفاء لم ينظر في أيام غيبته عن أحبائه إلى أحدكما قال قائلهم:

وما سر صدري منذ شطت بك النوى   أنيس ولا كأس ولا متصرف[1]

ومن شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شوب فلا كدورة في عهده فهو في كل وقت صاف عن نفسه خال عن مطلوباته قائم به بلا شغل في الدنيا والآخرة ولا حاجة من حاجاته ومن شرب كأس الولاء عدم فيه القرار ولم يغب سره لحظة لا في الليل ولا في النهار ومن شرب في حال اللقاء أنس/ على الدوام ببقائه فلم يطلب مع بقائه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من 163/ ب
لقائه لاستهلاكه في علائه عند سطوات كبريائه.

﴿وَمِنْهُم﴾ [الآية 16] من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 16] ليعلم ما نزل عليك أو وقع من الكلام لديك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية 16] من علماء الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [الآية 16] أي شيء الذي قال في هذه الساعة استهزاء في أنفسهم وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الآية 16] ولذا أظهروا استهزاءهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ [الآية 17] من أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ [الآية 17] بالتوفيق والإلهام ﴿هُدًى﴾ [الآية 17] هداية شاملة للأحكام ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 17] أعطاهم أسبابها وأعانهم على اكتسابها.

قال ابن عطاء: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي وهو المقصود في البداية والنهاية.

وقال الأستاذ: ﴿ٱهْتَدَوْاْ﴾ بأنواع المجاهدات فزادهم هدى بأنوار

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 268).

المشاهدات و﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بتأمل البرهان فزادهم هدى بروح البيان و﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بعلم اليقين فزادهم هدى بحق اليقين.

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الآية 18] أي ما ينتظرون غيرها ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ [الآية 18] بدل اشتمال من الساعة وقوله ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ [الآية 18] كالعلة له أي لأنه ظهر بعض إماراتها كمبعث خاتم الأنبياء وانشقاق القمر في السماء ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية 18] فكيف لهم تذكرهم بالطاعة إذا جاءتهم الساعة فحينئذ لا هي تدفع ولا طاعة تنفع فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 19] في جميع الكائنات ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [الآية 19] أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم اليقين بالوحدانية الإلهية وتكميل النفس الإنسانية بإصلاح أعمالها وإنجاح أحوالها ويضمها بالاستغفار لما صدر من الزلات في حالة الغفلات منك ومن أتباعك وإن كان تفاوت بين السيئات فإن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ [الآية 19] في الدنيا فإنها
164/ أ مراحل لا بدّ من قطعها ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [الآية 19] في العقبى فإنها / دار إقامتكم فلا بدّ من دوامها.

قال جنيد: أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق عن الأصنام والأوثان إليه فدعاهم فمنهم مجيب ومنهم منكر لديه ودعاه سبحانه إليه من نفسه ومن الأكوان والخلق وأنسه فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الآية 19] أي الذي اصطفاك على البشر ليس غيره يستحق الألوهية ويقتضي العبودية.

وقال ابن عطاء: عالم قول ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ محتاج إلى أربعة أشياء تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع أي غافل جاهل ومن لم يكن له حلاوة فهو مراءٍ غير مخلص ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق لأن حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان عالماً بأنه لا إله إلا الله وأمره

باستدامة العلم واستزادته وكذلك في الثاني من حالته من أول العلم وبدايته لأن العلم أثر ولا يجوز البناء على الأثر فكل لحظة يأتي بها ويقال: كان له علم اليقين فأمر بعين اليقين أو كان له عين اليقين فأمر بحق اليقين ويقال: إنما أمره بالانقطاع إليه من الخلق ثم بالانقطاع منه إلى الحق وإذا قال العبد: هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة فليس لهذا القول كبير قيمة وهكذا إذا تعجب من شيء فتذكر هذه اللفظة ليس له قدر ولا مرتبة وإذا قاله مخلصاً فيه ذاكراً لمعناه متحققاً بحقيقة مبناه فإن قاله بنفسه فهو في وطن التفرقة.

وعندهم هذا من الشرك الخفي وإن قاله بالحق فهو الإخلاص الجلي والعبد يعلم أولاً ربه بدليل وحجة، فعلمه بنفسه ضرورة وهو أصل الأصول وعليه يبنى كل علم استدلالي ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وزيادة البيان وزيادة الحجج من أنواع البرهان ويتناقض علمه بنفسه لغلبات ذكره الله بقلبه فإذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضرورياً ويقال: الذي في البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فإذا ذكر البحر قوّى هذه الحالة فإذا غرق في البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه مستهلك وإذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك من علمك فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره.

164/ب ﴿وَيَقُولُ/ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ [الآية 20] هلا نزلت سورة في أمر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ [الآية 20] مبيّنة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ [الآية 20] أي الأمر به ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [الآية 20] ضعف في اليقين ونفاق في الدين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ [الآية 20] على وجه الكراهة ﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [الآية 20] جبناً ومخافة ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [الآية 20] دعاء عليهم بمكروه يقع لديهم يؤول إليه أمرهم.

﴿طَاعَةٞ﴾ [الآية 21] أي أمرهم طاعة ﴿وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ [الآية 21] أو حكاية قولهم لقراءة أبيّ يقولون طاعة أي أمرنا طاعة أو أولى لهم طاعة منهم لله ورسوله وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد وغيره أو طاعة وقول معروف خير

لـهـم ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 21] أي جد أصـحـابـه ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 21] الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 21].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [الآية 22] توقعتم من أنفسكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 22] أمور العام وتأمرتم عليهم في الأحكام أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 22] بالظلم والعدوان أو بالكفر والعصيان ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [الآية 22] حرصاً على الولاية وتجاذباً للإمارة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 23] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته لإفسادهم وقطع أرحامهم ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ [الآية 23] عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الآية 23] فلا يهتدون سبيل الصدق.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 24] ألا يتأملون ما فية من المواعظ والزواجر حتى لا يتحسروا على الكبائر ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [الآية 24] فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر.

قال سهل: إن الله تعالى خلق القلوب وأقفل عليها بأقفالها وجعل الإيمان مفاتيحها فلم يفتح على التحقيق إلا قلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين وأما سائر الناس فيخرجون من الدنيا وقلوبهم مقفلة كالزهاد والعلماء والعباد لأنهم طلبوا مفتاحها من القفل فضلوا الطريق ولو طلبوا من باب الفضل وجهة التوفيق لفتح أقفال قلوبهم للتحقيق ومفتاح القلوب إن الله قائم عليك رقيب على جوارحك والعلم بأن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص.

وقال الأستاذ: أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى حسن العرفان وخلص أرواحهم عن ظلمه التحير في وادي الطغيان.

165/أ / ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ [الآية 25] إلى ما كانوا عليهم من إنكارهم وإصرارهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [الآية 25] بالدلائل اللائحة والمعجزات الواضحة ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [الآية 25] سهل لهم اقتراف السيئات وحملهم على أتباع الشهوات ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 25] ومد لهم في آمالهم وأمانيهم

أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لمعاصيهم وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير لهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية 26] أي اليهود أو المنافقين ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ [الآية 26] للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [الآية 26] في بعض أموركم ولو كان مخالفاً للدين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [الآية 26] ومنها قولهم هذا الذي أنشأه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالكسر على المصدر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 27] فكيف يعلمون ويحتالون حينئذ حال كونهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الآية 27] بمقامع من حديد فيها بأس شديد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [الآية 28] من الكفر ومعصيته الأمر وإظهار الشر ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [الآية 28] ما يرضاه من الإيمان وطرق الخير ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 28] وضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية 29] ضعف دين أو قلة يقين ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] لن يظهر لرسوله والمؤمنين ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ [الآية 29] أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ [الآية 30] لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الآية 30] بعلاماتهم التي يسمهم بها واللام لجواب لو كررت في المعطوف للمبالغة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30] جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه الدال على انحراف الفعل من تعريض وتورية في العبادة وغمز ورمز في الإشارة كما يعرف بالفراسة والكياسة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 30] فيجازيكم على حسب أحوالكم.

قال القاسم: إن الأكابر والسادة يعرفون صدق المريد من كذبه في سؤاله وكلامه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30].

وأفاد الأستاذ: في لحن القول أي في معنى الخطاب وأن الأسرة تدل

على السريرة وما يخامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره كما قيل:

لست ممن ليس يدري ما هوان من كرامة
إن للحب وللبغض على الوجه علامة

165/ ب والمؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف/ ينظر بنور التحقيق والموحد ينظر بالله فلا يستتر عليه شيء ويقال: بصائر الصديقين غير مغطاة ففي الخبر: «سدوا كل خوخة غير خوخة أبي بكر»(1).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [الآية 31] بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة المحتاجة إلى المجاهدة ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [الآية 31] حتى نميزهم ﴿مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية 31] على مشاقها من الواقعين في شقاقها ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [الآية 31] ما يخبر به عن أعمالكم فتظهر حسنها وقبحها من أحوالكم وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء لموافقته ما قبلها.

وأفاد الأستاذ: أن الابتلاء والامتحان يتبين جواهر الرجال في اختلاف الأحوال فيظهر المخلص الموافق ويفتضح الممارق وينكشف المنافق إن الذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وذلوا ووسموا بالشقاوة وقطعوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 32] جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية 32] وخالفوه بعدما ظهر لهم سبيل أهل الكمال ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [الآية 32] بما صدر عنهم من الأفعال ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 32] ثواب حسنات أعمالهم الصورية في نظر العوام أو مكائدهم التي نصبوها في مشاقة الرسول وأصحابه الكرام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية 33] في أمره ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [الآية 33] في حكمه ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الآية 33] بالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (467).

قال الواسطي: أطيعوا الله في حرمة رسول الله وأطيعوا الرسول في تعظيم الله ولا تبطلوا أعمالكم برؤيتها وطلب النجاة منها.

قال الأستاذ: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 33] بالمساكنة إليها أو بطلب الأعواض عليها أو بتوهمكم أنه يجب بها شيء دون فضل الله لديها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [الآية 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ونحوه ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر أمره.

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ [الآية 35] فلا تضعفوا في الجهاد ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ [الآية 35] ولا تدعوا إلى الصلح في البلاد ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [الآية 35] الأغلبون من العباد ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ [الآية 35] ناصركم في مالكم / ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 35] لن 166/ أ
ينقصكم أعمالكم ولن يضيع أحوالكم.

وقال الأستاذ: لا تميلوا إلى الصلح مع الكفرة وأنتم الأعلون بالحجة والنصرة والله معكم يراكم ومن علم أن سيده يراه في طاعته يتحمل كل مشقة برؤيته.

﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ [الآية 36] لا ثبات لها ولا بقاء بها ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾ [الآية 36] ثواب إيمانكم وتقويكم ﴿وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾ [الآية 36] جميعها بل يقتصر على جزء يسير منها كربع العشر ونحوها.

﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ﴾ [الآية 37] فيجهدكم بطلب كلها ﴿تَبۡخَلُواْ﴾ [الآية 37] في إعطائها ﴿وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾ [الآية 37] أي يظهرها الله أو البخل أنواع، حقدكم وأصناف حسدكم وأجناس كيدكم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا إنما يقوله لمن لم يوق شح نفسه وأما الأحرار ومن علت رتبتهم في باب حرية القلب فلا يسامحون في استيفاء ذرة لمرضاة الرب ويطالبون ببذل الأرواح والتزام الغرامات في الأشباح.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾ [الآية 38] المخاطبون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 38] الموصوفون ﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] طريق رضاه ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾ [الآية 38] في إنفاق ماله مع أن فيه كماله ونظام ماله ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [الآية 38] لأنها محل وباله في سوء حاله ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [الآية 38] عنكم وعن عبادتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [الآية 38] إلى رحمته في دنياكم وآخرتكم أو في بدايتكم ونهايتكم فيما يأمركم به فهو لحاجتكم فإن امتثلتم فلكم نفعه وإن توليتم فعليكم ضره.

قال جنيد: لأن الفقر يليق بالعبودية والغنى بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير الصادق من يشهد افتقاره إلى الله وصدق الفقر شهود فقرك إلى الله ومن افتقر إلى الله استغنى بالله ومن افتقر إلى غير الله وقع في الذل والهوان من جهة مهواه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 38] عطف على وإن تؤمنوا أي وإن تعرضوا عن طاعته وعن الإيمان به ومتابعته ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [الآية 38] أشد منكم طاعة وأصدق منكم عبادة والمعنى هو قادر على أن يخلق أشكالكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [الآية 38] في العصيان والإعراض عن الإيمان وترك الشكر بالإحسان بل يكونوا خيراً منكم في أعمالكم وأحوالكم وهم الفرس
لأنه يسأل عليه السلام عنهم وكان سلمان رضي / الله عنه إلى جنبه فضرب فخذه 166/ ب
وقال: هذا وقومه[1].

وقال بعضهم: لا يستقر على بساط العبادة إلا أهل السعادة وقد يطأ البساط المترسمون بالعبودية أوقاتاً ثم لا يستقرون عليه ثباتاً ويبدل الله مكانهم فيه منه من أوجب السعادة له ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [الآية 38].

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (16/ 62) رقم (7123)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 383) رقم (3260)، والطبراني في المعجم الأوسط (8/ 349) رقم (8838).

سورة الفتح

[مدنيّة]

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله يشير إلى سموه في أزله وعلوه في أبده فمعرفة سموه توجب للعبد سمواً ومعرفة علوه توجب للعبد علواً.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الآية 1] الجمهور على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وقال بعضهم فتح مكة المكرمة ويؤيد الأول ما روى محيي السنّة إنه لما نزلت في طريق الرجوع إلى المدينة سنة ست من الهجرة قال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله قال: «نعم والذي نفسي بيده وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة»[1]. وفيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا أخبارهم وأسرارهم وشاهدوا أنوارهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير منهم ومن هنا استقبل فتح خيبر على أيدي أهل الحديبية من غير مشاركة لغيرهم انتهى.

والمعنى أنه سمي فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب

---

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 198) والطبري في تفسيره (22/ 202). وورد بلفظ آخر، انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 120) رقم (3766)، وفي المعجم الكبير (19/ 445) رقم (1082)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 325) رقم (12648).

فغزاهم وفتح مواضع من مآويهم ولا يبعد أن يكون الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أنواعاً من الفتوحات المكية وغيرها مما جرى على يديه في وقته أو بعده على أمته فتحاً مبيناً أن بعظمتنا فتحنا لأجل قدرك في حضرتنا ظاهراً معيناً لكونه سبحانه له ناصراً ومعيناً.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 2] المسمى بالاسم الجامع لصفتي الجمال والجلال ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية 2] جميع ما فرط منك مما يصح أن يتعاتب عليه لكونه نقصان في مقام الكمال ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الآية 2] بإعلاء كلمة الملة
167/ أ وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية 2] في تبليغ الرسالة / وإقامة مراسيم الرياسة.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الآية 3] نصراً فيه عزة ورفعة وقوة ومنعة وإنما جعل المغفرة علة للفتح والنصرة لأنه مسبب عن جهاد الكفرة والسعي في إزاحة الفجرة وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة وقيل تعليم للأمة بحملهم على طلب المغفرة.

وقال بعضهم: ما تقدم أي ذنوب أبويك آدم وحواء بحرمتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك.

وعن عطاء الخراساني: ما تقدم في الجاهلية وما تأخر ما لم يعمله في القضية والمعنى قد استوى ما عملت وما لم تعمل في عموم المغفرة وهذا من أوفى المنة وأصفى العطية.

وقال ابن عطاء: كشف الله تعالى ذنوب الأنبياء حتى نادوا على أنفسهم وستر ذنب محمد عليه السلام بقوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال جعفر الصادق: من تمام النعمة على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع رسله وعرج به إلى المحل الأدنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ بصره وما طغى وبعثه إلى الأسود والأبيض وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعاً مشفعاً وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وهذا تمام نعماه.

وقال الأستاذ: أي ينصرك على هواك ونفسك وينصرك على حسن خلقك ومقاساة الأذى عن قومك نصراً معزاً من آمن بك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الآية 4] السكون الطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 4] كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية فاطمأنت قلوبهم بالصلح في القضية وقيل: السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روي أن السكينة لتنطق على لسان عمر.

وروى السلمي عن ابن عطاء: أن السكينة نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في طريق الرب.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة ما سكن إليه القلب من البصائر والحجج فيرتقي القلب بوجوده عن حد الفكرة والسير في روح اليقين وثلج الفؤاد فيصير العلوم ضرورية وهذا للخواص من المسلمين ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الآية 4] إيقاناً مع إيقانهم وإحساناً مع إحسانهم وعرفاناً مع عرفانهم وهكذا مترقياً في جميع شأنهم.

167/ ب وقال الأستاذ: سكوناً مع سكونهم / تطلع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم يطلع شمس حتى اليقين على بدر عين اليقين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 4] يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوضع فيهما بينهم السلم منه كما تقتضيه منيع حكمته وبديع معيشته وقيل: المراد بالجنود جميع لمخلوقات الدالة على وحدانيته.

وأفاد الأستاذ: إن ما سلطه الحق على شيء فهو من جنوده سواء سلطه على وليه في الشدة والرخاء أو سلطه على عدوه في الراحة والبلاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يدبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يقدر.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 5] أي قدر ما قدر ودبر ما دبر من نصرة المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها بعباداتهم فيدخلوا مراتب الجنة على قدر حسناتهم ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 5] لأنه منتهى ما يطلب من جلب خير ودفع ضر.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الآية 6] بحسب مراتبهم في الدركات ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 6] ظن الأمر السوء هو أن لا ينصر رسوله ولا يعطيه سؤله، واكتفى عن ذكر الظانات إمّا تغليباً لإيجاز المقامات أو إشعاراً بأن ظن السوء كان غالباً على رجالهم في أغلب أحوالهم ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 6] أي عليهم خاصة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا تتخطاهم شيء منها ويحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6] فطردهم عن رحمته ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ [الآية 6] أبعدهم عن جنته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] مكان نعمته ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية 6] وقبحت مصيراً.

قال الأستاذ: في العاجل بكفرهم ونفاقهم وفي الآجل بعذابهم وسوء عقابهم فكفروا بغضبه وغضبه إرادة العقوبة بهم في العقبى وكون الشرك والنفاق في الدنيا ولعنهم وحقَّ فيهم كلمته وسبقت لهم من الله بالشقاوة قسمته.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 7] باطناً وظاهراً وأولاً وآخراً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ [الآية 7] غالباً على مراده ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 7] فيما دبر من أمر عباده.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الآية 8] على أمتك يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 8] للمحسنين بالجنة على الطاعة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 8] للمسيئين بالعقوبة على المعصية.

168/ أ وقال سهل: شاهد بالتوحيد والمعرفة / ومبشراً لهم بالمغفرة ونذيراً محذراً إياهم البدعة والضلالة.

وقال الأستاذ: شاهداً بوحدانيتنا ورسوله ويقال: شاهداً من قبلنا ومبشرات، بأمرنا عنا ونذيراً من جانبنا ولنا ومنا ويقال: أقمناك لتبلغ إليهم عنا بنا ولنا ومنا.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية 9] الخطاب للنبي والأمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تقووه بتقوية دينه وتنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الآية 9] تنزهوه أو

تصلّوا له ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الآية 9] دائماً أو غدوة وعشياً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن تعزيره إيثاره بكل وجه على نفسك وتقديم حكمه على حكمك وتوقيره باتباع سنته والعلم بأنه سيد بريته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الآية 10] في الحديبية وهي بيعة الرضوان حين أرسل عليه السلام عثمان بن عفان إلى قريش ليعلمهم أنهم جاؤوا معتمرين لا محاربين فأخبر بقتل عثمان فبايعوا على الصبر إلى أقصى الجهد والإمكان ولذا قالوا إنّا بايعنا على الموت[1] ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] لأنه المقصود ببيعته والمراد أن عند الميثاق مع رسوله كعقد الميثاق مع ربه من غير تفاوت في حكمه فكان وساطة الرسول مرتفعة عن نظره.

وقال الأستاذ: أي عقدك عليهم هو عقد الله إليهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الآية 10] استئناف مؤكد له على سبيل التمثيل والمعنى أن يد رسوله يده وهو منزه عن اليد والأسلم عدم التأويل فللّه سبحانه يد مناسب لذاته الأقدس وصفاته الأنفس وعن كثير من السلف نعمة الله عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة للطاعة وقيل: قدرة وقوته فوق قوتهم وحركتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة إلى الجمع كما قال: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: الآية 18].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ [الآية 10] نقض عهده في مقام وعده ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الآية 10] فلا يعود ضرر نكثه إلا على نفسه ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 10] أي قام بما عاهد على التمام في البيعة ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الآية 10] هو الجنة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنوفيه بالنون.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا كان بوصف إخلاصه يعامل الله/ في شيء 168/ ب

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2958)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 386 رقم (36852).

وهو به متحقق وله بقلبه مشاهد فالوسائط التي عليها أمارات التفريعات محو عن أسرارهم والحكم راجع إلى الواحد.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 11] الذين واعدوا أن يرافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقوا في مسيره إلى مكة عام الحديبية وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار فاخلفوا الوعد واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة في الإيمان والخوف عن مقاتلة قريش أن صدوهم عن ذلك المكان ﴿شَغَلَتْنَآ﴾ [الآية 11] عن الوفاء بعهدنا ﴿أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الآية 11] إذ لم يكن لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾ [الآية 11] من الله على تخلفنا ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الآية 11] تكذيب من الله لهم في الاعتذار والاستئناس ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الآية 11] فمن يمنعكم من مشيئته ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الآية 11] نوع مضرة كقتل أو هزيمة أو خلل في مال وأهل وعقوبة على مخالفة وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ﴾ [الآية 11] نوع منفعة كنصرة وغنيمة وسعة رحمة ودوام عافية والمعنى لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذراً فلا ذاك يدفع الضر إن أراده ولا ملاقاة العدو تمنع النفع إن أراده ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 11] فيعلم تخلفكم مع اقتداركم وقصدكم في اعتذاركم.

قال بعض السلف: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو شؤم عليك.

وأفاد الأستاذ: أن عذر المماذق وتوبة المنافق كلاهما ليس له حقائق.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الآية 12] لظنكم أن المشركين يستأصلونهم ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 12] حتى أجبتم أن لا يرجعوا إلى أوطانهم ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية 12] بأنهم أكلة رأس لقريش وإخوانكم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الآية 12] هالكين لسوء عقيدتكم وفساد نيتكم.

وأفاد الأستاذ: أن العدو إذا لم يقدر أن يكيد بيده تمنى ما يتقاصر عنه مكنت بقلبه وذلك صفة كل لئيم ونعت كل مليم ثم الله تعالى يعكس ذلك

عليه في أمره حتى لا يقع على مراده ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية 43].

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 13] لمن يموت على كفره ﴿سَعِيرًا﴾ [الآية 13] ناراً موقدة وعقوبة مؤبدة.

169/ أ / ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 14] له الاختيار المطلق في الأشياء ويدبر في ملكه ما يشاء ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 14] مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 14] عقوبته إذ لا وجوب عليه في بريته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ [الآية 14] لمن آب فالغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض في كائناته ولهذا جاء في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»(1).

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ [الآية 15] أي المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ [الآية 15] إلى جهة فيها غنائم ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ [الآية 15] وهي غنائم خيبر فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم دون غيرهم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الآية 15] في خروجكم إلى خيبر وحربهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 15] أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كَلِم الله وهو جمع كلمة ولعل المراد بها قضاياه ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الآية 15] في سفر خيبر قيل: نفي معناه نهي ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل أن تسألوا الخروج معنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ [الآية 15] أن نشارككم في الغنائم وليس فيه أمر من الله جازم ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 15] لا يفهمون إلا فهما قليلاً وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (2751/ 15).

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية 16] كرر ذكرهم مبالغة في ذمهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ﴾ [الآية 16] حرب ﴿شَدِيدٍ﴾ [الآية 16] أي هوازن وثقيف وذلك في عهده عليه السلام أو بني حنيفة وأصحاب مسيلمة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أهل فارس وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه قال صاحب البحر هذه الأقوال تمثيلات للأعلام بل أخبر الله تعالى بذلك على وجه الإبهام دلالة على قوة الإسلام وانتشار دعوته عليه السلام ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الآية 16] أي يدخلون في الإسلام وينقادون تحت الأحكام والجملة استئناف ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 16] هو الغنيمة في الدنيا والجنة في العقبى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ تتخلفوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ [الآية 16] عن القضية ﴿مِّن
169/ ب قَبْلُ﴾ [الآية 16] أي عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 16] / في الأولى والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن أهل اليمامة أصحاب مسيلمة دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالآية تدل على صحة إمامته وقيل فارس: ودعاهم إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فعلمت أنّ الآية تدل على صحة خلافته، وإمامته تدل على صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنهما والمعنى أن أطعتم استوجبتم الثواب وإن تخلفتم استحققتم العقاب ودلت الآية على أنه يجوز للعبد بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها إلى حالة بهية كما كان لهؤلاء ولقد أنشدوا:

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرِّج له عَوْدَ الصلاح لعله[1]

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 17] لما أودع للمخلفين نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين.

وأفاد الأستاذ: إنه كذلك من كان له عذر في المجاهدة مع نفسه فالله يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 284).

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية 17] في دار القرار ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ [الآية 17] يعرض عن الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 17] في دار البوار وقدم الترغيب عن الترهيب لسبق رحمته على غضبه وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 18] وكانوا ألفاً وأربعمائة وقيل وثلاث مائة وقيل وخمسمائة وكانوا قصدوا دخول مكة وهم محرمون فصدهم المشركون فبايعهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا عنهم وكان جالساً تحت سمرة أو سدرة ثم صالحوه على أن يخلوا له مكة من القابل ثلاثة أيام وكان عليه السلام قد رأى في المنام أنهم يدخلون المسجد(1) الحرام آمنين وبشر به المؤمنين فلما صدهم المشركون خامر قلوبهم شبهة وعناداً في قلوب بعضهم تهمة حتى قال الصديق لم يقل عليه السلام في هذا العام فسكنت قلوبهم واطمأنت نفوسهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 18] من الهم والأنفة لديهم ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الآية 18] وجازاهم فتح خيبر عقب انصرافهم من هذا السفر وقيل مكة أو هجر.

﴿وَمَغَانِمَ/ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الآية 19] يعني عقار خيبر وأموالها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ 170/أ
عَزِيزًا﴾ [الآية 19] غالب القدرة والإرادة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 19] مراعياً مقتضى الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أنه قد يخطر ببال الإنسان خواطر مشكّة وفي الريب موقعة ثم لا عبرة بها فإن الله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً ألزم التوحيد قلبه وقارن التحقيق سره فلا يضره كيد الشيطان ومكره قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الآية 20] هي الفتوحات إلى يوم القيامة ﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 20] أي مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾

(1) مكرر مرتين في المخطوطة.

[الآية 20] أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم مني بني أسد وغطفان فإن المسلمين لما أخرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة فقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم فانكفوا عن همهم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ [الآية 20] هذه الكفة أو الغنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] علامة لهم على صدقك في مقام اليقين أو دلالة للمؤمنين يستدلون بها على حراسة الله للمسلمين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الآية 20] هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

وقال الأستاذ: معنى كف أيدي الناس عنكم هو أن يرزق العبد من حيث لا يحتسب لئلّا يحتاج أن يتكفف على الناس بل يتعفف عنهم في الاستئناس.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ [الآية 21] مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ [الآية 21] صفته وخبره ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ [الآية 21] أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد لما كان لهم فيها من قوة الجولة ولكم من قلة الشوكة والحيلة ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ [الآية 21] علماً وقدرة فيفتحها لكم وقت تعلق المشيئة وهي مغانم هوازن أو فارس أو الروم أو جميعها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 21] فلا تعلقوا بغيره قلوبكم لا كثيراً ولا يسيراً فإن من عداه لا يتصور أن يكون لكم نصيراً.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 22] من أهل مكة عام الحديبية ولم يصالحوا في القضية ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الآية 22] لا نهزموا بالكلية ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ [الآية 22] يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 22] ينصرهم في القضية.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ﴾ [الآية 23] سن الله سنة الأنبياء المتقدمة
170/ ب إن عاقبة أعدائهم الخزي / والهزيمة ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 23]
تغييراً أو تحويلاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الآية 24] أي أيدي كفار مكة عن قتالكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الآية 24] في شدة حالكم ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الآية 24] كائنين في داخل مكة معهم ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الآية 24] أي أظهركم وغلبكم لديهم وذلك إن سبعين أو ثمانين أو ثلاثين رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم

يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا وعفا عنهم[1] فأطلقوا.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وتبعه جمع كالقاضي من أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة يوم الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد[2].

ففيه أن خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما ثبت في صحيح البخاري وغيره[3] اللهم إلا أن يراد بذلك يوم الفتح ويحمل الكف بصيغة الماضي على تحقق وقوعه لعدم تخلف إخباره سبحانه في وعده ووعيده.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية 24] من حربكم أولاً لإطاعته نبيه وكفكم ثانياً لتعظيم بيته ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 24] عالماً خبيراً فيجازيكم عليكم قليلاً وكثيراً وقرأ أبو عمرو بالغيبة.

قال سهل: المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه ساعة من ساعاته فيفتش حالاته ويراقب أوقاته فرأى نقصانه من زياداته فيشكر عند رؤيته الزيادة ويتضرع عند المنقصة هؤلاء بهم يدفع الله البلاء والمؤمن من لا يكون متهاوناً بأدنى التقصير فإن التهاون بالقليل يستجلب الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار كفوا أيديهم رعباً وخوفاً وأما المسلمون فهيأ من قبل الله لما في أصلابهم من المؤمنين ولما علم قوماً منهم يصيرون مسلمين

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1808/ 133)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 318) رقم (12611)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 386) رقم (3264)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 202) رقم (8667).

(2) انظر تفسير الطبري (22/ 238) وتفسير ابن أبي حاتم (12/ 232).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (12731)، وابن حبان في الصحيح (11/ 216) رقم (4872)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 387) رقم (36855).

والإشارة في الآية أن من الغنيمة الباردة أن يسلم الناس منك وتسلم منهم وإنما يفعل الله هذا بأوليائه فلا من أحد عليه حيف ولا منه على أحد جور ولا حساب ولا مطالبة ولا صلح ولا معاتبة ولا صداقة ولا عداوة وأنشدوا:

فلم يبق لي وقت لذكر مخالف ولم يبق لي قلب لذكر موافق

171/ أ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ/ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية 25] منعوكم عن الزيارة بالعمرة ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ [الآية 25] ومنعوا الهدي وكان سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الآية 25] أي حال كون الهدي محبوساً ومحصوراً من أن يصل مكانه المعهود للمعتمرين وهو المروة ثم بين حكمة المصالحة بقوله ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الآية 25] من المستضعفين بمكة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ [الآية 25] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين في بنيانهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الآية 25] أن توقعوا بهم وتقتلوهم في أثناء قتال أعدائهم ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ [الآية 25] جواب النفي أو عطف على تطؤهم ﴿مِّنْهُم﴾ [الآية 25] من جهة مضرتهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ [الآية 25] ندامة وملامة إذ لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور بين أهل المحاربة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ [الآية 25] أي حال كونكم غير عالمين أو حال كونهم غير معلومين وهو حال مؤكدة لقوله لم تعلموهم وجواب لولا محذوف لدلالة صدر الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين أو مجهولين فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومضرة من قبلهم لما كف أيديكم عنهم وقد تؤخّر لعقوبة عن الكفرة منهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الآية 25] ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى دين المسلمين ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ [الآية 25] أي تفرقوا أو تميزوا ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 25] في الدنيا فإن عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب العقبى.

وأفاد الأستاذ: إن في هذا تعريفاً للعبد أن أموراً تتعلق وتتفسر فيضيق الإنسان بها قلبه ولله في ذلك سر ولأمر ما لا يجري كما يريده العبد كما قالوا:

كم مرة مرت بك المكاره خار الله لك وأنت كاره

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ [الآية 26] الأنفة ﴿حَمِيَّةَ

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الآية 26] التي تمنع إذعان الحق وقبول قول الصدق.

قال ابن عطاء: الحمية متابعة النفس الدنية في الانتقام من البريء في القضية ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 26] وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا جمعاً ليسألوه أن يرجع من عامهِ على أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب / بسم الله الرحمٰن الرحيم فقالوا: وما نعرف هذا اكتب 171/ ب
باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبدالله فقال عليه السلام: «اكتب ما يريدون فإني أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك»[1]. وأن يبطشوا عليهم هنالك فأنزل الله السكينة عليهم فتوفروا وتحملوا وتحلموا لديهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ [الآية 26] أي اختار لهم الله ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية 26] كلمة الشهادة كما صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الترمذي وغيره[2]. وإضافة الكلمة إلى التقوى لأنها سببها أو لكونها سبب الوقاية من نار العقوبة ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ [الآية 26] من غيرهم في حقها ﴿وَأَهْلَهَا﴾ [الآية 26] المستأهل لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 26] فيعلم أهلها ومن أولى بها.

قال أبو عثمان: كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أوليائه المؤمنين بها وكانوا أحق بها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 226) رقم (18610)، وابن حبان في الصحيح (11/ 214) رقم (4870)، وأبو يعلى في المسند (6/ 69) رقم (3323)، وأحمد في المسند (1/ 342) رقم (3187)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 385) رقم (36851).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 67) رقم (1272)، وفي المعجم الكبير (1/ 199) رقم (536)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 386) رقم (3265)، وابن حبان في الصحيح (1/ 451) رقم (218).

وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن مطالعة غير المولى ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن كلمة التقوى هي التي معها الاتقاء من شرك السوي ويقال: هي سؤالك من الله أن يحرسك من المطامع فيما سواه ويقال: هي التواصي بينهم بحفظ حقوق الله لهم وكانوا أحق بها في سابق حكمه وقديم علمه وهذا إلزام إكرام ولطف لا إلزام إكراه وعنف وإلزام برّ لا إلزام جبر.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً[1]

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 27] في المنام إذ رأى عليه السلام أنه وأصحابه الكرام دخلوا المسجد الحرام آمنين فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا في بابه وحسبوا أن ذلك يكون في عامه فلما تأخر قال بعضهم: والله ما رأينا البيت ولا حلقنا ولا قصرنا فنزلت: والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسة بالصدق فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ﴿لَتَدْخُلُنَّ
172/أ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية 27] جواب قسم محذوف / إن شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليماً للعباد وتنبيهاً على أنه لا يجب عليه شيء فيما أرادوا قيل: إن بمعنى إذ وهو معنى لطيف وقيد شريف وسئل سهل عن هذا الاستثناء قال تأكيداً في الافتقار إليه وتأديباً لعباده في كل حال ووقت لديه وتنبيهاً إن الحق إذا استثني مع كمال علمه لا يجوز الحكم لأحد من غير استثناء مع قصور فهمه آمنين حال من الواو والشرط معترض ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الآية 27] حال مقدرة أي محلقاً بعضكم ومقصر آخرون ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ [الآية 27] أي غير خائفين حال مؤكدة لقوله آمنين ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ [الآية 27] من الحكمة في تأخير المدة ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 27] من دون دخولكم المسجد الحرام أو فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الآية 27] هو صلح الحديبية أو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود فيما قدر له من الحين.

(1) نسب إلى العباس. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [الآية 28] ملتبساً به أو بسببه ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 28] وبدين الإسلام وظهور أمره ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ [الآية 28] يغلبه ويعليه على جنس الدين جميعه بنسخ ما كان حقاً وفساد ما كان باطلاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الآية 28] على نبوته بإظهار معجزته.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 29] جملة تامة مبينة للمشهود به ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية 29] من أصحابه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الآية 29] أي يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون من وافق يقينهم كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 54] أي متواضعين أعزة على الكافرين أي متكبرين ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الآية 29] أي مصلين في وقت وحين ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 29] بالعفو عن تقصراتهم ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الآية 29] بقبول طاعاتهم ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الآية 29] أي علامتهم يوم القيامة كونهم منوري الوجوه محجلي الجباه أو المراد خشوعهم وخضوعهم أو صفاؤهم وضياؤهم من أثر انقيادهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في المؤمنين عامة وفي التفسير ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ عثمان ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ [الفتح: الآية 29] علي، رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 29] إشارة إلى الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الآية 29] أي صفتهم العجيبة المذكورة فيها ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الآية 29] مبتدأ خبره ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ [الآية 29]/ فراخه 172/ ب
وفروعه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الآية 29] فقواه وعاونه وقرأ ابن ذكوان بالقصر كأجر في أجر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ [الآية 29] فصار من الدقة إلى الغلظة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الآية 29] فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سوقه بالهمز ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الآية 29] بكثافته وقوته وغلظته وحسن بهجته وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة الكرام قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا في بناء الأحكام بحيث أعجب الأنام ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الآية 29] علة لتشبيههم بالزرع في زكاءه واستحكام بنائه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ [الآية 29] لسيئاتهم ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الآية 29] لحسناتهم ومن للبيان لا للتبعيض كما توهم أهل العدوان إلا أن يراد به من ختم منهم بالإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالزرع حين يخرج طاقة واحدة حتى يثبت أصوله فيشتد كذلك كان عليه السلام وحده وقوّى بالمسلمين دينه فمنهم مَنْ حمل الآية على الصحابة خاصة فمن أبغضهم دخل في الكفر لأنه قال: ليغيظ بأصحابه الكفار ومن حملها على المسلمين عامة ففيه حجة للإجماع لأن من خالف الإجماع فالله يغايظ بهم الكفار فمخالف الإجماع كافر مخلد في النار.

فهرس المحتويات

TAFSĪR AL-MULLĀ ᶜALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

by

Al-Molla Ali Al-Qari

(D. 1014 H.)

edited by

Dr. Naji As-souwayd

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban